سپاهیلر آغاسی محمد امین آغا وقف ...

المجلد الثاني من تفسير ابي سعود

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع وتأمل ... اكرمه الله تعالى

حرره الفقير ... زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

ایاصوفیه

١٤٤

سورة الكهف

الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني
عن الوصف بالكمال والمعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن
جميع القرآن او عن جميع المنزل كما مر وفي وصفه بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق
الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير
عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام الى اعلى
معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان الرسول يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى
في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به
قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى وانحراف
عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا
مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف
عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به المشاعر الظاهرة
عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج
غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار
والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها
ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك
من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه
على تقدير كونها حالية فهو ... منه من الكتاب اذ لا فصل بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف
وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق
عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة
الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا بأسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا
من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضم وكسر
النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به
الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال
في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور
لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان أن لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا

شأن

حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر
ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار
كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله
تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق
من مستحقي البأس للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر
من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين
يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن
الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية
ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق
صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه
الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك
للمؤمنين ايضا على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلوله بالمنذر به كما في قوله ان
انذر الناس وبشر الذين امنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد
على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول
صلى الله عليه وسلم ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء والظرف
لاعتماده الظرفية ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم
بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه
ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه اهو
صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب
بقوله تعالى كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا
يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او
ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي
كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من
افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان
الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون اي ما يقولون في ذلك
الشأن الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير في لهم
ولآبائهم مثل حالك معهم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال
التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم
وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له صلى الله عليه وسلم على الحذر والاشفاق من
ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا على توليهم وقرئ بالاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف

عليها

د

مايقولون

تهم

على فراقهم

تقة بدلالة ما سبق عليه وقرى بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال
ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه أسفا مفعول له لباخع اي لفرط
الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة
التبعية بحمل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر
تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استيناف وتعليل
لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف
حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة لها
مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما
متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا
بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع
بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج
والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم
من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلين تحت
الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم
بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب
امتياز مراتب علومهم المرتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما
قررناه في مطالع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة
في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر
ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن
خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو
الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف
صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها
وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شأنها وجعلها
ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها
وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعلها الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع
ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن
فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق
في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا
ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج
المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي
من الارض قال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب
من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات بها وسنة جرز لا مطر فيها

والقناعة بها

للفريقين

بمشاهدته

وتتشرف بها

فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد
والشاة والابل اي اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما
تعاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء
زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم
أم حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبانه امته وام منقطعة مقدرة
ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها
عند غيرهم اي بل احسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من
الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها لحكمة المشار
اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وضعا له موضع
المضاف او وصف لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال والمعنى ان قصتهم
وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من عجائب خلق
الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي
الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف وقيل هو لوح رصاصي او حجري
رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي
اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم ثم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون
وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ أوى
ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف واوثر الاظهار على
الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم
دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولاصحابه الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا
يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف جعلوه ملجأ لهم ومأوى فقالوا ربنا آتنا من
لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي
آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا
من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة
الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة الطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه
وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة
فيه كما تشوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا
الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا ... لنا على من امرنا للايذان
من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في
قولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة
الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع
اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ

غالبًا لا سيما عند انفراد آنائهم وعزله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة المثقلة
وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أي منعهم من التصرف مع عدم ملائمته لما
سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعًا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا
له بعد قوله إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات
الشمال والبعث وغير ذلك آثار رحمته الخافية عن أبصار المتمسكين بالأسباب العادية
استجابة لدعوتهم **في الكهف** ظرف مكان لضربنا **سنين** ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه
عددًا أي ذوات عدد أو تعد عددًا على أنه مصدر أو معدودة على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين عدد
بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة
عجبًا من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل **ثم بعثناهم** أي
أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة المشبهة بالموت **لنعلم** بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيًا
للفاعل بطريق الالتفات وأيًا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازًا من الإظهار
والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما
في قوله تعالى إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا
ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعًا فإن تحويل القبلة قد ترتب عليه
تحزب الناس إلى متبع ومنقلب وكذا مداولة الأيام بين الناس ترتب عليه تحزبهم إلى الثابت
على الإيمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والإظهار والتمييز وأما بعث
هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم إلى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم أو الإظهار والتمييز ولم ينتسق
نظم شيء من ذلك في سلك الغاية وإنما الذي ترتب عليه تفرقهم إلى مقدر تقديرًا غير مصيب
ومفوض إلى العلم الرباني وليس شيء منهما من الإحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل
المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازًا بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب وليس من
ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعًا بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن
التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد هاهنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم
معاملة من يختبرهم **أي الحزبين** أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما
سيأتي **أحصى** أي أضبط **لما لبثوا** أي للبثهم **أمدًا** أي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك
إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقينًا
بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفًا لمؤمني زمانهم وآية بينة
لكفارهم وقد اقتصر هاهنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل
وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي إليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقال
بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ كما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا
على أحد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان
من غير الثابت إذ ربما يتوهم منه استلزام الإرادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار إلى جعل
إرادة العلم عبارة عن الاختيار فاختر هذا وقد قرئ ليُعلم مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل
من الإعلام على أن المفعول الأول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني

الثاني فقط إن جعل العلم عرفانيًا وفي موقع المفعولين إن جعل يقينيًا أي ليعلم الله أي الحزبين
أحصى الخ وروي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك
الذين تداولوا المدينة ملكًا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والأمد بمعنى المدى كالغاية في
قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه
لكونه نكرة وليس معنى إحصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء
بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك
الجزئيات إلى مراتب الأعداد على ما يرشدك إليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين
ويجوز أن يراد بالأمد معناه الوضعي بتقدير المضاف أي لزمان لبثهم وبدونه أيضًا فإن اللبث
عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه
يكون له أمد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته
المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم
فإن معرفته من تلك الحيثية لا يخفى على أحد ولا يسمى إحصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة
العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه إلى السنين ووصوله
إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الأولى والفرق بين الاعتبارين أن ما
تعلق به الإحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو مجموع ثلاثمائة وتسع
يد سنين وفي الصورة الأخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة إليها أعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة
وتعلق الإحصاء بالأمد بالمعنى الأول ظاهر وأما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه
لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية
ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر
عنه فيما قبل بسنين عددًا فالأمد بمعناه الوضعي على ما تحقق وقيل اللام مزيدة والموصول
مفعول وأمدًا نصب على التمييز وأما ما قيل من أن أحصى اسم تفضيل لأنه الموافق لما وقع في سائر
الآيات الكريمة نحو أيهم أحسن عملًا أيهم أقرب لكم نفعًا إلى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه
فعلًا ماضيًا يشعر بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر
عنه وليس كذلك وادعاء أن مجيء أفعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند
سيبويه قياس مطلقًا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في أن ما نحن فيه
من ذلك القبيل وامتناع عمله إنما هو في غير التمييز من المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلًا
في المعنى فلمانع أن يمنعه لصحة أن يقال أيهم أحفظ لهذا الشعر زمانًا وتقطيعًا أو يقال
إن العامل في أمدًا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور
بلا فائدة مدفوع بما أشير إليه من فائدة الموافقة للنظائر ورفع ما [illegible] من الاعتساف والخلل بعد
من أنشأ لأن مؤداه أن يكون المقصود بالاختبار إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأدنى
مع تحقق أصل الإحصاء فيهما ومن البين أن لا تحقق له أصلًا وأن المقصود بالاختبار إظهار
عجز الكل عنه رأسًا فهو فعل ماض قطعًا وتوهم إبدائه بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء
المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله سبحانه وتعالى أعلم **نحن نقص**

عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اي نحن نخبرك بتفاصيل
اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام **نبأهم** النبأ الخبر الذي له شأن وخطر
بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به
او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبسين به روينا وهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج
اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام ودعوا الطواغيت وكان ممن
بالغ في ذلك وعتى عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد
بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين
القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة
الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم
وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم
كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين
عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه
احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة
واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في
امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فاجمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء
الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا
الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله تعالى بالانين والجؤار
وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يلقي عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل
المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك
الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبددوها
في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه
قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا
رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا
ونفقتهم تحت رؤوسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر
باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم
قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا
لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل **انهم فتية** استئناف تحقيقي مبني على
تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي **آمنوا بربهم** وفي
الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما
سيحكى عنهم **وزدناهم هدى** بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم
مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من
التكلم **وربطنا على قلوبهم** اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان
والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار

الجبار **اذ قاموا** منصوب لربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد
خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات
والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا جميعا **فقالوا ربنا رب السموات والارض** ضمنوا
دعواهم ما يحقق فحواها ويقتضي بمقتضاها فان ربوبيته تعالى لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي
اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام
فحينئذ يكون ما سياتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من
عنده **لن ندعو** لن نعبد ابدا **من دونه الها** معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول
عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار
بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية
المجازية **لقد قلنا اذا شططا** اي قولا ذا شطط اي بعد عن الحق مفرط او قولا هو عين
الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة حيث كانت العبادة
مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا
جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا
في الظلم **هؤلاء** هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم **قومنا** عطف بيان له **اتخذوا من دونه
آلهة** خبره وفيه معنى الانكار **لولا يأتون** تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون **عليهم**
على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة **بسلطان بين** بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو
تبكيت لهم والقام حجر **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بنسبة الشريك اليه تعالى عن
ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلم من
غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود **واذ اعتزلتموهم** اي فارقتموهم في
الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني **وما يعبدون الا الله** عطف على الضمير المنصوب
وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى
التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في
عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله عن الفتية بالتوحيد معترض بين
اذ وجوابه **فاووا** اي التجؤوا **الى الكهف** قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل
كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا
او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف **ينشر لكم** يبسط ويوسع عليكم **ربكم**
مالك امركم **من رحمته** في الدارين **ويهيئ لكم من امركم** الذي انتم بصدده من الفرار
بالدين **مرفقا** ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم
لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق
الى وروده **وترى الشمس** بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة
اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راي صائب وتعويلا على ما سلف
من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما تحكي من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة
منه والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع

الزور بتخفيفها بل الايا بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور وتتنحى
بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور
وهو الميل عن كهفهم الذى اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات
اليمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم
واذا غربت اى تراها عند غروبها تقرضهم اى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم
ذات الشمال اى جهة ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق وكان ذلك بتصريف
الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة
لكون ذلك امرا بديعا اى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف
معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير ذلك اى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها
حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال
علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان يسد دقيانوس
باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته
راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره وتطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو
الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل
هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان
اكثر ولذلك وقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا
شانه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى
اطلاعه سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة
من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتدى الذى اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم
والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق و
التنبيه على ان امثال هذه الاية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن
يضلل اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء
وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع
وجوده وامكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظا
جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر
وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود اى نيام وهو تقرير لما لم يذكر
فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على اذانهم ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين
نصب على الظرفية اى جهة تلى ايمانهم وذات الشمال اى جهة تلى شمائلهم كيلا تاكل
الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم
تقليبتان في السنة وقيل تقليبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد
الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم
قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي
اني احب احباء الله تعالى فناموا حتى احرسكم قيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده

ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف في
لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان
نقود وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب
الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر بن الطريين يجوز اعماله
مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اى موضع الباب من الكهف لو اطلعت
عليهم اى لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ
بضم الواو لوليت منهم فرارا اى هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما
قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اى فارا او بجعل
الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت
منهم رعبا وقرئ بضم العين اى خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز
وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذى يريد
ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله
تعالى ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم
ولعل تاخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو
روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال
الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزى الروم مر بالكهف قال لو كشف الله لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك
حيث قال لو اطلعت عليهم الاية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم
اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام
على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم وحفظنا
اجسادهم من البلى والتحلل اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اى
يسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق
بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر اثاره
قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله
قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اى بعضهم لبثنا يوما او بعض
يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما
فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم
يعزوا الى الكذب قالوا اى بعض اخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه
ربكم اعلم بما لبثتم اى انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على
الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين
فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف
في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي بان الكلام جار مجرى المحاورة والمجاوبة والا لقيل

ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في
البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة
ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القايل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون
الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان
لاينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب واكثر وارخص طعاما
فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا
يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع
اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر
بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان
يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم ان
ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود
بمعنى الصيرورة كقوله تعالى ولتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة
الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندكم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال
الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة
للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح
ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو
بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما
لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي
اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد
الله حق اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل
فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له
لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث
الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى
نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى
له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم
بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه لغاية اظهار كمال العناية بذكره
لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرنا
عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث
كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقايل يقول ببعث الارواح دون الاجساد
وآخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا موحدا وقد اختلف اهل مملكته
في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه
ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب
الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي

اليوم

روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه
انه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا
بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من
الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا
لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا
عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ن
ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله تعالى فقالوا فصيحة اي اعثرنا هم
عليهم فراوا ما راوا فماتوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب الكهف بنيانا لئلا يتطرق
اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم
لما راوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث
في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه رد لقول الخائضين
في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم
حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين
غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف
على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنا زع
وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر
بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا
يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع سيقولون الضمير في
الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمسلمين
لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص
رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران
وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل
قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع
عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين
جميعا اي راجمين او على المصدر منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع مع
موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه
ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما
فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة
لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين
ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن
العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن

ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل
ولو كان في ذلك وجه آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة
له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء
الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشيططيوش
فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم
فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم
العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تعريض بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل
بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك
لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة
في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه محيص
عما في الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشئا عن الحكاية
مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار والمستفتى واذ قد وقعت
على انهم ليسوا على خطاء في ذلك فلا تخادعهم الا بجدال ظاهر نطق به الوحي المبين من غير تجهيل
لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لرفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال ان
وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من
حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل
ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه عم فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول
بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط
النهي فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن
ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله
او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئته اذن فان النسيان ايضا بمشيئته
تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل وما فاه استثناءات
اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا
فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك
جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار وطلاق ولا عتاق
ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء
المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك
او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوات المنسية عند ذكرها وقيل

وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب
الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك
وقد فعل عز وعلا ذلك حيث آتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد
ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من
المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا وهي
جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم
اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلاث مائة وروي عن علي
رضي الله عنه
انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلاث مائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت
بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلاث مائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلاث مائة
وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبرت ما
حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان
ص الذي لبثوا فيه له غيب السموات والارض اي ما غاب فيها وخفي عن احوال اهلها واللام للاختصاص
العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان
علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه
حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير
الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر
ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به
والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان
كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي
نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي
يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه احدا في قضائه او في علم الغيب احدا منهم
ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ
على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل اشتمال القرآن الكريم على قصة اصحاب
الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره عم
بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم
ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره ولن
تجد ابد الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند المامة ملمة
واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي
دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقيل بالغدوة على ان ادخال اللام
عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب
ونحوهم رضي الله عنهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انما قال قوم من رؤساء
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك
كما قال قوم نوح عم انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل

الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال
من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا تجاوزهم
نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبوّ او لا تصرف عيناك النظر
عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد
عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الازدراء بهم لرثاثة
زيهم طموحا الى زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء
واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه
الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله
لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخريين ولا تطع
في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة
او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي تركها
بغير سمة بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون
عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان
الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات
حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل
الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته او وجدته غافلا واتبع
هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم
فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره تعالى تؤدي الى
اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان
بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم
الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي
حتى يتصور فيه التبديل ويمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا
لتقرير بعد عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى من
ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي اليك حق لا ريب فيه وان ذلك الحق
من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن
شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم ايمانهم
وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهته تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد
على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان
يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل وقوله تعالى انا
اعتدنا وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من
ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من
دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل

لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين
للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة
عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها
شبه ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب
وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى
الوجه بحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه
بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى
ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى حسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث
على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي
الفريقين اي الذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف
اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان
من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات
عدن تجري من تحتها الانهار استئناف لبيان الاجر وهو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر
بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور
والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة
بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما
غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على
الارائك على السرر على ما هو شأن المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي الارائك
مرتفقا اي متكأ واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما
ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما
المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة وللاخرين كذا بل من حيث ان الاولين مع تقلبهم
في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين
هما اخوان من بني اسرائيل وشريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهودا اقتسما ثمانية آلاف
دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما
الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومسلم
وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة رضي الله عنها جعلنا لاحدهما وهو الكافر
جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما
بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته
بهم جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما
زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع
الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف اكل

الجنتين اى اكلها ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك فى ساير البساتين فان
الثمار غالبا يكثر فى عام ويقل فى آخر وكذا بعض الاشجار يأتى بالثمر فى بعض الاعوام دون بعض
وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل
تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجى على العكس للايذان باستقلال كل
من ايتاء الاكل وتفجير النهر فى تكميل محاسن الجنتين كما فى قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان
المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقى عادة وفيه ايماء
الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار وكان
له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنه
وهو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة
خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اى القائل يحاوره اى صاحبه المؤمن وان جاز العكس اى
يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا او اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته وهى التى شرحت احوالها وعددها وصفاتها وهيا
وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول
يكون فى واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف مبنى على سؤال
نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان
تبيد هذه الجنة اى تفنى ابدا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما
قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات
الصالحات وما اظن الساعة قائمة كاينة فيما سيأتى ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما
تقول الى ربى لاجدن يومئذ خيرا منها من هذه الجنة وقرئ منهما اى من الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه فى
الدنيا لاستحقاقه الذاتى وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له
صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فايدتها التنبيه من اول الامر على
ان ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذى
خلقك اى فى ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام متضمن لخلقه لما ان خلق كل
فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على
الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء
الذى منه تحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هى مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد
ثم سواك رجلا اى عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول
للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذى نطق به قوله عز وجل من
قائل يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب لكنا هو الله ربى
اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان
وهو مبتدأ خبره الله ربى وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات ألف انا

بالف انا فى الوصل والوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربى
ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكنى مؤمن موحد ولا اشرك بربى
احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اى هلا قلت
عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول فى آن الدخول من غير ريث
لا للقصر ما شاء الله اى الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اى
شئ شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها
وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اى هلا قلت ذلك
اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبى صلى الله عليه وسلم
من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترنى انا اقل منك مالا وولدا
انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولى الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان
جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تأكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما
اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفى قوله
وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى
ان ترنى افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى
لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو
مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اى مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها
وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق ويساعده
النظم الكريم فيما سيأتى للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول
مبالغة اى ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على
قوله فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اى غائرا فى الارض اطلق عليه المصدر
مبالغة فلن تستطيع له اى للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره
اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه
قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق
عليه كما فى المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم
كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اى فى عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما
هلك الان من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق فى عمارتها كان مما
يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان
يرى انه لا ينالها ايدى الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه
الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره فى مثل هذا الشئ السريع
الزوال وهى اى الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اى دعائمها
المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما
لانها العمدة وهى من ثمتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقى لانها حيث هلكت
وهى مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق فى عمارتها اكثر وقيل

ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها **ويقول** عطف على يقلب او حال من ضميره اى وهو يقول
يا ليتني لم اشرك بربي احدا كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن
مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه **ولم تكن**
له وقرئ بالياء التحتانية **فئة ينصرونه** يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان
بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما فى قوله عز وعلا يرونهم مثليهم **من دون الله** فانه القادر على ذلك
وحده **وما كان** في نفسه **منتصرا** ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه **هنالك** فى ذلك المقام وفى
تلك الحال **الولاية لله الحق** اى النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها
اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى **هو خير**
ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقرئ الولاية بالكسر اى ومعناها الملك والسلطان اى هنالك
السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه ولا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا فى الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن اضطرار
وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل
هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على
انه صفة الولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل
بمعنى العاقبة **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا** اى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة
زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة
التى هى فى الغرابة كالمثل **كماء** استئناف لبيان المثل اى هى كماء **انزلناه من السماء** ويجوز كونه
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير **فاختلط به** اى اشتبك بسببه **نبات الارض** فالتف وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء فى النبات حتى روى ورف فمقتضى الظاهر فاختلط
بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة فى الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة
صاحبه **فاصبح** ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه **هشيما** مهشوما مكسورا **تذروه**
الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة
من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم يغن
بالامس **وكان الله على كل شئ** من الاشياء التى من جملتها الانشاء والافناء **مقتدرا** قادرا
على الكمال **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة
الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم
المال على البنين مع كونهم اعز منه كما فى الآية المحكية آنفا وقوله تعالى ويمددكم باموال وبنين و
غير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة
الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين فى كل وقت وحين واما
البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنين
لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم فى الوجود ولانه زينة بدونهم من
غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو فى ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين
لما انها مصدر فى الاصل اطلق على المفعول مبالغة كأنها نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به

من المال والبنين شئ يتزين به فى الحياة الدنيا وقد علم شأنها فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال
فكيف بما هو من اوصافها التى شأنها ان تزول قبل زوالها **والباقيات الصالحات** هى اعمال
الخير وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما
اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل
ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا **خير** اى مما نعت شأنه من المال والبنين واخراج بقاء تلك
الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودى الافادة لا
سيما فى مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد
وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا
وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض له خيريتها **عند ربك** اى فى الآخرة
وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها من المال
والبنين مع مشاركتهما لها فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة **ثوابا** عائدة تعود
الى صاحبها **وخير املا** حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا واما ما مر من
المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتى الخيرية والمبالغة
فيها **ويوم نسير الجبال** منصوب بمضمر اى اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها فى الجو على
هيآتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب او نسير اجزاءها
بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف
على ما قبله من قوله عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ
تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد
الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير **وترى الارض** اى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول **بارزة** اما بروزها تحت
الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **وحشرناهم** جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضى
بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى ينكره المنكرون وعليه يدور امر
الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك **فلم نغادر** اى لم نترك **منهم احدا**
يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفاء والغدير الذى تركه السيل فى الارض
الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما فى قوله تعالى والقت ما فيها
وتخلت **وعرضوا على ربك** شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر
وفى الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام
من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء واظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى **صفا**
اى غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد فى الحديث الصحيح
يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا **لقد جئتمونا** على اضمار القول على

وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم اى وقلنا لهم واما كونه عاملا فى يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة
التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص
التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم** نعت لمصدر مقدر
اى مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم **اول مرة** او حال من ضمير جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اول مرة
حفاة عراة غرلا او ما معكم شىء مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم **بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا** اضراب
وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اى زعمتم فى الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز
فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفى بينها وبين خبرها
لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو
موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل
تحت الامور الهائلة التى اريد بتذكيرها تذكير وقتها واورد فيه ما اورد فى مثاله من صيغة
الماضى دلالة على التقرر اى وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد
بوضعها اما وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما فى الميزان **فترى المجرمين** قاطبة
فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين** خائفين **مما فيه** من الجرائم والذنوب
ويقولون عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا وقطميرا **يا ويلتنا** منادين لهلكتهم التى هلكوها
من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى فهذا
اوان حضورك **ما لهذا الكتاب** اى اى شىء له وقوله تعالى **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**
الا احصاها اى حواها وضبطها جملة حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية من التعجب
او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر
سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما عملوا** فى الدنيا من السيئات او جزاء ما
عملوا **حاضرا** مسطورا عتيدا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد فى عقابه
المستحق بكونه ناظرا للمعدلة العلم الازلى **واذ قلنا للملائكة** اى اذكر وقت قولنا لهم
اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله **فسجدوا** جميعا امتثالا بالامر **الا ابليس** فانه
لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى **كان من الجن** كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده
استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا **ففسق عن امر ربه**
اى خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بذكر قصته تشديد النكير
على المتكبرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين ببيان ان
ذلك من صنيع ابليس وانهم فى ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى **افتتخذونه**
الخ فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه
تتخذونه **وذريته** اى اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد
بنو آدم وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين **اولياء**
من دونى فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى **وهم** والحال ان ابليس وذريته لكم

اى

لكم عدو اى كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل
بهم ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار
وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اى الواضعين
للشىء فى غير محله **بدلا** من الله سبحانه ابليس وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع
الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى
ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان
الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته **خلق**
خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اى ولا اشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور وحذارا من تفكيك الضميرين
ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثانى الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء
على عود المعنى اليه فان نفى اشهاد الظالمين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم
اولياء على ان ادنى ما يصحح التولى حضور الولى خلق المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولى
قطعا واما نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مداريه الانكار المذكور فى
شىء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على دلالته على كماله
باعتبار ان له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره عمن شهد
خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط
للانكار المذكور **وما كنت متخذ المضلين** اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا
عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء **عضدا** اعوانا فى شأن الخلق وفى
شأن من شئونى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه
تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى لا
يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم
ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون
لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار
واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم فى شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون
وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم
بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم
طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وفى وصفهم بالاضلال لتعليل
نفى الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح
وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد **ويوم يقول**
اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة **نادوا شركائى الذين زعمتم**
انهم شفعاؤكم لتشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته **فدعوهم**
اى نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا

اعداء
موضع
عليه و بناء

طريق له للمدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ارادة مع ظهور عجزهم تهكم بهم
وايذان بانهم في الجماد فحيث لا يفهمون الا بالتفريع وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين
موبقا اسم مكان او مصدر من وبق يبوق وبوقا كوثب يثب وثوبا او وبق يبق وبقا كفرح يفرح فرحا اذا هلك
اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا
يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الاخرة ويجوز
ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عم ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا
بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى
المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا
انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها وظنوا اذا راوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة
ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا
على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته قصة
من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان
التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يتلقوه وكان الانسان
بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل وهو هنا شدة الخصومة
بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على
صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس
اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك
اذ جاءهم الهدى اي القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة
له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان
تاتيهم سنة الاولين اي طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او ياتيهم العذاب اي عذاب الاخرة قبلا اي انواعا
جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته
قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم
من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكاية الموبخة لامتنع الناس من الايمان وان
كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا
حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا
بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا
ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من دحاض القدم وهو ازلاقها وهو
قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا اياتي
التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي انذروا من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب وانذارهم
هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه وهو
القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكرها وهذا اثبات وان كان مدلوله الوضعي نفي
الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه

ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما
ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عواقبها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية
كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل
عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا اي
جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء الشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم
المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عم ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير
الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواضع الخمسة المتقدمة
باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف ف
بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان
المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل
وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية
ولانه اهم بحسب المقام ومقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله
عز وجل لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم
من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل
لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على
التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة
كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل
العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار
الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة و
الجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه
موئلا منجى او ملجأ يقال وال اي نجا ووال اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد
وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم هم
او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك
المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال
ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل
زمان ممتد من ابتداء الظلم الخ وجعلنا لمهلكهم اي لهلاكهم موعدا اي وقتا
معينا لا يحيدون عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك
ولا يغتروا بتاخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب
باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عم لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام
سمي فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا
ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة
مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف

الجزاعنا داعلى قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر وانكالا على ما يعقبه من قوله
تعالى حتى أبلغ فان ذلك غاية تستدعى ذا غاية يودى اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح
مسيرى حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور الى حال
مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول
اى لا افارق ما انا بصدده حتى أبلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى
المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كالمشرق
او امضى حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة
وكان منشا هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها
بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطبة بديعة رقت
بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس فقال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم
يرد العلم اليه عز وجل فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر عم
وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عم سال ربه اى عبادك
احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق
ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة
تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فدلنى عليه قال
اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال
تاخذ حوتا فى مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فلما بلغا اى فاصبحنا كما اشير اليه مجمع بينهما اى مجمع البحرين
وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذى جعل فقدانه امارة و
جدان المطلوب اى نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسى يوشع ان يقدمه وموسى عم ان يامره
فيه بشئ روى انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التى لا يصيب ماؤها ميتا
الا حيى وضعا روسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا
اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عم وقيل توضا من تلك العين فانتضح الماء على
الحوت فعاش فوقع فى الماء فاتخذ سبيله فى البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل
امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام
وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ
فلما جاوزا اى مجمع البحرين الذى جعل موعدا للملاقاة قيل اذ جاوزا سارا الليلة والغد الى
الظهر والقى على موسى عم الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اى ما نتغدى به
وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة
الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة فى محل التعليل للامر بايتاء
الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما فى
اثناء التغدى من استراحة ما قال اى فتاه عليهما السلام أرأيت اذ اوينا الى الصخرة
التجانا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق من بلوغ مجمع البحرين

حاصلا

وكان فى ايام افريدون قبل موسى عم

البحرين لزيادة محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه
ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما يودى الى النسيان عادة والرؤية مستعملة
بمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هنا
من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التى لا يكاد ينسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت
ما نابنى يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك
كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فانى نسيت الحوت وفيه
تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسى وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه
المامور بايتائه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده فى المنزل وان ما شاهده
ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر
الحيتان مع زيادة اى نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه
الا الشيطان بالوسوسة الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير
اى ما انسانى ان اذكر لك وفى تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال
المنبى عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره و
قرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه
والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام
والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله فى البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ
عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حيى واضطرب
ووقع فى البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثانى مفعولى اتخذ والحال من اولهما او ثانيهما
وهو المفعول الثانى وعجبا صفة مصدر محذوف اى اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق
والسرب او مصدر فعل محذوف اى يتعجب منه عجبا وقيل انه من كلام موسى عم وليس بذاك
قال اى موسى عم ذلك الذى ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير
العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اى نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اى رجعا
على آثارهما طريقهما الذى جاءا منه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه
الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا
هى الوحى والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما
خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف مبنى على
سؤال نشا من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمن استيذانا منه فى اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اى علما ذا
رشد ارشد به فى دينى والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمنى ومفعول
علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدى الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك
او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبى آخر ما لا تعلق له

باحكام شرعية من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اى الخضر انك لن تستطيع معى صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى قال الخضر يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اى لم يحط به خبرك قال موسى عم ستجدنى ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولى الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص وفى وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدنى لا محل له من الاعراب والاول اولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله سبحانه قال فان اتبعتنى اذن له فى الاتباع بعد اللتيا والتى والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزامه للصبر والطاعة فلا تسألنى عن شيء تشاهده من افعالى اى لا تفاتحنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اى حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألنى بالنون المثقلة فانطلقا اى موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى الى بنى اسرائيل وقيل اتبعهما فمرت بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا فى السفينة استعمال الركوب فى امثال هذه المواقع بكلمة فى مع تجريده عنها فى مثل قوله عز وجل لتركبوها ... فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل ... خرقها قيل اخذ الخضر فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلى الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ ليغرق اهلها من الثلاثى لقد جئت شيئا امرا اى عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم ... قال اى الخضر الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه المنبئ عن عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذنى بما نسيت بنسيانى او بالذى نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى كما ورد فى صحيح البخارى من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسى ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض الكلام التى ينتفى بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقنى اى لا تغشنى ولا تحملنى من امرى وهو اتباعه اياه عسرا اى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اى فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اى موسى عم اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس

هو الاولى ح

الجزء السادس عشر

لوحين ح

فى التغريق ح

موسى ح

اى بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفى هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا
بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر
عن الخضر عم ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عم فى معرض الجزاء المقصود افادته
مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عم من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى
ورود خبرها لغاية وقوعها فى نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت
تلك النكتة فى الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق عنه عم خرج بوقوعه مرة مخرج العا(دة)
فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة موجب
وعده الاكيد عند مشاهدة خارق اخر او يسارع الى المناقشة كما مر فى المرة الاولى فكان المقصود
افادة ما صدر عنه عم ففعل ولله در شان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض
عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة فى الكلام فليس من دفع الشبهة فى شيء بل هو مؤيد لها
فان كون القتل من مبادى فاصدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع و
ذلك مما يستدعى جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره
عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه
انكر من الاول اذ لا يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زيد لك لزيادة
المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والتثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية قال اى موسى عم ان سألتك عن
شيء بعدها اى بعد هذه المرة فلا تصاحبنى وقرئ من الافعال اى لا تجعلنى صاحبك
قد بلغت من لدنى عذرا اى قد اعذرت ووجدت من قبلى عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدنى بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد فى عضد
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هى انطاكية وقيل ايلة وهى ابعد ارض الله من السما
وقيل هى برقة وقيل بلدة باندلس عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل
شر القرى التى لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما
اهلها فى محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة لاهل
لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روى
انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستطعما فاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله
ضيفا له وحقيقته ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة
للدلالة على المبالغة فى ذلك والانقضاض الاسراع فى السقوط وهو انفعال من القض يقال
قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض
كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت

شرطية ح

اقبح ح

تداركه كما يمكن ح

طولًا فأقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل أقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة
ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه أجرًا تحريضًا له على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضًا بأنه
فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك
الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى أخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرئ لتخذت
أي لأخذت وقرئ بإدغام الذال في التاء قال أي الخضر عم هذا فراق بيني وبينك على إضافة ای م
المصدر إلى الظرف اتساعًا وقد قرئ على الأصل والمشار إليه إما نفس الفراق كما في هذا أخوك
أو الوقت الحاضر أي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك والسؤال الثالث أي هذا سبب ذلك
الفراق حسبما هو الموعود سأنبئك السين للتأكيد لعدم تراخي التنبيه بتأويل ما لم تستطع
عليه صبرًا التأويل رجع الشيء إلى مآله والمراد به هنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل
وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن
واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عم للصبر دون أن يقال
بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب أما السفينة
التي أخرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة
إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وإسناد العمل إلى الكل حينئذ إنما هو بطريق التغليب
أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فأردت أن أعيبها أي أجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك أي أمامهم وقد قرئ به أو خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي
بن كركر وقيل منوله بن جلندي الأزدي يأخذ كل سفينة أي صالحة وقد قرئ كذلك
غصبًا من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ ولعل تفريع إرادة تعييب السفينة
على مسكنة أصحابها قبل بيان خوف الغصب مع أن مدارها كلا الأمرين للاعتناء بشأنها إذ هي
المحتاجة إلى التأويل وللإيذان بأن الأقوى في المدارية هو الأمر الأول ولذلك لا يبالي بتخليص
سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم أيضًا ولأن في التأخير فصلًا بين السفينة
وضميرها مع توهم رجوعه إلى الأقرب وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه مؤمنين لم
يصرح بكفره إشعارًا بعدم الحاجة إلى الذكر لظهوره فخشينا أن يرهقهما فخفنا أن يغشي
الوالدين المؤمنين طغيانًا عليهما وكفرًا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرًا وبلاء فيخبهم ح
أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما
بضلاله فيرتدا بسببه وإنما خشي الخضر عم منه ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعلمه بحاله وأطلعه
على سر أمره وقرئ فخاف ربك أي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز
أن يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لأهب لك فأردنا أن يبدلهما
ربهما خيرًا منه بأن يرزقهما بدله ولدًا خيرًا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما
ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما زكوة طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة
وأقرب رحمًا أي رحمة وعطفًا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيًا هدى الله
على يده أمة من الأمم وقيل سبعين نبيًا وقيل أبدلهما ابنًا مؤمنًا مثلهما وقرئ يبدلهما
بالتشديد ورحمًا بضم الحاء أيضًا وانتصابه على التمييز مثل زكوة وأما الجدار المعهود فكان

فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة
لإظهار نوع اعتداد بها فيما من اليتيمين وأبيهما الصالح قيل اسماهما أصرم وصريم واسم المقتول
جيسور وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعًا والذم على كنزهما في قوله
عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحًا
من ذهب مكتوب عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها
علم وكان أبوهما صالحًا تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب
الذي حفظا فيه سبعة آباء فأراد ربك أي مالكك ومدبر أمورك ففي إضافة الرب إلى ضمير
موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عم على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب
الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة أن يبلغا أشدهما أي حلمهما وكمال
رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا أني أقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل
اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال
أي مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤكد لأراد فإن إرادة الخير رحمة من ربك
وبعضهم إضافة الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما تكون قوله عز وجل وما فعلته عن
أمري أي عن رأيي واجتهادي تأكيدًا لذلك ذلك إشارة إلى العواقب المنظومة في
سلك البيان وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع
أي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرًا من الأمور التي رأيته أي مآله وعاقبته فيكون
إنجازًا للتنبيه الموعود أو إلى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فذلكة
لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حياة الخضر
فقيل إنه حي وسببه أنه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات أصاب الخضر عين
الحيوة فنزل واغتسل وشرب من مائها وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا وإلياس أيضًا
في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل إنه ميت لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى العشاء ذات ليلة ثم قال أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو
اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حيًا لما عاش بعد مائة سنة روي أن موسى عم
لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسألونك
عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال
للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه الإسكندر
بن فيلقوس اليوناني وقال ابن إسحق اسمه مرزبان بن مرذبة من ولد يافث بن نوح عم وكان
أسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن
عبد الله بن الأزد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وقال
السهيلي قيل إن اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو أول التبابعة وقيل إنه أفريد ون
بن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر أبو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن
القرون الخالية أن ذا القرنين هو أبو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري وأن ملكه بلغ

وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب ح

رحمة وقيل متعلق بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها ح

بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال شعر
۞ قد كان ذو القرنين جدي مسلما ۞ ملكا في الارض غير مفند ۞ علام
بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا
من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام
الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل
الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك
الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم
عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرايل وورد بيت
المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط
والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على
ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين
وغزى الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مداين كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور
ومات انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت
سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف
وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه
ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف سنة وستماية سنة وقيل
ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش
ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك
لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرايل
وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته
بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه
متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشيا
النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه
سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبيا حتى
تسميتم باسماء الملايكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا
عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله
تعالى سايرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه
بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي
ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع
ابرهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعى له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا
اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابرهيم عم بذلك
فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سيل عن
علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه

فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين
فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل
لانه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل لانه كانت
صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه دعى الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله
فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني
الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحوطه الظلمة من ورايه وقيل لقب به لشجاعته هذا هو ذو القرنين الاول واما ذو القرنين
الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن
لنطي بن يونان بن يافث بن يونه بن سرخون بن رومة بن ثوزط بن توفيل بن رومي
ابن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر
المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن
الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عم بنحو من ثلثماية سنة وكان
وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ
ارضهم ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القران العظيم
هو المتاخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا
عادلا ووزيره الخضر عم وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطا لبس
الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني
نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة
بالشعاير الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز
اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد
ولكن فيها علايم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها وتنادي بسكن واليها وسلطانها ولقد مررت
بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من عجايب الاثار ما فيه عبرة لاولي
الابصار **قل** لهم في الجواب **ساتلو عليكم** اي ساذكر لكم **منه** اي من ذي القرنين **ذكرا**
اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهته عز وجل قيل
ساتلو انا الخ او ساتلو في شانه من جهته تعالى ذكرا اي قرانا والسين للتاكيد والدلالة اوسانلوا
على التحقق المناسب لمقام تاييده عم وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة
كما في قول من قال ۞ ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ۞ ايادي لم تمنن وان هي جلت ۞ لا للدلالة
على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام
القصة بل موصولة بما بعدها حينما سألوه صلى الله عليه وسلم عنه وعن الروح وعن اصحاب
الكهف فقال لهم صلى الله عليه وسلم ايتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين
كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل **انا مكنا له في الارض** شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما
هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا يقال
وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل

منهما في محل الآخر كما في قوله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث
القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال و
الاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها
او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه
اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عم والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من
حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل
والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها **وآتيناه من كل شيء** اراده من مهمات
ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه **سببا** اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة او آلة **فاتبع** بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع **سببا** يوصله اليه ولعل
قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول
فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني **حتى اذا بلغ مغرب الشمس** اي منتهى الارض من جهة
المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له
اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين
وجدها اي الشمس **تغرب في عين حمئة** اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا
كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما
فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم كيف تقرأ قال كما يقرأ
امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثأط
توافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين
الوصفين وكون اليا في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول
ابن عباس رضي الله عنهم بما سمعه من كعب الاحبار مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن
عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل البحر المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح
بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب **ووجد عندها** عند تلك العين
قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله عز وجل
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى **قلنا يا ذا القرنين اما
ان تعذب** بالقتل من اول الامر **واما ان تتخذ فيهم حسنا** اي امرا ذا حسن على حذف المضاف
او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد
الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما
تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك واما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن
يقول بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد
ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي **قال** اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده
من خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير **اما من ظلم** نفسه ولم يقبل دعوتي
واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك **فسوف نعذبه** بالقتل وعن قتادة
انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه **ثم يرد الى ربه** في الآخرة **فيعذبه**

فيها **عذابا نكرا** اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن
بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي عم او مع من عنده من اهل مشورته **واما من
آمن** بموجب دعوتي **وعمل عملا صالحا** حسبما يقتضيه الايمان **فله** في الدارين **جزاء الحسنى**
اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على
المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر
المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه
لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل
خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار
فقال اما الكافر فراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان
يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب **وسنقول له من امرنا** اي مما نأمر به **يسرا** اي
سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين **ثم
اتبع سببا** اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها **حتى اذا بلغ مطلع الشمس** يعني
الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف
اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك
بناء على ما ذكر انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب **وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من
دونها سترا** من اللباس والبناء وقيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعض خرجت
حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احد هم
يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس
قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما
طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى الماء
البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض **كذلك** اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في
رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كأمره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان
يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي
تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك
وقد احطنا بما لديه خبرا من الاسباب والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث
لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما
لديه ما ولي ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتأمل **ثم اتبع سببا** اي طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب من الجنوب الى الشمال **حتى اذا بلغ بين السدين** بين الجبلين
اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما
توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح

اخلاه

وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما وقع في قوله تعالى
لقد تقطع بينكم والجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك **وجد من دونهما** اى من ورائهما مجاوزا
عنهما **قوما** اى امة من الناس **لا يكادون يفقهون قولا** لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب
الافعال اى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اى الاقوام فقال الضحاك هم جيل من
الترك وقال السدى الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت
خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين
قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عم
ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث
ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج **قالوا** اى بواسطة مترجمهم او بالذات على ان
يكون فهم ذو القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما اتاه الله تعالى من الاسباب **يا ذا**
القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عم وقيل ياجوج من
الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد
قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين
ذراعا ومنهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع
صرفهما للتعريف والتانيث **مفسدون في الارض** اى في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع
قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون
الناس ايضا **فهل نجعل لك خرجا** اى جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في
الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج
المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت
به والخراج ما لزمك اداؤه **على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** وقرئ بالضم **قال ما مكني**
بالادغام وبالفك اى ما مكنني **فيه ربي** وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر — وقرى ص
الاسباب **خير** اى مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه **فاعينوني بقوة**
اى بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالالات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة
على خيرية ما مكنه الله فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم **اجعل** جواب للامر **بينكم وبينهم** — التي ص
تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال
العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم **ردما** اى حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو
اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اى فيه رقاع فوق رقاع وهو اسعاف بمرامهم فوق ما رجوه
آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم
لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اى جيئوني بزبر الحديد
على حذف الباء كما في امرتك الخير ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الالات من
الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل
حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها

الخير ولان ايتاء الالة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج

بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان ما بينهما فرسخ وذلك قوله عز قائلا **حتى اذا ساوى**
بين الصدفين اى ابوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان
مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ
سوى من التسوية وسووى من التسوية وسوى على البناء للمفعول **قال** للعملة **انفخوا** اى بالكيران
في الحديد المبني ففعلوا **حتى اذا جعله** اى المنفوخ فيه **نارا** اى كالنار في الحرارة والهيئة واسناد
الجعل المذكور الى ذى القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الالة
قال للذين يتولون امر النحاس من الاداة ونحوها **آتوني افرغ عليه قطرا** اى آتوني قطرا
اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالاصل اى جيئوني
كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ وقوله تعالى **فما اسطاعوا** بحذف
تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اى ففعلوا ما امروا به من ايتاء القطر
او الايتاء فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج — ج
فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا **ان يظهروه** اى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه
وملاسته **وما استطاعوا له نقبا** لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر
الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى
ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة
العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل
بناه من الصخور مربطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث
هناك فرجة اصلا **قال** اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم **هذا** اشارة
الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي
من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال **رحمة** اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه
بها مبالغة **من ربي** على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الاثار
الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف
الربوبية لتربية معنى الرحمة **فاذا جاء وعد ربي** مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج — ج
ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه
من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما
قيل فان بعض الامور التي ستحكى تقع بعد مجيئه حتما **جعله** اى السد المشار اليه مع متانته
ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور **دكا**
اى ارضا مستوية وقرئ دكاء اى مدكوكا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه
فقد اندك ومنه الجمل الادك اى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه
وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته **وكان وعد ربي** اى وعده المعهود او كل
ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا **حقا** ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل
من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمؤكد لمضمونها وهو اخر ما حكي من قصته وقوله

فراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه انفا وكذا الكلام في قوله تعالى

عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا محقق لمضمونه
اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض اخر منهم يضطربون
اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى
او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض اخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد
روي انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم
من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا
في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم
يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يضع فيها البركة وذلك بعد
نزول المسيح عم وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله
تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة
مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع
في النشأة الاخرة اي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد
واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها
يومئذ اي يوم جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها
تغيظا وزفيرا عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى
من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف
وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الايات المؤدية لاولي الابصار
المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على
وجه يليق بشاني او عن القران العظيم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق
وكمال عداوتهم للرسول عم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الايات
المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة
وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمالهم
فيما عرض لهم في الدنيا من الايات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الاخرة
أفحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن
وقد قرئ أفظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت
اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على
توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى أفلا
تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون
فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من
الملائكة وعيسى وعزير عم وهم تحت سلطاني وملكوتي اولياء معبودين ينصرونهم من بأسي
وما قيل ان الفاء للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ او كانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ
من التعامي والتصام وادخل عليهما همزة الانكار ذما على ذم وقطعا لحسبان المعطوف عليهما لفظا

لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال الموكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف اخر
غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم
الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وان ضافة ان ذلك بين قديم لا يمكن جعله ناشئا عن
تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز
صلته ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم
اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام
منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي
افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة
وقرئ افحسب الذين كفروا اي افحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل
فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا
جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد
بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام
للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان
اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل انا اعتدنا
لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم
وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله
بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم النفس
من اول الامر للايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع
للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها
وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة اثارها غب بيان
حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في نفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في
اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان
بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص
ومجاهد رحمه الله ويدخل في الاعمال الخ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات
وقيل الرهبان الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله
ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كأنه
قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على
الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله اولئك الاية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران
الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت
عن ابانة ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على
ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم

باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال
انهم يحسبون في ذلك وينتفعون باثاره او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه
مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول
ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام مستانف من
جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث
التعريف ح
ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان
المزبور الذين كفروا بايات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان
الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الاخرة على ما
هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر
من حبوط الاعمال وقد قرئ بالياء يوم القيمة وزنا اي فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
لان مدار الاعتبار الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب
حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فيجيء بعد ذلك او لا
نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين بطريق الكمية
ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين
واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان
لمال كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مال اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به
او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما
ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى واتخذوا اياتي ورسلي
هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالايات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا
مر ح
ان الذين امنوا بيان بطريق الوعد لمال الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان
مالهم بطريق الوعيد اي امنوا بايات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما
سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرافة الازلية
بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس
عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك
هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم
خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان
يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة
مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان
فوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال
من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام
والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس م
وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة

الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا
مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصورون ان يكون شيء اعز عندهم وارفع
منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود
والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اي
المستكن ح
جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي
من جملتها ما ذكر من الايات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم
يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها
فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف
الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار
ت
البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في
الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو
لعطف الجملة على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة
واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا
عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون
الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهو ما يستمده
الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شان كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة
طه
بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق ولا في
سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير
في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال
المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل
تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين امنوا وعملوا الصالحات
كات
ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بايات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا
كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان
الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا
روي ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع
عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عليه السلام قال لك اجران
اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما
الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما
انا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان
كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون

قيل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ
بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد
وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف
عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما
للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي
مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في
حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ خبره **ذكر رحمت ربك** اي المسمى
ذكر رحمة الخ فانه ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها
نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه
عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة
على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد
الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمت الخ او اسم اشارة
اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمت الخ وقيل هو مبتدأ
قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا
المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عم تكميل له عم وقوله تعالى
عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى
فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله
زكريا بدل منه او عطف بيان له **اذ نادى ربه نداء خفيا** ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر
على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من
زكريا كما في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عم السلام حسن الادب
في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الريا
واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان
الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عم لضعف الهرم
كان سنه ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر
منها كما مر في تفسير سورة آل عمران **قال** جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب **رب اني وهن
العظم مني** اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعائم الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة
اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال
من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها
واشتعل الرأس شيبا شبه عم الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر
وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى
محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وبه من فنون البلا

البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس
كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل
النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام
السين في الشين **ولم اكن بدعائك رب شقيا** اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من
اوقات هذا العمر الطويل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير
المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عم بما سلف منه من الاستجابة عند كل
دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد
ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره
والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في
التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه و
صفاته **واني خفت الموالي** عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على مضمونه
فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عم من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه
وكانوا شرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى
من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او
جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر
من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي
اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم
الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقو
واعتضاد فالظرف متعلق بخفت **وكانت امرأتي عاقرا** اي لا تلد من حين شبابها
فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء
الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا
من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات
وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك
الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية **وليا** ولدا من صلبي وتأخيره عن
الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى
المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها
فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل وتوسيطهما بين
الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه
عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح
في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عم للخوارق
الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا

للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء
بما ذكر في موطن عما ذكر في موطن آخر من النكات التنزيلية وقوله تعالى **يرثني** صفة لوليا وقرئ
هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اى يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام
لا يورثون المال قال عم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عم
حبرا **ويرث من آل يعقوب** يقال ورثه وورث منه لغتان والآل خاصة الرجل الذين يؤول اليه
امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى ويرث
منهم الملك قيل هو يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب
بن ماثان اخو عمران من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال
الكلبي كان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه
ولده حبورته ويرث من بنى ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن
في يرث وقرئ اويرث من آل يعقوب نبيا وعلما **واجعله رب رضيا** مرضيا عندك قولا وفعلا
وتوسيط رب بين مفعولى الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه **يا زكريا** على ارادة القول
اى قال تعالى يا زكريا **انا نبشرك بغلام اسمه يحيى** لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك
بالذات بل بواسطة الملك على انه محكى له عم بهذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله قل يا عبادى
الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد
باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا
حسبما تقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابى
الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابرهيم عليه السلام في حق ابيه والى
دعوة النبى عم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا
ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول في الثاني حيث قتل قبل موت ابيه دون م
عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقى بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام
تأكيدا للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى **لم نجعل له من**
قبل سميا اى شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبل يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عم فان التسمية
بالاسامى البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في
الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في
الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية وانه من شيخ فان ولدم
وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعد من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمى وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل
كيعمر ويعيش قيل سمى به لانه حيى به رحم امه او حيى دين الله تعالى بدعوته **قال** استيناف مبنى على
السؤال كانه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال **رب** ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه
تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى
يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه
سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات **انى يكون لى غلام** كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان

اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم
والتشويق الى ما اخر كيف او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من
غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اى انى يحدث كائنا لى غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى
ولى متعلق بمحذوف كما مر وهو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى **وكانت امرأتى عاقرا**
حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى **وقد بلغت من الكبر عتيا** حال منه مؤكد للاستبعاد
اثر تأكيد اى كانت امرأتى عاقرا لم تلد في شبابها وشبابى فكيف وهى الآن عجوز وقد بلغت انا
من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا
من عتا يعتو واصله عتوو كقعود فاستثقل توالى الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى
ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احداهما
بالسكون وكسرت العين اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته
على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله من في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا
بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر من قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك
قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عليه السلام
مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة
في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار
انه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل
انما قاله ليجاب بما اجيب فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام
استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة
ستون وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد **قال** استيناف كما مر مبنى على سؤال نشأ مما سلف والكاف ف
في قوله تعالى **كذلك قال ربك** مقحم كما في مثلك لا يبخل ومحلها اما النصب على انه مصدر تشبيهى
لقال الثانى وذلك اشارة الى مصدره الذى هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه
هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وفي قوله تعالى
هو على هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال
الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اى مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو
على خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو على هين والجملة ح حال من ربك
والتاء عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعتراض على كل حال فهى مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج
القول الثانى مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول
الخلفاء امير يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عم تشريفا له واشعارا لما
بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عم من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار
الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول
الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب
الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى
له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو على هين

على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه
على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة
الى ما تقدم من وعده تعالى اى قال عز وجل الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال
ربك الى آخره استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى
او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما
والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذى مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى مبهم
قاله زكريا عليه السلام اى قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة
للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مسوق لازالة استبعاده بعد
تقريره اى قال تعالى هو مع بعده في نفسه على هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى
ان الواو للعطف واما جعلها للحال فيخل بسداد المعنى لان مآله تقرر صعوبته حال سهولته عليه الى مع
ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى **وقد خلقتك من قبل ولم
تك شيئا** جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما
كان بعد ذلك بطريق التولد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم
حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال
ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس من حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر
له حظ من انشائه من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا
على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام
على ذلك الوجه ابداعا للكل اذ من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السارى الى
جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه
وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان
حاله اولى بان يكون معيارا والحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين
في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل
في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على
المعتد به اى ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك **قال رب
اجعل لي آية** اى علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد
البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق
حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى
تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة
في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان
لما روى ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء
زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت
عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل

وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية
مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ
قال آيتك ان لا تكلم الناس اى لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر
والتسبيح **ثلاث ليال** مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران **سويا** حال من فاعل تكلم مفيد
لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اى تمنع الكلام فلا تنطق به حال كونك سوى
الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس **فخرج على قومه من المحراب** اى من المصلى او
من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم
متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك **فاوحى اليهم** اى اوحى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل
كتب على الارض وان في قوله تعالى **ان سبحوا** اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اى صلوا
او بان صلوا **بكرة وعشيا** هما ظرفان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلاة الفجر وصلاة
العصر وهو بهم في طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك **يا يحيى**
استيناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى **خذ الكتاب**
اى التوراة **بقوة** اى بجد واستظهار بالتوفيق **وآتيناه الحكم صبيا** قال ابن عباس رضي الله عنهما
الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي
انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا **وحنانا من لدنا** عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم
وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة
على ابويه وغيرهما **وزكوة** اى طهارة من الذنوب او صدقة تصدق به على ابويه او وفقناه للتصدق
على الناس **وكان تقيا** مطيعا متجنبا عن المعاصي **وبرا بوالديه** عطف على تقيا اى بارا بهما محسنا
اليهما **ولم يكن جبارا عصيا** متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه **وسلام عليه** من الله عز وجل **يوم
ولد** من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم **ويوم يموت** من عذاب القبر **ويوم يبعث حيا** من هول
القيامة وعذاب النار **واذكر في الكتاب** كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة
لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اى
واذكر للناس **مريم** اى نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى **اذ انتبذت** ظرف لذلك
المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كلما عطف عليه وحكى
بعده بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد
بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اى لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا
محالة وقوله تعالى **من اهلها** متعلق بانتبذت وقوله **مكانا شرقيا** مفعول له باعتبار ما في ضمنه
من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تأخيره
عنه اى اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل
قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى **فاتخذت**

من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى
المسجد فبينما هي كذلك في مغتسلها اتاها الملك عليه عم في صورة آدمي شاب امرد حسن الوجه
جعد الشعر وذلك قوله تعالى فأرسلنا اليها روحنا اي جبريل عم عبر عنه بذلك توفية للمقام
حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين فروح وريحان فتمثل
لها بشرا سويا اي سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في
صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى
اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل
من ان ذلك لتهييج شهوتها فتحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته للمقام ببيان آثار القدرة الخارقة
للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر
ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم
كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع
والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به واستجلاب آثار الرحمة
الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة
به جواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعظ بتعويذي او فلا
تتعرض لي قال انما انا رسول ربك يريد عم اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا
رسول ربك الذي استعذت به لأهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع
ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها
وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي
مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر
اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة
ولم أك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة
عن النكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو
بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغو كما يقال نهو عن
المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها
قال اي الملك تقريرا للمقالة وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال
ربك الخ استئناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام
من غير ان يمسك بشر اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب
والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام
آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي
لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة
لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده
وكان امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لابد من جريانه

جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عم
في درعها فدخلت النفخة في جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ
عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها ستة اشهر
وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة
كما حملت وضعت وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقيل حاضت حيضتين فانتبذت به
اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز
النصب على الحالية اي فانتبذت به ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى
الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فأجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء
لكنه يستعمل في غير كالجأ في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك
الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق
والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم
يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها
ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات
كخاف وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته
مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس و
خوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين
عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني
هذه التبنة ولم اك شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا منسيا اي شيئا
تافها شأنه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل
هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما
مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسيا كعصا منسيا لا
يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين فناداها اي جبريل
عليه السلام من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من كان اسفل منها تحت الاكمة
وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عم وقيل خاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني
اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل
ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته
بالامساك امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنه ان
جبريل عم ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام
وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك رأسا وخوصا
وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم
الكريم وقيل سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام والتنوين للتفخيم والجملة
تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها

وتأكيداً للتعليل وتكميل التسلية وهزي هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكاً عنيفاً متداركاً
والمراد هنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اي الى جهتك والباء في قوله تعالى
بجذع النخلة صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الخ قال الفراء تقول
العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز بجذعها او هزي الثمرة
به وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالاً من مفعولي الهز اي هزي اليك الرطب كائناً بجذعها تساقط
اي تسقط النخلة عليك اسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء
والياء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بادغامها في السين ويساقط
بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى
رطباً على القراءات الثلاث الاول مفعول به وعلى الست الباقية تمييز وقوله تعالى جنياً صفة له
وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطباً مجنياً اي صالحاً للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي رطباً
طرياً وقرئ جنياً بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب
وعصيره وقري عيناً وطيبي نفساً وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك
عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات
النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ بكسر القاف
وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من
القر فان دمعة السرور باردة ودمع الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب والمكروه
فاما ترين من البشر احداً اي آدمياً كائناً من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت
بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوماً
اي صمتاً وقد قرئ كذلك او صياماً بالسكوت فلن اكلم اليوم انسياً اي بعد ما اخبرتكم
بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت ان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال
الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاماً باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم
يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومقاولتهم والاكتفاء بما قاله عيسى ع م
فانه نص قاطع في قطع الطعن فأتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت
من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا موبخين لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئاً فرياً اي
عظيماً بديعاً منكراً من فري الجلد اي قطعه او جئت مجيئاً عجيباً عبر عنه بالشيء تحقيقاً للاستغراب
يا اخت هارون استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هارون النبي عليه السلام و
كانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو
رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به
ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً تقرير لكون ما جاءت به فرياً منكراً وتنبيه
على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى ع م ان كلموه والظاهر
انها حينئذ بينت نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المأمور به بيان نذرها
بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في
المهد صبياً ولم نعهد فيما سلف صبياً يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض

او مهيئاً صالحاً من وصبياً حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليماً
حكيماً قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك
فقيل قال عيسى ع م اني عبد الله انطقه الله بذلك اولاً تحقيقاً للحق ورداً على زعم من
يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا ع م وعن السدي رضي الله عنه لما اشارت اليه
غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي انه ع م كان يرضع فلما سمع ذلك ترك
الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك
ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبياً وجعلني
مع ذلك مباركاً نفاعاً معلماً للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق في
القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعاً قيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلاً
اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني بالصلاة اي امرني بها امراً مؤكداً والزكاة زكاة المال ان ملكته
او بتطهير النفس عن الرذائل ما دمت حياً في الدنيا وبراً بوالدتي عطف على مباركاً اي وجعلني
باراً بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني
براً ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جباراً
شقياً عند الله لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً كما هو على
يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام
لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان
العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من وصفت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد
المحسوس عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج ع
البرهاني حيث جعله موصوفاً باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني
عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام م
القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان
القول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر
والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان
يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له سبحانه عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امراً فانما
يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شأنه تعالى اذا قضى امراً من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون ن
حينئذ بلا تأخير فمن هذا شأنه فكيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله
تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى ع م قيل هو عطف على قوله اني عبد الله
داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم
فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً وقيل معطوف على الصلوة
هذا اي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف
الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق

لقريبه وبعيده وهو هاهنا
لقربه خاصة بدليل انه مسوق
للتعجب وقيل هي زائدة
والظرف صلة م

منه للاختلاف فان ما حكى من مقالات عيسى عم يع كونها نصوصا قاطعة وكونه عبده تعالى ورسوله
قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط وفرق النصارى فقالت النسطورية ابن الله
وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية
هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا
بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت
شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبيا
والسنتهم وايديهم وارجلهم وساير آرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ و
معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منها
بعد ان كانوا في الدنيا صما وعميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم و
يبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني
في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا
الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم
يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسي فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي
الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان ينظرون وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا
موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ
بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم
فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان
من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما
بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل
انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض
ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا
او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القرآن ابرهيم اي اتل على الناس
قصته ونعوته كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم فانهم ينتمون اليه عم فعساهم باستماع قصته
يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير
التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل
موجب الامر فان وصفه بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص لما
بين الصديقين والصديقين الانبيا اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا
الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال
بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كل نبي صديق او متعلق بكان او نبيا
وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين
الامرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض من
ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من اليا لم تعبد ما لا يسمع

اوجه

عليهم السلام

قلم م

الى الجنة والنار روي ان النبي عم سيل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون

من الحوادث ع

ثناءك عليه عند عبادتك وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر
شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني
عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عم في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج
عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن
محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة
وغرض صحيح والشي لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان
ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا
اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر
السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك
بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال
فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي
الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان
انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر بها
فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك
عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتاكيد له ببيان انه مستعص على
ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان
يسترد منه النعم وينتقم منه ... الاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه
من بين سائر جناياته لانه ملاكها ... او لان ذكر معاداته لآدم عم وذريته ... داع لابيه الى الاجتناب
عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان
وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب
مؤكدة لما افادته التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان
وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون
للشيطان وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب ... قال
مبنيا على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح
الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم اي معرض ومنصرف
انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب ... الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل
فضلا عن ترغيب الغير عنها ... لئن لم تنته عما كنت عليه ... لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان

حران

واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استينافا كما
سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا
اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك
الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى
للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه
على الكفر م
على الكفر فانه لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته فلا يأباه قضية العقل وانما الذي
يمنعه السمع الا يرى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى
ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم قبل انقطاع
رجائه من ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة
التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه
لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في
شان الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عم قبل التبين فاتيا وله النهي اصلا وان على
الوعد بالمسطور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد
الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول
فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر
المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء
عليه قطعا وتوجيه الاستثناء م
واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء الى المدة بالاستغفار لا في نفس الاستغفار
بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام تخصيص تلك المدة بالذكر دون ما
وقع هاهنا او روده على نهج التاكيد المنسي واما حمل الاستغفار دائرا عليها وترتيب النهي على
تبين الامر فقدم تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في
البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون
من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وادعوا ربي اعبده وحده وقد جوز
ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي
من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا
ضايع السعي وفيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع
ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه
عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من
فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عم لقوله تعالى
فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله
ماهنا
ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما
شجرة الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شان خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روى انه عليه السلام
لما قصد الشام اتى حران وتزوج سارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب

الاقرب للاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا وتقديمه عليه
للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم
دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان لانها من باب
الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها
عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا
يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ن
ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم
احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل
والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل عم لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب
انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والريا او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه
عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم
هم
عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر
بين مصر
ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى وهي التي تلي يمين موسى عم او من
من اليمين
جانبه الميمون ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف
مثل حاله عم بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد
الضميرين في ناديناه او قربناه مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم
ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه
وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه
عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان
له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه
لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب
الامر وايراده عم بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني
ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان يامر اهله بالصلاة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل
وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم عم كانوا على شريعته م
الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى
بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه
بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس
وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عم واشتقاقه
من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة
دراسته روي ان الله تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم في علم النجوم
والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول
اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل
علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء

السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له فرفعه الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا ادريس عم فان ابرهيم عم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي من جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا او باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء أضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اي تركوها واخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واي هي

اي ساجدين ح

اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسرى يقول ح

من الاب ح

ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة ح

اي هي تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى ذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا فيه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان الوصف ما اضيف اليه بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازها لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مما يرجع اليها مأتيا اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما بحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة وعشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا من كان تقيا اي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجى ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني

هو حال من المضمر ح

يل

م

ط

كما يطلق التنزيل م

ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى وتوديعه اياك كما
زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عم من
تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية لقول المتقين حين يدخلون الجنة
مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو
مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله
تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهته تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما
وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان
عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه
الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى فاعبده و
اصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها اي كونه تعالى رب السموات
والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى حين
عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته
مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل
على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك
ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى و
اصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز
اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سميا السمي هو الشريك
في الاسم والظاهر ان يراد به هنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب
السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده
فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها
به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا
وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة
اصلا وقيل هو الشريك في الاسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى
بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة باعتبار
ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد اما الجنس
باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية
ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار و
الاستبعاد أإذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه
اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما
خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة

لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير و
الاشعار بان الانسانية فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناد
الى الجنس او لان المراد به الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر
يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو
فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو
في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ
يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسام باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عم لتحقيق الامر
بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق الى
الحشر بعدما اخرجناهم من الارض احياء وفيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه
وآكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال التي
والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن
ساغ نسبته القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى
السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة
ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا
اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو كقعود وبناه فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف
فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت
الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية
من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من
توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله
تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان
الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم
من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان ايهم اشد على
الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى
يعفو عن بعض اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم هم
فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به
وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض
للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ
منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن
من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد ومعلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز واللازم للعلم او
مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله
تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كانه سائلا قال على من عتوا فقيل على

اي الجنس باعتبار انه لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبته

الرحمن او يتعلق بالفعل وكذا الثاني قوله تعالى **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا**
اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا[ء]
الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كاللقي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد **وان**
منكم التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات
الى المذكور ويويد الاول انه قرئ وان منهم اي وما منكم ايها الانسان **الا واردها** اي
واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها **كان** اي ورودهم اياها **على ربك حتما**
مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل
اقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا** الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه
الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي
بفتح الثاء اي هنالك ننجيهم **ونذر الظالمين** بالكفر والمعاصي مهانا بهم كما كانوا قيل فيه دليل
على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة
فيها على جثيهم وقوله تعالى **واذا تتلى عليهم** الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع
الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي واذا تتلى على المشركين **آياتنا** التي من
جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى **بينات**
اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات حال
موكدة من آياتنا **قال الذين كفروا** اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما
قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومردوا على العتو
والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى **للذين آمنوا** للتبليغ كما في
مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق
المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى **اي الفريقين** اي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا **خير**
نحن او انتم **مقاما** اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل **وأحسن نديا** اي مجلسا ومجتمعا
يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخر ثم يقولون
بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم مقاما مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله
سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته ان
المؤمنين بالله تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة
يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله
وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل
منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم
بفنون العقاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى

يجيء كانوا قبل فلينظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن
لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا
في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل ما جد منه والخرثي ما لبس
منه ورئيا المرئي وهو المنظر والزينة وقرئ ريا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة
من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة **قل من كان في الضلالة فليمدد له**
الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ مبينا مآل امر الفريقين اما
على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها
واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لديهم والاستقرار بعلية الحكم اي
من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اي
يمده ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر
للايذان بان ذلك مما لا ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا
لمن يصر عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام
الرحمة الدنيوية وقوله تعالى **حتى اذا رأوا ما يوعدون** غاية للمد الممتدة لا لقول المفتخرين
كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمراره بحسب التكرار لوقوعه في حين
جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار
لفظها وقوله تعالى **اما العذاب واما الساعة** تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل
فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم
القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب
الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى **فسيعلمون** جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى
اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ **من هو شر**
مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما
وأضعف جندا اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمه جندا
ضعافا كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا
يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين
وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله
ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحظوظ ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان
قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى **والباقيات**
الصالحات خير على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستانف وارد من جهته تعالى لبيان

والرئي المنظر فعل من الرؤية والرئي كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من ...

ن
م
ر
بعد
لين

وفضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن اقوله تعالى عند ربك اى الطاعات التى تبقى
فى ابدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قوله سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى الضمير للتشريف صلى الله عليه وسلم ثوابا اى عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التى يفتخرون بها لاسيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير
اليه بقوله تعالى وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيدها
وفى التفصيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية فى العاقبة تهكم بهم افرايت الذى
كفر باياتنا التى من جملتها آيات البعث نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه
مال فتقاضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا
بعثت حينئذ فيكون لى ثم مال وولد فاعطيك وفى رواية لا اكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال انى
ليس ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى اموت وابعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت
والهمزة للتعجب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن
وفرق بين الم تر وارايت بعد بيان اشتراكهما فى الاستعمال لقصد التعجب بان الاول يعلق بنفس
المتعجب منه فيقال الم تر الى الذى صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثانى يعلق بمثل المتعجب منه
فيقال ارايت مثل الذى صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثال وقد حفظ شيئا وغابت
عنه اشيا وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذى يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى انظرت فرايت الذى كفر باياتنا الباهرة التى حقها ان يومن بها كل من يشاهدها
وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله لاوتين فى الآخرة مالا وولدا
اى انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة هو الذى يستدعيه جزالة النظم وقد قيل
ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين
قالوا اى الفريقين خير مقاما الآية وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت فى معنى اخبر على اصله
اومرجحا الى ما يناسبه من المعانى لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع
اسدا وعلى انه لغة كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار
لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اى قد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى
استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يوتى فى الآخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن
عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية
للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده
ثقابا لثواب عليها كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كان
كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطابه سنكتب ما
يقول اى سنظهر ما كتبنا فى قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى يتبين انى لم تلدنى لئيمة
اوسننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول
لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشى الخفى منزلة
احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية

ومبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد باحداثها ومدار الثانى تسمية الشى باسم سببه فان
كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد د
بالمال والولد اى نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على
الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه
بموته ما يقول اى مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه فى الدنيا من المال والولد وفيه ايذان ن
بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر اى ننزع عنه ما اتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا
لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يوتى ثمة زائدا وقيل نحرمه ما زعم
انه يناله فى الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه معنى الارث وقيل المراد بما يقوله نفس
القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه
وبين ان يقوله ويأتينا منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبنى على صدور القول المذكور
عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب فى ذلك مستحيل
ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالمحال واتخذوا من دون
الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر
المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اى اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم
عزا اى ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك
الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اى
سيجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين
شاهدوا سوء عاقبة كفرهم كما فى قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون
عليهم ضدا على الاول تكون الآلهة التى كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اى ذلا وهوانا
او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم
لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته
عليه وعلى الثانى يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله وتوحيد
الضد لوحدة المعنى الذى عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشى واحد كما فى قوله صلى الله عليه وسلم
وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف وقلبه الفا
الاطلاق فى قوله • اقلى اللوم عاذل والعتابن • وقولى ان اصبت لقد اصابن •
او على معنى كل هذا الراى كلا وقرئ على اضمار فعل يفسره ما بعده اى يجحدون كلا سيكفرون
الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت
به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من
الاقاويل والافاعيل والتمادى فى الغى والانهماك فى الضلال والافراط فى العناد والتصميم على
الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاح وانتفاء الشك
عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما فى
الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم
وليس المراد تعجيبه عم من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعلق الروية به بل مما ذكر من احوال الكفرة

من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من
الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ
فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات
فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا
حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار بكون
ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوج الى النهي كما في قوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل
لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها
عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة
عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل
يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا
وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما
تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب
التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق الكلام وقيل منصوب على
المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب
يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام
التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا
مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضمير الجمع عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر
الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام
والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني
للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون
ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا
لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان
بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه
المرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل
الاستثناء اي لا يملكون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في
الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب
على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد
جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط
وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد
بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا
منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيتعديان تعديته وقوله تعالى

تكاد السموات الخ صفة لادا او استئناف ببيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ تكاد
بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان
التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض اي وتكاد
تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو
حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه بمعنى
التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية
اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء
وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم يطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها
او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت
قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد
او مجرور باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له
سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على
جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل
هدا اي هدها ادعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين
وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى
الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا
او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا
للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في
نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم
عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا
وقد صرح به قوله عز قائلا ان كل من في السموات والارض اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين
الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن
على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه
وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده
بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع
والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع
لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فاني يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم
ولدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر
محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير
تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود
من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عم اني احب فلانا
فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع
له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك

ثم يخرج حين دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد
فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم
القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن
فانما يسرناه اي القرآن **بلسانك** بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل من التيسير معنى
الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد
ايجاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين **لتبشر
به المتقين** اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي **وتنذر به قوما لدا** لا
يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد للكفرة بالاهلاك
وحث له عليه السلام على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هولاء المعاندين وقوله تعالى
هل تحس منهم من احد استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى **او تسمع
لهم ركزا** اي صوتا خفيا واصل الركز الخفا ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المدفون
المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا
وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطا وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح الذي تصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين
وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند
عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عكرمة وكل وهي لغة بما بينهم قالوا ان صح فلعل
اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب اليا طا وحذف ذا من هذا واستشهد به من قول الشاعر
ان السفاهة طه في خلائقكم ۞ لا قدس الله اخلاق الملاعين ۞
ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طاها بصيغة
الامر من الوطي فقلبت الهمزة في يطا الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها
ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه لما كان يقوم
فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه
على ان اصله طا فقلبت همزته ها كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطا الفا كما مر ثم بني
الامر وألحق به ها السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة
على المسميين لكونهما اسماهما الدالين عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفي بشطري
الكلمتين وعبر عنهما باسميهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما معبر عنهما
بل من حيث انهما جزآن لهما وقد اكتفي بذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما الشطران

الشطران من حيث هما قايمان مقام الاسمين واما حمله على انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين
بمعنى طا على تقديري كونه امرا وكونه حرف ندا وها على تقدير كونها كناية عن الارض وكونها حرف
تنبيه وعبر عن ذلك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من
التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول حرف امر او حرف ندا والثاني ضمير الارض او حرف
مبني على ان كتابته صورة والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما عرفته وما سلف انها من الفواتح
اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب
ب وكذا لما بعدها من قوله تعالى **ما انزلنا عليك القرآن لتشقى** فانه استيناف مسوق لتسلية
صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقا شايع في ذلك المعنى
ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدايد في
مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله
عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم
صلى الله عليه وسلم يؤمنوا به بعد ذلك او لعروه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة كما روي انه
كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عم ارفق على نفسك فان لها عليك حقا
اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدايد الفادحة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتشقى حيث تركت دين ابائك وان القرآن انزل عليك لتشقى فرد ذلك بانا ما انزلناه
عليك لما قالوا والاول هو الانسب لما يشهد به الاستثناء الاتي هذا واما اسم للقرآن محله الرفع
لنا ه على انه مبتدأ وما بعده خبره والقرآن ظاهر وقع موقع العايد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما انزلناه
عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين
الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يبتنى على ذلك
التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عايد ولا قايم مقامه فان القرآن صادق على
ح السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج
ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقا يستدعي سبق وقوع الشقا مترتبا على
انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به
ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة
الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقا السابق عليه حتى يتصدى لنفيه منه اما باعتبار الاتحاد
فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ما له ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها
لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لانزالها في الشقا السابق اصلا مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى **الا تذكرة** نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث
انه معلل بالشقا على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك ما
ضربتك للتاديب الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية
حتما كما في المثال المذكور في قولك ما شتمته بالسوء للتاديب الا زجرا لغيره فان التاديب
في الاول سبب عن الاشفاق والتاديب الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقا والتذكرة

من الثاني ولا عرى ان يراد به التعب في جملة المجامع المتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من
السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا لتكثير الثواب فان الاجر بقدر
التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم لوجود المجانسة
بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك
المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة
لمن يخشى وقد جرد التذكرة من اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شانه ان يخشى
الله عز وجل على الوجه الانسب وتتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى
بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى **تنزيلا**
مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما تفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة
لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح و
الاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان
تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه
المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه
بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ
له الا بان يكون قيدا لانزلنا بعد تقيده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل
على انه خبر مبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى **ممن خلق الارض والسموات العلى** متعلقة
بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل
الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب
الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص
خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى ما في السموات
وما في الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر
عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة
الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع
لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن
رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان **الرحمن** رفع
على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة بان المرفوع مدحا في حكم الصفة
الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة
متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة
لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه
بخالقية السموات والارض وما بينهما للايذان بان تنزيله تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة
الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على
الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى **على العرش استوى** جعل الرحمة

الموصوف

الرحمة عنوانا للموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان
بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلق باستوى وقدم عليه
لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان
يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية
فيمن يجوز عليه القعود على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات و
تدبير امرها وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض** سواء كان ذلك بالجزئية
منهما او بالحلول فيهما **وما بينهما** من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب واكثريا
كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة
وايجادا واعداما **وما تحت الثرى** اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض
لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين وعن السدي ان الثرى هو الصخرة
التي عليها الارض السابعة **وان تجهر بالقول** بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر
بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه
فاعلم انه تعالى غني عن جهرك **فانه يعلم السر واخفى** اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى
من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو
ما ستسره فيه فيما ياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه
سبحانه بل لغرض اخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة   سة
عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى **الله** خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق
لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوف بها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت
الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى **لا اله الا هو** تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله
من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية   نبه
والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه بينا وقوله تعالى **له الاسماء الحسنى** بيان لكون
ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى
فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان
نعبد الهين وهو يدعو الها اخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع
من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى **وهل اتاك حديث موسى** استئناف
مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء
كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله
حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم
في الايتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه   باه
ان مساق النظم الكريم اثر صرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى **اذ راى نارا** ظرف
للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين راى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر
وقت رؤيته نارا روي انه عليه السلام استاذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه

يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير قط

اقتضاء ح

فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي
من الطور ولد له في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق من جانب الطور
فقال لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب
الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد
والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال
• وان شئت حرمت النساء سواكم • **اني آنست نارا** اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل
الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمأمور به **لعلي آتيكم منها** اي اجيئكم
من النار وتقريره لك للتنبيه على انه صيغة المضاف لا صيغة الفاعل **بقبس** اي بشعلة مقتبسة
من معظم النار وهي المراد بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس **او اجد على النار هدى**
هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية
على انه اذا وجد الهادي وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار معمورة بالهمة
الدينية في غاية احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله
وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين
لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار اي اهل النار يشتغلون
المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفون بها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان
الاتيان بها مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل حذف ثقة بما
يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتعدياً عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب
اليها لآتيكم او لكي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الآية قد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله
تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون **فلما**
اتاها اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها
الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار
تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف يأكل ولا يشرب
من نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار
جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع له
نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق
وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار جهنم وروي ان الشجرة كانت عوسجة
وقيل كانت سمرة **نودي يا موسى** اي نودي فقيل له يا موسى **فاخلع نعليك** امره عليه السلام بذلك
لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة
حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ
وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى
له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى **انك بالواد المقدس** تعليل لوجوب الخلع
المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسيتها روي انه عليه السلام
خلعهما والقاهما وراء الوادي **طوى** بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير

وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو كذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق ح

فقد وجد الهدى ح

كالصوى ح

نور

اني انا ربك اذ عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا
منه وقرئ بالفتح اي بأني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة
وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي
يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس
اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء
قلت وذلك لان سماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء
ليس الا باثر قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل
تلقى عليه السلام كلامه تعالى تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام
لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير
اختصاص بعضو وجهة ح

دون

نودي ؟

وغير منون بتأويله بالمكان وقيل البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او للمقدس اي
نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى **وانا اخترتك** اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك
بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى **فاستمع** لترتيب الامر والمأمور به على ما قبلها فان اختياره عليه السلام
من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى **لما يوحى** متعلقة باستمع
وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل
من انه باب التنازع واعمال الاول فلا بد فيه من اعادة الضمير مع الثاني لان قوله تعالى
انني انا الله لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي
فقط والفاء في قوله تعالى **فاعبدني** لترتيب المأمور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية
به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل **واقم الصلاة** خصت الصلاة بالذكر
وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت
به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى **لذكري** اي لتذكرني فان
ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار
او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد
بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك
بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات او لذكر صلاتي لما روي انه عليه السلام قال
من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلاة لذكري
وقرئ للذكرى بالف التانيث ولذكري معرفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى **ان الساعة آتية** تعليل
لوجوب العبادة واقامة الصلاة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها
بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين **اكاد اخفيها** اي لا اظهرها بان اقول انها
آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها
من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى ظهره وقيل اخفاه
من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلق بآتية
وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر
من الامور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء
كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات
من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب فانه من مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان
المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان
تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها
من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار
اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخير لما ذكر من ان
المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين
وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد

احد عن سننه المستبين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما
التفاوت بينهم فى مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والتوقع فى مهاوى
الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظما فى سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما
هو عمل يصدر عن عامله بنوع اختيار من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعى مطلق
العمل فلا يصدنك عنها اى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق
بشان موسى عليه السلام وان كان النهى بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على
قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان فى المؤخر
نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن
صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه فى الحقيقة نهى له عم عن الانصداد عنها على ابلغ وجه
واكده فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية
عن اصلها كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عليه السلام
كان النهى عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهى عن المسبب
وارادة النهى عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان
ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما فى قوله لا ارينك ههنا فان المراد نهى المخاطب عن
الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اى ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى
اى فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجى عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو فى
محل النصب على جواب النهى او فى محل الرفع على انه خبر مبتدا اى فانت تردى وما تلك بيمينك
يا موسى شروع فى حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالحق اثر حكاية ما امر به من
الشئون الخاصة بنفسه فما استفهامية مبتدا فى حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل
بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اى وما تلك قارة او ماخوذة بيمينك
والعامل معنى الاشارة كما فى قوله عز وجل وهذا بعلى شيخا وقيل تلك موصولة اى ما التى
هى بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب
وتكرير النداء لزيادة التانيس والتنبيه قال هى عصاى نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا
لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصى على لغة هذيل اتوكؤ عليها اى اعتمد
عليها عند الاعيا والوقوف على راس القطيع واهش بها اى اخبط الورق واسقط على غنمى وقرئ
اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر
الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحا والاقبال اى ازجرها منحيا ومقبلا عليها ولى فيها مارب اخرى
اى حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روى انه عليه السلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته
من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها
الكسا واستظل به واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعرض لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام
فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا

حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها ايات باهرة و
معجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل
والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه
من سؤال العليم الخبير قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل
قال القها يا موسى لترى شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها
على الارض فاذا هى حية تسعى روى انه عم حين القاها انقلبت حية صفراء فى غلظ العصا
ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم
العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل
فاذا هى ثعبان مبين وانما شبهت بالجان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صغر الجثة وقوله
تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استيناف كما سبق خذها
ولا تخف مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الامر اشعار
بان عدم النهى عنه مقصود لذاته لا لتحقيق الماموربه فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها
الاولى مع كونها استينافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهى فان اعادتها الى ما كانت عليه
من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان
بكونها مسخرة له عم ليكون على طمانينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون
اى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التى هى الجنسية العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك
من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده فى فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير
تجوز بها للطريقة وانتصابها على نزع الجار اى الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده
بمعنى عاد اليه او على الظرفية اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعه حالا من
المفعول اى سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اى سائرة سيرتها الاولى تنتفع بها كما كنت
تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عم بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت
اى ادخلها تحت عضدك فان جناحى الانسان جنباه كما ان جناح العسكر جنباه مستعار من جناحى
الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اى يميلهما عند الطيران وقوله تخرج جواب الامر وقوله
تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف وهو حال من الضمير
فى بيضاء اى كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما ان الطباع
تعافه وتنفر عنه روى انه عليه السلام كان ادم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع
الشمس يغشى البصر اية اخرى اى معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير فى تخرج
على بدل من الحال الاولى واما من الضمير فى بيضاء وقيل من الضمير فى الجار والمجرور وقيل هى
منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بمضمر
ينساق اليه النظم الكريم فانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك من ذلك بعض اياتنا
الكبرى على ان الكبرى صفة لاياتنا او نريك بذلك من اياتنا ما هى كبرى على ان الكبرى صفة لا
مفعول ثان لنريك ومن اياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول واياما كان فالاية
الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما متعلقة بما دل عليه اية اى دللناها لنريك الخ

او بقوله تعالى تخرج وانما تعذر من حدود ذلك كما قال لكل من ذلك قابل فنودى الى غرابة العصا
عن وصف الكرم فتدبر **اذهب الى فرعون** تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل
عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اى اذهب اليه بما رايته من الايات الكبرى وادعه الى عبادتى
وحذره نقمتى وقوله تعالى **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب المأمور به اى جاوز الحد فى التكبر
والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التى هى دعوى الربوبية قال استيناف مبنى على سؤال نشأ
من الكلام كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل **قال** مستعطفا
به عز وجل **رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى** لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى
ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح
قلبه ويجعله عليما بشئون الخلق واحوال الملوك حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد
والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع
ذلك امره الذى هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفى
زيادة كلمة لى مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا
وتفسيرهما ثانيا وفى تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين و
فضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به **واحلل عقدة من لسانى** روى انه كان
فى لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه فى صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ
لحيته فنتفها لما كانت مفصصة بالجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لا يفرق بين الجمر
والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها فى فيه واحرقت يده فاجتهد فرعون فى علاجه
فلم يبرأ منها ادعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى
زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله
تعالى هو افصح منى وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه
بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لسانى اى عقدة كائنة من
عقد لسانى وجعل قوله تعالى **يفقهوا قولى** جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها فى الجملة يتحقق
ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها فى الجملة اما قوله تعالى هو افصح منى فلانه عليه السلام
قال قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا يستدعى بقاءها اصلا بل
يستدعى عدم البقاء لان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة فى المفضول ايضا وذلك مناف
للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين فى العتو والطغيان والا
لدل على عدم زوالها وتنكيرها انما يفيد قلتها فى نفسها لا باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق
كلمة من فى قوله تعالى من لسانى بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر
تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك
الشئ ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه **واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى**
اى موازرا يعاوننى فى تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل او ملجأ
اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل
كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول

او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا
او ما هو صفته له فى الاصل ومن اهلى
اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل

الاول الذى هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولى صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا
وهرون عطف بيان لوزيرا ومن اهلى كما مر من الوجهين واخى فى الوجهين بدل من هرون
او عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من اهلى ولى تبيين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد
بان شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ او يخبر عنه
بما بعده **اشدد به ازرى واشركه فى امرى** كلاهما على صيغة الدعاء اى احكم به قوتى واجعله
شريكى فى امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغى وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال
بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك فى الامر فحيث كان من احكام الوزارة
توسط بينهما العاطف **كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** غاية للادعية الثلاث الاخيرة فان
فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه
مكثر له فى نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او
فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر
من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا فى الموضعين نعت لمصدر
محذوف او زمان محذوف اى ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها
ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من دعاء الشركة فى الالوهية ونصفك
بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته
زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى نصلى لك كثيرا ونحمدك
ونثنى عليك فلا يساعده المقام **انك كنت بنا بصيرا** اى عالما باحوالنا وبان ما دعوتك
به مما يصلحنا ويعيننا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء فى
اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لرعاية الفواصل **قال قد اوتيت سؤلك**
اى اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة
عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديرها اياها حتما
فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتشديد الازر وباعتباره
قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر
تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى **ولقد مننا عليك** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما
قبله وزيادة توطين موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة
من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره
بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اى وبالله لقد انعمنا **مرة اخرى** اى فى وقت غير هذا الوقت
لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة فى الاصل اسم للمرور الواحد
ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع فى كل فرد واحد
من افراد ما له افراد متجددة فصار علما فى ذلك حتى جعل معيارا لما فى معناه من سائر
الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت الممتد
الذى وقع فيه ما سيأتى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **اذ اوحينا الى
امك ما يوحى** ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبى فى وقتها كقوله تعالى واذ

بل ما يكون منهما فى تضاعيف اداء الرسالة
ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك
مما لا ريب فى اختلاف حاله فى حالتى
التعدد والانفراد

واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخرين للوحي اذ لا تفخيم لشانه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في النوم **ان اقذفيه في التابوت** مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف هاهنا الوضع واما قوله تعالى **فاقذفيه في اليم** لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضماير كلها لموسى عليه السلام المقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك **يأخذه عدو لي وعدو له** جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب الهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **والقيت عليك محبة مني** كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى **ولتصنع على عيني** متعلق بالقيت معطوف على علة مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتدأة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري **اذ تمشي اختك** ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجوع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمن متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سياتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الى آخره فان جميع ذلك من المنن الالهية وتعلق كل منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت **فتقول** اي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعا يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية **هل ادلكم على من يكفله** اي

وان في قوله تعالى

له بضمه ع

وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها

يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي انه فشا الخبر بان آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فالفاء في قوله تعالى **فرجعناك الى امك** فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** اي لا يطرأ عليها الحزن لفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية مقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه **فنجيناك من الغم** اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين **وفتناك فتونا** اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كالحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام الى مدين بقضية انفا **فلبثت سنين في اهل مدين** اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر **ثم جئت** اي الى المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك **على قدر** اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى **واصطنعتك لنفسي** تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السالفة تاكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض امور الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك فتونا ونظائره السابقة عليه الى الافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطفاء الخ اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى **اذهب انت واخوك** اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان

ما هو المقصود بالاصطفاء الخ **بآياتي** اي بمعجزاتي التي اريتكما من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابرهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابه عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية اخرى وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه **ولا تنيا** لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع **في ذكري** اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنيا في ذكري حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري **اذهبا الى فرعون** جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان تلقى موسى عم ها على طغيانه فان يلين القول وقيل سمع باقباله فتلقاه **انه طغى** تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى **فقولا له قولا لينا** لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فانه دعوة في صورة عرض ومشورة ورده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآية وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا **لعله يتذكر** بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه **او يخشى** عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع اي يثمر عمله ولا يخيب وهو يجتهد بطوقه ويحقق باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة **قالا ربنا** اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عم بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عم عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب **اننا نخاف ان يفرط علينا** اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار والخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب **او ان يطغى** اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونها لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما **قال** استئناف مبني على السؤال الناشي

الناشي من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام مجملا ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال **لا تخافا** ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى **انني معكما** تعليل لموجب النهي ومزيد تسليتهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى **اسمع وارى** ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك تم الحفظ وبلغت النصرة غايتها **فأتياه** امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعدما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده **فقولا انا رسولا ربك** امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى والفاء في قوله تعالى **فارسل معنا بني اسرائيل** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقتل واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى **ولا تعذبهم** اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت مملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرها من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاذب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلام **قد جئناك بآية من ربك** تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقرر موجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات **والسلام** المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين **على من اتبع الهدى** بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه على اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى **انا قد اوحي الينا** من جهة ربنا **ان العذاب** الدنيوي والاخروي **على من كذب** اي بآيات الله تعالى **وتولى** اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه **قال** اي فرعون بعدما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به **فمن ربكما يا موسى** لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق

حكايتهما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لما انه عنوان ونهاية
لطغيانه بل لاضافته اليهما لما ان المرسل لابد ان يكون ربا للرسول اولانهما قد صرحا بربوبيته تعالى
للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى
لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي
ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عم مع توجيه الخطاب اليهما
لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عم
رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهد منه عم من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ
واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن غلو الخبث والزعارة كما سيأتي قال اي موسى عم مجيبا
له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف
والموصول صفته وايا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما قال اللعين بل جميع
المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل
شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته
كل شيء يحتاج هي اليه ويرتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا
من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او للمضاف
اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من
عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه
تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه
كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات وطبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية
النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام وسط
بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عم جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم
قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان
ارساله تعالى اياه الى الطاغي من جملة هداياته اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية
حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى
لما شاهد اللعين ما نظمه عم في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف
ان يظهر للناس حقيقة مقالاته عم وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه
عم عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله
عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع
معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة
فاجاب عم بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى
واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من
سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها
الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول

ربكما فاجراني ح

لعله الانسانية

متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام

المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب
حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله
ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم
وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه
تعالى بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس
لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء وابقاء واظهار ربي في موضع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة
التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب
ح عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج
عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل
لما سيأتي من الالتفات الذي جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح
او منصوب عليه او خبر لمبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر
سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها
ودية مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اي جعل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والا
والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل
من السماء ماء هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية
ن وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان
بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن ينقاد لامره ويذعن لمشيئته الاشياء المختلفة
كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى
امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قيل
هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو
المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر اي في الآيتين مع انه يفوت حينئذ
الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة
جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة للنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع
يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه
م الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام
جعل علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم
حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
انعامكم اي معدين لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى
ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في
الكمال والتنكير في قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة
على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام
لاولي النهى جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله

وحجر عن ذلك اى لذوى العقول الناهية عن الاباطيل التى من جملتها ما تدعيه الطاغية وقبله
من نسبة الباعية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها
منها خلقناكم اى فى ضمن خلق ابيكم آدم عم منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه
اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على
فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام
منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقناكم منها اذ خلقناكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من
الارض بوسايط وقيل ان الموكل بالرحم ليأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود
فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة **وفيها نعيدكم** بالاماتة وتفريق الاجزاء
وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار والمزيد فيها **ومنها نخرجكم تارة اخرى**
بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا
الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة
الثانية والتارة فى الاصل اسم للتور الواحد اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين
فرعون اثر حكاية ما ذكره عم من الدلايل التى بينها الداعية الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها
بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة
لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه
فى المكابرة والعناد اى وبالله لقد بصرنا فرعون وعرفناه **آياتنا** حين قال لموسى عم
ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدايع الامور
التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين فى تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك
بآياتى وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهيا فانه روى انه عليه السلام
لما القاها انقلبت ثعبانا اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون انشدك بالذى ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد
عصا وروى انها انقلبت حينئذ ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مستقبلة نحو فرعون وجعلت
تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا
نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا
من امره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صريحا اكدت بقوله
تعالى **كلها** كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له فى
ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عم بعد ما غلب السحرة
على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولا ريب فى ان امر السحرة مترتب بعد
وابعد من ذلك البعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد
مهلكه من الآيات الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذى فر بثوبه او
الذى انفجرت منه العيون وكذا ان تعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام لما انا على ان

ان حكايته اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتى من جملتها اظهره على السحر
والتصدى للمعارضة بالمثل يأباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك
لجاز حمل ما فصله عم من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة
الآيات **فكذب** موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد فى يده من الشواهد
الناطقة بصدقه جحودا وعنادا **وابى** الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب
بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وابى قبول الحق وقوله تعالى **قال اجئتنا لتخرجنا**
من ارضنا بسحرك يا موسى استيناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وادعاء انه امر محال والمجئ اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدى له اى اجئتنا
من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته
من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل
قومه على غاية المقت لموسى عم بابراز ان مراده عم ليس مجرد انجاء بنى اسرائيل من ايديهم بل
اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد
ويبالغوا فى المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم
على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اوتى به عليه السلام فقال **فلنأتينك بسحر مثله**
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك
فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك **فاجعل بيننا وبينك موعدا** اى وعدا كما ينبئ عنه وصفه
بقوله تعالى **لا نخلفه** فان المناسب له المكان والزمان اى لا نخلف ذلك الوعد **نحن**
ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عم للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق
المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال
الامر او قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عم وتوسيط كلمة النفى بينهما للايذان بمسارعته
الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عم ولذلك اكتفى بتكرير حرفه
وانتصاب **مكانا سوى** بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا
على تقدير مكان مضاف اليه وحينئذ يكون مطابقة الجواب فى قوله تعالى **قال موعدكم**
يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ
او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة
وقرئ بالنصب يوم وهو ظاهر فى ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوى مسافته
الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرئ بكسر السين وقيل يوم الزينة
يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم العيد كان لهم فى كل عام وانما خصه عم بالتعيين
لاظهار كمال ثقته وكونه على يقين من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت
ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل فى يوم مشهود على رؤوس الاشهاد
ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد **وان يحشر الناس ضحى** عطف على يوم الزينة وقرئ
على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم
فتولى فرعون اى انصرف عن المجلس **فجمع كيده** اى ما يكاد به من السحرة وادواتهم **ثم اتى** الى الموعد

ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله
تعالى قال لهم موسى الى آخره بطريق الاستيناف المبني على السؤال يقتضي بان المترتب من حوالة
حد ولحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الانكار واما اتيانه اولا فامر
محقق غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل
قال لهم موسى بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا بانه التي ستظهر
على يدي سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره
وقرئ يسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من
افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا
او فقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها
فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عم كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد
منهم من مغالبته عم وتشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب
القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدفعه وكان نجواهم
ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران الى آخره
فانه تفسير له ونتيجة التنازع وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور
وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي
نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة
الحارث بن كعب فانهم كانوا يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران
خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ
وقيل ان اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف
وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر
بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون
لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقوله
موسى عم ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم
انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل
الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء فرعون على حاله مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله
على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون
الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب
بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزيد فيه وقوله تعالى
فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان كما ذكر من كونهما
ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه
بحيث لا يتخلف عنه واحد وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله

قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين
امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين
الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان
من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة وثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم
وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم ولعل
الموعد كان متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر
فيه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع
الناس في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود
واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى
وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب
من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى نعم
وانكم لمن المقربين وعن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من
غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاذب اطراف النظم الكريم
وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك
ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر فيكون اسرارهم حذرا من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران الى آخره على انهم
اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت
آراؤهم على ذلك وابوا المناصبة للمعارضة ولما جعل ضرا قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا
ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان
على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف
على سؤال نشأ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فقيل قالوا
يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغناهما عن البيان
اما ان تلقي اي ما تلقيه ولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء او على ان
الفعل نزل بمنزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما نلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه
عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عم ما رأوا من مخايل الخير ورزانة الرأي واظهار
للجلادة بارادة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال
استيناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عم كانه قيل فماذا قال عم فقيل قال بل
القوا انتم اولا مقابلة للادب بأحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة
بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم و
يستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب

قولهم

لات

مكايدهم

بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا للظرفية تستدعي
متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى
فالقوا ففاجأ موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها
بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل له التاء على اسناده
الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل
بحذف احدى التاءين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته
بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل
من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا
لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجب النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته
على ابلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو
المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف
وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة
المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار
غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند
وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم فالق العويد الذي في
يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر
مرتين على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان
منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة
والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحيات والعصي التي خيل اليك سعيها
وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف
واسقاط احدى التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف والجملة الامرية معطوفة
على النهي متممة بما في حيزها للتعليل موجب لبيان كيفية غلبته عم وعلوه فان ابتلاع العصا
لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه خيفة مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه
لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عم والا لعلله بما يزيله من الوعد مما يوجب
ايمانهم واتباعهم له عم وقوله تعالى انما صنعوا الخ تعليل لقوله تلقف ما صنعوا وما اما موصولة
او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد
جنس الساحر وتنكيره للتوسل الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا
وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية
الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان
واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من
تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة
معربة عن محذوف ينساق اليه النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد
موسى عم في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عم فوقع ما

ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز
وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما
القيناه من الآلات فاستدل بتغير حال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على
يد موسى عم على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما
هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة
لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم قالوا استيناف
كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد
جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز
عن التوهم الباطل من جهة فرعون من اول الامر ان حالهم فرعون قال اي فرعون للسحرة
آمنتم له اي لموسى عم واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي
قبل ان آذن لكم اي من غير اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي لا ان نفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم في ذلك واقع بعد او متوقع انه يعني موسى عم
لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون
شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط
باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره
وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد
المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى
والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو العضو فان المتعدي من المعروض
مبتدئ من العارض وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات
وتعيين تلك الحال للايذان بتحقق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة
لا لانها افظع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم
عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول
من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئتا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه
وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى
وهذا اما لقصد توضيع موسى عم والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادة ان ايمانهم
لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عم حيث رأوا ابتلاع
عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا
برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك
بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات
من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عم من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه
فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلايلها ودقايقها والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو
عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية ظاهرة وايراده تعالى

وقومه حيث كان فرعون ربا لهم ثم في صغره فلو قد سوا لموسى ثم لربما توهم اللعين وقومه ٤

عليها ح

لغيره تعالى ح

لن نختارك ح

بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته
مما يوجب عدم ايثارهم له سبحانه وتعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وهذا جواب
منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور
عليه اى وحق الذى فطرنا لا نؤثرك ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب
ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى **فاقض ما انت قاض** جواب عن
تهديده بقوله لاقطعن الخ اى فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكمه وقوله تعالى **انما**
تقضى هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالات المستفاد مما سبق من الامر بالقضا اى انما
تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه فى هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة فى عذبها ولا رهبة من
عذابها **انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا** التى اقترفناها من الكفر والمعاصى ولا يؤاخذنا بها فى الدار
الاخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الدنيا الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله
تعالى **وما اكرهتنا عليه من السحر** عطف على خطايانا اى ويغفر لنا السحر الذى عملناه فى معارضة
موسى عم باكراهك وحشرك ايانا من المداين القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه فى خطاياهم
اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم فى مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان
يفرد بالاستغفار مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل
ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روى ان رؤساهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من
القبط والباقى من بنى اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة
حيث روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط
كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
والله خير اى فى ذاته وهو ناظر الى قولهم والذى فطرنا **وابقى** اى جزاء ثوابا كان او عقابا او جزاء
ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى **انه** اى الامر والشان تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى
جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرها بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها
لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاؤه شهرته المعينة وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرها
بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه عن ذكره مع ما فيه من
زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اى قوله تعالى
من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصى **فان له جهنم لا يموت فيها** فينتهى عذابه وهذا
تحقيق لكون عذابه ابقى **ولا يحيى** حيوة ينتفع بها **ومن يأته مؤمنا** به تعالى وبما جاء من عنده
من المعجزات التى من جملتها ما شاهدناه **قد عمل الصالحات** الصالحة كالحسنة جارية مجرى
الاسم ولذلك لا يذكر غالبا مع الموصوف وهى كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الفعلين السابقين باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات
لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحات **الدرجات** اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار

ليس

وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى

اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح فى استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال
الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا والتشاجر الا فيه **جنات عدن** بدل من
الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة وقوله تعالى **تجرى**
من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله **خالدين فيها** حال من الضمير فى لهم والعامل معنى الاستقرار
والاشارة **وذلك** اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من
التفخيم **جزاء من تزكى** اى تطهر من دنس الكفر والمعاصى بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا
تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه
ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلث ابتدا
كلام الله عز وجل قالوا وليس فى القران ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت
فى الاخبار **ولقد اوحينا الى موسى** حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى
فى البين ذكر ما جرى عليهم من الايات المفصلات الظاهرة على يد موسى عم بعد ما غلب السحرة
فى نحو من عشرين سنة حسبما فصل فى سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها
وان فى قوله تعالى **ان اسر بعبادى** اما مفسرة لان فى الوحى معنى القول او مصدرية
حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم
والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون
الظلم ما فعل اى وبالله لقد اوحينا اليه عم ان اسر بعبادى الذين ارسلتك لانقاذهم من
ملكة فرعون اى سر بهم من مصر ليلا **فاضرب لهم** فاجعل او فاتخذ لهم **طريقا فى البحر يبسا** اى يابسا
على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرى يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او
جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حيث تعدد الاسباط **لا تخاف دركا** حال
من المأمور اى امنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرى
لا تخف جوابا للامر **ولا تخشى** عطف على لا تخاف داخل فى حكمه اى ولا تخشى الغرق وعلى
قراءة الجزم استيناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما فى قوله تعالى
وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من
الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون **فاتبعهم فرعون بجنوده** اى تبعهم ومعه جنوده
حتى لحقهم يقال اتبعتهم اى تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرى فاتبعهم
من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فا
تبعهم فرعون جنوده اى ساقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى
ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عم الى الامتثال بالامر اى ففعل ما امر به
من الاسراء بهم وسلوك الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روى ان موسى عم
خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت
مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عم بعصاه البحر فانفلق
على اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم
فرعون بجنوده **فغشيهم من اليم ما غشيهم** اى علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل

الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس كذلك فان مدار التهويل
والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم
اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وجل او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم
للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى **واضل فرعون قومه** اي سلك بهم مسلكا اداهم
الى الخيبة والخسران في الدنيا والدين معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل
بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى **وما هدى** اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى
مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد
من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي
الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق
التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك
الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم **يا بني اسرائيل**
حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد
ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل في آبائهم اصالة وبهم تبعا
ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الاية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية
بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون وقومه
حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ انجيتكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي
واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام
للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابسته
اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو
آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم **ونزلنا عليكم المن والسلوى** اي الترنجبين
والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع
ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كما مر مرارا **كلوا** جملة مستأنفة مسوقة
لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم **من طيبات ما رزقناكم** اي من لذائذه وحلالاته
وقيل رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم
ولطف الترتيب ما لا يخفى **ولا تطغوا فيه** اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد
لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق **فيحل عليكم غضبي** جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي ويجب
لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** اي تردى وهلك
وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل **واني لغفار لمن تاب** من
الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر **وآمن** بما يجب الايمان به **وعمل صالحا** اي عملا
صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة

التوبة والايمان وقوله تعالى **ثم اهتدى** اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه
بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي **وما اعجلك عن قومك يا موسى** حكاية لما جرى بينه تعالى
وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي واي
شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار
انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا
باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة
منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد والمنافي للاستصحاب
والمعية حيث **قال هم اولاء على اثري** يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها
لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعدما
ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال **وعجلت اليك**
رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب
لزيادة الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من
التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة
السامعين فماذا قال لربه حينئذ فقيل قال **فانا قد فتنا قومك من بعدك** اي ابتليناهم بعبادة
العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف
ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار
موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة
المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه
روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع اياما
اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس لموسى عليه السلام عين ولا اثر **واضلهم السامري** حيث كان هو المدبر
في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم
فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار
تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة ونظائرها او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام
وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم
السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى
بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر **فرجع موسى الى قومه**
عند رجوعه المعهود اي بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة
فسببيته ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى **غضبان**
اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين
امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج

ودعوتهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر
الدعاء وان سببه الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل
الحزين **قال** استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم
فقيل قال **يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا** بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى
والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده اي وعدكم بحيث لا سبيل
لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى **أفطال عليكم العهد** اي الزمان للعطف على مقدر
والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي وعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه
أم أردتم أن يحل عليكم اي يجب **غضب** شديد لا يقادر قدره كائن **من ربكم** اي من مالك امركم
على الاطلاق **فاخلفتم موعدي** اي وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات
على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما
بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عم اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء
لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد
فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا
الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود
بعد الاربعين فمما لا يساعده السياق ولا السباق **قالوا ما أخلفنا موعدك** اي وعدنا اياك
الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا
بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة
بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها وكلها لغات في مصدر ملكت الشيء
ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ
الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا
بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروه لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند
الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها
ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ **فقذفناها**
اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها **فكذلك** اي فمثل ذلك القذف **ألقى السامري** اي ما
كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم
وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما
تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا
ففعلوا **فأخرج** اي السامري **لهم** للقائلين **عجلا** من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه
مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه
نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى **جسدا** اي جثة ذا دم
ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى **له خوار** اي صوت عجل نعت له **فقالوا** اي
السامري ومن افتتن به اول ما رآه **هذا إلهكم وإله موسى فنسي** اي غفل عنه وذهب يطلبه في
الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها

ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى
ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكور من البعض لا من الكل فيفهم خلاف الظاهر مع انه
مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب ب
لهم مما يهون مخالفة المعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل
من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل
قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا
بامرنا بملكنا بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج
وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده ه
سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى **أفلا يرون** انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال
الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته لته
على احد وهو اتخاذه إلها والعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألا يتفكرون فلا يعلمون **أن لا
يرجع اليهم قولا** اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه إله وقرئ
يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون ن
فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا
للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى **ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا** عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان
يدفع عنهم ضرا ولا يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه
ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم
واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم
على كيفية الامر من قبل رجوع موسى اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل ان السامري
كأنه اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم
يا قوم انما فتنتم به اي وقعتم في الفتنة بالعجل واضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة
انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى
قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا
بغيره وقوله تعالى **وان ربكم الرحمن** بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن
الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف
العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله
تعالى **فاتبعوني** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك
فاتبعوني في الثبات على الدين **وأطيعوا أمري** هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه **قالوا** في
جواب هرون عليه السلام **لن نبرح عليه** على العجل **عاكفين** مقيمين **حتى يرجع الينا موسى** جعلوا وعبادته
رجوعه اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه بل بطريق
التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روي انهم
لما قالوا اعتزلهم هرون عم في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع

الطاء

الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم
قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى **قال** استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون كانه
قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل
قال له وهو مغتاظ قد أخذ بلحيته وراسه **يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا** بعبادة العجل
وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء **أن لا تتبعنى** اى ان تتبعنى على ان لا
مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل فى اذ اى اى شئ منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعنى فى
الغضب لله تعالى والمقابلة مع كفرهم به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعنى فان المنع
عن الشئ مستلزم للحمل على مقابلة وقيل ما منعك ان تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فيكون مفارقتك
مزجرة لهم وفيه ان مصالح هرون حيث لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم
عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام
فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين
رجوعه **أفعصيت أمرى** اى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام
اخلفنى متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا يتحقق او خالفتنى فعصيت امرى **قال يا ابن ام**
خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لام فان الجمهور
على انهما كانا شقيقين **لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى** اى لا بشعر راسى روى انه عليه السلام
اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان حديدا
متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى **انى خشيت**
الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهى ببيان الداعى الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره
بل ممتثل به اى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا **ان تقول فرقت بين بنى
اسرائيل** برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه
بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع **ولم ترقب قولى** يريد به قوله
اخلفنى فى قومى واصلح الخ يعنى انى رايت ان الاصلاح فى حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم
فلذلك استانيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة
والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى **قال** استيناف وقع
جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى واعتذار هرون
كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامرى
فقيل قال موبخا له هذا شانهم **فما خطبك يا سامرى** اى ما شأنك وما مطلوبك بما فعلت خاطبه
بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين
به ولمن خلفهم من الامم **قال** اى السامرى مجيبا له **بصرت بما لم يبصروا به** بضم الصاد فيهما وقرئ
بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اى علمت
ما لم يعلمه القوم وفطنت ما لم يفطنوا له ورأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سياتى من قوله وكذلك
سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة
لا يليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل

جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته
النبات فى الحال فعرف ان له شأنا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى **فقبضت قبضة
من اثر الرسول** وقرئ من اثر فرس الرسول اى من تربة موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب
بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار
الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض
اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت
قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم
فنبذتها اى فى الحلى المذابة فكان ما كان **وكذلك سولت لى نفسى** اى ما فعلته
من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف فى الاصل
النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا
مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التزيين البديع زينت
لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض
اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشئ آخر من البرهان العقلى والالهام الالهى فعند
ذلك **قال** عليه السلام **فاذهب** اى من بين الناس وقوله تعالى **فان لك فى الحيوة** الخ تعليل لموجب
الامر وفى متعلقة بالاستقرار فى ذلك اى ثابت لك فى الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف
والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى **ان تقول
لا مساس** لمكان ان اى ثابت لك كائنا فى الحيوة اى مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب
الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس
احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى
صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه
بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحش النافر فى
البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل
السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة
بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التى هى من
اسباب موت الاحياء **وان لك موعدا** اى فى الآخرة **لن تخلفه** اى لن يخلفك الله ذلك الوعد
بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اى
وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل **وانظر الى الهك الذى ظلت عليه
عاكفا** اى ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام م
اليها **لنحرقنه** جواب قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه
مبالغة فى حرق اذا برد ويؤيده قراءة لنحرقنه **ثم لننسفنه** اى لنذرينه وقرئ بضم السين **فى
اليم** رمادا او مبرودا كانه هباء **نسفا** بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام
ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف

وعده الموكد باليمين **انما الهكم الله** استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب
وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة الله **الذى لا اله** فى الوجود لشىء من الاشياء
الا هو وحده من غير ان يشاركه شىء من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها احكام الالوهية وقرى
الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى **وسع كل شىء علما** اى وسع علمه كل ما من شانه
ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذى وسع كل شىء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه
العجل دخولا اوليا وقرى وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة
الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل
وسع علمه كل شىء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته
كذلك نقص عليك كلام مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل
بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه
نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك **من انباء ما قد سبق** من الحوادث الماضية الجارية على الامم
الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن فى قوله تعالى من
انباء فى حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة
للمفعول كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك اى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض
انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن
الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى
مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك
وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك **وقد اتيناك من لدنا ذكرا**
اى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة باتيناك
وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة فى الجملة كون المؤتى من لدنه
تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل
مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم **من اعرض عنه**
عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية
او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا **فانه** اى المعرض عنه **يحمل يوم القيمة وزرا** اى عقوبة
ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب
بما سياتى من تسميتها حملا وقوله تعالى **خالدين فيه** اى فى الوزر او فى احتماله المستمر حال من
المستكن فى يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود فى النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها
كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها **وساء لهم يوم القيمة حملا** اى
بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما
فى هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل
الامر **يوم ينفخ فى الصور** بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف

حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر فى تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرى ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما
له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته
ونحشر المجرمين يومئذ اى يوم اذ ينفخ فى الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون
الا يومئذ للتهويل وقرى ويحشر المجرمون **زرقا** اى حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا
كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى
عدوهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين
وعميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى **يتخافتون بينهم** اى يخفضون اصواتهم
ويخفونها لما يملا صدورهم من الرعب والهول استيناف لبيان ما ياتون وما يذرون حينئذ
او حال اخرى من المجرمين اى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة **ان لبثتم** اى ما لبثتم فى
الدنيا **الا عشرا** اى عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة
او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او فى القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه
من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا
قد بعثتم وما لبثتم فى القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم اقطع من ان يمكنهم من الاشتغال بتذكر
ايام النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها **نحن اعلم بما يقولون** وهو مدة لبثهم
اذ يقول امثلهم طريقة اى اعدلهم رايا وعملا **ان لبثتم الا يوما** ونسبة هذا القول الى امثلهم
استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول **ويسئلونك**
عن الجبال اى عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريقة الاستهزاء
فقل ينسفها ربى نسفا اى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام
السائلين **فيذرها** الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهى مقارها
ومراكزها اى فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتا منها
ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين
يذر الكل **قاعا صفصفا** لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض
فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل ما
لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصابه
على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال
ثانية او بدل من المفعول الثانى وقوله تعالى **لا ترى فيها** اى فى مقار الجبال او فى الارض على ما مر
من التفصيل **عوجا** بكسر العين اى اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما فى المعانى اى لا تدركه
ان تاملت بالمقاييس الهندسية **ولا امتا** اى نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع
الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم **يومئذ** اى يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم

الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعى وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اى
يتبع الناس داعى الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعوا الناس عند النفخة الثانية قايما
على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى
عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوته لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت
الاصوات للرحمن اى خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف
الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهايلة
لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن اى يشفع له ورضى له قولا اى ورضى لاجله
قول الشافع فى شانه او رضى قوله لاجله وفى شانه واما من عداه فلا يكاد ينفعه وان فرض
صدورها من الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم
يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هى عنه اصلا كما فى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها
للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم
واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن فى الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها
يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما
يستقبلونه وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى
وقيل بذاته اى من حيث اتصافه بصفات الكمال التى من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد
الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا علموه منه وعنت الوجوه للحى القيوم اى تفصيل ما
ذلت وخضعت خضوع العناة اى الاسارى فى يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضى الله عنهما
خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل
خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على
العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما ومن يعمل من الصالحات الخ قسيم لقوله
تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول
اى ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين فى تفسير
قوله تعالى من اياتنا كما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول
الحسنات فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او
يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهى
وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الايات المتضمنة للوعيد
المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اى مثل ذلك الانزال انزلناه اى القرآن كله واضماره من
غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا فى العقول حاضرا فى الاذهان قرآنا
عربيا لتفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر

البشر بانه لا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا فيه بعض الوعيد
او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه انفا لعلهم يتقون اى كى يتقوا الكفر والمعاصى بالفعل او يحدث
لهم ذكرا ايقاظا واعتبارا مؤديا بالاخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التى
والوعيد يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهى والوعد وغير ذلك اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة
المخلوقين فى ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده
ويخشى وعيده الحق فى ملكوته والوهيته لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه اى يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل
عليهما السلام الوحى يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة بكمال اعتنائه بالتلقى والحفظ فنهى عن
ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ فى الاذهان تابع لاستقرار
معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه
تعالى فقيل وقل اى فى نفسك رب زدنى علما اى سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل
الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتى بيانه وليس بذاك
فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب فى صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام
مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد فى القرآن وبيان ان اساس بنى آدم على العصيان
وعرقه راسخ فى النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود فى قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد
وف سبق يقال عهد اليه الملك وعزم اليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف
يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اى واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه
من قبل اى من قبل هذا الزمان فنسى العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسى عنه
وقرئ فنسى اى نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راى وثبات قدم فى الامور اذ لو كان
فلم كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام فى بدء
امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبى صلى الله عليه وسلم
لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على
الذنب فانه اخطا ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمى فله عزما مفعولاه
قدم الثانى على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب
الفائدة هو المفعول وليس فى الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على
مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر
كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع
فى بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به
النبى صلى الله عليه وسلم اى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل
الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت
مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة فى ذهن المخاطب بوجودها
العينى اى اذكر ما وقع فى ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه

فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشا
عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اى
ابى السجود كما فى قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوى راسا بتنزيله منزلة اللازم
اى فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذى رايت ما
فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اى لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما
من ان يكونا بحيث ان يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهانى كما فى قولك لا اريتك
هنا والفاء لترتيب موجب النهى على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهى واسناد
الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته فى الامور واستلزام شقايه
لشقايها مع ما فيه من مراعات الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب فى تحصيل مبادى المعاش وذلك
من وظايف الرجال ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى تعليل
لما يوجبه النهى فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة فى الاهتمام بتحصيل مبادى البقاء
فيها والجد فى الانتهاء عما يودى الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما
بفنون النعم من الماكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه
من الترغيب فى البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفى نقايضها التى هى الجوع والعطش والعرى
والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التى حذره عنها ليبالغ
فى التحامى عن السبب المودى اليها على ان الترغيب قد حصل بما يسوغ له من التمتع بجميع ما فيها
سوى ما استثنى من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره هنا اكتفاء بما ذكر فى موضع آخر واقتصر على ما ذكر من
الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى آخره ان لا يصيبه شئ من الامور الاربعة اصلا
فان الشبع والرى والكسوة والسكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب
والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل الى شئ من الامور المذكورة يمتع به من
غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظما عن الجوع
فى الذكر مع تجانسهما وتقارنهما فى الذكر عادة وكذا حال العرى والضحو المتجانسين لتوفية مقام
الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفى كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين
الجوع والظما لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال فى الجمع بين العرى والضحو على منهاج
قصة البقرة فلزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفى كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات
مذكور بالاصالة لا ان نفى بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفى بعض آخر كما عسى يتوهم
لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع
الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة لها فى افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان
المحذور اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما
فى جزءيها بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة
من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى
ان مرجع خبرها الى ما فيها من الحكم الايجابى او السلبى وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول

المشاركة

فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها فى نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة
بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها
فى نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة قطعا وانما لم
يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قايم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندى
ان زيدا قايم للتجافى عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نايبة عن المكسورة التى يمتنع
دخولها على المفتوحة بلا فصل وقايمة مقامها فى افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها
حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفى التحقيق اصلا
فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العرى وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت
له عليه السلام الظما والضحو مطلقا كما فعل مثله فى المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له
عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدرى المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها
عدم ظمايك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اى انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال
اما بدل من وسوس او استيناف وقع جوابا عن سوال نشا منه كانه قيل فماذا قال فى وسوسته فقيل
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اى شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على
حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى
لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما
عريا عن النور الذى كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة قد مر تفسيره فى سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل
عن مطلوبه الذى هو الخلود او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى
من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته
تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اى اصطفاه وقربه اليه بالحمل على
التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعته او من جلى الى
كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفى التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اى قبل توبته حين
تاب هو وزوجته قايلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده
عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اى الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب
العصمة قال استيناف مبنى على سوال نشا من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا
امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اى انزلا من الجنة الى الارض وقوله
تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب فى اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد
اى متعادين فى امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما ياتينكم منى هدى وضع
الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة فى ايجاب اتباعه فمن تبع هداى
فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ومن اعرض عن ذكرى اى عن الهدى الذاكر لى والداعى الى
فان له فى الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
ككسرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها

وخايف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويتسع ببركة
الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر **ونحشره** وقرئ بسكون الهاء على لفظ
الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط **يوم القيمة اعمى** فاقد
البصر كما في قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل **قال**
استيناف كما مر **رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا** اى في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في
الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الاية ومحل الوقف **قال كذلك** اى
مثل ذلك الشأن الذي كنت فعلته في الدنيا **اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** تترك
في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال
القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما
الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا **وكذلك** اى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية
نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات **ولم يؤمن بايات ربه** بل كذبها واعرض عنها **ولعذاب
الاخرة** على الاطلاق او عذاب النار **اشد وابقى** اى من ضنك العيش او منه ومن الحشر على
العمى **افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله
تعالى وكذلك نجزي الاية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين
والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير للمشركين المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مال امرهم
كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها الاية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله
اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه
ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا
الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون
وقوله تعالى **يمشون في مساكنهم** حال من القرون او مفعول اهلكنا اى اهلكناهم وهم في حال
امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا
للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا
الى الشام مشاهدين لاثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم
مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمكنون من المشي **ان في ذلك** تعليل للانكار
وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه **لايات** كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات
الدلالة على الحق فاذن هو هاد وايما هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم **لاولي النهى**
لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بايات الله تعالى

لمين كرم

تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل
لا المفعول وقوله تعالى **ولولا كلمة سبقت من ربك** كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع
ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الاية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اى ولولا
الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه
لكان عقاب جناياتهم **لزاما** اى لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم
ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان
ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل الة اللزوم لفرط لزومه
كما يقال لزاز خصم **واجل مسمى** عطف على كلمة اى ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم
القيمة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار
باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الاي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد اى لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ
العاجل **فاصبر على ما يقولون** اى اذا كان الامر على ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل
امهال فانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم
بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر **وسبح** ملتبسا **بحمد ربك** اى صل وانت حامد
لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق
بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر
المناسب لقوله تعالى **قبل طلوع الشمس** الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر **وقبل
غروبها** يعني صلاتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى
قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر **ومن اناء الليل** اى من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وانآء بالفتح
والمد **فسبح** اى فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل
فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان
ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا **واطراف النهار** تكرير لصلاتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما
بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر
فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس
او امر بالتطوع في اجزاء النهار **لعلك ترضى** متعلق بسبح اى سبح في هذه الاوقات رجاء ان
تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اى يرضيك
ربك **ولا تمدن عينيك** اى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل **الى ما متعنا به** من زخارف
الدنيا وقوله تعالى **ازواجا منهم** اى اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور
للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اى الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم
على انه بمعنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا **زهرة الحيوة الدنيا**
منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اى اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية من محل به

ومن ازواجاً بنصبه بمضاف اوبه وبه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهَرة بفتح الهاء وهي لغة
كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه
المؤمنون الزهاد **لنفتنهم فيه** متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار
بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه **ورزق**
ربك اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى **خير** مما منحهم في الدنيا
لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه **وابقى** فانه لا يكاد
ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا **وأمر اهلك بالصلوة** امر عليه السلام بان يأمر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا
يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة **واصطبر عليها** وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش **لا**
نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك **نحن نرزقك** واياهم ففرغ بالك لامر
الآخرة **والعاقبة** المحمودة **للتقوى** اي لاهل التقوى على حذف المضاف او اقامة المضاف اليه مقامه
تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه
الآية **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه** حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر
عليها اي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة
والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤوا
بالتفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى **اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى** اي التوراة
والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته تعالى وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من
انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان
حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان ولا ريب في ان
العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين
والآخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد
وروده واي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة
والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت
عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق
باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاثباته واسناد
الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة
لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم يأتهم سائر الآيات ولم يأتهم خاصة
بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا
وان اجترؤوا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف
بالسكون تخفيفا وقوله تعالى **ولو انا اهلكناهم بعذاب** الى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى
لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل **من قبله** متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب
اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم **لقالوا** اي يوم القيامة **ربنا**

لولا ارسلت الينا في الدنيا **رسولا** مع كتاب **فنتبع آياتك** التي جاءنا بها **من قبل ان نذل** بالعذاب
في الدنيا **ونخزى** بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء **قل** لاولئك الكفرة المتمردين **كل** اي كل واحد
منا ومنكم **متربص** منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم **فتربصوا** وقرئ فتمتعوا **فستعلمون** عن
قريب **من اصحاب الصراط السوي** اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوأى
والسوي تصغير السوء **ومن اهتدى** من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء
خبرهما ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم
العائد معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على
الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن
الا سورة طه ويس والله اعلم

سورة الانبياء عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان
قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي ينفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب
حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر
ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق النظم الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم
ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب
اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون
الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة
على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس حسابهم مع انه
تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم
حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان
العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره
بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد
بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما
الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل
آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل
معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيطارح الى التوجيه بالوجه الاول دون
الآخرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد
والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على
الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر **وهم في غفلة**
اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون

فيكون ؟

الجزء السابع عشر

ثم اقترب للناس الحساب ؟

به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من اجزاء **معرضون** اى عن الايات والنذر المنبهة لهم عن سنة
الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار
بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس ويجوز كون الظرف حالا من المستكن فى معرضون **ما**
يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القران تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه
كانها نفس الذكر ومن فى قوله تعالى **من ربهم** لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو
صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان
الربوبية لتشديد التشنيع **محدث** بالجر صفة لذكر وقرى بالرفع حملا على محله اى محدث تنزيله
بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى **الا استمعوه** استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول
يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف والمشهور وقوله تعالى **وهم يلعبون** حال من فاعل استمعوه
وقوله تعالى **لاهية قلوبهم** اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث
فى حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية
عنه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وقرى لاهية بالرفع على
انه خبر بعد خبر **واسروا النجوى** كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة
والنجوى اسم من التناجى ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا فى اخفائها واسروا نفس التناجى
بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى **الذين ظلموا** بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم
موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى
هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله
تعالى **هل هذا الا بشر مثلكم** الى اخره فى حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال
نشأ عما قبله كانه قيل ماذا قالوا فى نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف
عليه او على انه بدل من النجوى اى اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفى والهمزة فى قوله تعالى
افتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **وانتم تبصرون**
حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اى من
جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم
تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز فى اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان
كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزعمهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذى
يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق
العهد وترتيب مبادى الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد فى هدم امر النبوة واطفاء
نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون **قال ربى يعلم القول فى السماء والارض** حكاية
من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما اوحى اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف
سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهانى مع ما فيه
من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا
كما فى علوم الخلق وقرى قل ربى الخ وقوله تعالى فى السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا
من القول اى كائنا فى السماء والارض وقوله تعالى **وهو السميع العليم** اى المبالغ فى العلم بالمسموعات

بالمسموعات والمعلومات التى من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلى
مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد **بل قالوا اضغاث احلام** اضراب من جهته تعالى وانتقال من
حكاية قولهم السابق الى حكاية قول اخر مضطرب فى مضارب البطلان اى لم يقتصروا على ان يقولوا
فى حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفى حق ما ظهر على يده من القران الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط
احلام ثم اضربوا عنه فقالوا **بل افتراه** من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم
قالوا **بل هو شاعر** وما اتى به شعر يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج
متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى
من جهته تعالى والثانى والثالث من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه
كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب فى انه كان ينبغى ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار
بان بل قالوا مفعول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا
هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عن امثاله **فليأتنا بآية** جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن
كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية **كما ارسل الاولون** اى مثل الاية التى ارسل بها الاولون
كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لاية ويجوز ان
تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهى نعت لمصدر محذوف اى فليأتنا باية
اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالاية من فروع الارسال
بها اى مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من
الاتيان والارسال فى كل واحد من طرفى التشبيه لكنه ترك فى جانب المشبه ذكر الارسال وفى
جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى الموطن الاخر حسبما مر فى اخر
سورة يونس عليه السلام **ما آمنت قبلهم** كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم
من الوعد الضمنى بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم فى اقتراح تلك الايات كالباحث عن حتفه
بظلفه وان فى ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم
قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل فى الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا
ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان
هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال وقوله **من قرية** اى من اهل قرية فى محل الرفع
على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى **اهلكناها** اى باهلاك اهلها لعدم
ايمانهم بعد مجىء ما اقترحوه من الايات صفة لقرية والهمزة فى قوله تعالى **افهم يؤمنون** لانكار الوقوع
والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان
الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الايات اهم لم
يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما
على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة فى الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على
عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأى الجمهور وقوله
تعالى **وما ارسلنا قبلك الا رجالا** جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت

قولهم كما ارسل الاولون من التعريض لعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله
تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز
فلابد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم
بمعجزين وفي قوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق انما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في
الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو
كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من
استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم
للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا
من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم
قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستاهلين للاصطفاء والارسال نوحي
اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير
فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون
انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم
بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة
الاستنكار والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما انه الحقيق
بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف
العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي
ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم السلام
لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين
في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح
الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل اسوة
لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد
جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان
لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من
صغر البعوض وكبر الفيل كما في قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل
ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى
لا ياكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب محتاجا الى ذلك
لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا

كما نواهم وما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم
الخ لا امر مستانف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملائكة او الابدية وهم معتقدون ن
انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالاخرة على حسب اجالهم لا ملائكة
ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة
مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم
ما لهذا الرسول ياكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية
وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد
الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين
ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالاخرة وهو السر في حماية العرب من
عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا
اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقية القران العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض
الناس عما ياتيهم من اياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى
وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم
الصلاة والسلام وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار مزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطب في
اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله
تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا موكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر بانه جميل الاثار
مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون
اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه
موعظتكم وهو الانسب لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي
فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر
التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون
او الا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم
قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم
وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز
وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة
على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة
لقرية وثمة مضاف ينبئ عنه الضمير الاتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بايات الله
تعالى كافرين بها كدابكم وانشانا بعدها اي بعد اهلاكها قوما اخرين اي ليسوا منهم نسبا
ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم انشاء حكاية
هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي ادركوا عذابنا
الشديد ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين
راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال
من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه

من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة **ومساكنكم** التي كنتم تفتخرون بها **لعلكم تسألون** تقصدون
للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تتفقدون اذا رئيت مساكنكم خالية وتسألون
اين اصحابها او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء او بخلا فقيل
لهم ذلك تهكما الى تهكم **قالوا** لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب **يا ويلنا** اي هلاكنا
انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه
حين لم ينفعهم ذلك **فما زالت تلك دعواهم** اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى
اي دعوة لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك **حتى جعلناهم حصيدا** اي
مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع **خامدين** اي ميتين من خمدت النار اذا
طفيت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا
او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد **وما خلقنا السماء والارض**
اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة
للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات
تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل
ذنوبهم اي ما خلقناهما **وما بينهما** من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها
وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك
باللعب واللهو حيث قيل **لاعبين** لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة
ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا
وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على
الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى **لو**
اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى
به ويلعب **لاتخذناه من لدنا** اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات
لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش
وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى **ان كنا**
فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما
كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم ولا ارادة
اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
فالمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده **بل نقذف بالحق على الباطل** اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن
ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله
اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد **فيدمغه**
اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو
الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو

الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب
وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم **فاذا هو زاهق** اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة
الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل
ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية
متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما
مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه
الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد ونحوه مما تصفونه تعالى به **وله من في**
السموات والارض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام
كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا
وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا
ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم
لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره
لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبراء **ولا يستحسرون** ولا
يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم
بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور
مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة
الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة
وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض
للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية **يسبحون**
الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع
جوابا عما نشأ مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون
الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى **لا يفترون** اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا
بفراغ او بشغل آخر **ام اتخذوا آلهة** حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال
من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة
وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون
له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار
الوقوع لا انكار الواقع قوله تعالى **من الارض** متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة
وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى **هم ينشرون** اي يبعثون الموتى صفة
لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة من الارض
هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك
وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة
انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة
حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى أفي الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته

كنتم تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ
بدو يجوز ان يجعل من مستتبعات ادعايهم ابطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابدا
والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كانهم جعلوها مدعين
لاصل الانشار **لو كان فيهما آلهة الا الله** ابطال لتعدد الالهة لا لان للجمعية مدخلا في
الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لالهة ولا مساغ للاستثناء
لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد
لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء مشروط بان يكون في
كلام غير موجب اى لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم ابطل **لفسدتا**
اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى الثاني علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة
للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة
فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل
متعددة واما بتاثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما
بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الالهة فيهما والا فالبرهان يقتضى استحالة التعدد
على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت
تعارضت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى الثاني تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله
تعالى **فسبحان الله** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اى فسبحوه
سبحانه اللائق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة
في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه
تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **رب العرش** صفة للاسم
الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل **عما يصفون** متعلق بالتسبيح اى فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من
دونه آلهة **لا يسأل عما يفعل** استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس
لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية
وهم اى العباد **يسألون** عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد اي م
للكفرة **ام اتخذوا من دونه آلهة** اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة
باظهار خلوها عن خصائص الالوهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة
تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة
مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على
دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة
لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين
اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية
بالكلية **قل** لهم بطريق التبكيت والقام الحجر **هاتوا برهانكم** على ما تدعونه من جهة العقل
والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وفي
اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى **هذا ذكر من**

من معي وذكر من قبلي اثارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به
السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحي
الوارد في شان التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اى عظتهم وذكر الامم السالفة
قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم
الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير
الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرى بالتنوين و
الاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل
وبعد وقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون الحق** اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن
وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق
وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل **فهم** لاجل ذلك **معرضون** ن
اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال
وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرى الحق
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب وقوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك من** تاكيد للسببية ح
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد
مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرى يوحى على صيغة الغائب مبنيا
للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي **وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا** حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن
ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله
تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك
والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال
شناعة مقالتهم الباطلة **سبحانه** اى تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اى بعد
او سبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى
بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى **مكرمون**
مقربون عنده وقرى مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى **لا يسبقونه
بالقول** صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اى لا يقولون شيئا حتى
يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى
تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية
استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة
له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرى لا يسبقونه بضم الباء من سابقه
فسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته
تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم
بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم **وهم بامره يعملون** بيان لتبعيتهم له تعالى في
الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم

له تعالى كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون لا بغير أمره أصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار
معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما
قبله وتمهيدا لما بعده فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون
يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع
له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون وأصل الخشية
الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون
معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى بالعكس الأمر ومن يقل منهم أي من الملائكة إذ الكلام
فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم إني إله من دونه متجاوزا إياه تعالى فذلك أي الذي
فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم
المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث
يتوهم في حقهم ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي
مؤكد لمضمون ما قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها
ويتعدون أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي
لا جزاء أنقص منه أولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة
على استقلاله تعالى بالألوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للإنكار والواو
للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن السموات والأرض
كانتا أي جماعتا السموات والأرضين كما في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن
تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى إما على حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا
ذواتي رتق أو مرتوقتين وقرئ رتقا أي شيئا رتقا أي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما
في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله
تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والأرض
ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان ملتصق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها
وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت
السماء مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين أن
السموات كانتا رتقا مستوية صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات
فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق أو السموات جميعا على أن لها مدخلا في
الأمطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها
لكنهم متمكنون من علمها إما بطريق النظر والفكر فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما
بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي أي خلقنا من الماء كل حيوان
كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه
به أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا

به لا لمجرد أن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك
مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على أنه صفة كل ومفعول ثان والظرف كما في الوجه الأول قدم
على المفعول للاهتمام به والتشويق إلى المؤخر أفلا يؤمنون إنكار لعدم إيمانهم بالله وحده مع
ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة على تفرده عز وجل بالألوهية
وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر
يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالا
ثوابت جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا
ريب في صحته كقوله تعالى أشهر معلومات وأيام معدودات أن تميد بهم أي كراهة أن تتحرك وتضطرب
بهم أو لئلا تميد بهم فحذف اللام ولا لعدم الإلباس وجعلنا فيها أي في الأرض وتكرير الفعل لاختلاف
المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة إلى الطرق فجاجا مسالك
واسعة وإنما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد أنه تعالى حين خلقها
كذلك أو ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون إلى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة
أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها
الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم
بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر
والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما آيتاهما
بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء
بفحوى الكلام أي هو الذي خلقهن وحده كل أي كل واحد منها على أن التنوين عوض عن
المضاف إليه في فلك يسبحون أي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس
كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما
والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
أي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لإنكار مضمونها
بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بإنكار خلودهم ونفيه إنكار ما هو مدار
له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فإن الشماتة بما يعتريه أيضا مما لا ينبغي أن يصدر
عن العاقل كأنه قيل أفإن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة
الموت أي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما أنكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب إما
للناس كافة بطريق الالتفات أي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل
التلوين أو للكفرة بطريق
تصبرون وتشكرون أو لا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وإلينا ترجعون أي لا إلى غيرنا
استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعد ووعيد وعلى
الثاني وعيد محض وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب
والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات وإذا رآك الذين كفروا أي المشركون إن يتخذونك

الا هزوا اى ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه
هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك
هزوا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى أهذا الذى يذكر آلهتكم على
ارادة القول اى ويقولون او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما فى قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
الى آخره وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون فى حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر
والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم التى لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر
الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن
كافرون فهم احق بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقديم
لرعاية الفواصل والضمير الثانى تأكيد لفظى للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله
بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره
كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه
وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روى انها نزلت فى النضر بن
الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس
ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى انه
لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى
آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق خلقا ناشئا من
عجل وذكره لبيان ان ارثه دواعى عجلته فى الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام
ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى سأريكم آياتى
تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد
اى سأريكم نقماتى فى الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه
نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اى وقت مجئ الساعة التى كانوا
يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا
طلب التعيين وبيته بطريق الالزام كما فى سورة الملك ان كنتم صادقين اى فى وعدكم بانه
يأتينا والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن
مجئ الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف فى مثل قوله تعالى
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه
بطريق العجلة فان ذلك فى قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين
لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من
العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع فى الشرط وان كان المعنى على
المضى لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء
استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما فى قولك لو تحسن الى لشكرتك فان المعنى
ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه بما فى حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذى كانوا يستعجلونه واضافته الى
الجملة الجارية مجرى الصفة التى حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع
انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام
فى سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى ولو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذى يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذى يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور
بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون
على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولاهم ينصرون من جهة الغير فى دفعها الخ لما فعلوا من
الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوا
وقوله تعالى الى آخره استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين
يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم
اى العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير
على ان الضمير للوعد والحين وكذا الهاء فى قوله تعالى فلا يستطيعون ردها هنا وقيل
الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون
ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اى يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم
فى الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم
عليه السلام فى ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة
عليهم السلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بمحذوف هو صفة له اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من
زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اى احاط عقيب ذلك
او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق
ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اى من اولئك الرسل عليهم السلام
متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان
لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما
مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثار
الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم
بكلهم من حيث هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال
الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال
فان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصورة جوهرية
مناسبة لها فى الحسن والقبح وعلى ذلك بنى الوزن وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف وفى قوله
تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر
تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين
بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اى يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اى من بأسه الذى

يستعجلون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعا وأشد وقعا وفي التعرض
لعنوان الرحمانية إيذان بأن كالئهم ليس إلا رحمته العامة وبعد ما أمر عليه السلام بما ذكر من السؤال
على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم لأنهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون
الآفات فهم أحقاء بأن يكلفوا الاعتراف بذلك فيقلعوا عما هم عليه من الإشراك أضرب عن ذلك
بقوله تعالى **بل هم عن ذكر ربهم معرضون** ببيان أن لهم حالة أخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم
هي أنهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه ويعدوا ما كان عليه من الأمن والدعة
حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤي وأحجار وفي تعليق الإعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف
إلى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية
القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة أم في قوله تعالى **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا**
منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عما قبله من بيان أن جهلهم بحفظه تعالى إياهم
لعدم خوفهم الناشئ عن إعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم وإسنادهم
الحفظ إليها والهمزة للإنكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب
منعنا أو حفظنا أو من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الإنكار
والنفي إلى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا إلى نفس الصفة بأن يقال أم تمنعهم آلهتهم الخ
من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا **لا
يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون** استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان
اعتقادهم أي هم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم
أن ينصروا غيرهم وقوله تعالى **بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر** إضراب عما توهموا
ببيان أن الداعي إلى حفظهم تمتيعنا إياهم بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان
ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا
كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على أنه طمع فارغ وأمل كاذب حيث قيل **أفلا يرون**
أي لا ينظرون فلا يرون **أنا نأتي الأرض** أي أرض الكفرة **ننقصها من أطرافها** كيف يتوهمون أنهم ناجون من
بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله تعالى من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفها إلى ديار الإسلام
أفهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لإنكار ترتيب الغالبية على ما
ذكر من نقص أرض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم
عليهم كما مر في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل أفاتخذتم من دونه أولياء وفي
التعريف تعريض بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها **قل إنما أنذركم** بعد ما بين من
جهته تعالى هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند إتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك وإعراضهم
عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي أحوالهم أمر عليه السلام
أن يقول لهم إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة **بالوحي** الصادق الناطق بإتيانها وفظاعة ما فيها
من الأهوال أي إنما شأني أن أنذركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها فإنه مزاحم للحكمة التكوينية
والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني وقوله تعالى **ولا يسمع الصم الدعاء** إما من تتمة الكلام الملقن

تجاوز

موضعه

الملقن تذييل له بطريق الاعتراض فقد أمر عليه السلام بأن يقول لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال
الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما أوليا أو للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى **إذا ما ينذرون** مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذارا
كان أو تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما أن إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام
لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فإذا لم يسمعوها
يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها وأما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم
معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الإسماع بنصب الصم والدعاء
كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم وقرئ بالياء أيضا على أن الفاعل هو عليه السلام وقرئ
على البناء للمفعول أي لا يقدر أحد على إسماع الصم وقوله تعالى **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك**
بيان لسرعة تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي أي وبالله لئن أصابهم أدنى إصابة أدنى شيء
من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرهما وبنائهما فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء **ليقولن
يا ويلنا إنا كنا ظالمين** ليدعن على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى
ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند إتيان ما أنذروه أي نقيم الموازين العادلة التي توزن
بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال
وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الأعراف وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة
ليوم القيامة التي كانوا يستعجلونها أي لجزائه أو لأجل أهله أو فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من
الشهر **فلا تظلم نفس شيئا** حقا من حقوقها أو شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه إن خيرا فخير
وإن شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين **وإن كان** أي العمل المدلول عليه بوضع
الموازين **مثقال حبة من خردل** أي مقدار حبة كائنة من خردل أي وإن كان في غاية القلة والحقارة
فإن حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على أن كان تامة **أتينا بها** أي أحضرنا
ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة وقرئ آتينا بها أي
جازينا بها من الإيتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرئ أثبنا
من الثواب وقرئ بها **وكفى بنا حاسبين** إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا **ولقد آتينا موسى وهارون
الفرقان وضياء وذكرا للمتقين** نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا
رجالا نوحي إليهم إلى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم
وتصديره بالتوكيد القسمي لإظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا
بالضياء والذكر أي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق
والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين
بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره المغتنمون لمغانم آثاره أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع
والأحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والأول هو اللائق بمساق النظم الكريم فإنه
لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولأن
فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقرئ ضياء بغير واو
على أنه حال من الفرقان وقوله تعالى **الذين يخشون ربهم** أي عذابه مجرور المحل على أنه صفة

ما وجد للمتقين او بدل وبيان او منصوب او مرفوع على المدح **بالغيب** حال من المفعول اى يخشون
عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا
ما انذروه وقيل من الفاعل **وهم من الساعة مشفقون** اى خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم
الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها
معظم المخوفات والتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه **وهذا** اى القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح
امره **ذكر** يتذكر به وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر
السورة الكريمة **مبارك** كثير الخير غزير النفع يتبرك به **انزلناه** اما صفة ثانية لذكر او خبر
افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كانه قيل ابعد
ان علمتم ان شأننا كشأن التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك
بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا **ولقد آتينا ابرهيم رشده** اى الرشد
اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة
بالوحي والاقتدار على صلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشَده وهما لغتان كالحزن والحزَن
من قبل اى من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال
القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وبابائه المقام **وكنا به عالمين** اى
بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى **اذ**
قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله
واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اى اذكر وقت قوله لهم **ما هذه التماثيل**
التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء موضوع مشبه
بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب
بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها
معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض
من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون
التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انهم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى
العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين** اجابوا بذلك لما ان
مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم
بالعكوف لها كانه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم
ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث **قال لقد**
كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة **في ضلال** عجيب لا يقادر قدره **مبين** اى ظاهر
بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء لمعنى كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال
لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اى والله لقد كنتم مستقرين
على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة
قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام

من تذكرهم

٦١

عليه السلام اباهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد **اجئتنا**
بالحق اى بالجد **ام انت من اللاعبين** فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ابراز
الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم **قال** عليه السلام
اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك **بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن**
وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض ووصفه
تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون
كذلك بمعزل من الربوبية اى انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما
تعبدون من غير مثال يحتذى به ولا قانون ينحى نحوه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم
واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات
وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان
من الشاهدين اى العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه
وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن
عليه **وتالله** وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب **لاكيدن**
اصنامكم اى لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما
قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد **بعد ان تولوا مدبرين** من عبادتهم الى عيدكم وقرئ
تولوا من التولي بحذف احدى التاءين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله
تعالى **فجعلهم** فصيحة اى فولوا فجعلهم **جذاذا** اى قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي
هو القطع كالحطام بمعنى المحطوم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ وجذذا جمع
جذ روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا
بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عليه السلام
فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس في
عنقه وذلك قوله تعالى **الا كبيرا لهم** للاصنام **لعلهم اليه** اى الى ابرهيم **يرجعون** فيحاجهم
بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه
في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار
عن كسرهم **قالوا** اى حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا **من فعل هذا بآلهتنا** على طريقة الانكار
والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع
وقوله تعالى **انه لمن الظالمين** استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على
انها خبرها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراءته على اهانتها
وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة او بتعريض نفسه **قالوا** اى بعض
منهم مجيبين للسائلين **سمعنا فتى يذكرهم** اى يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم
اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون

كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح
وجذذ جمع جذيذ

سمعوه عم بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة
الى التصحيح يقال له ابرهيم صفة اخرى لفتى اى يطلق عليه هذا الاسم قالوا اى السائلون فاتوا به
على اعين الناس اى بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم فى مكان مرتفع لا يخفى على احد لعلهم يشهدون
اى يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل
لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فاذا فعلوا
به بعد ذلك هل اتوا به او لا فقيل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم اختصارا على
حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غنى عن
البيان قال بل فعله كبيرهم هذا يشير الى الذى لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤدى
به الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التامل فى شان آلهتهم
مع ما فيه من التوقى من الكذب حيث ابرز الكبير قولا فى معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما
ابرزه فى ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس فى عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبب حيث كانت
تلك الاصنام غاضته عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ
كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو
حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد
ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا
غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب
الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل
الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى يبلغ فيه
غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك بما لو قال لك امى فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير
بحسن الخط أأنت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع
الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى فى المثال
المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله فى
السؤال لابتنائه على صدوره عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب فى ان مراده عليه السلام
من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم فى سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره
عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التامل فى احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله
تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اى ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام
ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو
الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله تعالى
فرجعوا الى انفسهم اى راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على
الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف
يستحق ان يكون معبودا فقالوا اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اى بهذا السؤال
لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن
الظالمين او انتم ظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤوسهم اى انقلبوا الى المجادلة بعد

ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا على البناء للفاعل اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اى قائلين
والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفى النطق لا نفى
استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم أفتعبدون اى اتعلمون ذلك فتعبدون من دون
الله اى متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية
للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا أف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر
منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لمزيد استقباح ما
فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون اى الا تتفكرون
فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت
بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة
حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اى النصر او شيئا
يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من
اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض روى انهم لما اجمعوا على احراقه عم بنوا له
حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فجمعوا له
صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى
ان كانت الطير لتمر بها وهى فى اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا
كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد
فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فوضعوه
فيه فرموا به فيها فقال له جبريل عليه السلام هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسأل ربك
قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا
يا نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم اى كونى ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه
مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى
ان الملائكة اخذوا بضبعى ابرهيم واقعدوه الى الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم
تحرق النار منه الا وثاقه روى انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت
اطيب عيشا منى اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر
نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا فى روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيآت
والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشى
فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذى رأيته قال ذلك ملك الظل ارسله الى
ربى ليؤنسنى فقال انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام
لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف
بقرة فذبحها وكف عن ابرهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهكذا كل آية من
بدائع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على

هذه الهيآت مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها
كما تراه في السمندر كما يشعر به قوله تعالى على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به
فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على
انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبيا
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل
كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالموتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي وكل واحد من هولاء الاربعة
لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي يهدون
اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات
ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله
تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته
وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون
غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى آتيناه اي
وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبيا
عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسند
اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يوذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين
فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت
لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك
ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هولاء المذكورين فاستجبنا
له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان
وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل
من القوم الذين كذبوا بآياتنا وحمله على فانتصرنا اياه مما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره
يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء
تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك
في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله
واما المضمر معطوف ذلك العامل بتقدير المضاف في قوله تعالى اذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر
وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث
اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل وبدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي
تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين
والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ

لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم وممهد لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها
سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه
دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له
بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه
داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع
الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود
الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليه
كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام لا اظهار رفقا عنده بل وجب عليه ان يظهره بدا وحرم
عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص
بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمان استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين
وراي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة
الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة
الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم
بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم
ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا
فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق
ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه
مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص
شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان
ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد
وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى توهمه
تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي وكل واحد
منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه
مجتهدا وقيل بل ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل
توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان
حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من
كرامة تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او
يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استيناف مبين لكيفية
التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه
ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع
منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال قائلهم
البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا

أو بعد وفي هو صفة لبوس لتحصنكم اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على أن الضمير لداود عليه السلام
أو للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة
المستفادة من لام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل أنتم شاكرون أمر
وارد على صورة الاستفهام للمبالغة أو التقريع ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح وإيراد اللام ههنا دون الأول
للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد
الكلي له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه
المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وجل عاصفة حال من الريح والعامل
فيها الفعل المقدر أي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث أنها كانت تبعد بكرسيه في مدة
يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء
تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر الظرف المقدم وعاصفة
حال من ضمير المستند في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بأمره
بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأول أو حال من ضميرها إلى الأرض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا
بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر إلى الشام
وإلى حيث شاء ثم يعود إلى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين أي
وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء
وخبره ما قبله والأول هو الأظهر ويعملون عملا دون ذلك أي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع ع
الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء إما الفرقة الأولى وغيرها
لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع إليها باعتبار معناها بعدما روعي جانب لفظها بقوله
تعالى ومن الشياطين روي أن المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين
وقوله تعالى وكنا لهم حافظين أي من أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل
وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان
دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار وأيوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان
أي واذكر خبر أيوب إذ نادى ربه أني أي بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين
النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وأنت أرحم
الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى عن عرض المطلوب لطفا في
السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن إسحق استنبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه
الله تعالى بهلاك أولاده وهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث
عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روي أن امرأته ماصر بنت ميشا بن يوسف
أو رحمة بنت افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال أستحيي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي أن
إبليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا إله الأرض فعلت بزوجك ما فعلت لأنه تركني وعبد إله السماء
فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال
والولد وعافيت زوجك فرجعت إلى أيوب وكان ملقى على الكناسة لا يقرب منه أحد فأجرته

فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لأضربنك مائة
صوت وحرام علي أن أذوق بعد هذا اليوم شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في
الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب مسني الضر وأنت أرحم
الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل
منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين
أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحا ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسي حلة
وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له
من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم
وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم إن امرأته قالت في نفسها هب أنه طردني أفأتركه
حتى يموت جوعا ويأكله السباع لأرجعن إليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال
وقد تغيرت الأمور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن تأتيه
وتسأل عنه فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك
المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال أتعرفينه إذا
رأيتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم أيوب وذكرنا إياهم بالإحسان وعدم
نسياننا لهم وإسمعيل وإدريس وذا الكفل أي واذكرهم وذو الكفل إلياس وقيل يوشع بن
نون وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف عمل الأنبياء في زمانه
وثوابهم فإن الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل أي كل واحد من هؤلاء من الصابرين
أي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الأمر
بذكرهم وأدخلناهم في رحمتنا أي في النبوة أو في نعمة الآخرة إنهم من الصالحين أي
الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم
من كدر الفساد وذا النون أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام إذ ذهب مغاضبا
أي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم
قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك
وهو من بناء المبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا
فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرئ
مشددا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه أي نعامله
معاملة من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى يحسب
أن ماله أخلده أي نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت
ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة
أي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني تف

الحوت وظلمة البحر والليل أن لا إله إلا أنت أي بأنه لا إله إلا أنت على أن أن مخففة من أن
وضمير الشأن محذوف أو أي لا إله إلا أنت على أنها مفسرة سبحانك أنزهك تنزيها لائقا بك من أن
يعجزك شيء وأن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي إني كنت من الظالمين لأنفسهم بتعريضها للهلاك
حيث بادرت إلى المهاجرة فاستجبنا له أي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف
وجه وأحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ون
نجيناه من الغم بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة أيام
وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك أي مثل ذلك الإنجاء الكامل ننجي المؤمنين
من غموم دعوا الله تعالى فيها بالإخلاص لا إنجاء أدنى منه وفي الإمام نجي على البناء للمفعول فلذلك
أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على أن أصله ننجي
فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف
المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين
مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير
المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا أي واذكر خبره إذ نادى ربه وقال
رب لا تذرني فردا أي وحيدا بلا ولد يرثني وأنت خير الوارثين فحسبي أنت إن لم
ترزقني وارثا فاستجبنا له أي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة
في سورة مريم وأصلحنا له زوجه أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو أصلحناها للمعاشرة بتحسين
خلقها وكانت حردة وقوله تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون
إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم
في أصل الخير وهو السر في إيثار كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل
الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا
ورهبا ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين الإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب
أو المعصية أو للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين أي مخبتين متضرعين أو دائمي الوجل والمعنى
أنهم نالوا من الله ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي أحصنت فرجها أي اذكر
خبر التي أحصنته على الإطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها
عما زعموه في حقها أثر ذي أثير فنفخنا فيها أي أحيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي
هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها
أي قصتهما أو حالهما آية للعالمين فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية
ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل أريد بالآية الجنس الشامل
لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الأولى
لدلالة الثانية عليها إن هذه أي ملة التوحيد والإسلام أشير إليها بهذه تنبيها على
كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد أمتكم أي ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها و
تراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة أمة واحدة نصب على الحالية من
أمتكم أي غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام إذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع والاحتمال

والاحتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الأمم والأعصار وقرئ أمتكم بالنصب على
البدلية من اسم إن وأمة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على أنهما خبران وأنا ربكم لا إله غيري
فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا أمرهم بينهم التفات إلى الغيبة لينعى عليهم ما أفسدوه
من التفرق في الدين وجعل أمره قطعا موزعة وينهي قبائح أفعالهم إلى الآخرين كأنه قيل ألا ترون إلى
عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء كل أي كل واحدة من الفرق
المتقطعة أو كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق إلينا راجعون بالبعث لا إلى غيرنا
فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم وإيراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى
فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء أي فمن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه أي لا حرمان لثواب عمله عبر عن ذلك بالكفران
الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال تنزهه تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة
في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لإظهار الاعتداد به وإنا له أي لسعيه كاتبون أي مثبتون في
صحائف أعمالهم لا يغادر من ذلك شيء وحرام على قرية أي ممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرئ
حرم وهي لغة كالحل والحلال أهلكناها قدرنا هلاكها أو حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم
وقوله تعالى أنهم لا يرجعون في حيز الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره
والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل إلينا راجعون وما في أن من معنى التحقيق معتبر
في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لا أن عدم رجوعهم
ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق
به قوله تعالى كل إلينا راجعون لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم إلى
التوبة على أن لا صلة وقرئ إنهم لا يرجعون بالكسر على أنه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ
محذوف أي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالإيمان والسعي
المشكور ثم علل بقوله تعالى إنهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة
أيضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها أي لأنهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى إذا فتحت
يأجوج ومأجوج الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الأول غاية لما يدل عليه ما قبلها
كأنه قيل يستمر امتناع رجوعهم إلى التوبة حتى إذا قامت القيامة يرجعون إليها حين لا ينفعهم
التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر أي لا يرجعون عنه حتى إذا قامت القيامة يرجعون
عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس قالوا الناس عشرة أجزاء تسعة منها
يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ فتحت
بالتشديد وهم أي يأجوج ومأجوج وقيل الناس من كل حدب أي نشز من الأرض وقرئ جدث وهو
القبر ينسلون أي يسرعون وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد
الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الأولى فإذا
هي شاخصة أبصار الذين كفروا جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله
تعالى إذا هم يقنطون فإذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة

او مبهم يفسره ما بعده **يا ويلنا** على تقدير قول وقع حالا من الموصول اى يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط **قد كنا فى غفلة** تامة **من هذا** الذى دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق **بل كنا ظالمين** اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اى لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالايات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى **انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة فى الانذار وازاحة الاعذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التى يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الاية وقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا و النصارى عبدوا المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روى انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك ولا ما روى ان الزبعرى قال هذا شئ لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شئ منهما نصا فى عموم كلمة ما كما ان الاول نص فى خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضى شموله بطريق العبارة بل يكفى فى ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة فى المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين فى حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكرير التبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبنى عن الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة فى عبادته فى الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية فى شئ حتى يتوهم دخولهم فى الحكم المذكور بدلالة توجب تركهم للاصنام فى المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التى امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم الداخلون فى الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام فى المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين وهذا هو الوجه فى التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سياتى من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السياق والسباق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصب وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة **انتم لها واردون** استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا **لو كان هؤلاء** اى اصنامهم **آلهة** كما يزعمون **ما وردوها** وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونهم آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح فى ان المراد بما يعبدون هى الاصنام لان المراد بما يعبدون هى الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع فى الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة باجراء الكلام اليه عند بيان ما يتناوله النظم الكريم بطريق العبارة حيث سال ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصا

الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة فى عبادتهم فى الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون فى حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين **وكل** من العبدة والمعبودين **فيها خالدون** لا خلاص لهم عنها **لهم فيها زفير** اى انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا فى قوله تعالى **وهم فيها لا يسمعون** اى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام **ان الذين سبقت لهم منا الحسنى** شروع فى بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اى سبقت لهم منا فى التقدير الخصلة الحسنى التى هى احسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل فى الحمل عليه لا ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى وحرام على الخ **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل **عنها** اى عن جهنم **مبعدون** لانهم فى الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى ان عليا رضى الله عنه خطب يوما فقرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول **لا يسمعون حسيسها** ليس بنص فى كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اى لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا وان كان صوته فى غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفى فى نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة فى ابعادهم عنها وقوله تعالى **وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون** بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اى دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى **لا يحزنهم الفزع الاكبر** بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم الفزع الاكبر لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رضى الله عنه انه الانصراف عن النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت فى صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع الاعم استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا لجميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك فى النفخة الاولى دون الاخيرة كما سياتى فى سورة النمل **وتتلقاهم الملائكة** اى تستقبلهم مهنئين لهم **هذا يومكم الذى** على ارادة القول اى قائلين هذا اليوم يومكم **الذى كنتم توعدون** فى الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح فى ان المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير

والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل **يوم نطوى السماء** بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف
لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل تتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف فى توعدون اى
الطى ضد النشر وقيل المحو وقرى يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول **كطى السجل** وهى الصحيفة
طيا كطى الطومار وقرى السجل كلفظ الدلو بالكسر والسجل على وزن العمل وهما لغتان واللام
فى قوله تعالى **للكتب** متعلقة بمحذوف وهو حال من السجل او صفة على راى من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اى كطى السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحايف
وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطى حقيقة وقرى للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل
اى كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فلام للام كما ذكر وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب
اعمال بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل السجل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم **كما بدانا اول**
خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتداء اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا
من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبداء لشمول الامكان الذاتى المصحح
للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل
يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده مثل الذى بدأناه واول خلق ظرف لبدانا
او حال من ضمير الموصول المحذوف **وعدا** مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة
علينا اى علينا انجازه **انا كنا فاعلين** لما ذكر لا محالة **ولقد كتبنا فى الزبور** هو كتاب داود
عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام **من بعد الذكر** اى التورية وقيل اللوح
المحفوظ اى وبالله لقد كتبنا فى كتاب داود من بعد ما كتبنا فى التورية او كتبنا فى جميع
الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا فى اللوح المحفوظ **ان الارض يرثها عبادى الصالحون** اى
عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن
عباس رضى الله عنهما ان المراد الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم
ان فى هذا اى فيما ذكر فى السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد
والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة **لبلاغا** اى كفاية او سبب بلوغ اى البغية **لقوم**
عابدين اى لقوم همهم العبادة دون العادة **وما ارسلناك** بما ذكر وامثاله من الشرايع والاحكام
وغير ذلك من الامور التى هى مناط لسعادة الدارين **الا رحمة للعالمين** هو فى حيز النصب على
انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة
للعالمين قاطبة او ما ارسلناك فى حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت
به سبب لسعادة الدارين ومنشاء لانتظام مصالحهم فى النشأتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما
فرط فى نفسه وحرم حظه لانه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة فى حق الكفار امنهم من الخسف
والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **قل انما يوحى الى**
انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلى
من البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما
يقوم زيد اى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم كقولك انما زيد قائم اى ليس له الا صفة

الاعادة

ارض صه

صفة القيام **فهل انتم مسلمون** اى مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة
على ان ما قبلها موجب لما بعدها فان لوائه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع **فان**
تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحى **فقل لهم اذنتكم** اى اعلمتكم ما امرت به
او حربى لكم **على سواء** كائنين على سواء فى الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم
فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل و
استقامة راى بالبرهان النير **وان ادرى** اى ما ادرى **اقريب ام بعيد ما توعدون** من غلبة
المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه اتيا لا محالة **انه يعلم الجهر من القول** اى ما تجاهرون
به من الطعن فى الاسلام وتكذيب الايات التى من جملتها ما نطق بمجئ الموعود **ويعلم ما تكتمون**
من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا **وان ادرى لعله فتنة لكم** اى ما ادرى
لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم وامتحان لكم لننظر كيف تعملون **ومتاع الى**
حين اى وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة
عليكم **قال رب احكم بالحق** حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرى قل رب على صيغة الامر اى
اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه
عليه السلام حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرى رب احكم بضم الباء ورب احكم على صيغة التفضيل
ورب احكم من الاحكام **وربنا الرحمن** مبتدا وخبر اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى **المستعان**
اى المطلوب منه المعونة خبر اخر للمبتدا واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لان الدعاء
من الوظايف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لان
الاستعانة من الوظايف العامة لهم **على ما تصفون** من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير
فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امالهم وغير احوالهم ونصر
اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقرى يصفون
بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم
عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم
بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان
خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذى مر تقريره فى مطلع سورة النساء ولفظ
الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فوارد على نهج التغليب لعدم تناولها
الاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الاخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد الامر وتاكيد ايجاب
الامتثال به ترهيبا وترغيبا اى احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى **ان**
زلزلة الساعة شئ عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوبة الهائلة فان ملاحظة عظمها

ملا

ج

وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة ح لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى **يوم ترونها** منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها **تذهل كل مرضعة** اي مباشرة للارضاع **عما ارضعت** اي تغفل وتذهب مع دهشتها عما هي بصدده من ارضاع طفلها التي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاييد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها لا تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الازعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة **وتضع كل ذات حمل حملها** اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر **وترى الناس** بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المروي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلال مشاعره لان مدار حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد **سكارى** اي كانهم سكارى **وما هم بسكارى** حقيقة **ولكن عذاب الله شديد** فرهقهم هوله وبطر عقولهم وسلب تمييزهم هو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل **ومن الناس** كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحله الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي بعض الناس

الناس او بعض كائن من الناس **من يجادل في الله** اي في شانه تعالى ويقول فيه من الاباطيل ما لا خير فيه وقوله تعالى **بغير علم** حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي شاملة له ولاضرابه من العتاة المتمردين **ويتبع** اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك **كل شيطان مريد** عات متمرد متجرد للفساد واصله العرى المبني عن التخصص له كالتشمر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤس الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى **كتب عليه** اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى **انه** فاعل كتب والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان **من تولاه** اي اتخذه وليا وتبعه **فانه يضله** بالفتح على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشانه انه يضله عن طريق الجنة او طريق الحق وحق ان يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل ما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتب ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راي من يراه **ويهديه الى عذاب السعير** بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات **يا ايها الناس** اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم ابتهت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث **ان كنتم في ريب من البعث** من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع الشكير المنبي عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قدم تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **فانا خلقناكم** اي فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم **من تراب** في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم يكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا **ثم من نطفة** اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب **ثم من علقة** اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني **ثم من مضغة** اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ **مخلقة** بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة **وغير مخلقة** اي لم يستبين خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من العظام ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسر بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك فان جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا بخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة

كالجلب

خلقة كل م

خلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكثرة استبعادهم لنبين
لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم
بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التى من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق
التدريجى تاملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة
الحياة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه فى اطوار الخلقة من حال الى
حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون
فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر فى الارحام
ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف
عليه فى سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادى التبيين ايضا لان دلالة
الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التى من جملتها البعث المعرب عنه اجلى واظهر اى
ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه
ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما فى الارحام لا يشاء الله
تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقته فتسقطه والتعرض للارزاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما
جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح فى ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا ومعيبا وان ما
فصل فيما هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر بضم القاف من
قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اى من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا
اى حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد
وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة
لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير
ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما
قبلهما من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم
على التدريج المذكور لغايتين مرتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم فى الارحام
ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل
للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها و
للاشعار باصالته فى الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة والشقاوة
وايثار البلوغ مسندا الى ضمير المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب
لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التى لم
يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكانها شدة فى غير شئ بنيت على لفظ الجمع
ومنكم من يتوفى اى بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اى يتوفاه الله تعالى
ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفى على
صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اى علم كثير شيئا
اى شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله اى ليعود كما كان عليه
فى اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر

قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة
البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وهى بصرية وهامدة حال من الارض اى ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا
عليها الماء اى المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اى ارتفعت
وانبتت من كل زوج اى صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف
جئ به اثر تحقيق حقيقة البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانسانى والنباتى لبيان ان ذلك
من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل
امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التى يشاهدونها فى الانفس والآفاق
ومبادى صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول فى التحقق واظهار
بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهة
العقول والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى
ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه فى احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اى ذلك الصنع البديع
حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده فى ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيى الموتى
اى شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى النطفة
والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة
ومتعلقاتها لا باعتبار نفسها وانه على كل شئ قدير اى مبالغ فى القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات
الفائتة للحصر التى من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذى نسبته
الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فنشا
الفصول عما سيقوله النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة
التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه
النزاع والدفع فى نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اى فيما سياتى وايثار
صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقررها البتة لاقتضاء الحكمة اياها لا محالة وتعليله
بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبنى على ما ذكر من العقول وقوله تعالى لا ريب فيها
اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة فى الخبر ومعنى نفى الريب عنها انها فى ظهور امرها ووضوح
دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب فى اتيانها حسبما مر فى مطلع سورة
البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها فى حيز السببية وكذا
قوله عز وجل وان الله يبعث من فى القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما
ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته
بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح
للاستشهاد على مكانهما ليتاملوا فى ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما
من الوحى المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا
وهذا كما ترى من احكام حقيقته تعالى فى افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام

حقيقته تعالى في صفاتها وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور ذكره
من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كما انه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى
كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير
بان ماله الاستدلال بحكمته تعالى على ان اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في
سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة
آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم
المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى فمعنى ذلك ليعلموا
بان الله هو الحق المبين **ومن الناس من يجادل في الله** هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو لمن يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول
من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل للغوي على الاطلاق **بغير علم** متعلق بمحذوف
وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في
قوله تعالى **ولا هدى** هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة **ولا كتاب منير** وحي
مظهر للحق او يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما
في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان
المراد المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا استدلال من استدلال ولا وحي
فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه
بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي **ثاني عطفه** حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه
وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه
ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به
اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين والناس جميعا بتغليب المؤمنين
على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ
بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية بعده
مع تمكنه منها قبل ذلك **له في الدنيا خزي** جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريق
اي يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار **ونذيقه يوم
القيامة عذاب الحريق** اي النار المحرقة **ذلك** اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما
فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة
يكون بالايدي والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وجل **وان الله
ليس بظلام للعبيد** الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير
ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر
من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد
عرفت حاله في سورة الانفال **ومن الناس من يعبد الله على حرف** شروع في بيان حال المذبذبين

اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف
الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر **فان اصابه خير** اي دنيوي من الصحة والسعة **اطمان
به** اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لانه اطمان به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف
ولا يثنيهم عاطف **وان اصابته فتنة** اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله
انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد
ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني
فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم **خسر الدنيا والآخرة**
فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف
ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون **هو الخسران
المبين** الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله **يدعوا من دون الله** استئناف مبين لعظم الخسران
اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى **ما لا يضره** ان لم يعبده **وما لا ينفعه** ان عبده اي جمادا ليس
من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما **ذلك** الدعاء **هو الضلال البعيد** عن الحق
والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا عن الطريق **يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه**
استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم
من نفي الضر عن معبوده بطريق المباشرة ونفيه عنه بطريق التسبب ايضا فالدعاء بمعنى القول
واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة
للمبتدأ الاول وقوله تعالى **لبئس المولى ولبئس العشير** جواب قسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ
الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة
في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره
بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر
ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعوا ثانيا اعادة
للاول لا تاكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته
بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضر وما لا ينفع
يدعوا ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل
للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعوا ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من
نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستانفة **ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات** استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل
يتفضل عليهم بالغاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من
المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء
ولايته وعشرته ويتمنون مدة تامة وقوله تعالى **جنات تجري من تحتها الانهار** صفة لجنات

الذين م

رضي الله عنه

فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض
فلابد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار
التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى اوائل سورة البقرة
وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما
يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة من آمن به وصدق
رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى
عقب بقوله عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها
على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة
لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن
ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ فى استفراغ
المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقا مما يرى
من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف
بيته ثم ليقطع اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد
الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تعالى فلينظر هل
يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اى فليتصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك
الذى هو اقصى ما انتهت اليه قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصر كلا ويجوز
ان يراد فلينظر الان انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظ وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء
المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره ويأباه
ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب
ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما
قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم
على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين
يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان
الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلابد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير
رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع والاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا
وكذلك اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة انزلناه اى القرآن الكريم كله وقوله
تعالى آيات بينات اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما
اشير اليه بذلك وان الله يهدى به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او
تثبيته او زيادة فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بالمحذوف مؤخرا ولان الله يهدى
من يريد انزله كذلك والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله يهدى من يريد هدايته
ان الذين آمنوا اى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون
النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين

من دين النصارى شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام
وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى
الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة
على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب
استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شئ شهيد تعليل لما قبله من الفصل
اى عالم بكل شئ من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من
افراد الفرق المذكورة واجراء اجزيته اللائق به وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى
كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى
شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا
بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلايا التى لا يخفى على احد
والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال
المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء
سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار
فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود
الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور
اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع
على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب
فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة
وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة [?] ثم يخبر
عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اى بكفره واستعصائه وقرئ
حق بالضم وحقا اى حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف
اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمى ان الله يفعل ما
يشاء من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفى الخصام وازاحة لما عسى
يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى وتحرير لمحله اى فريق المؤمنين
وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اى فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا فى ربهم
حملا على المعنى اى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من
شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله
وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود
والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق
بالله منكم آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اى قدرت

على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب
من فوق رؤسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو قطرت منه
قطرة على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به
اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتأخيره عنها
لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في
الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم اي للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم
مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج
من النار ودنوا منه حسبما روي انها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع
فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة
الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا
من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي
وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وتغيير الاسلوب فيها
باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم
لحال الكفرة واظهار لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام جنات
تجري من تحتها الانهار يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من
الاحلاء بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست
حليها ومن في قوله تعالى من اساور وهي جمع اسورة جمع سوار وللبيان لما ان ذكر التحلية ينبئ
عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان
لاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل
عليه يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية
واوا ولوليا بقلبها يا بعد قلبها واوا ولوليا بقلبهما يا ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب
حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة
على هيئات الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم
عنه وانما المحتاج الى البيان لباسهم فيها بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية
فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان
حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض الخ وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تاخير هذه
الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها
رعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه
الاسلام ووجه التأخير حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد وذلك حسن عطفه
على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل

اما للتبعيض اي بعض اساور ح

فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان الحدث في الحرم
حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق
واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه
للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارى
وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد
الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدا
والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله
ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم بغير حق
وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا يقال بوأه منزلا اي انزله فيه
واللام مزيدة جعل الثاني مباءة الاول قيل لابرهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما
جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة و
العبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير
مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام
الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابرهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال
لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات
احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابرهيم عم
والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم البناء والرابعة بناء
ابن الزبير رحمه الله والخامسة بناء الحجاج وهذا ورد ثاني هذا البناء الآن وقيل في تفسير قوله تع
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا من
حيث انه متضمن بمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه
في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود اي ونطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل
التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت
وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي
انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال
وارحام النساء وفيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى
امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع
راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر
عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين
صفة لضامر محمولة على معنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون
الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعيق
المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر

دى

ك

عنهما

عليه
الله

العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف
هو صفة لمنافع اى منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعل غاية
الاتيان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام
معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر
ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة على التقرب
تنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر
قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اى فاذكروا
اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية
من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اى الذي اصابه بؤس وشدة
الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اى ليؤدوا ازالة
وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم
ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف
الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اى القديم
لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله
عز وجل واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اى
الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات
الله اى احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق
بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اى فالتعظيم خير له
قربة عند ربه اى في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره للتشريف والاشعار
بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم
اى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما
اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جئ به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما
عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونه من ذلك القبيل بحل الانعام
على ما ذكر من الضحايا المعهودة خاصة للاحتياج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض
قطعا للمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب
على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان
بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات
ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من
الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم
الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة
الاوثان راس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من
تحريم البحائر والسوائب ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي
انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى وتلا هذه الآية والزور من الزور

والاستعداد

الزور وهو الانحراف كالافك والماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف ومصروف
عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله غير مشركين به اى شيئا من الاشياء
في الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة
مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك
فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية
توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما
واصلها تختطفه او تهوي به الريح اى تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب
فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا شبيها باهلاك احوال الهالكين ذلك
اى الامر ذلك [illegible] ومن يعظم شعائر الله اى الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى
كما ينبئ عنه قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان
التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام
اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة
طلبت منه بثلاثمائة دينار فانها اى فان تعظيمها من تقوى القلوب اى من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب
وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء
لكم فيها اى في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت نحرها
والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اى وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية الى البيت العتيق
اى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي والمعنى ان لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها
ثم منافع دينية اعظم منها وهي في النفع محلها اى وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق
اى منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب
في قضائها واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اى محل الناس
من احرامهم الى البيت العتيق اى منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء
النسك وقرئ [illegible] ولكل امة اى لكل اهل دين جعلنا منسكا
اى متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرئ بكسر السين اى موضع نسك وتقديم الجار
والمجرور على الفعل للتخصيص اى لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا
اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي
من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان
يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل
اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته
للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم

لها دالحدود على الاحز للفقراى فاذا كان الحكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه
خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات من الوظايف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومونات النوايب والمقيمي الصلاة
فى اوقاتها وقرى بنصب الصلوة على تقدير النون وقرى والمقيمين الصلاة على الاصل ومما رزقناهم
ينفقون فى وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرى بضمها وهما جمع بدنة وقيل الاصل
ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرى بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها
الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقر فى الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا فى الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها
لكم وقرى بالرفع على انه مبتدا والجملة خبره وقوله تعالى من شعاير الله اى من اعلام دينه التى
شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اى منافع
دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اى قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وقرى صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى
يديها وتقوم على ثلاث وقرى صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرى صوافى
اى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما فى قوله ارى باق
على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهى كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع
اى الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرى القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع
له فى السؤال والمعتر اى المعترض للسؤال وقرى المعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل
ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا
تستعصى عليكم حتى تاخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوايمها ثم تطعنون فى لباتها
لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اى لن يبلغ مرضاته ولن
يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن
يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب
اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها فهم به المسلمون فنزلت كذلك
سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا
يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما هداكم اى ارشدكم الى
طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اى على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه
وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اى المخلصين فى كل ما ياتون وما يذرون فى
امورهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان
الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكهم وتقديره
بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع
فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما فى الممارسة اى يبالغ فى دفع غايلة

التسخير

غايلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد
اخرى حسبما يجدد دونهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله وقرى يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما فى ضمن
الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية
عن البغض اى ان الله يبغض كل خوان فى اماناته تعالى وهى اوامره ونواهيه او فى جميع الامانات التى
هى معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر
او للمبالغة فى نفى المحبة على اعتبار النفى اولا وايراد نفى المبالغة ثانيا اذن اى رخص وقرى على
البناء للفاعل اى اذن الله تعالى للذين يقاتلون اى يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف
لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرى على صيغة
المبنى للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سياتى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف
اظهر بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كان المشركون
يؤذونهم وكانوا ياتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه عليه السلام فيقول لهم اصبروا
فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول اية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف
وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح
بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته
تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة
توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فى حيز الجر على انه صفة للموصول
الاول او بيان له او بدل منه او فى محل النصب على المدح او فى محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مرفوعة
على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى
الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجبا
للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين فى
كل عصر وزمان وقرى دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرى هدمت
بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات اى وكنايس لليهود وسميت بها لانها يصلى
فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اى ذكرا
كثيرا او وقتا كثيرا صفة لمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة
للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل فى الصوامع والبيع والكنايس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اى وبالله لينصرن الله من ينصر
اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على
صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على كل ما
يريده من مراداته التى من جملتها نصرهم عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما

لا يمانعه شي ولا يدافعه

سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن
عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله
اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه
تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك
للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من
قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد
باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله
تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط
مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع
اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب
قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم
ممن ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد ولان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب
قوم نوح الى اخرهم وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل للمفعول لان قومه
بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم
قوم موسى لا بعنوان اخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما نطق به قوله
تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الايات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له
كان في غاية الشناعة لكون اياته في كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم
حتى انصرمت اجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك
الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير لذم المكذبين
لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت
كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم
بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية
منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة
بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اي فكثير من القرى
اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة
جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي
ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب كالمعطوف
عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط
فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان
منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي
خالية مع بقاء عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة اي مشرفة على

عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف
الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر انفا وبئر معطلة عطف على
قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله
بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنه وهذا يؤيد كون معنى
خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر
قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله
تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا
وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما
بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد
الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او اذان
يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم
اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير
راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم
وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى
من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون
في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب الموعود به اشد الانكار
وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم
ذلك بطريق التخطئة والاستنكار وقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها
لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون
مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما
او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة
مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في
الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم
المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم
يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن
على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من
المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب
في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في
قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملتان الاولى حالية
كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة
الاخرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر

بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي هو نوع تحت الاستعجال بل يكون الجواب
مبنيا على ظاهر مقالهم وتكتفي في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل
المستعجل على عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الاخرة
الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه فان
كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل طوله
بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا ترى الى قوله تعالى فكاين من قرية الخ
فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد
بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب
ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما
وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة
لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة
مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال
وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله مصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض
من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد
غيري لا استقلالا ولا اشتراكا فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم
نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما
توعدون من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده
لما اشير اليه من ان سياق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في
غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم
هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين
اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه
فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين
اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة
اصحاب الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي
يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام
ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن
الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر
جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ
في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام
وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله
ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه عنه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الدا

الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي
واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الالوهية من موجبات احكام
آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول
ل وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال
الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان
ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها
فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في
آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله عز وجل
بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل
فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله • تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل
وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو
من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من
القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لا يعرب
عنه سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا
يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في
قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم اي
المشركين وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم
مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف
الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القرآن انه الحق من ربك اي هو الحق النازل من
عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة
لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين
ن فيما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقرآن اي يثبتوا على الايمان
به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان
لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا
وجه له وان الله لهادي الذين آمنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات
صلى الله عليه وسلم التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض
مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول
والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك
فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته

فلا مساغ له لان ذلك ليس من غاياتهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شان القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة بهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيمة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي يقضي بان المراد يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه **الملك** اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق **يومئذ لله** وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدار الحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذا هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يومئذ تأتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى **يحكم بينهم** جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى **فالذين آمنوا** الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه **وعملوا الصالحات** امتثالا لما امروا في تضاعيفه **في جنات النعيم** اي مستقرون فيها **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** اي اصروا على ذلك واستمروا **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى **لهم عذاب** جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره من الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضيل لا لايجاب الاعمال الصالحات اياها وقوله **مهين** صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا

يخفى **والذين هاجروا في سبيل الله** اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى **ثم قتلوا او ماتوا** اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى **ليرزقنهم الله** جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبر المبتدأ يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى **رزقا حسنا** اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوته حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة روي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم **وان الله لهو خير الرازقين** فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله **ليدخلنهم مدخلا يرضونه** بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة وهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه **وان الله لعليم** باحوالهم واحوال معاديهم **حليم** لا يعاجلهم بالعقوبة **ذلك** خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف **ومن عاقب بمثل ما عوقب به** اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية عقوبة للمشاكلة او لكونه سببا له **ثم بغي عليه** بالمعاودة الى العقوبة **لينصرنه الله** على من بغى عليه لا محالة **ان الله لعفو غفور** اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده **ذلك** اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص من الآخر وبتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها **وان الله سميع** بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب **بصير** بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله **ذلك** اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بان الله هو الحق** الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا **وان ما يدعون من دونه** وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين **هو الباطل** اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته **وان الله هو العلي** على جميع الاشياء **الكبير** عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا **الم تر ان الله انزل من السماء ماء** استفهام تقرير كما ينبئ عنه الرفع في قوله تعالى **فتصبح الارض مخضرة** بالعطف على انزل وايثار صيغة

الاستقبال للاستقبال بتجدد الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه وعلمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالايات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء اجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستانف جيء به زجرا لمعاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرايع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي وضعنا وعينا منسكا اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لابائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عم عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على نهيه عليه السلام والمبالغة في تثبيته وايا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر الذبائح وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي

نطفا ح

التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانها عاقل وادع اي وادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقول الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم هو بناء امرهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدة اسه اعتراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او الاستدلال الا انه وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقتضي بطلانه وكونه بديهية العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم اياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام والفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه يظهر بمخايله من الاوضاع والهيآت وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا وفاء لابوهم صحة عبادة شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويبطشوا بمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا وهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوايل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول وحالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر

ون

او فاستمعوا الاجله ما اقول فقوله تعالى **ان الذين تدعون من دون الله** الى اخره بيان للمثل وتفسير
له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله تعالى في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ
يدعون بالغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاول محذوف **لن يخلقوا ذبابا**
اى لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيه من تاكيد النفي دال على منافاة ما بين
المنفي والمنفي عنه **ولو اجتمعوا له** اى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة
على مثلها اخرى محذوفة تقديره بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا له لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن
يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا ومحلها في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال **وان يسلبهم
الذباب شيئا** بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ان لا
ياخذ الذباب منهم شيئا **لا يستنقذوه منه** مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم
بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشيا وبين
ذلك بانها اعجز على اقل الاحيا واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل
الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله **ضعف الطالب والمطلوب** اى عابد
الصنم ومعبوده او الذباب الطالب بسلبه عن الصنم من الطيب المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب
كانه يطلب ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل
من كل جاهل واضل من كل ضال **ما قدروا الله حق قدره** اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا
به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشيا عنه مناسبة **ان الله لقوي** على خلق الممكنات باسرها وافنا
الموجودات عن اخرها **عزيز** غالب على جميع الاشيا وقد عرفت حال الهتهم المقهورة لاذلها العجزة
عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى **الله يصطفي من الملائكة رسلا** يتوسطون
بينه تعالى وبين الانبيا عليهم السلام بالوحي **ومن الناس** وهم المختصون بالانفس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب
ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم
شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شي من الاشيا بين
ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتدا بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات
واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شا الله لانزل ملائكة وقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل **ان الله سميع بصير**
مدرك لجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شي من الاقوال والافعال **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
والى الله ترجع الامور** لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا **يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا**
اى في صلاتكم امرهم بهما لانهم كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم
اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا **واعبدوا ربكم** بسائر ما تعبدكم به **وافعلوا الخير** و
تحروا ما هو خير واصلح في كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم
الاخلاق **لعلكم تفلحون** اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين
باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام

عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها **وجاهدوا في الله** اى لله تعالى
ولاجله اعدا دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن
غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **حق جهاده** اى جهادا فيه حقا خالصا
لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا
او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله **هو اجتباكم** اى اختاركم لدينه ونصرته
لا غيركم وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه **وما جعل عليكم في الدين من حرج** اى ضيق
بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في
اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم
الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد **ملة ابيكم ابرهيم** نصب على
المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على
الاغرا او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب
لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب
كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم **هو سماكم المسلمين من قبل** في الكتب المتقدمة
وفي هذا اى في القران والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم المسلمين او لابرهيم وتسميتهم
بالمسلمين في القران وان لم تكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وقيل هذا تقديره في هذا بيان تسميته اياكم مسلمين **ليكون الرسول** يوم القيمة متعلق بسماكم
شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع
وعصيان من عصى **وتكونوا شهدا على الناس** بتبليغ الرسل اليهم **فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة** اى
فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما **واعتصموا بالله**
اى ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه **هو مولاكم** ناصركم ومتولي امركم
فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه
عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها
بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي **سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند الكوفيين**

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقا في الخير والافلاح الدخول
في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجي متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة
من قرا على البنا للمفعول وكلمة قد لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به
ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير
ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من
دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي
لا يتحقق الا في الاخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة
الثابت وان اريد كونهم بحيث يستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على

بلغ ثاني عشر

او على اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال ولو ان الاطبا كان
حوله والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من
التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون وما
عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الاتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي
صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او تفصيلا
كما مر في اوايل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي انهم خائفون من الله عز وجل متذللون
له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السما
فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
والذين هم عن اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم
كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة
دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال
بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيهم
وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم
الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا
وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك
بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات
البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض
بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل
الذي هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ويجوز ان يراد بها
العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى
الا على ازواجهم من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على ازواجهم وفيه
ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفائها مقتضاها
وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى
اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل من متعلقه بمحذوف
وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين
على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق
لهم وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم
يقال غير حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد تكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم
عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلا او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى
فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين على
عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحراير وما شا من
الاما فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وما بدل حتما على تحريم المتعة
حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له

زوجة له فانهما لا يتوارثان ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك
ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في
الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة
لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين
هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون
عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر
في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها بجعلها فصلهما للايذان بان
كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها فاذا اتى الذكر ربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة
واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار
بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم
وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي
الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخاير وكرائمها الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها
ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة
فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان
منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا
وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد
الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستانفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من
فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون ولقد خلقنا
الانسان شروع في بيان مبدا خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا
اثر بيان حال بعض افراده السعدا واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها
والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا
اجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالة فان جعلت نطفا بعد ادوار
واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فانه فعالة اسم لما يحصل من الفعل
فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة
من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة
على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان ادم عليه السلام فانه الذي خلق من
صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم
او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان ادم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم
جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنه

بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او
لمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا
النطفة البيضاء علقة حمراء ثم خلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها
ثم خلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على
هيآت واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة او مما
انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به
وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها
وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشاناه
خلقا آخر هي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت
بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل
العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وجل وعلا
او لاحظ يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من
الجلالة او نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن الخالقين
خلقا اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه وحذف المأذون فيه في قوله تعالى
اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام
ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
مستكنا روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى
الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت
فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل
مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه
فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزل يا عمر وكان عمر رضي الله عنه
يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او
ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين
انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال الله
تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في
اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة
منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك
اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون
لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت للدلالة على الثبوت دون الحدوث الذي
يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيامة اي عند النفخة الثانية تبعثون من

قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر
بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد
خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان
كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة والكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق
ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما
اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر
بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة
فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية
متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو
بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او
التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير
ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان
اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل
واعناب لكم فيها اي في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها اي من الجنات تاكلون تغذيا
او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل
والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه العنب والرطب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير
ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه
ما قبله اي ومما انشا لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة
قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام
بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون اسم الجبل وسيناء اسم البقعة
اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على
تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور
او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء
كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه
مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشا الاصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة
اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية
لتنبت بمعنى تتضمنه وتحصله فالنبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو
اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير • رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا نبت البقل •
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج

بالدهن وينبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشى على الاخر اى ينبت بالشى الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ به الخبز اى يغمس للايتدام وقرى وصباغ كدباغ فى دبغ وان لكم فى الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين كونها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لابد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالخطاب لان محل العبرة فيه اظهر مما فى النبات وقوله تعالى نسقيكم مما فى بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما فى بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرى بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد بها الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها للحمل وهو الداعى الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد ارسلنا نوحا الى آخره ونسبه الكريم وكيفية بعثته وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هى العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شىء راسا وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على انه فاعل ومبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غيره تعالى وقرى بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون اى افلا تتقون انفسكم عذابه الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس كذلك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى تعرفون ذلك اى مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او لا

تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة فى الكمية وفى الاول فى الكيفية فقال الملأ اى الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اى يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه الصلاة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اى ولو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا اى بهذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة فى آبائنا الاولين اى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغى ان يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء فى قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبى فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ان هو اى ما هو الا رجل به جنة اى جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامى احوالهم فى المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من احكام كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل وقد اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرنى باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اى بسبب تكذيبهم اياى او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما فى الوحى من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدى او من الزيغ فى الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجىء الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة اى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى تفسير سورة

عليه السلام فاسلك فيها اى ادخل فيها يقال سلك فيه اى دخل فيه وسلكه فيه اى ادخله فيه ومنه قوله
تعالى ما سلككم فى سقر من كل اى من كل امة زوجين اى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى
اثنين فانه نص فى الفردين دون الجمعين والفريقين وقرى بالاضافة على ان المفعول اثنين اى من
كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح
فى ان الامر كان قبل صنع الفلك وفى سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى نيط به الامر التعليقى
اعتناء بشان المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقى قبل تحقق
المعلق به فى حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه وحكى على صورة
التنجيز كما فى قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك
لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اى واسلك اهلك والمراد
به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من
الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما
يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى
الى الاختلال بتجاذب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اى القول بالاهلاك لكفره
وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه
نافعا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهى ولما ينبئ عنه من
عدم قبول الدعاء اى انهم مقضى عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا
شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم باهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت
انت ومن معك اى من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين
على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلنى فى
السفينة او منها منزلا مباركا اى انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرى منزلا اى موضع نزول
وانت خير المنزلين امر عليه السلام ان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده
عليه السلام بالامر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان فى دعائه
وثنائه مندوحة عما عداه ان فى ذلك الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه لآيات جليلة
يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذووا الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة
بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف اى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب
شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل
من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روى عن ابن عباس
وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح
وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما فى قوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة وحيث
لا غاية له كما فى مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل
اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اى من
جنسهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان فى قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه

لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقوله تعالى ما لكم من اله غيره
تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اى عذابه الذى
يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام
وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى نطق به حكاية لارسال
الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما
جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة ولذلك لم يحك بطريق الاستئناف المبنى على السؤال كما
ينبئ عنه ما سيأتى من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه الذين كفروا فى محل الرفع على
انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخير من قومه لطول قوله
تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب
والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا
بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الصفات والاحوال
واشار بمثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين امره عليه السلام يأكل مما تأكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف
مع الجار لدلالة ما قبل عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما ذكر من الاحوال والصفات اى ان
امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث
اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا
دون عبادة الاصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا وقع بين اسم ان
وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب القسم محذوف وقيل ان الشرطية المصدرة باللام
الموطئة اى والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استئناف مسوق لتقرير ما قبله
من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم
اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرى بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما اى نخرة مجردة عن
اللحوم والاعصاب اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب
لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم
عظاما وقوله تعالى انكم تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى
مخرجون اى من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا
متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم
هو الاول وقرى ايعدكم اذا متم الى آخره هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد اى بعد
الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة
الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ
خبره لما توعدون وقرى بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل
وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هى الا حياتنا الدنيا اصله
ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها

وتوجيهه

يقوله

عن التصريح كما في النفس يخمل ما حملت وهي العرب تقول ما شأت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة
على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين بعد
الموت ان هو اى ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارسال وفيما يعدنا من ان الله تعالى
يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما قال اى هو عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك
في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون اى بسبب
تكذيبهم اياى واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اى من زمان
قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة
موصوفة اى عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب
فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روى ان
شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا
وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قايلهم صاح الزمان بال برمك ه
• صيحة خروا لشدتها على الاذقان ه بالحق متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل
من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اى كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين
اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا تكاد تستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اى هلكوا واللام لبيان
من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشانا من بعدهم اى بعد هلاكهم قرونا
اخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اى ما تتقدم امة من
الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستاخرون ذلك
الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من
انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك
الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل
بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة
الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين
على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف
مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء
للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون
العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امة الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم
وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل
اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب التي هي الكفر والتكذيب
وساير المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث
او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث
يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر هاهنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما
اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز

لقدم

وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الايات
التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد
فلق البحر منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اى حجة واضحة
ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الايات لما انها ام اياته عليه السلام
واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها ما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير
سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها
شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد
فرعون وقومه وغير ملايم لمقتضى المقام واما نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام
الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما
منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملايه اى اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرايل
منوط بارايهم لا باراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين
فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اى كانوا قوما عادتهم الاستكبار
والتمرد اى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد
كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل
نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس
حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شئون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها
في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس
الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جوهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني
يتلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها الى اسفل سافلين
كاولياك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرايل لنا عابدون
خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط
رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت
عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد
المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسة الدنيوية من المال والجاه كداب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة
هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحوال الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما
اى فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر القلزم
ولقد اتينا اى بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرايل من ملكتهم موسى الكتاب اى التورية وحيث كان
ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق لما هو شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل
لعلهم يهتدون اى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرايع والاحكام وقيل اريد ايتاء قوم موسى فحذف
اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملايهم اى من ال فرعون وملايهم ولا سبيل الى
عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرايل واما الاستشهاد
على ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل

ين

من جانب ويلقون ٤

على الرياسة الدنيوية والدايرة
على التقدم في نيل الحظوظ
الدنيوية ح

سة

ن

اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل المراد من قبلهم من الامم المهلكة
خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سياتي في سورة القصص **وجعلنا ابن مريم**
وامه آية واية آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات الى غير ذلك دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير
مسيس بشر لان الاية امر واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه
آية بانها ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما
كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليه السلام للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عم اليها مع
ان النسب الى الاب دالة على ان لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحدها من غير ان يكون له اب وامه التي
ولدته خاصة من غير مشاركة الاب الاية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان
تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ
وآويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها اقرب الارض
الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل
مصر فان قراها على الربا وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم **ذات قرار** مستقر من ارض منبسطة
سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر عليها ساكنوها **ومعين** اي وماء
معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو النفع لانه
نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماءها بذلك للايذان
بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره
المونق **يا ايها الرسل كلوا من الطيبات** حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به
كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عم وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم
لم يكن من خصائصه عم بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به
اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة
الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما
لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتدي بالرسل في
تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي
رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد
بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ
به من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه **واعملوا صالحا**
اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم **اني بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والباطنة
عليم فاجازيكم عليه **وان هذه** استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور
لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على
كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة **امتكم** اي ملتكم
وشريعتكم ايها الرسل **امة واحدة** اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل
الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة
على الايمان والتوحيد في العبادة **وانا ربكم** من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب

المخاطب وفي قوله تعالى **فاتقون** اي في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص
الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير
والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد
الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون اي اتقوا فاتقون كما في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل العطف
على ما اي اني عليم بان امتكم امة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم
الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان **فتقطعوا امرهم** حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم
من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسير الثاني والفاء
لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا
متفرقة واديانا مختلفة **بينهم زبرا** اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا
بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى
جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل
زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل **كل حزب** من اولئك المتحزبين **بما لديهم** من الدين
الذي اختاروه **فرحون** معجبون معتقدون انه الحق **فذرهم في غمرتهم** شبه ما هم فيه
من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم
فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم **حتى حين**
هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الآخرة والدنيا وتسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفي التنكير والابهام ما لا
يخفى من التهويل **ايحسبون انما نمدهم به** اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى
من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة
الكهف لا الجزاء لان وانما الخبر قوله تعالى **نسارع لهم في الخيرات** على حذف الراجع الى الاسم اي
ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة
لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى **بل لا يشعرون** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي
كلا لا نفعل ذلك بل لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان
ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات
وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع
مبنيا للمفعول **ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون** استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في
الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون
والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة **يؤمنون** بتصديق مدلولها **والذين هم بربهم لا**
يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في
المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك **والذين يؤتون ما آتوا**
اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات واياما كان

بصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقيق كما ان صيغة المضارع في الدلالة على الاستمرار
وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما اتوا او يفعلون من العبادات ما فعلوا
والحال ان قلوبهم خائفة لشدة الخوف انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل
على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به في الحقيقة
رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة
متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من
الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ
وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها
وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وفيه
من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة
خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة
على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير
الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم
الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم
خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
الآية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون
اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون
في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول
هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون
من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة
اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة
المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا وللترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان
انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم
بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم
يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه
من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والعقاب والثواب والمراد بالكتاب صحائف
الاعمال التي يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد
على ما هي عليه واعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال
الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو
عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم
ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى

86

تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او
زيادة عقاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا
لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم
من حملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها
وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة
لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك
الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا
تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه
ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى
بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل اي بل قلوب الكفرة في غفلة
غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة
على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم
الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك
الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما
سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما
وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي
للاعمال الحسنة للمؤمنين متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها
عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا
مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية
لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا
اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين
دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق ان
العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجؤن عنده بالجؤار فيجابون بالرد والاقناط من النصر واما عذاب
يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب
الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط
حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون اي فاجؤا الصراخ
بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم
بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجاة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس
امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متنعمين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حيث لقوا ما لقوا
من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم لا تجأروا اليوم على
اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من

وقيل

ط

جهنم تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط
وأنت خبير بأن المقصود الأصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى
الجؤار غير مقصود أصلي وقوله تعالى **إنكم منا لا تنصرون** تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم إفادته
ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق
النظم الكريم لأن جؤارهم ليس إلى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فإن قوله
قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ صريح في أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب
كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله أو بعجز الله وقوته أي قد كانت آياتي
تتلى عليكم في الدنيا **فكنتم على أعقابكم تنكصون** أي تعرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلا عن
تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى **مستكبرين به** أي بالبيت الحرام والإضمار قبل الذكر
لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين
الاستكبار معنى التكذيب أو لأن استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز أن يتعلق
الباء بقوله تعالى **سامرا** أي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت
بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الإطلاق
على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وأن يتعلق بقوله تعالى **تهجرون**
من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن القرآن أو تتركونه أو من الهجر بالضم وهو
الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهجر في منطقه إذا أفحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة
في هجر إذا هذى **أفلم يدبروا القول** الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
يستدعيه الكلام أي أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يدبروا القرآن ليعرفوا بما
فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في
شأنه من القبائح وأم في قوله تعالى **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين** منقطعة وما فيها من
معنى بل للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع
أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه واستبدعوه فوقعوا فيما وقعوا
فيه من الكفر والضلال يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة
له تعالى لا يكاد يتسنى إنكاره وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم
من الأمن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الأولين كإسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان
وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أد
فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه **أم لم يعرفوا رسولهم** إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر
إلى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لإنكار الوقوع أيضا أي بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق
وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة
بالأنبياء عليهم السلام **فهم له منكرون** أي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم
بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه أو فهم غير عارفين له عليه السلام
فهو تأكيد لما قبله **أم يقولون به جنة** انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى
أي بل أيقولون به جنة أي جنون مع أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهنا وأتقنهم رأيا وأوفرهم رزانة

ورزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الأربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به
عليه السلام الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث وبخوا أولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول
غير معترض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا
بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة
بخيره ولا بشره ثم بما لو كان فيه عليه السلام لقدح في رسالته عليه السلام **بل جاءهم بالحق**
إضراب عما يدل عليه ما سبق أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام بل جاء
عليه السلام بالحق أي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه أصلا ولا مدخل للباطل فيه بوجه من
الوجوه **وأكثرهم للحق** من حيث هو حق أي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الإظهار في موضع
الإضمار **كارهون** لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق
الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقين
لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالأكثر لأن
منهم من ترك الإيمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهة الحق وأنت خبير
بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الهزء به مما لا يساعده المقام أصلا **ولو اتبع
الحق أهواءهم** استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق إلا لعدم موافقته
إياها مقتضية للطامة أي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا
لأهوائهم الباطلة **لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن
مناط النظام ليس إلا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى وأما
ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولأهلك
العالم ولم يؤخر فيأباه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع إلهان لا يناسب
المقام وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الإلهية فلا احتمال له أصلا **بل أتيناهم بذكرهم** انتقال
من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما
فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك
أي بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال **فهم** بما فعلوا من النكوص
عن ذكرهم أي فخرهم وشرفهم خاصة **معرضون** لا عن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به
وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من إعراضهم عن ذكرهم
على ما قبلها من إيتاء ذكرهم لا لترتيب الإعراض على الإيتاء مطلقا فإن المستتبع لكون إعراضهم عن ذكرهم هو
إيتاء ذكرهم لا الإيتاء مطلقا وفي إسناد الإيتاء بالذكر إلى نون العظمة بعد إسناده إلى ضميره عم
تنويه لشأن النبي صلى الله عليه السلام وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي إيراد القرآن
الكريم عند نسبته إليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته إليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية
والحكمة العبقرية ما لا يخفى فإن التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام
حكاية ما قاله المبطلون في شأنه وأما التشريف فإنما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الأولين وقيل وعظهم وأيد ذلك
بأنه قرئ بذكراهم والتشنيع على الأولين أشد فإن الإعراض عن وعظهم ليس في مثابة إعراضهم عن شرفهم

او عن ذكرهم الذي يبتنونه في الشناعة والقباحة **ام تسألهم** انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون
به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كانه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة **خرجا** اي جعلا فلاجل
ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى **فخراج ربك خير** اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي
السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من
ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام
ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ
خرجا فخرج وخراجا فخراج **وهو خير الرازقين** تقرير لخيرية خراجه **وانك لتدعوهم الى صراط**
مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه
ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام
وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة** وصفوا بذلك تشنيعا
لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان
بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله **عن الصراط** اي عن
جنس الصراط **لناكبون** لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول
ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لانه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط
ولو كان معوجا **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر** قحط وجدب **للجوا** لتمادوا **في طغيانهم** افراطهم
في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم **يعمهون** اي عامهين عن الهدى روي انه
لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى
اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا
عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط
في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى **ولقد اخذناهم**
بالعذاب استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل
والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وتالله
لقد اخذناهم بالعذاب **فما استكانوا لربهم** بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من
الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون فاشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل
اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى **وما يتضرعون** اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى **حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد** هو عذاب
الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد **اذا هم فيه مبلسون**
اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم لين
مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه
في شيء وانما هو نوع خضوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون
على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل

(في الهامش: والمومنين ص)

القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع
واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء
اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول **وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار**
لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية **والافئدة** لتتفكروا فيما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا
لائقا **قليلا ما تشكرون** اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة في الشكر
صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا اعظما
وهو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل **واليه تحشرون** اي تجمعون يوم القيامة
بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه **وهو الذي يحيي ويميت** من غير ان يشاركه
في ذلك شيء من الاشياء **وله** خاصة **اختلاف الليل والنهار** اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما
واختلافهما ازديادا وانتقاصا ولامره وقضائه اختلافهما **افلا تعقلون** اي الا تتفكرون فلا
تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات
التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم
وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك **بل قالوا** عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم
يعقلوا بل قالوا **مثل ما قال الاولون** اي آباؤهم ومن دان بدينهم **قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما**
أإنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه **لقد وعدنا**
نحن وآباؤنا هذا اي البعث **من قبل** متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي ووعد آباؤنا
من قبل او بمحذوف وقع حالا من آبائنا اي كائنين من قبل **ان هذا** اي ما هذا **الا اساطير الاولين**
اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر **قل لمن الارض**
ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم **ان كنتم تعلمون** جوابه محذوف ثقة بدلالة
الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة
في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير
لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل **سيقولون لله** لان بديهة العقل تضطرهم
الى الاعتراف بانه تعالى خالقها **قل** اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم **افلا تذكرون** اي اتقولون
ذلك او تقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا
فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد لفظ الرب تنويها لشأن العرش ورفعا لمحله من
ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى
سيقولون الله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما
بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال **قل** الحاما لهم وتوبيخا **افلا تتقون** اي اتعلمون ذلك ولا تتقون
انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا
في الربوبية **قل من بيده ملكوت كل شيء** مما ذكر ومما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه **وهو**
يجير اي يغيث غيره اذا شاء **ولا يجار عليه** اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احدا منه بالنصر عليه
ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق **سيقولون لله** اي لله ملكوت كل شيء

(في الهامش: المقام — ما)

وهو الذي يجير ولا يجار عليه **قل فأنى تسحرون** أي فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم
بما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك **بل أتيناهم بالحق** الذي
لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث **وإنهم لكاذبون** فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث **ما اتخذ
الله من ولد** كما تقوله النصارى والقائلون إن الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وما كان معه من إله يشاركه في الألوهية كما تقوله عبدة الأوثان وغيرهم **إذا لذهب كل
إله بما خلق** جواب لمحاجتهم وجواب الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة
كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب
والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك **ولعلا بعضهم على بعض** فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود
واحد بالذات **سبحان الله عما يصفون** أي يصفونه من أن يكون له أندادا وأولادا **عالم الغيب والشهادة**
بالجر على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وأيا ما كان
فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله تعالى **فتعالى عما يشركون** فإن تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له
شريك **قل رب إما تريني** أي إن كان لا بد من أن تريني **ما يوعدون** من العذاب الدنيوي المستأصل
والعذاب الأخروي فلاينا سبه المقام **رب فلا تجعلني في القوم الظالمين** أي قرينا لهم فيما هم
فيه من العذاب وفيه إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه
من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء وقيل أمر به عليه السلام
هضما لنفسه وقيل لأن شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وروي أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام بأن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها
فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لإبراز كمال الضراعة والابتهال **وإنا
على أن نريك ما نعدهم** من العذاب **لقادرون** ولكنا نؤخره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون
أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده
فإن المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه
للحكمة الداعية إليه **ادفع بالتي هي أحسن السيئة** وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها
لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر
بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم
الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام **نحن أعلم بما يصفون** أي بما يصفونك به أو
بوصفهم إياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وإرشاد له عليه السلام إلى تفويض أمره إليه تعالى **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين**
أي وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل
الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الإسراع والوثب
والجمع للمرات أو لتنويع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه **وأعوذ بك رب أن يحضرون** أمر عليه السلام
بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعدما أمر بالعوذ من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم وإعادة

وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء
أي أعوذ بك من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة رضي الله عنه لأنها أحرى
الأحوال بالاستعاذة **حتى إذا جاء أحدهم الموت** حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على
الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للإغضاء
بالاستعاذة به تعالى من الشياطين أن يزلوه عليه السلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن
لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون
في غاية البعد لفظا ومعنى أي يستمرون على الوصف المذكور حتى إذا جاء أحدهم أي أحد كان الموت
الذي لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة **قال** تحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة **رب ارجعون**
أي ردوني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك نظائره
لعلي أعمل صالحا فيما تركت أي في الإيمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة
يقول لعلي أومن فأعمل الخ للإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه قطعا فضلا
عن كونه مرجو الوقوع أي لعلي أعمل في الإيمان الذي آتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركت من
المال أو من الدنيا وعنه عليه السلام إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار
الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعون **كلا** ردع عن طلب
الرجعة واستبعاد لها **إنها** أي قوله رب ارجعون الخ **كلمة هو قائلها** لا محالة لتسلط الحسرة
عليه **ومن ورائهم** أي أمامهم والضمير لأحدهم والجمع باعتبار المعنى لأنه في حكم كلهم كما أن الإفراد في
الضمائر الأول باعتبار اللفظ **برزخ** حائل بينهم وبين الرجعة **إلى يوم يبعثون** يوم القيامة وهو
إقناط كلي عن الرجعة إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجعة يومئذ إلى
الحياة الأخروية **فإذا نفخ في الصور** لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث
والنشور وقيل المعنى فإذا نفخ في الأجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة
بفتح الواو وبه مع كسر الصاد **فلا أنساب بينهم** تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة و
استيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها **يومئذ** كما
هي بينهم اليوم **ولا يتساءلون** أي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا ينافيه قوله تعالى
فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك **فمن ثقلت
موازينه** موزونات حسناته من العقائد والأعمال أي فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة
يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى **فأولئك هم المفلحون** الفائزون بكل مطلوب الناجون عن
كل مرهوب **ومن خفت موازينه** ومن لم يكن له من العقائد والأعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى
وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير
سورة الأعراف **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها
لنيل كمالها واسم الإشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن إفراد الضمير
في الصلتين باعتبار لفظه **في جهنم خالدون** بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك **تلفح وجوههم
النار** تحرقها واللفح كالنفح إلا أنه أشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فبيان

حالها ازجر عن المعاصي المودية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين من الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون ح قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم ح على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا اتيان عليهما لا احداثهما قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكون هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون راسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ٥ فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا اي بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون انكم ترجعون اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسئل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها

كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث وعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما اي فحسبتم ان خلقناكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم والخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازله على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح والله اعلم

سورة النور مدنية وآيها ستون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدا محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم سورة شانها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل لانزلناها من الاعراب او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من

من يسوغ حذف اداة الاعراب فحل انزلنا النصب على الوصفية **وفرضناها** اي اوجبنا ما فيها من الاحكام
ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتاكيد
الايجاب او لتعدد الفرائض ولكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف **وانزلنا فيها** اي في تضاعيف
السورة **آيات بينات** ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في
السورة ظاهرة ومعنى كونها بينات وضوح دلالاتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها
اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية
بشانها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير
انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص
انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا **لعلكم تذكرون** بحذف احدى التائين وقرئ بادغام
الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها
وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها **الزانية
والزاني** شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المراة المطاوعة
للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل
لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى **فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة** والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير
التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي
فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان
هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام
قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة
المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب لما روي عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله
تعالى ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويابا ه ما روي عن علي رضي الله عنه **ولا
تاخذكم بهما رافة** وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة **في دين الله** في طاعته واقامة
حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته
تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل
اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي
عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير
والزجر **الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك** حكم مؤسس على الغالب
المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة
المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في
نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا
بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث
استاذنوا في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في
الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض
لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة **وحرم ذلك** اي نكاح الزواني
على المؤمنين لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن في النسب
واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك
عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته
والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات
ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان **والذين يرمون المحصنات** بيان لحكم العفائف
اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني وبعتبر في الاحصان هاهنا مدلوله الوضعي الذي هو العفة
عن الزنا والحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة
الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن
بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايراده عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع
على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك
الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تاخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل
والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا **ثم لم ياتوا باربعة شهداء** يشهدون عليهن بما
رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخر الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز
عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عندنا خلافا للشافعي فانه يجوز التراخي
بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ
باربعة شهداء **فاجلدوهم ثمانين جلدة** لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على
التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي
فيهن **ولا تقبلوا لهم شهادة** عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم
للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام
في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها
وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة
الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن اهليته السابقة بل من اهلية حدثت
بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا
يلحق المقذوف بقذف الكافرين من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون تمام من

الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها
حاصلة لهم عند الرمي **ابدا** اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل
فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله **واولئك هم الفاسقون**
كلام مستانف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة
والتجاوز عن الحد وهم الكاملون فيه كانهم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة
وقوله تعالى **الا الذين تابوا** استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه
عن موجب وقوله تعالى **من بعد ذلك** لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب
العظيم الهائل **واصلحوا** اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه
الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف **فان الله غفور رحيم** تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن
المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين
لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى ح
الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل
شهادته بعدها **والذين يرمون ازواجهم** بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم
الرامين لغيرهن لكن لا ان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة
ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل يكون ناسخا
لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سياتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ
لما بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل **ولم يكن لهم شهداء** اي يشهدون بما رموهن به من
الزنا وقرئ بتانيث الفعل **الا انفسهم** بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة
الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد
حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى **فشهادة احدهم** اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا
وقوله تعالى **اربع شهادات** خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات **بالله** متعلق بشهادات
لقربه وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انها خبر
مبتدا محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتدا محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة
انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل
عنها للتاكيد **والخامسة** اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها
اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة
من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدا خبره **ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين** فيما
رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن **ويدرؤا عنها العذاب**
اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب **ان تشهد اربع شهادات**
بالله انه اي الزوج **لمن الكاذبين** اي فيما رماها به من الزنا **والخامسة** بالنصب عطفا على اربع شهادات
ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج **من الصادقين** اي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة
بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله

الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن
فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى وروي ان آية القذف لما نزلت
قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله تعالى وقال جعلني
الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف
قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج
فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم
شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند
ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتابد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان
يتزوجها وعن ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب**
حكيم التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب
لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا فضله تعالى عليكم ورحمته
وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم
اللعان لكان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج
حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة
وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة
لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل
شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي
الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من
احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب
فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان
توابيته سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته **ان الذين جاؤا بالافك** اي بابلغ
ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه
مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء
اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها
فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم
بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل
فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا
هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير
ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت

اني سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقد الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينما الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى **عصبة منكم** خبران اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى **لا تحسبوه شرا لكم** استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان لتسليتهم من اول الامر والضمير للافك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا **لكل امرئ منهم** اي من اولئك العصبة **ما اكتسب من الاثم** بقدر ما خاض فيه **والذي تولى كبره** اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه **منهم** من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول باعتبار الفوج والفريق او نحوهما **له عذاب عظيم** اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى **لولا اذ سمعتموه** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى **ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا** لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يتحرزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا **وقالوا** في ذلك الآن **هذا افك مبين** اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء** اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوا منهم بقولهم هذا افك

مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا **فاذ لم ياتوا** بهم وانما قيل **بالشهداء** لزيادة التقرير **فاولئك** اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون **عند الله** اي في حكمه وشريعته المؤسسة على الدلائل الظاهرة المتقنة **هم الكاذبون** الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا **ولولا فضل الله عليكم** خطاب للسامعين والمسمعين جميعا **ورحمته في الدنيا** من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة **والآخرة** من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة **لمسكم** عاجلا **فيما افضتم فيه** بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى **عذاب عظيم** يستحقر دونه التوبيخ والجلد **اذ تلقونه** بحذف احدى التاءين ظرف لمسكم اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين **بألسنتكم** والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القى بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه **وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم** اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم **وتحسبونه هينا** سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة **وهو عند الله** والحال انه عند الله عز وجل **عظيم** لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب **ولولا اذ سمعتموه** من المخترعين او السامعين لهم **قلتم** تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه **ما يكون لنا ان نتكلم بهذا** وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر للتحضيض على تركه واما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما يستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء ومقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما هنا فلا احتياج اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجه التخصيص اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها **سبحانك** تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل

في كل منهي منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفر عنه ومخل بمقصود الزواج
فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اى ينصحكم ان تعودوا لمثله اى كراهة
ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اى مدة
حياتكم ان كنتم مومنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات
الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب دلالة واضحة لتتعظوا بها وتتادبوا بها كذلك اى مبينة ظاهرة
الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر
الفيل اى خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتفخيم شان البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلايلها ودقايقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله
فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم
ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية
الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اى يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اى تنتشر
الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اى يحبون الزناء
شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة
في الذين امنوا متعلق بتشيع اى تشيع فيما بين الناس وذكر المومنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من
الفاحشة فالموصول عبارة عن المومنين خاصة اى يحبون ان تشيع الفاحشة كاينة في حق المومنين
وفي شانهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد
ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا
ضربة بالسيف وكف بصره والاخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع
الامور التي من جملتها ما في الضماير من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر
لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه
من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسراير فيعاقب في الاخرة على ما تكنه الصدور وهذا اذا
جعل العذاب العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف او مستلزما له كما اطبق عليه الجمهور واما اذا بقي على
اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون
ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي
اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون لتقرير ثبوت العذاب العظيم وتعليله ولولا فضل
الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وان الله
رؤف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية
للرافة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة
التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رافته ورحمته للبيان
بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون وما تذرون من الافاعيل التي من
جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرى خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان

الشيطان وضع الظاهر موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير
والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يامر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب
الفحشاء والمنكر لان دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط
قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشان على راى من لا يوجب عود الضمير
من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يامره وقيل هو عائد الى من اى فان ذلك المتبع يامر
الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة
الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملتهما هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة
الماحقة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اى ما طهر من دنسها وقرى ما زكى بالتشديد
اى ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد زايدة واحد في
حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية
ابدا الى لا نهاية ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من عباده بافاضة اثار فضله ورحمته عليه
وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها
ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة
واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض
التذييلي ولا ياتل اى لا يحلف افتعال من الية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في
شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان من فقراء المهاجرين ويعضده
قراءة من قرا ولا يتال اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا في فضل الصديق رضي الله عنه
والسعة في المال ان يوتوا اى على ان لا يوتوا وقرى بتاء الخطاب على الالتفات اولى القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة
لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اى على
ان لا يوتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقد قرى الامران بتاء الخطاب على
وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله
غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المواخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية
اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من
موجباته روى انه عليه السلام قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر لي فرجع الى مسطح
نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اى العفايف مما رمين به من الفاحشة
الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففي ذلك من الدلالة على كمال
النزاهة ما ليس في المحصنات اى السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المومنات المتصفات
بالايمان بكل ما يجب ان يومن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ
عنه تاخير المومنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب
عما ذكرنا لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها
عايشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لساير امهات المومنين لاشتراك الكل في العصمة
والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين

ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد الصديقة
والجمع باعتبار استتباعها للمتصف بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات المرتبة على
رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان
يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا
ابرازا لكرامتهن على الله تعالى وحماية لحمى الرسالة من ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما
جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الاية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته
الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا تهويل لامر الافك والتنبيه على
انه كفر غليظ **لعنوا** بما قالوا في حقهن **في الدنيا والآخرة** حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين
والملائكة ابدا **ولهم** مع ما ذكر من اللعن الابدي **عذاب عظيم** هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما
اقترفوه من الجناية وقوله تعالى **يوم تشهد عليهم** الخ اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب
المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة
لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من
معنى الاستقرار للعذاب وان اغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل
اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل موخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة
عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم **السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون** يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان
الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى
شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل
صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات
المترتبة عليها كافة لا عن احدهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه
وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها
فقط تحجير للواسع وتهوين للامر الفظيع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم
عليها في الذنب وتعذيبهم عليهم على الافعال تمسكا بعد الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من
التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** اي يومئذ تشهد
جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا
كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه
الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه
مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل **ويعلمون** عند معاينتهم
الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم **ان الله هو الحق** الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة
في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها
منطبقة عليها **المبين** المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه الحق هو وتفسيره بظهور الوهيته
وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان
تفسير الحق بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات

آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة
بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والتنبيه على
النباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى **الخبيثات** الخ كلام
مستانف موسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل
الى الاهل اي الخبيثات من النساء **للخبيثين** من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم
الى غيرهم على ان اللام للاختصاص **والخبيثون** ايضا **للخبيثات** لان المجانسة من دواعي الانضمام
والطيبات منهن **للطيبين** منهم **والطيبون** ايضا **للطيبات** منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن
الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين
تبين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من
الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى **اولئك مبرؤون مما يقولون** على ان الاشارة الى اهل البيت
المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك
الموصوفون بعلو الشان مبرؤون مما تقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات
من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا
الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين
من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون
مبرؤون مما يقوله الخبيثون في حقهم فالتنزيه للصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين
من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول
متعرضون لها والطيبات من الكلام لا تصدر عن غيرهم اولئك الطيبون مبرؤون مما يقوله الخبيثون
من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فالتنزيه للقائلين سبحانك هذا بهتان عظيم
لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب **ورزق كريم** هو الجنة **يا ايها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في
تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات
الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت
بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل واحد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن
الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء **حتى تستأنسوا** اي تستأذنوا من
يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن
مستعلم للحال مستكشف انه يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستأذن
مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس **وتسلموا على اهلها** عند الاستيذان روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع
ذلكم اي الاستيذان مع التسليم **خير لكم** من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل
منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء ويدخل فربما اصاب الرجل
مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استأذن على امي قال نعم قال ليس لها

خادم عبري يستأذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة قال لا قال عليه السلام
فاستأذن **لعلكم تذكرون** متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا
بموجبه **فان لم تجدوا فيها احدا** اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه
كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما
فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة
دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم
عند انضمام ما هو المدار الداعي الى الاطلاع على العورات اولى **فلا تدخلوها** واصبروا
حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسر بقوله حتى ياتي من ياذن لكم
فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار
على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى **وان قيل لكم ارجعوا**
فارجعوا اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا
تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الاذن
كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح **هو** اي الرجوع
ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة
والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه **ليس عليكم جناح**
ان تدخلوا اي بغير استئذان **بيوتا غير مسكونة** اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة
فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت
والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى **فيها متاع لكم** فانه صفة
للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد
وايواء الامتعة والرجال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا
باس بدخولها بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات
والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول
الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا
ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه
البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** وعيد لمن يدخل مدخلا
من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات **قل للمؤمنين** شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين
كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه عليه السلام لانها تكاليف
متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا
عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا **يغضوا من**
ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل **ويحفظوا فروجهم** الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة
هو الستر **ذلك** اي ما ذكر من الغض والحفظ **ازكى لهم** اي اطهر لهم من دنس الريبة **ان الله خبير بما**

يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر
الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه **ويحفظن فروجهن**
بالتستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد **ولا يبدين**
زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى
الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في
سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة **وليضربن بخمرهن على جيوبهن**
ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية
يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال
خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم
كما تقدم **ولا يبدين زينتهن** كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما
استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور **الا لبعولتهن** فانهم المقصودون بالزينة ولهم
ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود **او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء**
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن
عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم **او نسائهن** المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر
المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال **او ما ملكت ايمانهن** اي من الاماء فان
عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها
بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال
عليه السلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك **او التابعين غير اولي الاربة من الرجال**
اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم
البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على
الحالية **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع
او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة
الوصف **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين** اي ما يخفينه من الرؤية **من زينتهن** اي لا
يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال
ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من
المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى **وتوبوا الى الله جميعا** تلوين للخطاب وصرف له
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر
التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو
احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم

ثبت في سورة هود دلالة فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المامور به الكف عن الشهوات
وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه
كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف
الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة
الدارين وانكحوا الايامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح
فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب
ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي ٭ وان كنت افتى منكم اتايم ٭ اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر
والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان
من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه
مما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح
في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم
فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها
غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب
او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث
لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط
بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو
سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها
الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في العفة وقطع الشهوة الذين
لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح اذ لا يمكن كون ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله
عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى
اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما امر بانكاح صالحي المماليك
الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون
المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما
تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق فالمعنى كتبت لك
على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال
وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد والحاصل من مجموع كلاميهما ككتاب العقود
الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس
وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل
الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك
الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة

بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد
البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن
بد لما بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشاء فكان قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على معنى
انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه توقفا شبيها
بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من
قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ايقاعا متوقفا على ضمائم
قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط
او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب
كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه
ان علمتم فيهم خيرا اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي
الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من
اموالهم وفي حكمه حط شيء من الجناية ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع
وعن ابن عباس الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب
عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه
معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع
وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال
اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المامور به كما في قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي
له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المامور بها وقيل هو امر باعطاء سهم من الصدقات فاللام للوجوب
حتما والاضافة والوصف لتعيين الماخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق
عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة مشهورة في
العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه
العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو
الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر بر
وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها
من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص
المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن نهن
على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور
الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن وضرب
عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم
وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه
حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتامل ودع عنك

ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لا يلزم
من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق
وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند
كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله
بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها
اباء ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه
بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل
النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك
الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه
غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن الى آخره
جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره
عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس
رضي الله عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر
من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة
وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما
مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على انهم محرومون منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور
هذا التقدير اكتفي ببعض العائد على اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال
بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم
اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة
البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية
تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التشبث في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان
انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من
يكرههن في استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف
ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها
وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بامره اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة
الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما
هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة
والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على
صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة من معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون
الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة
والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فتنتظم قصة

عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال
الواردة في السورة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة
فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات وموعظة تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغي من
المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونهما
من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت
الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما
قيل للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين
على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها
وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال و
المواعظ وقوله تعالى الله نور السموات والارض الخ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان
مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى
ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها
وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى
على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن
المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه
ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة
على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد
الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما
قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما
من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا
ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان
باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه
من حيرة الضلال ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ
هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب
وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء
والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا
يساعده حسن النظام مثل نوره اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين
كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا
اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم رضي الله عنهم وجعله عبارة عن الحق وان
شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع
عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما
الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة

نور العجيبة كمشكاة اى كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم
ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة
اى قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاء وكسرها في الموضعين الزجاجة كأنها كوكب
درّي متلالئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته وذرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرئ
درى بدال مكسورة وراء مشددة ويا ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع
مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ
بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار
عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكوة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب درى
من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال واثبات ما بعدهما لهما
بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف المبني على الاشارة الى الثبوت في الجملة
ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة
واللام مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب درى يوقد من
شجرة اى يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة مباركة اى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل
انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة
وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم
مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اى ابتدأ
ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة
لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على
قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير عليها م
وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اى تصيبها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ
وقيل لا نابتة في الشرق المعمورة ولا في غربها بل وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون
وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي
الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضئ ولو لم
تمسسه نار اى هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضئ بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في
امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شئ في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب
قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد
الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته
او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع
ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شئ آخر
من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع

لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال
وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي
ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة
والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في
حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اى يعطي او لا يعطي كائنا على جميع
الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضئ لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اى يضئ كائنا على كل
حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة
له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه
اى ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم
كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع
نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد لمراتب تضاعف
ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان
متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف
المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه
وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور
عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل يهدي الله لنوره اى يهدي هداية
خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة
تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء
هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار
عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته
تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس
في تضاعيف الهداية حسبما يقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول
في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن
المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند
اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه
تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شئ عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا
كان او باطنا ومن قضيته ان تعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون
من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على فنون
مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم
الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا
وتعلقا في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان القرآن الكريم في بيانه للشرائع
والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة ٥

واهوالها واشير الى كونه فى غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة
واشير الى ان ذلك النور مع كونه فى اقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشيئته تعالى
بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم
فى الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل
هى المساجد التى بناها نبى من انبياء الله تعالى الكعبة التى بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
وبيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن فى رفعها الامر ببنائها رفيعة كسائر
البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل
العطف التفسيرى واياما كان فالتعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها
الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن فى ذلك فيقع الامر به موقع الاذن
فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة فى متعلقة بقوله تعالى يسبح وقوله
تعالى فيها تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر
التسبيح على الوقوع فى البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل باللام وبدونها ايضا كما
فى قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات
بقوله تعالى بالغدو والآصال اى بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقنى فى جمع قناة
كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشى وهو
شامل للاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة
عما يقع منه فى اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع فى جميع الاوقات
وافراد طرفى النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين ولكونهما اشهر
ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل
وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ولان فى وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى
احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله
ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتاء تأنيث الفعل مبنيا
للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال
بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اى تسبح له
التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابى جعفر ليجزى قوما اى ليجزى
الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ هناك مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده
التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم
واشهرها اى لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اى ولا فرد من افراد البياعات وان كان فى غاية الربح
وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز
وربح ما عداه متوقع فى ثانى الحال عند البيع فلم يلزم من نفى الهائما عداه نفى الهائه ولذلك كرر

كررت كلمة لا لتذكير النفى وتأكيده وقد نقل عن الواقدى ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها
ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اى جلبه عن ذكر الله بالتسبيح
والتحميد واقام الصلوة اى اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما فى قوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا اى عدة الامر وايتاء
الزكاة اى المال الذى فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل فى البيوت لكونه قرينة
لا تفارق اقامة الصلوة فى عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع
فى المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الى آخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم
واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم فى المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا
ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اى تضطرب وتتغير فى انفسها
من الهول والفزع وتشخص كما فى قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير
احوالها وتنقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب
القلوب بعد توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من اعمالهم المرضية اى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر
وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اى احسن جزاء
اعمالهم حسبما وعدلهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله
اى يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها
بل انما وعدت بطريق الاجمال فى مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام
حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه
تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفى به الحساب
واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها فى
سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه
موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية
كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لانظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان
يرزقهم كما انهم ممن شاء تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من
الذكر والتسبيح واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من
القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه تم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه
هذا وقد قيل قوله تعالى فى بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف هو صفة
لمشكاة اى كائنة فى بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق
بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق وما بعد
قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شئ عليم كلام متعلق بالممثل قطعا
فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبى يؤدى الى كون ذكر
حال المنتفعين بالتمثيل المهديين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كونه انبأ بحال

اضدادهم مقصود بالذات ومثل هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلاً ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين
كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين كفروا
اعمالهم اى اعمالهم التى هى من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما فى قوله تعالى مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد الاية كسراب وهو ما يرى فى الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت
الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اى كائن فى قاع
وهى الارض المنبسطة المستوية وقيل هى جمع قاع كجيرة جمع جار وقرى بقيعات بتاء ممدودة كديمات
اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه
الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان
من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه فى وجه الشبه الذى هو المطلع المطمع و
المقطع المؤيس حتى اذا جاءه اى اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اى ما حسبه
ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه
ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه
والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان
قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء
الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق
التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما فى قوله تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء
حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها فى الدنيا نافعة لهم فى الآخرة حتى اذا جاؤها
لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التى كانوا فى الدنيا يحسبونها
نافعة لهم فى الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اى حكمه وقضاءه عند المجئ وقيل عند العمل فوفاهم اى اعطاهم
وافيا كاملا حسابهم اى حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه
كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس
كالظمآن الواقع فى التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل
نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد فى الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء
الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التى كانوا يعتمدون
عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها فى كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب
مثلت اعمالهم القبيحة التى ليس فيها شائبة خير يغتر بها المغترون بظلمات كائنة فى بحر لجى اى عميق
كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهى ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اى
يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها صفة
لموج او الصفة هى الجار والمجرور وموج الثانى فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر فى
قوله تعالى نور على نور اى يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه
سحاب صفة لموج الثانى على احد الوجهين المذكورين اى من فوق ذلك الموج سحاب ظلمانى ستر

اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ
محذوف اى هى ظلمات بعضها فوق بعض اى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله
تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه
ما بعده وقرى بالجر على الابدال من الاولى وقرى باضافة السحاب اليها اذا اخرج اى من ابتلى
بها واضماره من غير ذكر لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه
لينظر اليها لم يكد يراها وهى اقرب شئ منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ
اعتراض تذييلى جئ به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم
هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما فى حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم
يشأ الله تعالى هدايتهم اى ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذى هو القرآن هداية خاصة
مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اى فما له هداية ما من احد اصلا وقوله
تعالى الم تر الخ استئناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه
عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها
والهمزة للتقرير اى قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة فى القوة والرصانة بالوحى الصريح والاستدلال
الصحيح ان الله يسبح له اى ينزهه تعالى على الدوام فى ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق
بشأنه الجليل من نقص وخلل من فى السموات والارض اى ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من
العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل
موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل
على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه
الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح
الذى هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار
كلمة من على ما كأن كل شئ مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر
صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه
تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة فى اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات
شركاء له فى الالوهية ونسبتهم له اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل
نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من
قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه
بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد
تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس حالاتهم التى هى الجمادية والحيوانية
ولا يسبحونه باعتبار ارقى حالاتهم التى هى الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع
اندراجها فى جملة ما فى الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان
تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب
عنه التقييد بقوله تعالى صافات اى تسبحه حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام
الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف فى الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها

الی کیفیة استعمالها بالقبض والبسط حجة نیرة واضحة المکنون وآیة بینة لقوم یعقلون دالة علی
کمال قدرة الصانع المجید وغایة حکمة المبدی المعید وقوله تعالی **کل قد علم صلاته وتسبیحه**
بیان لکمال عراقة کل واحد مما ذکر فی التنزیه ورسوخ قدمه فیه بتمثیل حاله بحال من یعلم ما یصدر
عنه من الافاعیل فیفعلها عن قصد ونیة لا عن اتفاق بلا رویة وقد ادمج فی تضاعیفه الاشارة
الی ان لکل واحد من الاشیاء المذکورة مع ما ذکر من التنزیه حاجة ذاتیة الیه تعالی واستفاضة
منه لما یهمه بلسان استعداده وتحقیقه ان کل واحد من الموجودات الممکنة فی حد ذاته بمعزل
من استحقاق الوجود لکنه مستعد لان یفیض علیه منه تعالی ما یلیق بشانه من الوجود وما یتبعه
من الکمالات ابتداء وبقاء فهو مستفیض منه تعالی علی الاستمرار ویفیض علیه فی کل آن من فنون الفیوض
المتعلقة بذاته وصفاته ما لا یحیط به نطاق البیان بحیث لو انقطع ما بینه وبین العنایة الربانیة
من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلک الاستفاضة المعنویة بالصلاة التی هی الدعاء والابتهال
لکمال التمثیل وافادة المزایا المذکورة فیما مر علی التفصیل وتقدیمها علی التسبیح فی الذکر لتقدمها علیه
فی الرتبة ویجوز ان یکون العلم علی حقیقته ویراد به مطلق الادراک وبما ناب عنه التنوین فی کل انواع
الطیر وافرادها وبالصلوة والتسبیح ما الهمه الله تعالی کل واحد منها من الدعاء والتسبیح المخصوصین
به لکن لا علی ان یکون الطیر معطوفا علی کلمة من مرفوعا برافعها لانه یؤدی الی ان یراد بالتسبیح معنی مجازی
شامل للتسبیح المقالی والحالی من العقلاء وغیرهم وقد عرفت ما فیه بل بفعل یراد به التسبیح المخصوص
بالطیر معطوفا علی المذکور کما مر فی قوله تعالی وکثیر من الناس ای ویسبح الطیر تسبیحا خاصا بها
حال کونها صافات اجنحتها وقوله تعالی کل قد علم صلاته وتسبیحه ای دعاءه وتسبیحه اللذین الهمهما
الله عز وجل ایاه بیان لکمال رسوخه فیهما وان صدورهما عنه لیس بطریق الاتفاق بلا رویة بل
عن علم وایقان من غیر اخلال بشیء منهما حسبما الهمه الله تعالی فان الهامه تعالی لکل نوع من انواع
المخلوقات علوما دقیقة لا یکاد یهتدی الیه جهابذة العقلاء مما لا سبیل الی انکاره اصلا کیف لا وان
القنفذ مع کونه ابعد الاشیاء من الادراک قالوا انه یحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فیغیر المدخل الی جحره
حتی روی انه کان بقسطنطینیة قبل الفتح الاسلامی رجل قد اثری بسبب انه کان ینذر الناس بالریاح
قبل هبوبها وینتفعون بانذاره بتدارک امور سفائنهم وغیرها وکان السبب فی ذلک انه کان یقتنی فی
داره قنفذا یستدل باحواله علی ما ذکر وتخصیص تسبیح الطیر بهذا المعنی بالذکر لما ان اصواتها
اظهر وجودا واقرب حملا علی التسبیح وقوله تعالی **والله علیم بما یفعلون** ای ما یفعلونه اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله واما علی الوجه الاول عبارة عما ذکر من الدلالة الشاملة لجمیع الموجودات
من العقلاء وغیرهم والتعبیر عنها بالفعل مسند الی ضمیر العقلاء لما مر غیر مرة وعلی الثانی اما عبارة عنها
وعن التسبیح الخاص بالطیر معا او عن تسبیح الطیر فقط فالفعل علی حقیقته واسناده الی ضمیر العقلاء لما مر
والاعتراض ح مقرر لتسبیح الطیر فقط وعلی الاولین لتسبیح الکل هذا وقد قیل ان الضمیر فی قوله تعالی
قد علم لله عز وجل وفی صلاته وتسبیحه لکل ای قد علم الله تعالی صلوة کل واحد مما فی السموات والارض
وتسبیحه فالاعتراض ح مقرر لمضمونه علی الوجهین لکن لا علی ان یکون ما عبارة عما تعلق به علمه
تعالی من صلاته وتسبیحه بل عن جمیع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلان
فیها دخولا اولیا **ولله ملک السموات والارض** لا لغیره لان الخالق لهما ولما فیهما من الذوات والصفات

والصفات وهو التصرف فی جمیعها ایجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالی **والی الله** ای الیه تعالی خاصة
لا الی غیره **المصیر** ای رجوع الکل بالفناء والبعث بیان لاختصاص الملک به تعالی فی المعاد اثر بیان
اختصاصه به تعالی فی المبدأ واظهار الاسم الجلیل فی موضع الاضمار لتربیة المهابة والاشعار بعلة
الحکم **الم تر ان الله یزجی سحابا** الازجاء سوق الشیء برفق وسهولة غلب فی سوق شیء یسیر او غیر معتد به
ومنه البضاعة المزجاة ففیه ایماء الی ان السحاب بالنسبة الی قدرته تعالی مما لا یعتد به **ثم یؤلف بینه**
ای بین اجزائه بضم بعضها الی بعض وقرئ یولف بغیر همزة **ثم یجعله رکاما** ای متراکما بعضه فوق
بعض **فتری الودق** ای المطر اثر تراکمه وتکاثفه وقوله تعالی **یخرج من خلاله** ای من فتوقه حال من
الودق لان الرؤیة بصریة وفی تعقیب الجعل المذکور برؤیته خارجا لا بخروجه من المبالغة فی
سرعة الخروج علی طریقة قوله تعالی فقلنا اضرب بعصاک البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقریر الرؤیة
ما لا یخفی والخلال جمع خلل کجبال وجبل وقیل مفرد کحجاب وحجاز ویؤیده انه قرئ من خلله
وینزل من السماء من الغمام فان کل ما علاک سماء **من جبال** ای من قطع عظام تشبه الجبال فی العظم
کائنة **فیها** وقوله تعالی **من برد** مفعول ینزل علی ان من تبعیضیة والاولیان لابتداء الغایة
علی ان الثانیة بدل اشتمال من الاولی باعادة الجار ای ینزل مبتدئا من السماء من جبال فیها بعض
برد وقیل المفعول محذوف ومن برد بیان للجبال ای ینزل مبتدئا من السماء من جبال فیها من جنس
البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتکاب الحذف والتصریح ببعضیة المنزل وقیل المفعول من جبال
علی ان من تبعیضیة ومن برد بیان للجبال ای ینزل من السماء بعض جبال کائنة فیها من برد ای
مشبهة بالجبال فی الکثرة وایا ما کان فتقدیم الجار والمجرور علی المفعول لما مر غیر مرة من الاعتناء
بالمقدم والتشویق الی المؤخر وقیل المراد بالسماء المظلة وفیها جبال من برد کما ان فی الارض جبالا
من حجر ولیس فی العقل ما ینفیه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم یحللها حرارة
فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوی البرد اجتمع هناک وصار سحابا وان لم یشتد البرد تقاطر
مطرا وان اشتد فان وصل الی الاجزاء البخاریة قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد
یبرد الهواء بردا مفرطا فینقبض وینعقد سحابا وینزل منه المطر والثلج وکل مستند الی قدرة الله
تعالی ومشیئته المبنیة علی الحکم والمصالح **فیصیب به** ای بما ینزله من البرد **من یشاء** ان یصیبه به له
فما یناله من ضرر فی نفسه وماله **ویصرفه عمن یشاء** ان یصرفه عنه فینجو من غائلته **یکاد سنا برقه**
ای ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتألیف وغیرهما واضافة البرق الیه قبل الاخبار ر
بوجوده فیه للایذان بظهور امره واستغنائه عن التصریح به وقرئ بالمد بمعنی الرفعة والعلو
وبادغام الدال فی السین وبرقه بفتح الراء علی انه جمع برقة وهی المقدار من البرق کالغرفة وبضمها
للاتباع بضمة الباء **یذهب بالابصار** ویخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفی اطلاق
الابصار مزید تهویل لامره وبیان لشدة تاثیره فیها کانه یکاد یذهب بها ولو عند الاغماض وهذا
من اقوی الدلائل علی کمال القدرة من حیث انه تولید للضد من الضد وقرئ یذهب من الاذهاب
علی زیادة الباء **یقلب الله اللیل والنهار** بالمعاقبة بینهما او بنقص احدهما وزیادة الآخر
او بتغییر احوالهما بالحر والبرد وغیرهما مما ینفع فیهما من الامور التی من جملتها ما ذکر من ازجاء السحاب
وما ترتب علیه **ان فی ذلک** اشارة الی ما فصل آنفا وما فیه من معنی البعد مع قرب المشار

اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة اي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته
وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشيا ونفاذ مشيته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار
لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات
ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية و
تسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس
والطير ومنهم من يمشي على اربع كالغنم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب و
نحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير فيهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف
بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمالي والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء
مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات و
الطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان
الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما
يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال الاستيناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات
اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من يشاء اي يهديه بتوفيقه
للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق
والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشا الله هدايته
الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر
نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايا ما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه
فريق منهم من بعد ذلك اي بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما
على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك
اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين
بخلاف العكس فانه نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين
يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين
المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول
بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة
محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجا فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام
لكون الحق عليهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم
الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم ولي صلة ليأتوا
فان الاتيان والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله

تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم
المذكور وبيان لمنشائه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترتيب المنزلة
بينهما فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلاثة هو منشئيتها له كانه قيل اذلك اي
اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا في امر نبوته عليه السلام
مع ظهور حقيتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب من الكل وابطل
منشائيته وحكم بان المنشا شيء آخر من شنايعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء
مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه
صلى الله عليه وسلم مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا
حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل حاله عليه السلام في الامانة والثبات على
الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة
اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين
هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا
هذا وقد خص الارتياب بما له منشا مصحح لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان راوا منه
تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشائيته معا فتامل فيما
ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما تقتضيه النظر الجليل انما كان قول المؤمنين
بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة
لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى
واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر
افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي
ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية
واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول
خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق
القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول عليه السلام بينهم اي
وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي
عنهم لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند
الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان
واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى
وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا اي ليفعل الحكم
كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور
القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد عنهم للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي
اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلب والناجون
عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استئنافا جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال

المومنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلككم اي ومن يطعهما كاينا من كان فيما امر به من الاحكام الترغيبية
اللازمة والمتعدية وقيل في الفرايض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف
المبني على تشبيه بكتف وقرئ بكسر القاف والها وباسكان الها اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقا هم الفايزون بالنعيم المقيم
لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم موكد بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد
ايمانهم نصب على انه مصدر موكد لفعله الذي هو جر النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به
تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قوله جهد
نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة
وقيل هو مصدر موكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله
فقد اجهد في اليمين لين امرتهم اي بالخروج الى الغزو ولا عن ديارهم واموالهم كما قيل لا بد حكاية
لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت لكن معك لين خرجت خرجنا وان اقمت
اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية
قولهم حيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام بردها حيث قيل قل اي ردا
عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عنه
كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا
تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة
من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب
والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدا
او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل
اولكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون
من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب الموكدة بالايمان الفاجرة
وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المومنين وغيرها من فنون الشر
والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المومنين
اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث
ان المقول في الاول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني
امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما
بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شي اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب
للمامورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه
بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن
اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى
ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في
خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته عليه السلام وتصدير ليانه بحكم الامتثال

الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه
وتوهم انه داخل تحت القول بامور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ التبكيت تعكيس للامر وان الفاء لترتيب
ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمامور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهوره وبمسارعته عليه السلام
الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اي
فاعلموا انما عليه عليه السلام ما حمل اي ما امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وعليكم ما حملتم اي ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه
مونة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل
وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى
الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتاخيره من بيان حكم التولي لما
في تقديم الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه بما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما
على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غايلة التولي وفايدة الاطاعة مقصورتان
عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كاينا
من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين
من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما حملتم وعد الله الذين امنوا منكم
استيناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح
ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من اثار الاهتدا ومتضمن
لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتدا والمراد بالذين امنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على
الاطلاق من اي طايفة كان وفي اي وقت كان لا من طايفة المنافقين فقط ولا من امن بعد نزول
الاية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين
خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على امنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير
الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين
المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الاثار والاحكام والايذان بكونه اول
ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تاخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من
خلص المومنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا
بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا من جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وللامة عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المومنين خصوصا على انها بيانية فقد اي
مما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وابعد مما يليق بشانه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم في
الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفا
متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم او خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال
الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنوا اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد
اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المومنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى

فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد
للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى الذين من قبلهم
وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف ح الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل
مبني للمفعول جار مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كانه
قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه
في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين
اي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت او مجلف
اي فلم يبق منه الخ وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره
عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير
المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه
ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا
لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى مكنا لهم في الارض ونظائره وكلمة في
للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته
عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة
بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون
الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسيطها
بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى لهم وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم
الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تاليف لقلوبهم
ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال
من بعد خوفهم من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة
عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى
قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في
الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة
العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على
صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب
والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على
التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا
حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت
واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد
كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب
بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام
بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم
الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى لهم مأمورين بالطاعة على
طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى
وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما
يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر
فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا الصلاة او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على واطيعوا الله
مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة
الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تاكيدا للامر السابق وتقريرا
لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا اي واطيعوه
في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة
على ان المراد به ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى لعلكم
ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة
اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا
لما بين حال من اطاعه عليه السلام واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين
عقب ذلك ببيان حال من عصاه عم ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في
الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول
صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان
المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل
الموصول النصب على انه مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض ظرف
لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يخطر ببال احد بل لافادة
شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر
من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل
احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول
الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض
واما جعل معجزين مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة
ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى
اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى وماواهم النار معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية
لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين وماواهم الخ او على
جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم
مدركون وماواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون ومدركون ولبئس المصير جواب
لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها ماوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل
مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة
الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة

اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات
في الحكم بدلالة النص والفريقين جميعا بطريق التغليب روى ان غلاما لاسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى
وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما
وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه
لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم
من العبيد والجوارى والذين لم يبلغوا الحلم اى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير
عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اى من الاحرار ثلث مرات اى ثلاثة اوقات فى اليوم والليلة والتعبير
عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين
لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى احدها من قبل
وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من
الظهيرة وهى شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعنى وضع الثياب فى هذا
الحين دون الاول والاخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها
ايراد الحين مضافا الى فعل حادث متقض ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورود والصدور
ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين
فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة
انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما
المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى
من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل ما يعرض منهما لطرفى ذلك الوقت الممتد المتصلين
بالصلوتين المذكورتين ايضا لاعادة وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب
الاستيذان اى هن ثلث اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع
فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث
عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اى على المماليك والصبيان جناح اى فى
الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اى بعد كل
واحدة من تلك العورات الثلث وهى الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية
مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف
والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل
المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة
الاولى كونها فى محل الرفع على انها صفة اخرى لثلاث عورات واما على القراءة الثانية فهى مستأنفة
لا غير اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء
فى ثلث عورات لا اثم فى ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاسم مما لم يعلمه السامع الا

الا بهذا الكلام لم يتيسر ايراده فى معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاسم معلوم من صدر
الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستيذان وهى المخالطة
الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلث وبين
غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض اى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف
على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم
شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اى مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اى ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها
لانه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر هنا والله
عليم مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم فى جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح
امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر انفا حكم الاطفال فى انه لا جناح
فى ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلث عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم
انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اى اذا بلغ الاطفال الاحرار
الاجانب فليستأذنوا اى اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين من قبلهم
فى حيز النصب على انه نعت لمصدر موكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم
قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه
ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب فى ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء
مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اى فليستأذنوا
استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا فى جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا
حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذى سبق و
التكرير للتاكيد والمبالغة فى الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد
من النساء اى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا اى لا يطمعن فيه لكبرهن
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام فى القواعد
بمعنى اللاتى او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه فى قوله تعالى
ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها
والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كلها الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع عليم مبالغ فى
سمع جميع ما يسمع فيسمع ما جرى بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من
الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان
الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح فى مجلسه فيأخذ

اكثر من موضعه فيتضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على
الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من
سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهبت بنا الى بيت غيره ولعل
اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا للغزو
خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا
يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون عن الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم
ليس على الطوائف المعدودة **ولا على انفسكم** اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين
حرج **ان تاكلوا** اي تاكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما
قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما **من بيوتكم** اي البيوت التي فيها ازواجكم
وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك ولقوله عليه السلام
ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه **او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم** وقرئ بكسر الهمزة
والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية **او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت
عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه** من البيوت التي تملكون التصرف
فيها باذن اربابها على الوجه مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح
مفاتيح وقرئ مفتاحه **او صديقكم** اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم
ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين
ان الجهنميين لما استغاثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق
يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضا صاحب البيت بصريح الاذن
او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى **ليس
عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا** كلام مستانف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما
بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان ياكلوا طعامهم
منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من
يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت
معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان
الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان
اكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع
ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه
طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا
عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل
مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين **فاذا دخلتم** شروع في بيان
الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه **بيوتا** اي من البيوت المذكورة **فسلموا
على انفسكم** اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك
تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون صفة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من

هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم **مباركة** مستتبعة لزيادة الخير والثواب
ودوامها **طيبة** تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا
من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة
الابرار الاوابين **كذلك يبين الله لكم الآيات** تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها **لعلكم
تعقلون** اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة
الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبها من الجزالة ما لا
يخفى **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** استئناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا
وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في
حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا لتقرير ما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه
حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى **واذا كانوا معه على امر جامع** الى آخره
معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن
صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم
المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر مهم يجب
اجتماعهم في شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الآراء
والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع **لم يذهبوا** اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا
يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه **حتى يستأذنوه** عليه السلام
في الذهاب لا على ان نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار
على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتبار
ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في
الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى **ان الذين يستأذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله** فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول
بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفي اولئك من تفخيم شأن
المستأذنين ما لا يخفى **فاذا استأذنوك** بيان لما هو وظيفته عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها اي بعدما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك **لبعض شأنهم** اي لبعض
امرهم المهم وخطبهم الملم **فأذن لمن شئت منهم** لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة **واستغفر لهم الله** فان
الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على الآخرة **ان الله غفور** مبالغ
في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم **لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم** استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا
دعوته عليه السلام اياكم في الاعتقاد والعمل **كدعاء بعضكم بعضا** اي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم
على دعاء بعضكم في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام
بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده
اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة لما قبلها اما من حيث استجابته تعالى
لدعائه عليه السلام مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور الكل ايجابا

في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة
المؤمنين وان الاذن عند الاستيذان
ليس بامر محتوم بل هو مفوض
الى رايه عليه السلام

في مغفرة فرطات العباد **رحيم** مبالغ

واما من حيث انها موجبة للاحراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المودى الى ما يوجب هلاكهم من دعائه
واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا ورفع الصوت والنداء من وراء
الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت
فلا يناسب المقام فان قوله تعالى **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم** الخ وعيد للمعرضين عما امر عليه فيما ذكر
من قبل توسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما
ان ربما للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا
على خفية **لواذا** اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه
من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر
موكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا **فليحذر الذين**
يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب
الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمينه معنى
الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه
دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة
او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر **ان تصيبهم فتنة** اي محنة في الدنيا **او يصيبهم**
عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد
والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فانه يدل على ان ترتيب العذاب على مخالفته كما يوجب
الحذر عن اصابتهما بوجوب وجوب الامتثال برحمته **الا ان لله ما في السموات والارض** من الموجودات
باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة **قد يعلم ما انتم عليه** ايها المكلفون
من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق **ويوم يرجعون**
اليه عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون والمخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب لا يرجعهم ص
تعلق علمه تعالى بيوم رجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت
وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من
الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة
الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل **فينبئهم بما عملوا** من الاعمال السيئة التي من جملتها
مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وذكره وجه التعبير عن الجزاء بالتنبيه في قوله
تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية **والله بكل شيء عليم** لا يخفى عليه خافية مثقال ذرة في الارض ولا
في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة

سورة الفرقان مكية فيما مضى وفيما بقي وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه
ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته
وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله
على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان

فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا ينسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها
وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من
جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة ح يجوز ان تكون لافادة
نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها لها
بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والاباء على نهاية التعظيم
لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر
فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق دل
والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله **على عبده** محمد صلى الله عليه
وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه السلام في اقصى مراتب العبودية
والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى **ليكون** غاية للتنزيل اي نزله
عليه ليكون هو عليه السلام او الفرقان **للعالمين** من الثقلين **نذيرا** اي منذرا او انذارا مبالغة
او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام
على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة
الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله
وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد لقوله تعالى لا ريب فيه **الذي له ملك السموات والارض** اي له
خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان
للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام
صلته ومعمولها ضمنه مصوبة للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او بالنصب **ولم يتخذ ولدا** كما يزعم الذين يقولون
في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة
الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل
لا سيما بعد تقرره فيما قبله **ولم يكن له شريك في الملك** اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف
على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان
زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على
استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول **وخلق كل شيء** اي احدث كل موجود من
الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان
خلق كلا منهما عن مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام
فقدره اي هيأه لما اراده به من الخصائص والافعال اللائقة به **تقديرا** بديعا لا يقادر قدره ولا
يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق
الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء

معنى

فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على
وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى
التقدير رفاعيا لما فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير
للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة فى سلك
الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفة
الالوهية يقتضى انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شئ من
ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه او شريكا فى ملكه واتخذوا من دونه
آلهة بعدما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل
عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها
والاضمار من غير جريان ذكرهم لثقة بدلالة ما قبله من نفى الشريك وعليهم اى اتخذوا لانفسهم
متجاوزين الله الذى ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى
وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير بالهة لا يخلقون شيئا
اى لا يقدرون على خلق شئ من الاشياء اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون
على ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين
العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف
فى ضر ما يبدو منه عن انفسهم ولا فى نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لعبدتهم وتقديم ذكر
الضر لان دفعه مع كونه اهم فى نفسه اول مراتب النفع واقدم منه والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا اى لا يقدرون على التصرف فى شئ منها باماتة الاحياء واحياء الموتى
وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن
كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه
ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما ينفى عن آلهتهم من الامور المذكورة
ومفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع فى حكاية اباطيلهم
المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم
النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروى عن الكلبى ومقاتل
ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له فى ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفى كلمة هذا حط
لرتبة المشار اليه اى ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعانه عليه اى على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو
يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل
هو عايش وقد مر تفصيله فى سورة النحل فقد جاؤا ظلما منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملان
فى معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اى جاؤا

بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو
اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم
الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تنالها عقول
البشر ولا تفى بفهمه سوى القوى والقدر وزورا اى كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه
ما هو برئ منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع
احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثانى هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب
التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه
لما كان مغايرا له فى المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره
وقالوا اساطير الاولين بعدما جعلوا الحق الذى لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا
على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهى ما سطره المتقدمون
من الخرافات اكتتبها اى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لانه عليه السلام امى واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصيته وبنى الفعل للضمير المنفصل فاستتر
فيه فهى تملى عليه اى تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من
ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها
اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام لاسناد الكتابة فى ضمن الاكتتاب
اليه عليه السلام بكرة واصيلا اى دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم
انظر الى هذه المرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله
الذى يعلم السر فى السموات والارض وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان
بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التى هى من
جملة معلوماته تعالى اى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة
واساطير الاولين بل هو امر سماوى انزله الله الذى لا يعزب عن علمه شئ من الاشياء واودع فيه
فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته
واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد
جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى
انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اى انه تعالى ازلا وابدا مستمر على
المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل عقوبتكم على ما تقولون فى حقه مع كمال استيجا
بها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا مال هذا الرسول شروع فى حكاية جناياتهم المتعلقة
بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها
ما بعدها من الجار والمجرور وفى هذا تصغير لشأنه عليه السلام وتسميته صلى الله عليه وسلم رسولا بطريق
الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم وقوله تعالى يأكل الطعام
حال من الرسول والعامل فيها ما عمل فى الجار من معنى الاستقرار اى اى شئ واى سبب حصل لهذا الذى

الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل **ويمشي في الأسواق** لابتغاء الأرزاق كما
نفعله على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية
كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما أن كلا من عدم
الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه
كذلك كل من الأكل والمشي أمر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه مدخلا
أن استبعاد المسبب وإنكار السبب ونفيه في عدم الإيمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الأكل
والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فإنهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون
بوجودهما وتحقق سببهما وإنما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه
إن صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو إلا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم
على المحسوسات فإن تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأمور نفسانية كما أشير
إليه بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد **لولا أنزل إليه ملك**
على صورته وهيئته **فيكون معه نذيرا** تنزل منهم عن اقتراح أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل
والتعيش إلى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الإنذار وهو يعبر عنه ويفسر
ما يقوله للعامة وقوله تعالى **أو يلقى إليه كنز** تنزل من تلك الرتبة إلى اقتراح أن يلقى إليه
من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج إلى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وهو قوله تعالى **أو تكون**
له جنة يأكل منها تنزل من ذلك إلى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرئ نأكل
بالنون والحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم **وقال الظالمون** هم القائلون الأولون وإنما وضع
المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه إضلالا خارجا عن حد
الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم إلى المسحورية أي قالوا للمؤمنين **إن تتبعون**
أي ما تتبعون **إلا رجلا مسحورا** قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة أي بشرا لا ملكا
على أن الوصف لزيادة التقرير والأول هو الأنسب بحالهم **انظر كيف ضربوا لك الأمثال** استعظام
للأباطيل التي اجترؤوا على التفوه بها وتعجيب منها أي انظر كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة
الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة
البعيدة من الوقوع **فضلوا** أي عن طريق المحاجة بأن أتوا بشيء يمكن صدوره عمن له أدنى عقل وتمييز
فبقوا متحيرين **فلا يستطيعون سبيلا** إلى القدح في نبوتك بأن يجدوا قولا يستقرون عليه وإن
كان باطلا في نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا إليه فإن من اعتاد
استعمال أمثال هذه الأباطيل لا يكاد يهتدي إلى استعمال المقدمات الحقة **تبارك الذي**
أي تكاثر وتزايد خير الذي **إن شاء جعل لك** في الدنيا عاجلا شيئا **خيرا** الذي اقترحوه من أن
من ذلك ح
يكون لك جنة تأكل منه بأن يعجل لك مثل وعدك في الآخرة وقوله تعالى **جنات تجري من تحتها**
الأنهار بدل من خيرا أو محقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الأنهار
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على لفظه لأن الشرط
إذا كان ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم كما في قول القائل * وإن أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا
غائب مالي ولا حرم * ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جوا

جواب لو بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للإيذان بأن عدم جعلها بمشيئته جار لحكمته المبنية على
الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل
واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وإنما الذي له وجه في الجملة
هو الاقتراح الأخير فإنه غير مناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء عليهم السلام قد أوتوا في
الدنيا مع النبوة ملكا عظيما **بل كذبوا بالساعة** إضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال
منه إلى توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون
العذاب بقوله تعالى **وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** الخ أي أعتدنا لهم نارا عظيمة
شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم
أو لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا ووضع الساعة موضع
بالساعة بل مع تكذيبهم ح
ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار إعتاد السعير لهم وإن لم يكن مجرد تكذيبهم بسائر ما جاء به
الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخول السعير أشير إلى سببية تكذيبها
لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا
بالساعة وأنكروها والحال أنا قد أعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فإن جراءتهم على التكذيب بها
وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما
قبله من الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا
يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون
من نؤي وأحجار والمعنى أنهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون
بتعجيل مثل وعدك في الآخرة وقيل والمعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية
وظنوا أن الكرامة ليست إلا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة إلى تكذيبك وقوله تعالى **إذا رأتهم**
الخ صفة للسعير أي إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما أي لا
تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية
إليها لا إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها إياهم حقيقة
أو تمثيلا وفي قوله تعالى **من مكان بعيد** إشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين
رأتهم خارج عن حد البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لأمرها قال الكلبي
والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** أي صوت تغيظ تشبيها
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ذلك لزبانيتها فنسب
علي ص
إليها على حذف المضاف **وإذا ألقوا منها مكانا** نصب على الظرفية ومنها حال منه لأنه في الأصل
صفة له **ضيقا** صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو
السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تضيق جهنم
عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون
في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يحطهم الداخلون
يزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء **مقرنين** حال من مفعول ألقوا أي إذا ألقوا منها مكانا

صفتا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل
كافر مع شيطان او في ارجلهم الاصفاد **دعوا هنالك** اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة
ثبورا يتمنون هلاكا ويدعونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك **لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا**
على تقدير قول او منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوا مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم
الملائكة لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك
المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوا
حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل
ماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها
على ان عذابهم الملجئ الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور
واحد **وادعوا ثبورا كثيرا** اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه
ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق
بدعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوا دعاء واحدا وادعوا ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية
شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل
تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى
واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب
انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها فلا
غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون
الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد والتقييد
بالنهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة **قل** تقريعا
لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم **اذلك** اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافه بما فصل من
الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي
ذلك الهول اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها ما ذكر وكيف وشأن اهلها ما
ذكر **خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون** اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح
وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية والثالثة
منها فقط **كانت** تلك الجنة **لهم** في علم الله تعالى او في اللوح او لانما وعده الله تعالى فهو كالماضي في
تحققه ووقوعه **جزاء** على اعمالهم حسبما امر من الوعد الكريم **ومصيرا** ينقلبون اليه **لهم فيها ما يشاؤون**
اي ما يشاؤونه من انواع الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس
ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب
العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان **خالدين** حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور
لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤون **كان** اي ما ذكر وقيل الوعد المدلول عليه بقوله
تعالى وعد المتقون **على ربك وعدا مسؤولا** اي موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه
المتنافسون او مسؤولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم

يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز فان تعلق
الارادة بالموعود متقدم على الوعد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز بآثار ذلك الوعد الكريم ما لا يخفى **ويوم
نحشرهم** نصب على انه مفعول بمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ اي واذكر لهم بعد
التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعلق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث الهائلة قد مر وجهه مرارا وتقديم الظرف على الفعل المضمر اذا حذف للتنبيه على كمال
هوله وفظاعته وما يقع فيه من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وكسر الشين
وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ
عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم او لتغليب
الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها وأريد
به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال
كما قيل في كلام الايدي والارجل **فيقول** اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة و
تبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة
أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله **ام هم ضلوا السبيل** اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن
المرشد وحذف الجار وايصال الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او
للسبيل وتقديم الضمير على الفعل لان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه **قالوا** استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا **سبحانك** تعجبا مما قيل
لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى و
توحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد **ما كان ينبغي لنا** اي ما صح وما استقام
لنا **ان نتخذ من دونك من اولياء** اي متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى
يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان نحملهم على ان يتخذونا اولياء او ان نتخذ من دونك اولياء
اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء
الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة
لتأكيد النفي من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام **ولكن متعتهم وآباءهم** استدراك مسوق
لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزيههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب
الهداية سببا للضلال اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروا
فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها **حتى نسوا الذكر** اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك
والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك
المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة **قوما
بورا** اي هالكين على انه جمع بائر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع

كمود في جمع عابد والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى **فقد كذبوكم** حكاية لاحتجاجه
على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة
في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون
ايها الكفرة **بما تقولون** اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا ويأباه ان تكذيبهم في هذا
القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم
انهم آلهتهم ناصروهم والباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل
اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية **فما تستطيعون** اي ما
يملكون **صرفا** اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة
وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر لا
من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على
معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون العذاب عنهم
وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي فما تستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم
العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه **ومن يظلم منكم** ايها
المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا
في اللجاج كل حد معتاد **نذقه** في الآخرة **عذابا كبيرا** لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه
على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في
اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة
اجماعا وبالعفو عندنا **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق**
جواب عن قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف
قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم
ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس **وجعلنا بعضكم** تلوين
للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم
بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما بعده قوله تعالى **لبعض** رسلهم لكن لا على معنى جعلنا
مجموع البعض الاول **فتنة** اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد
البعض الثاني فردا من افراد البعض الاول بعضا منهما من الاولين فتنة لبعض منهم من الآخرين ضرورة
ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم
من الاولين ببعض منهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين
من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح
بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم
والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى **اتصبرون** فان غايته
للجعل المذكور من البين انه ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس متعينا بالصبر بل بما يناسب حاله على
ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره

صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيتحصل به تسليه عليه السلام فالمعنى جرت
سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة
عن حدود الانصاف لنعلم صبرهم وقوله تعالى **وكان ربك بصيرا** وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم
بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره
عليه السلام **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** شروع في حكاية بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان
بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع
الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن
يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من
الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله
تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب
بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير ملزوم لما هم عليه من العتو
والاستكبار وانكار البعث والحساب راسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا
المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم **لولا انزل علينا الملائكة** اي هلا انزلوا علينا
ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب بقولهم **او
نرى ربنا** من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله
لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى اجترأوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء **وعتوا** اي
تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان **عتوا كبيرا** بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل رتبة المفاوضة
الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي
تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها
احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم السلام واللام
جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب
من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى **يوم يرون الملائكة** استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم
لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما
قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة
الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى **لا بشرى
يومئذ للمجرمين** فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة وما قيل من انه بمعنى
يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعر بان هناك
بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها
كان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت
النذر لهم على ابلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس
وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير
للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر نفي البشرى على ذلك
الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم

حه
الله عليه وسلم
بلوغ الثاني عشر
تهم

بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم
عن الحرمان الكلي الى نفي البشرى ح لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو و
الشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد **ويقولون** عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المبني عن
كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشروع ... بذهول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له **حجرا**
محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث
يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكأن المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره
حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى
انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا
شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا
واردة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما
محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح **وقدمنا الى**
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف
وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا
ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى
اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها
عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم
ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا
صفة تشبيه اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه
او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين **اصحاب الجنة**
هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الخ **يومئذ** اي
يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا **خير مستقرا**
المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث **واحسن مقيلا** المقيل المكان
الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت
القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين
والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة في الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية
المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم
بهم كما مر في قوله تعالى اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان
مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة **ويوم تشقق السماء** اي تتفتح واصله تتشقق
فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين **بالغمام** بسبب طلوع الغمام منها
وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
قيل تنشق سماء سماء **ونزل الملائكة تنزيلا** خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت
الملائكة ونزل وتنزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة

الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل **الملك يومئذ الحق للرحمن** اي السلطنة القاهرة
والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ
فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك
المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في
الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو
صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما
كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف
منصوب باذكر فالجملة ح استئناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية
للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما
في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن
وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده **يوما على الكافرين عسيرا**
شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد
جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في
مل الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله **ويوم يعض الظالم على يديه** عض اليدين والانامل
واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فالمراد بالظالم
اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه يوما
الى ضيافته فابى عليه السلام ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له
فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة
ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر
عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد في
المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى **يقول**
الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى **يا ليتني** الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين
المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني **اتخذت مع الرسول سبيلا** اي طريقا واحدا منجيا
من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته طريقا
ولم اكن ضالا لا طريق لي قط **يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا** يريد من اضله في الدين فان
فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهني كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل
وفلانة عن علم اناثهم وقيل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان
والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل
وقوله حذاحدنا في عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل
وفلان فقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة فالفلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية
عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز
الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى **لقد اضلني**

يقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري
وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي
تعالي واحضري فهذا اوانك صح

دا و وقيل

عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار
ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم
او كلمة الشهادة **بعد اذ جاءني** وتمكنت منه وقوله **وكان الشيطان للانسان خذولا** اي مبالغا في
الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته
تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف
الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عم
بوسوسته واغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الآخرة
وهو اوفق بحال ابليس **وقال الرسول** عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض
مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام
اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه
عز وجل **يا رب ان قومي** يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع **اتخذوا هذا القرآن** الذي من جملته
هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة **مهجورا**
اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق
المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم
من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين
عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على
زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير
والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء
بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم
فاصبر كما صبروا وقوله تعالى **وكفى بربك هاديا ونصيرا** وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى
كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك
الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيامة
ونصيرا لك على جميع من يعاديك **وقال الذين كفروا** حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد
حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به
والاشعار بعلة الحكم **لولا نزل عليه القرآن** التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي
هلا انزل كله **جملة واحدة** كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان
الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة
صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة

اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو
المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد
جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى **كذلك لنثبت به فؤادك** فانه استئناف وارد من جهته
تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر
مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا
فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا
لحفظ النظم وفهم المقال وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح
المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء وتبديلا بالنسخ من احوال
المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من
الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى
حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه
بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم
الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى **ورتلناه ترتيلا** عطف على ذلك المضمر وتنكير
ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه
آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل
وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل
قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين
او في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل **ولا يأتونك بمثل** من الامثال التي من جملتها ما حكي
من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بمثل
عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن **الا جئناك** في مقابلته
بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة
الحقة القارعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى **واحسن تفسيرا**
عطف على الحق واحسن تفسيرا او على محل بالحق اي بيننا لك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على
معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن
منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق
الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام
ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسولة وبصحة جميع الاجوبة وباشارته مبني على بطلان
السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات
الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام الا من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة
عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل
والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون
اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا
ومشيئتنا ان نعطيكه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه

الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المثل درجة تكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مرتبا
على ما اتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من الحق كان اسبق اللائقة بالرسالة
قد آتاه من اول الامر لا بعدما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين
وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق وروي انه عليه السلام قال يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث
ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات
متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في
الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله تعالى اولئك بدل
منه او بيان له وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبره او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر
للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل
ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر
مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة خير مستقرا واحسن مقيلا ولقد آتينا
موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى
وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية
اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التوراة اي
انزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول وقوله تعالى
هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له
وقد مر معنى الوزير اي جعلناه معه في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما حينئذ اذهبا الى القوم
الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على
يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات
عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله
بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوهما تكذيبا
مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التدمير المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر
على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا
ظاهرا لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء
الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه
عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم
الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر
بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب
بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس
من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب ما هو لا عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما
كذبوا الرسل اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد

التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير
كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه جواب لما وجواب لما لا يفسر
ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم
وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او قصتهم
للناس آية اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف
لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اي
لهم والاظهار في موضع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما
هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتبار العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع
الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا
اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول
الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين لانه في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمودا
الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى
واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله فيهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول
الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان
فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم
كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض
على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بئر وقرونا
اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين
ذلك اي بين ذلك من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب
الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا
لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل
قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل
عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة
اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم
للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين
ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل
وكلا اي وكل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم
يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل
شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها
اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة

وهي قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي
فاهلكهم الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى **مطر السوء** وانتصابه اما على انه مصدر
موكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان او المعنى
اعطيت او اوليت مطر السوء **افلم يكونوا يرونها** توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه
والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها
لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام
اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او كانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم
ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية
معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى **بل كانوا لا يرجون**
نشورا اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون
عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن
التصريح بانكاره فكذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق
العالم وقد كنى عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور
المستتبع للجزاء الاخروي لنفس من النفوس منشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده
وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه
وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق
واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور
واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا هزوا اي على معنى قصر معاملتهم
معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر
من ظاهر العبارة كانه قيل وما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان
اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى **اهذا الذي بعث الله رسولا** محكي بعد قول
مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزءون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار
وايراد بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه السلام مع انه في
غاية النكير لبعثته عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او هذا
الذي يزعم انه بعثه الله رسولا **ان كاد** ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد **ليضلنا**
عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول
الى الاضلال لغاية ضلالتهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي **لولا ان صبرنا عليها** ثبتنا عليها
واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما
اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد
في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط
لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل **وسوف يعلمون** جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم
ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان
تراخى **حين يرون العذاب** الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم **من اضل سبيلا** وفيه ما لا يخفى من

من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم **ارأيت من اتخذ الهه هواه** تعجيب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من
المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان
لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب بناء
على تساويهما في التعريف فقد ذهل عن ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة
الحادثة اي ارأيت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن
استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى
افانت تكون عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه
من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له
كانه قيل بعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء
او ابى وقوله تعالى **ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون** اضراب وانتقال عن الانكار
المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في
الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل ايحسب
ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ
الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه
باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف
هو اليه وقوله تعالى **ان هم الا كالانعام** الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم
مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما
يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة **بل هم اضل**
منها **سبيلا** لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا
يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا
لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا
عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد
وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتن والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج
والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له
فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة
الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال **الم تر الى ربك** بيان
لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم فيها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه وللايذان
بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى **كيف مد الظل**

اى كيف تشاطل اى مطل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتد لانه تعالى مده بعد
ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه
تعالى واحداثه باباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخاصلة تنفر عنها الطبايع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر
ولذلك وصف به الجنة فى قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب فى ان المراد تنبيه الناس
على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلابد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من
حالة مخصوصة يشاهدونها فى موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما فى جوانبه من موقع
ضح الشمس وما ذكر وان كان فى الحقيقة ظلا للافق الشرقى لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه
المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام كيفية مد الظل
للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الاثار والصنايع بل مطمح انظاره
معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى **ولو شاء لجعله ساكنا** جملة اعتراضية بين المعطوفين
للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة
ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اى ولو
شاء سكونه لجعله ساكنا اى ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان
مقابلة الذى هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل وبين الشمس مقيما على وضع واحد فذاك
المعقول عما سبق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة
جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتاثير
بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة
الشمس فى مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله فى الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة
والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهى اولى واحق بالايراد فى معرض البيان وقوله تعالى **ثم جعلنا**
الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل فى حكمه اى جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله
من غير ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة
لما فى الجعل المذكور العارى عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن
السببية مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر فى ايراد كلمة التراخى وقوله تعالى
ثم قبضناه عطف على مد داخل فى حكمه وثم للتراخى الزمانى لما ان فى بيان كون القبض والمد
مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخى الرتبى
اى ازلناه بعد ما انشاناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من
غير ان يكون له تاثير فى ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر
عن احداثه بالمد الذى هو البسط طولا وقوله تعالى **الينا** للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما
ان حدوثه منه عز وجل **قبضا يسيرا** اى على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة
معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى
الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا
على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل

الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير
او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه
باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة
الماضى للدلالة على تحقق الوقوع **وهو الذى جعل لكم الليل لباسا** بيان لبعض بدايع اثار قدرته
تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان
حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفى تعقيب
بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذى هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اى هو الذى
جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس **والنوم سباتا** اى وجعل النوم الذى يقع فى الليل
غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما بينهما من المشابهة
التامة فى انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى يتوفى الانفس
حين موتها والتى لم تمت فى منامها **وجعلنا النهار نشورا** اى زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريقة المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم
واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر
وهو الذى ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس **بشرا** مخفف بشر جمع بشور اى مبشر
وقرئ بشرا وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اى ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وفتح النون ايضا على
انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى **بين يدى رحمته** استعارة بديعة اى قدام المطر والالتفات
الى نون العظمة فى قوله تعالى **وانزلنا من السماء ماء طهورا** لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة
ما ذكر من ارسال الرياح اى انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا فى الطهارة
وما قيل انه يكون طاهرا فى نفسه ومطهرا لغيره فهو اشرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور فى العربية اما صفة كما تقول ماء طهور او اسم كما فى قوله عليه
التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا
صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا
وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم
احق بذلك واولى **لنحيى به** اى بما انزلنا من الماء الطهور **بلدة ميتا** بانبات النبات والتذكير لان البلدة
بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة
من الارض عامرة كانت او غامرة **ونسقيه** اى ذلك الماء الطهور عند جريانه فى الاودية او اجتماعه
فى الحياض والمنافع والابار **مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا** اى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا
ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع
فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا الماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا
مع ان مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعم والانعام حيث
كانت قنية الانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء
الارض فانه سبب حياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا
واناسى جمع انسى كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسى بالتخفيف

بحذف يا افاعيل كاناعم فى اناعيم ولقد صرفناه اى وبالله لقد كررنا هذا القول الذى هو ذكر انشا
السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة فى القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اى بين
الناس من المتقدمين والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته وواسع رحمته فى ذلك
ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله فى بعض البلاد دون غيرها
او فى بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة
والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اى لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او الا جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار
الا من الانوا فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانوا امارات بجعله تعالى
ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعبا النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم
نفعله بل قصرنا عليك الامر حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما
وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة
واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف
فى الدعوة لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا فى الاسلام ويجتهد فى ذلك بتاليف قلوبهم اشد
الاجتهاد وجاهدهم به اى بالقرآن بتلاوة ما فى تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ
وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا
يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهى عن الطاعة وانت خبير
بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان
يجعل البا للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا لترك طاعتهم كانه قيل
جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما فى قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه عم
نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام
وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان
سبب كبر المجاهدات بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب
كبرها وعظمها فى الكيفية وهو الذى مرج البحرين اى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد فى بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من
قدرته كما فى قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من
الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجرى فى خلاله
فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض
فيكون اثر القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق
والتشابه فى الكيفية وهو الذى خلق من الماء بشرا هو الماء الذى خمر به طينة آدم عليه السلام وجعله
جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله

نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا فى القدرة حيث قدر على ان يخلق من
مادة واحدة بشرا ذا اعضا مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من النطفة
واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذى شانه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم
اى ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذى ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس وقيل هو ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت
به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا
للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم عليه اى على تبليغ الرسالة الذى ينبئ عنه الارسال
من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اى الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى
ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه
مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل
ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحى الذى لا يموت فى الاستكفاء عن شرورهم والاغناء
عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شانهم الموت فانهم اذا ماتوا
ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد
الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اى مطلعا
عليها بحيث لا يخفى عليه شىء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى
ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحى
وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التى هى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم
الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتاكيده فان من انشا هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق
والنسق الرائق بترتيب رصين وترتيب متين فى اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة بحكم
جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه
الرحمن مرفوع على المدح اى هو الرحمن وهو فى الحقيقة وصف آخر للحى كما قرئ بالجر مفيد لزيادة
تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه فى الاعراب كما تقرر من ان المنصوب
والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا
قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا فى النصب والرفع روما
لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام
التحقيق فى تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدا والرحمن خبره وقيل
الرحمن بدل من المستكن فى استوى فاسأل به اى بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بانفسهما
فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا فى تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه
معنى الاعتناء المستدعى لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشانه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق
والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان

الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل عن السداد بل التقرير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر
فاسال معتنيا به **خبيرا** عظيما شانه محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية
الامر وقيل فاسال به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكر وقيل الضمير
للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه
في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا وما بعده خبره وقرئ فسل **واذا قيل لهم اسجدوا**
للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما انهم كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به غيره
تعالى ولذلك قالوا **انسجد لما تامرنا** اي للذي تامرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان
المسجود له ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض **وزادهم**
اي الامر بسجود الرحمن **نفورا** عن الايمان **تبارك الذي جعل في السماء بروجا** هي البروج الاثنا عشر
سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج
لظهوره **وجعل فيها سراجا** هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب
الكبار **وقمرا منيرا** مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمرا اضيف
اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه
• بردى يصفق بالرحيق السلسل • اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما
ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة
والجلسة من ركب وجلس **لمن اراد ان يذكر** اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم
انه لا بد لها من صانع واجب الذات رحيم للعباد **او اراد شكورا** اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من
النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر
وعباد الرحمن كلام مستانف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان
حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدا خبره ما بعده من الموصول وما عطف
عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده
المقبولون **الذين يمشون على الارض هونا** اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه
على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون مشيا هينا لينا بغير تجانب من غير فظاظة
او مشيا هينا وقوله تعالى **واذا خاطبهم الجاهلون** اي السفهاء كما في قوله • الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا • **قالوا سلاما** بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم
اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا سلاما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول
يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل
عن ابي العالية وقوله تعالى **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم
اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرا شيئا من القرآن
في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم
السجود على القيام لرعاية الفواصل **والذين يقولون** اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم **ربنا**
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان

ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى
في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها
وقد جوز ان يكون تعليلا للاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان
وجعلها خبرا لها وقيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد
خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى **والذين اذا انفقوا**
لم يسرفوا اي لم يجاوزوا حد الكرم **ولم يقتروا** ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في
المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء
وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر **قواما** وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين
كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او
حال مؤكدة او هو الخبر وما بين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن
ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه **والذين لا يدعون مع الله الها آخر** شروع
في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد
والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر
القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى
الها آخر **ولا يقتلون النفس التي حرم الله** اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه مبالغة في التحريم **الا بالحق** اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها
ولا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق
ولا يزنون اي لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه
مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا **ومن يفعل ذلك**
اي ما ذكر كما هو داب الكفرة المذكورين **يلق** في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما **اثاما** وهو
جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين
للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب **يضاعف له العذاب يوم القيمة**
بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كما في قوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف بالنون ونصب
العذاب **ويخلد فيه** في ذلك العذاب المضاعف **مهانا** ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني
وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات النبي عن شدة
الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل**
صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته
للاعمال السابقة **فاولئك** اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة
باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يبدل الله سيئاتهم حسنات**
بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم ويبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس

علة الزنا

مكنة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه الله تعالى لاضداد ما سلف منه او بان
يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة
واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اى عن المعاصي
بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات
فانه بما فعل يتوب الى الله متابا اى يرجع اليه تعالى متابا اى متابا عظيم الشان مرضيا عنده
ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع
اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون
الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق
الالتفات باللغو اى ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم
عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما
وعميانا اى اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد
تعريضا لما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن
اذا شاعره اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من
متابعتهم له في منهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى والحقنا بهم ذرياتهم
ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد
اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى عزتها واجعلنا للمتقين اماما اى اجعلنا بحيث يقتدون
بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس
كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد
طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء عن الكل بطريق
المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم
على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما
بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين
اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد
كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر
الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات
المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من
ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز
صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون
بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره

خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من
السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء
مرتفع عال اى يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون
وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجا — هدات
ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة
عن الآفات ويعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ
ويلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي
مر في مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة
التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اى قل لهم
مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم اى اى عبء يعبؤ بكم
واى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته
تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه
ما يصنع بكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز ان يكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان

وقرئ لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام
وقيل ما يصنع بعذابكم ح

لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اى فقد كذبتم بما اخبرتكم به
وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم
كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لعموم الخطاب
للفريقين وفائدته الايذان بان مناط هو احدهما وخروج الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للانتظام — ل
في الخطاب ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما اى يكون جزاء التكذيب او اثره
لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها
وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون
العذاب لازما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى
وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية وهي مائتان وعشرون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد
بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم
للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر
وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك في
قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما
للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة
ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ ثانيا او بدلا من الاول والمراد بالكتاب
القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها
او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان

كونها بعضاً منه ووصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة **لعلك باخع نفسك** اى قاتلها واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **ان لا يكونوا مومنين** اى لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يومنوا به وقوله تعالى **ان نشا** الخ استيناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشية الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتالم من فواته ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزا اعنى قوله تعالى **ننزل عليهم من السما آية** اى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام الى المقدم والتشويق الى المؤخر **فظلت اعناقهم لها خاضعين** اى منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلا اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الروسا والجماعات من قولهم جانا عنق من الناس اى فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى **وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الاية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية لابتدا الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما ياتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اى ما ياتيهم من موعظة من المواعظ القرانية او من طائفة نازلة من القران تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزا واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثنا مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اى ما ياتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه **فقد كذبوا** اى كذبوا بالذكر الذي ياتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزا به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفا في قوله تعالى **فسياتيهم** لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسياتيهم البتة من غير تخلف اصلا **انبا ما كانوا به يستهزون** عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهم كانوا مقارنين للاستهزا كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاهم فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به يستهزون وانباوه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والاجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبا بها القران الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القران كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانبا وفيه تهويل له لان النبا لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اى فسياتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزون به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها **اولم يروا** الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر

مقدر يقتضيه المقام اى افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الايات والتكذيب والاستهزا بها ولم ينظروا **الى الارض** اى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله **كم انبتنا فيها من كل زوج كريم** استيناف مبين لما في الارض من الايات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اى صنف غزير والكريم من كل شي مرضيه ومحموده اى كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النباتات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكريم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون **ان في ذلك** اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل **لآية** اى اية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر **وما كان اكثرهم** اى اكثر قومه عليه السلام **مومنين** قيل اى في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون في ما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الايات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مومنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلما المتقنين كانه قيل ان في ذلك لاية باهرة موجبة للايمان بها وما اكثرهم مومنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيومن **وان ربك لهو العزيز** الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هولا **الرحيم** المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يواخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى **واذ نادى ربك موسى** كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما ياتيهم من الايات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الايات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يومنون بما ياتيهم من الايات لكن لا بقياس حال هولا بحال اوليك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا **ان ائت** بمعنى اى ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار **القوم الظالمين** اى بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز الندا وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله لنريك من

من آياتنا الكبرى واراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر
تحقيقه في اوايل سورة الاعراف عند قوله تعالى انظرني **قوم فرعون** بدل من الاول او عطف بيان
لتحى به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار
على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم **الا يتقون** استئناف اتى به اثر ارساله
اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة
الالتفات المبني عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا
غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدؤه
اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتامل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء
المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا **قال** استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل
رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر **ويضيق صدري ولا ينطلق لساني** معطوفان على
اخاف **فارسل** اي جبريل عليه السلام **الى هرون** ليكون معي اتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء
ذلك الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازديادهما كان فيه عليه السلام من حبسة
اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من
التعليل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه
وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه **ولهم
علي ذنب** اي تبعة ذنب بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يسمى باسمه والمراد به قتل القبطي
وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وحينئذ اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع **فاخاف
ان يقتلون** به قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو
استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى **قال كلا فاذهبا باياتنا** حكاية لاجابته
تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق
التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن
استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى **انا معكم مستمعون** تعليل
للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى
وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر هنا في المعية وقيل اجريا مجرى الجماعة وباباه ما قبله
وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون بما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي
شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد
بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر
ثان او الخبر وحده ومعكم ظرف لغو وانما في قوله تعالى **فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين**
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه
الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما
او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى **ان ارسل معنا بني اسرائيل** مفسرة

مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما
الى الشام **قال** اي فرعون لموسى عليه السلام بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب
فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن
له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك **الم نربك فينا** في حجرنا
ومنازلنا **وليدا** اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة **ولبثت فينا من عمرك سنين** قيل
لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل
ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على
اثر ذلك والله اعلم **وفعلت فعلتك التي فعلت** يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من
تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ
فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل **وانت من الكافرين** اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل
من خواصي وانت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره حيث كان يعايشهم بالتقية
والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ
عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين
بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه **قال** مجيبا له مصدقا له
في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر **فعلتها اذا وانا من الضالين** اي من الجاهلين وقد قرئ
كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد
قتله بل اراد تاديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى **ففررت منكم** الى ربي **لما خفتكم** ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي
من العقاب **فوهب لي ربي حكما** اي حكمة او نبوة **وجعلني من المرسلين** ردا اولا بذلك ما وبخه به
قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان
ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال **وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل** اي تلك التربية
نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب
في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة وان عبدت بالجر باضمار الباء
او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار
منه ومن ملائه **قال فرعون** لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره عليه السلام
وعدم تاثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدأ بالاستفسار
عن المرسل فقال **وما رب العالمين** حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي
ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت
لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام **قال** موسى عليه السلام مجيبا له **رب السموات
والارض وما بينهما** بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة
تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته **ان كنتم موقنين** اي ان كنتم موقنين بالاشياء
محققين لها علمتم ذلك وان كنتم موقنين لشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة

حل

تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل من نعمة ح

دليله قال اى فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره فى قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله
من اشراف قومه قال ابن عباس رضى الله عنه وكانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة
الا تستمعون مرائيا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق
بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعى خلاف امر محقق
لا اشتباه فيه يريد به ربوبيته نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابق
ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال فرعون لما
واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله
مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا مقالته الشنعاء بحرفى التأكيد ان رسولكم
الذى ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء
واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب
وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى
مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى
للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باسناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واو
ضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته
تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبى على شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات
وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث
قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التى ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها
عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اى ان كنتم تعقلون شيئا من الاشيا او ان كنتم من اهل العقل
علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل فى الجملة
وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام بالجنون قال لما سمع اللعين منه
تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره
وانه ممن لا يجارى فى حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة
الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيرى لا
جعلنك من المسجونين لم يقتنع منه بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى يكلفه ان يتخذه
الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح فى ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول
ونسبته عم الى الجنون فى الجواب الثانى كان لنسبته عم الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله
كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه تذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم
ولا حال فرعون ولا مقاله واللام فى المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت احوالهم فى سجونى حيث
كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشئ مبين
اى اتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين اى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة
على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشئ
لتهويل امرها والواو فى اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اى جائيا بشئ مبين وقد سلف منا
مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له

ولواوم

له جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة تفصيلية الا عند القصد الى بيان الاعراب
على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على
كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة
له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما
ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال
المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان
جواد يعطى ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة تعلق
الحكم بابعدها منه ليظهر تحققه معه مع ما عداه من الاحوال التى لا منافاة بينها وبين
الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد
يعطى ولو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطى حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال فى الحقيقة
كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجئ بما ذكر بكلمة لو دون
ان ليس لبيان استبعاده فى نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بى ذلك حال عدم مجيئى
بشئ مبين وحال مجيئى به قال فأت به ان كنت من الصادقين اى فيما يدل عليه كلامك
من انك تأتى بشئ مبين موضح لصدق دعواك او فى دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر ثعبانيته لا انه شئ يشبهه
اشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال فى سورة
الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين قيل لما راى فرعون الآية
الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها فى
ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق قال للملا حوله اى مستقرين
حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق فى فن السحر يريد ان يخرجكم
بما صنع من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء
الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتثال بامرهم والى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم
بعدما كان مستقلا فى الراى والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج
والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث
فى المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة يأتوك اى الحاشرون بكل سحار عليم فائق فى فن
السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وهو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم فى
الاجتماع وحث لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم فى دينهم
ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو
ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد
فى المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين
لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندى قيل قال لهم

تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد
ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر
والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا اي وقت القائهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك
لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي
تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه
عن وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك
به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد وغير متمالكين كأن
ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه
وفيه دليل على ان منتهى السحر هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له
قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من القى او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون
بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك للاشعار
بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة آمنتم
له قبل ان آذن لكم اي بغير اذن مني لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون
شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ
آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين بيان له اوعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر فيه علينا وقوله
تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا
في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من
القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من الاسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين اي من اتباع فرعون
او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكون
اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل
بامره كقول العامل لمستأجر اخر اجرتي ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا
عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات
وقرئ بكسر النون ووصل الالف من السرى وقرئ سر انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون
وجنوده مصبحين فاسر بهم حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مدخلكم فاطبقه
عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان
هؤلاء لشرذمة قليلون استقللهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ربع بني اسرائيل
ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت
مقدمته سبعمائة رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في

في الف الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون
يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا ونضيق صدورنا
ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا
الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه
وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح
وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في
اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج
العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها
بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج
اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي لحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين
في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الاخر
وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد
للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء
اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم
ان معي ربي بالنصر والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام
قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب
موسى عم بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عم فقال
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر
وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة
اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم
كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الآخرين
اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على
تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما
فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه
في الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل
امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية عظيمة لا تكاد توصف
موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عم وحال
انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول
ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من
حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على
ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا ان يقيسوا شأنه

لنا ان موسى عم وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا فى حكايته عم
لقضهم من عزان يسمعها من الحدع كون كل من الطريقين مما يودى الى الايمان قطعا ومعنى ما كان
اكثرهم مومنين وما اكثرهم مومنين على ان كان زايدا كما هو راى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما
اكثر الناس ولو حرصت بمومنين وهو اخبار منه تعالى مما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الايات
الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى فما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه
ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما
صار اكثرهم مومنين مع ما سمعوا من الايات العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار
بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله اتى امر الله الاية **وان
ربك لهو العزيز** الغالب على كل ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من المكذبين **الرحيم**
البالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الايات العظيمة
بطريق الوحى مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة
الكريمة الى اخر القصص التسع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل
من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مومنين حيث
لم يومن منهم الا اسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التى دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو
اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله
جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة فى السورة الكريمة سوى
قصة ابرهيم عليه السلام انما هو بيان لحال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله
عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم الرسل بعد ما شاهدوا بايديهم من الايات العظام
ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فانتقم
الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم ايمان اكثرهم
لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المومنين من جملتهم اولا واخراجهم منها اخرا مع عدم مشاركتهم
لهم فى شئ مما حكى عنهم من السيئات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر **واتل عليهم** عطف
على المضمر المقدر عامله وهو اذ نادى الخ اى واتل على المشركين **نبأ ابرهيم** اى خبره العظيم الشأن
حسبما اوحى اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الايات باحدى الطريقين **اذ قال**
منصوب اما على الظرفية للنبأ اى نبأه وقت قوله **لابيه وقومه** او على المفعولية لاتل على انه
بدل من نبأ اى واتل عليهم وقت قولهم **ما تعبدون** على ان المتلو ما قاله لهم فى ذلك الوقت سائلا لهم
عن ذلك ليبنى جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل عن استحقاق العبادة بالكلية **قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين** لم يقتصروا على الجواب الكافى بان يقولوا اصناما كما فى قوله تعالى ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ~~ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو~~ وقوله تعالى ماذا انزل
ربكم قالوا الحق ونظائرها بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا
الى ابراز ما فى نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زايد كانهم

كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم **قال**
استيناف مبنى على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم **هل يسمعونكم** اى هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف
او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى **اذ تدعون** عليه
وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اى هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون
على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم
استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط **او ينفعونكم**
بسبب عبادتكم لها **او يضرون** اى يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما
وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر **قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون** اعترفوا
بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد
اى ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اى مثل عبادتنا يعبدون
فاقتدينا بهم **قال افرأيتم ما كنتم تعبدون** اى انظرتم فابصرتم او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى **فانهم عدو لى** بيان
لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اى فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم
كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان المغرى بهم
على عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان الذى هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر فى نفسه
تعريضا بهم على فانه انفع لهم فى النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها بنفسه ليكون
ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو
تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل **الا رب العالمين** استثناء منقطع
اى لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولى فى الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل على بمنافعهما حسبما
يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل
معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى **الذى خلقنى** صفة لرب العالمين وجعل
مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك ولما عطف عليه مع اندراج
الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل
فى اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء فى جلب المنافع الدينية ودفع المضار العاجلة
والاجلة عليه تعالى **فهو يهدين** اى هو يهدينى وحده الى كل ما يهمنى ويصلحنى من امر الدين
والدنيا هداية متصلة بحسن الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة
المضارع فانه تعالى يهدى كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ
ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا او اختيارا مبدؤها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها
المقيم **والذى هو يطعمنى ويسقين** عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول فى المواقع الثلاثة مع
كفاية ما وقع من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات
نعت جليل له تعالى مستقل فى استيجاب الحكم حقيق بان تجرى عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من
روادف غيرها **واذا مرضت فهو يشفين** عطف على يطعمنى ويسقين نظمهما فى سلك الصلة

فى خبر الصلة

لوصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى
الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدأ واعادة
وقد نيطت امور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى والذي
يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحياة الابدية بمعزل من ان يكون
غير مطبوع عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام هضما
لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لمغفرة ما يفرط منهم وتلافيا
لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على
انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في
الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا
وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه
لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه
المقالة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام
واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم
كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها
يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما
بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه
حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم والحكمة التي هي الكمال
في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني
من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين
عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه
في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها وحسن صيت في الدنيا
بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او
صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي
ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم واجعلني في الآخرة من ورثة جنة النعيم وقد
مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله
تعالى انه كان من الضالين اي عن طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة
وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الورثة
او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب
والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من
الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار لما في عموم البعث من الشهرة
الفاشية المغنية عن التصريح وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون
بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعظم الفاظ عليه

اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين
للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اي من مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع
كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه السلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة له
طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء
من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس
من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال من
اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل
عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية
لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت
الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف
للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار
انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر و
المعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم
المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان و
التقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاهوال الهائلة ويوقنون بانهم
مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون من دون الله اي
اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا
في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي آلهتهم والغاوون الذين
كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة
ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم
ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا
في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه
اجمعون تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الى آخره استئناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا العبدة وهم
فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال
انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى
يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على النطق تالله ان كنا لفي ضلال
مبين ان مخففة من المثقلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية
اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم
وتحسرهم وبيان خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعر
بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه
الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف

لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اى بالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام فى استحقاق العبادة برب العالمين الذى انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وفوقهم **وما اضلنا الا المجرمون** بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا فى تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما فى قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدى الاولون الذين اقتدوا بهم واياما ما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصى **فما لنا من شافعين** كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم السلام **ولا صديق حميم** كما يرى لهم اصدقاء اذ لا نرى لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدمهما كما ان علم المحبة فى مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما بين عند قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا هنا شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو فى قوله تعالى **فلو ان لنا كرة** للتمنى لما ان بين معنيهما تلاقيا فى معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اى رجعة الى الدنيا وقيل هى على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى **فنكون من المؤمنين** لتحتم كونه جوابا للتمنى مفيدا لترتيب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عينى كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم ولا بد منه معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما **ان فى ذلك** اى فيما ذكر من نبأ ابرهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت جنات النعيم للمتقين وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من انواع العذاب وانواع العقاب **لآية** اى آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابرهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان فى ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحى صادق نازل من جهته الله تعالى موجبة للايمان به قطعا **وما كان اكثرهم مؤمنين** اى اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابرهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤوا على تلك العظيمة التى فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم

ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهم الله الى الشام وقد تقدم الكلام فى آخر قصة موسى عليه السلام **وان ربك لهو العزيز الرحيم** اى هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم **كذبت قوم نوح المرسلين** القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التى لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ فى قوله تعالى **اذ قال لهم** ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائها **اخوهم** اى نسيبهم **نوح الا تتقون** الله حيث تعبدون غيره **انى لكم رسول** من جهته تعالى **امين** مشهور بالامانة فيما بينكم **فاتقوا الله واطيعون** فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى **وما اسئلكم عليه** اى على ما انا متصد له من الدعاء والنصح **من اجر ان اجرى** فيما اتولاه **الا على رب العالمين** والفاء فى قوله تعالى **فاتقوا الله واطيعون** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل فى ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجرى بسكون الياء **قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون** اى الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكلاب والكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عزة لك باتباعهم اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة راى وقد كان ذلك منهم فى بادى الراى كما ذكر فى موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصر انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه **قال وما علمى بما كانوا يعملون** جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اى وما وظيفتى الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم **ان حسابهم** اى ما محاسبة اعمالهم والتفتيش عن كيفياتها البارزة والكامنة **الا على ربى** فانه المطلع على السرائر والضمائر **لو تشعرون** اى بشئ من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون **وما انا بطارد المؤمنين** جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى **ان انا الا نذير مبين** كالعلة له اى ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علىّ الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علىّ استرضاء بعضكم بطرد الآخرين **قالوا لئن لم تنته يا نوح** عما تقول **لتكونن من المرجومين** من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى **قال رب ان قومى كذبون** تموا على تكذيبى واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائى الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله **فافتح بينى وبينهم فتحا** اى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح **ونجنى ومن معى من**

ن

وجهلهم

المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون
اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا
انه حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد وابعد كذبت عاد المرسلين انث عاد باعتبار
القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان المراد بتكذيبهم
بما وقع فيه من الزمان ماذا كامر في صدر قصة نوح عليه السلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما
تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء
الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام
مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار
وانهم متنزهون عن المطامع الدنيئة والاعراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في
اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا
عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم
تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون
بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين مسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب
ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من انواع النعماء واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم
بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل
في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى ولئن
شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه
كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشريه اصلا ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين
اي عادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحيوة الاعادة قديمة لم يزل
الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما
خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما
نحن عليه من الاعمال فكذبوه اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسببه بريح صرصر ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون الله تعالى اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين انكار لان يتركوا فيما هم
فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخليته تعالى اياهم واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان

كانوا يلفقون مثله ويسطرونه ٢
او ما هذا الذي نحن عليه من
الدين الا خلق الاولين
وعلى تم 23

او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو
او متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر
المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الآمر الى امره
مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى
غلب على عقولهم او من ذوي السحر اي الرئة من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا
تاكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها
الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود لها
شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم
فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم
وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها فاسند العقر الى
كلهم لما ان عاقرها انما عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة
او عند معاينتهم لبادئ بدو لذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي
العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب
وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان
اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران ن
من العالمين اي اتأتون من بين بني آدم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران
من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل
ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في
قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث وهو الظاهر او للتبعيض ان اريد بها
العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون
متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على
سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا ونهينا عنه او عن دعوى النبوة
التي من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا ولعلهم
كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من
المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته
على انه عليه السلام من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في ذلك ولعله عليه السلام اراد اظهار
الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه
الى الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي

اى اهل بيته ومن اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هى
امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضر كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج فى الغابرين
اى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر فى الطريق
فاهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى من القرية ولم يخرج مع لوط عليه السلام
ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اى مطرا غير معهود
وقيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه
يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة
الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام
وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف
وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها الى اللام وقرئت كذلك مفتوحة
على انها ليكة وهى اسم بلد وانما كتبت هنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اى اتموه ولا تكونوا من المخسرين اى حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اى الموزونات
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق
كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا فى الارض مفسدين
بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين اى وذوى الجبلة
الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا
انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من
التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة فى التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اى فيما تدعيه
من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اى قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل
الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء السحاب او المظلة ولعله جواب لما
اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك
الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربى اعلم بما
تعملون من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم فى وقته المقدر لا محالة
فكذبوه اى فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما
ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى
اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك
بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا
الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
جميعا روى ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين
بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اى فى الشدة

والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا
لمضمون ما مر فى مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا
كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد
اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل
قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن
الكفر والطغيان ولا بان يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه
مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال ل
كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اى
ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القرآن الذى هو من جملته لتنزيل رب
العالمين اى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله
من احكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى
انزله الروح الامين اى جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام
وقرئ بتشديد الزاى ونصب الروح والامين اى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على
قلبك اى روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعانى الروحانية تنزل اولا على
الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فتنتقش بها الروح
المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات
الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام فى سلك اولئك المنذرين
المشهورين فى حقيقة الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربى مبين واضح المعنى
ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء
الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه السلام لا انزاله باللسان
العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان غاية الانزال كونه عليه السلام
من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة
الكبرى فى باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تأثيرا فى قلوب المشركين
ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه على ملته عليه السلام وانه لفى زبر الاولين اى وان
ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة فان احكامه التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من
التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصص
وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفى والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من
رب العالمين وانه فى زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به
او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله
تعالى ان يعلمه علماء بنى اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه

بنوة المذكورة في كتبهم وهم عرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتاء بنت وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا
وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة وقعت
موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية
تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء **ولو نزلناه**
كما هو نظمه الرائق المعجز **على بعض الاعجمين** الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على
على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى كون ذلك
الواحد من عرض تلك الطائفة كائنا من كان **فقرأه عليهم** قراءة صحيحة خارقة للعادات **ما
كانوا به مؤمنين** مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة
وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم
واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة
والعناد **كذلك سلكناه** اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القرآن
في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث
النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله
على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى **لا يؤمنون به**
جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل
يستمرون على ما هم عليه **حتى يروا العذاب الاليم** الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان
فيأتيهم بغتة اي فجأة في الدنيا والآخرة **وهم لا يشعرون** باتيانه **فيقولوا هل نحن منظرون**
تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل
تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به
في موقع الايضاح والتلخيص له او في موقع الحال اي سلكناه فيها غير مؤمنين به والاول هو الانسب
بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتناصر مبادي الهداية والارشاد
وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما
كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه والحسن ومجاهد رحمهما الله ادخلنا الشرك
والتكذيب في قلوب المجرمين **أفبعذابنا يستعجلون** بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم ونحوهما فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار
فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول
العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك
مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ
كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل **أفرأيت** لما كانت الرؤية من اقوى
اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارأيت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح
له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ
والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي
الجمهور اي فاخبرني **ان متعناهم سنين** متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش **ثم جاءهم**

ما كانوا يوعدون من العذاب **ما أغنى عنهم** اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**
اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية كما قرئ ما كانوا يمتعون به من متاع الحيوة
الدنيا على انها موصولة حذف عائدها واياما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة
الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شأنه الخطاب قد كلف
بان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد ان يخبر بشيء من ذلك اصلا
وقرئ يمتعون من الامتاع **وما أهلكنا من قرية** من القرى المهلكة **الا لها منذرون**
قد انذروا اهلها الزاما للحجة **ذكرى** اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى
الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة المنذرون اي الا لها
منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم لهم
في التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع
في حيز النفي على معنى ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر **وما كنا
ظالمين** فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار
ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس
بظلام للعبيد **وما تنزلت به الشياطين** رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من قبيل ما يلقيه
الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين **وما ينبغي لهم** وما يصلح
وما يستقيم لهم ذلك **وما يستطيعون** ذلك اصلا **انهم عن السمع** لكلام الملائكة **لمعزولون** لانتفاء
المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش
بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة
الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي
على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام **فلا تدع مع الله الها آخر
فتكون من المعذبين** خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عليه السلام
تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث
ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه **وأنذر** العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي **عشيرتك
الاقربين** الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة
بنت محمد صلى الله عليه وسلم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد
ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد
بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب **فان عصوك** ولم يتبعوك **فقل اني بريء مما**

تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر
اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما
روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه
بحاله عليه السلام التي بها يستاهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من
وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه السلام انه هو السميع بما تقوله العليم بما
تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي تتنزل بحذف احدى التائين وهو استئناف
مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم
بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل
من حذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى
تنزل على كل افاك اثيم تصريح بتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة
وتخصيص لهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة
من ان يحوم حولها شائبة شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام يلقون اي
الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامورا لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب
تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما
قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر
من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على
الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون
فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون ومآله واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى
يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا
ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض
الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض
المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم
الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما عرفته اما حال من ضمير تنزل فيفيد
لمقارنة التنزيل للالقاء او استئناف يبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في
ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل ويكون غرضا عنه لتقدمه عليه
قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين
ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا
يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على حكاية الاستئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان
ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون

يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين
او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من
تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على
التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم
ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف فقط
وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال انهم في اكثر اقوا
كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن
العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء
المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من
الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم
ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون
لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاحوال والاقوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين
الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون استشهاد على ان
الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم
من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية
القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال
يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في سباسب الغواية والسفاهة
ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة
السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء
وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم
في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف
بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز
جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الكرامات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط
المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات
ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق
ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء ان
اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه
عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون
وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة ابن ابي وهب المخزومي ومسا
فع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد
وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون
العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من
بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم

هم اي يلقون

في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من التهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة النمل مكية وآيها تسعون وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظايره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس يسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكرها **تلك** اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها يابى اضافتها الى القرآن كما سياتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره **آيات القرآن** والجملة مستانفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص **وكتاب** اي كتاب عظيم الشان **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما فيه من جميع وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول هنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكرنا من الوعد وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو بينة للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين **هدى وبشرى للمؤمنين** في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة** صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساير الاعمال الصالحة وقوله تعالى **وهم بالآخرة هم يوقنون** جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة لها على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة** بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن **زينا لهم اعمالهم** القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في نفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم **فهم يعمهون** يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور **اولئك** اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه **الذين لهم سوء العذاب** اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر **وهم في الآخرة هم الاخسرون** اي اشد الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب **وانك لتلقى القرآن** كلام مستانف سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين **من لدن حكيم عليم** اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلايل والدقايق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى **اذ قال موسى لاهله** منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي تلقاه من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيته ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا **اني آنست نارا ساتيكم منها بخبر** اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتاكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل والتعظيم مبالغة في التسلية **او آتيكم**

بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثانى بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اى شعلة نار
مقبوسة اى مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى
هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه على
طريق الظن كما يفصح عن ذلك ما فى سورة طه من صيغة الترجى والترديد للايذان بانه ان لم
يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده
حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها
نودى من جانب الطور ان بورك معناه اى بورك على ان ان مفسرة لما فى النداء من معنى القول
او بان بورك على انها مصدرية حذف منها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من
الثقيلة ولا ضير فى فقدان العوض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره فى كثير
من الاحكام من فى النار ومن حولها اى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله
سبحانه نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة المذكورة فى قوله سبحانه نودى
ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من فى ذلك الوادى و حواليه
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا
سيما تلك البقعة التى كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير
الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم دينى تنتشر بركاته فى اقطار الشام وهو تكليمه
تعالى اياه عم واستنباؤه له واظهاره المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين
تعجيب لموسى عم من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل
الامور وعظائم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استيناف
مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم راجع
الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد
اظهاره على يده من المعجزة اى انا القوى القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التى من
جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عطف على بورك
منتظم معه فى سلك تفسير النداء اى نودى ان بورك وان الق عصاك حسبما ينطق به قوله
وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج
واعتمر والفاء فى قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهور
ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما فى قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى
اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله
تعالى كأنها جان اى حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز
كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من
التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر
بعد الفرار وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك امر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف
اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله تعالى انى لا يخاف لدى المرسلون فانه يدل على نفى
الخوف عنهم مطلقا لكن لا فى جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون

مستغرقون فى مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما فى سائر الاحيان
فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فانى غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن
كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم السلام فانهم وان صدر
عنهم شئ من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد
قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميته ظلما
لقوله عليه السلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة
صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اى آفة كبرص ونحوه
فى تسع آيات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس والجدب فى بواديهم او ذهب فى تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به
الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال اى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد
موسى مبصرة مبينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كأنها
تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن
الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا
سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اى كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اى وقد
استيقنتها اى علمتها انفسهم علما يقينا ظلما اى للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد
ظلموا بها اى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك
وعلوا اى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما
اما على العلة من جحدوا او على الحالية من فاعله اى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما
لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود و
سليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام تلقى القرآن من لدن
حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه السلام من لدنه تعالى
كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اى آتينا كل
واحد منهما طائفة من العلم اللائق به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة
لبوس ومنطق الطير او علما سنيا عزيزا وقالا اى قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم
الحمد لله الذى فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عباده كل منهما
فضله الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة
سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومنه الاول قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن
موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتى كل منهما
لا على ايتاء ما اوتى نفسه فقط وقيل فى العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما

ايتا العلم وهو شي من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد اتيناهما علما فعملا به
وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الاية فتامل والكثير المفضل عليه من لم يوت مثل علمهما
وقيل من لم يوت علما وياباه تبيين الكثير بالمومنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصه
الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يوته غيرهما وتحريض
العلما على ان يحمدوا الله تعالى على ما اتاهم من فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على
كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال امير المومنين عمر رضي الله عنه كل الناس
افقه من عمر وورث سليمان داود اي النبوة والعلم والملك بان قام مقامه في ذلك دون
سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعا للناس الى التصديق بذكر
المعجزات الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي المنطق في
المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمولف
المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان
عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل
في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول
اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم
يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين
وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا
تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي
الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدأ يقول كل شي هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم
والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش
ما شئت اخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
واراد بقوله علمنا واوتينا النون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه
ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه
حيث كان على عزيمة المسير وبقوله تعالى من كل شي كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد
ويعلم كل شي ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شي
وقال ابن عباس رض كل ما يهمه من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير
الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتا لهو الفضل والاحسان
من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل
المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم ولا فخر ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان
اخبارهم بايتاء كل شي من الاشيا التي من جملتها الات الحرب واسباب الغزو مما ينبي عن ذلك
فيعني قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة
مخاطبيه فانهم كانوا رؤسا مملكته وعظما دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا

تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول
الامر لما ان الجن طايفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير فهم يوزعون
اي يحبس اوايلهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف
منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر
وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوايلهم بالذكر دون سوق اواخرهم
ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوايلهم من السير
السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مايه فرسخ
في مايه خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمايه منكوحة
وسبعمايه سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره
في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمايه الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبيا
عليهم السلام على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى
انه كان يامر الريح العاصف تحمله وتامر الرخا تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السما
والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشي الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث
فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في سمعه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت
الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير
مما اوتي ال داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى هي التي يبتدا بها الكلام ومع ذلك
هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جا امرنا وفار التنور قلنا احمل الاية وهي ههنا
غاية لما ينبي عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ ووادي
النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطايف على ما قاله كعب وقيل هو واد
تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان
المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشي اذا انفذه وبلغ اخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا
عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهوا وقوله تعالى قالت نملة
جواب اذا كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها
من النمل لمرادها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلا ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم
حيث جعلت هي قايلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع
انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرى نملة يا ايها النمل بضم
الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرى بضم النون والميم قيل
كانت نملة عرجا تمشي متكاوسة فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة اميال
وقيل كان اسمها طاخية وقرى مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة
للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم
كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا اجوب

لدفان النون لا تدخل في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله
لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم
بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان وسائر
الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم
لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح
بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي
هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم
مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولم تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني
ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح
ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما
انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اي تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف
احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كانه
قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول اهو
غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله
مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان
مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير الثالث وقرئ ليأتينني
بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره
فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف
بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا
الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين
فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام
حلق الهدهد فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر
له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد
مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا
غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا
هو موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد
الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق
الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك
قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه
يجرها على الارض تواضعا فلما دنا منه اخذ عليه السلام براسه فمده اليه وقال يا نبي الله اذكر

اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت
بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق ق
وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف
التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل
مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا
عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية يحتاج الى الاعتذار رغبته بان ذلك كان منه بطريق الالهام
فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفه
من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب
الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة
ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء
ع وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج
كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس
للاعتذار المبني على امر بديع اقبل واي تلق لما لا تعلمه اسأل ثم ابده بقوله وجئتك من سبأ
بنبأ يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراد عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة
مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا
فما اصل رغبته عليه السلام مع ما حكى عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة
الالهية تنبيهه عليه السلام على تركه وسبأ منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ
بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة
غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى
هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف
سليمان عليه السلام على نبئهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لابد له من حكمة داعية اليه البتة
وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مارب
وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة
نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب
وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر
الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك
من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها
مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد
خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته
ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم
بذكر مدينتهم على انه اسمها واوتيت من كل شيء اي من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش
عظيم قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة

مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابواب على كل
بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة
الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك ويجوز ان يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان
فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى الحديث وتوجيه
عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان
أعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن
السبيل اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقبيح طرق كفرهم وضلالهم ومن
ضرورته تسنن طريق الحق الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى ألا يسجدوا لله
مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم اعمالهم
لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا وقيل هو في
موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى
لا يهتدون الى ان يسجدوا لله تعالى وقرئ ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي ألا
يا قوم اسجدوا كما في ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهته
تعالى ومن سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه
واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون
على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما
كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر
اوصافه الموجبة لذلك انه لما رسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما
اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله تعالى ويعلم
ما يخفون وما يعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم
الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما يخفونه من الاحوال فيجازيهم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة
العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة
بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال
الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي
هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف
الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء
والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام
واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج
الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من
سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام
نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته الى غزوها وتسخير ولايتها قال استيناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك

ذلك قيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التامل والسين للتاكيد اي سنتعرف بالتجربة
البتة أصدقت أم كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم
للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه
فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون
لها مصداق اصلا لاسيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب
والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده
عليه السلام وقد قاله عليه السلام بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه بالرسالة
دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل
العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى لها عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب
تتوارى فيه فانظر اي تامل وتعرف ماذا يرجعون اي ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع
الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما ذهب الهدهد
بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة
ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام
كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها
بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب
على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها
فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة
عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها
يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم
او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استيناف
وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وما ذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه
او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه
وانه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل
على انه بدل من كتاب وقرئ انه من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة الا تعلوا علي
ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها
الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ألا تعلوا او النصب باسقاط
الخافض اي بان لا تعلوا علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم وأتوني مسلمين
اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الايمان مستتبع
للانقياد حتما روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على
من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة
على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة
معجزة باهرة دالة على رسالة مرسله دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية
اعتنائها بما في حيزه من قولها يا أيها الملأ افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي حزبني

وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا
للأمر ورفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة أمرا
أي من الأمور المتعلقة بالملك حتى تشهدون أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف واستمالة
لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه
قيل فماذا قالوا في جوابها قالوا نحن أولوا قوة في الأجساد والآلات والعدد وأولوا بأس شديد
أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك فانظري ماذا تأمرين
ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك أو أراد ونحن من أبناء الحرب لا من أبناء
الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل
إلى الحرب والعدول والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة
عن شأن سليمان وذلك قوله تعالى قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى على منهاج
المقاتلة والحرب أفسدوها بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال وجعلوا أعزة أهلها أذلة
بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال وكذلك يفعلون تأكيد
لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل هو
من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا إثر قوله تعالى لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربي وإني مرسلة إليهم بهدية تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم وإتيانها بالجملة
الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه
صارف ولا يثنيها عاطف أي وإني مرسلة إليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون
حتى أعمل بما يقتضيه الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن كالأساور
والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر
وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها
المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا
لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا
شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره
على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من
جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا والوحش والسباع والطيور والهوام
كذلك فلما دنا القوم ونظروا وبهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن تقاصرت إليهم نفوسهم ورموا
بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل
عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة
فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في
الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما

يأخذه
كما يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان أي الرسول قال أي مخاطبا
للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده قراءة فلما جاءوا والأول
أولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمها لبلقيس وقومها ويؤيده الإفراد في قوله تعالى
ارجع إليهم أتمدونن بمال وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه
وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله أي مما آتاني من النبوة
والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا
حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للإنكار ولعله عليه السلام إنما قال لهم هذه المقالة
التي أخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه السلام
خاطبهم بها أول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدون بالإدغام
وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل أنتم بهديتكم تفرحون إضراب عما
ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه السلام
افتخارا وامتنانا واعتدادا بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان
والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على أن إمداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد
ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل
المضاف إليه المهدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون
إلا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع إفراد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص
الرجوع بالرسول وعموم الإمداد ونحوه للكل أي ارجع أيها الرسول إليهم أي إلى بلقيس وقومها
فلنأتينهم أي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على
مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ أذلة أي حال كونهم أذلة
بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون
أي أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجلاء وعدم وقوع
جواب القسم لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع
إليهم فليأتوا مسلمين وإلا فلنأتينهم الخ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قال عليه السلام
لما دنا مجيء بلقيس إليه عليه السلام روي أنه لما رجعت رسلها إليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام قالت
قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي
حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت
إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف وروي أنها أمرت فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها
في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى
سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها
فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الإتيان به بقوله تعالى قبل أن يأتوني مسلمين لما أن ذلك أبدع وأغرب
وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها
واطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها وقيل لأنها إذا أتت مسلمة لم يحل له أخذه إلا برضاها

قال عفريت اي مارد خبيث **من الجن** بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه
ذكوان او صخرا **انا آتيك به** اي بعرشها **قبل ان تقوم من مقامك** اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى
نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب بمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق
لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا آت به في تلك المدة البتة **واني عليه** اي على الاتيان به
لقوي لا يثقل علي حمله **امين** لا اختار منه شيئا ولا ابدله **قال الذي عنده علم من الكتاب**
فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين
او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل هو
سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير
علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية **انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك**
الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط
بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت
استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار
وجيء بالفاء الفصيحة الداخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله
عز وجل ان اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل **فلما رآه**
مستقرا عنده اي راى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رأينه اكبرنه للدلالة على
كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية
سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فرآه فلما رآه الخ عليه السلام
فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد وبين رؤيته
اياه شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط
بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده
منتظما في سلك ملكه **قال** اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه
من انبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده **هذا** اي حضور العرش بين يدي في هذه المدة القصيرة
او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل **من فضل ربي** اي تفضله علي من غير استحقاق
له من قبلي **ليبلوني أأشكر** بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة او اقوم
بحقه **ام اكفر** بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شان سائر النعم
الفائضة على العباد **ومن شكر فانما يشكر لنفسه** لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط
عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران **ومن كفر** اي لم يشكر **فان ربي غني** عن شكره **كريم**
بترك تعجيل العقوبة والانتقام مع عدم الشكر ايضا **قال** اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع
كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما
ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه **نكروا لها عرشها** اي غيروا هيئته بوجه من
الوجوه **ننظر** بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف **اتهتدي** الى معرفته او الى
الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة
طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب وياباه تعليق

تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا مدخل فيه للتنكير **ام تكون** اي بالنسبة الى علمنا
من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر
منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار
فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس سليمان
عليه السلام وقد كان العرش بين يديه **قيل** اي من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة
اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من
ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة
العقل **قالت كأنه هو** فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال
تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته
عليه السلام **واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** من تتمة كلامها كانها ظنت انه عليه السلام اراد
بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من
قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك
الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى **وصدها ما**
كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى
الآن اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى **انها كانت من قوم كافرين** تعليل
لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على
اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على
البدلية من فاعل صد وعلى التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى
قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا
لاسلامها فقالوا استحسانا لشانها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر
من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم
واوتينا العلم الخ اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل
على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها
عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهري الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف
قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها
قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره
في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا
لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت
جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك
من هو اشد واقطع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها
بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها **فلما رأته** وهو حاضر بين يديه كما يعرب عنه
الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله جزما **حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** وتشمرت لئلا تبتل اذيالها
فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذو

واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها
ثلاثة ايام وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه
فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سوق واسوق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها
من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين
عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي اي بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان
حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وفي
قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار
معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما
كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما
مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام تلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا
من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى
ثمود اخاهم صالحا وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية
حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام للفريق الكافر منهم
بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة
قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده
تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم
ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر
عنه بذلك لانهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا
تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد
اي تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف
وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره
او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون
او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو
الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار
لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم
حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورباب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة
وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة فقط افسادا بحتا
لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي لا يفعلون شيئا من الاصلاح
او لا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض
اثناء المشاورة في امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة

ثلاثة ايام الخ تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد
وقوله تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم
لبعض وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اي لولي صالح
وقرئ بالتاء والياء وكما قبله ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم فضلا ان
تولينا هلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال اي نقول
ما نقول والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا
مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة
ومكرنا مكرا اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون او جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة
لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا
دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل
على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من
الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين بحيث لم يشذ
منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف
الجار اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان ولا وجه لان يكون
قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف روي انه كان
لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ
منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم هم
فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين
هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجا صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل
شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون
راميا فتلك بيوتهم جملة معترضة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما
ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون
اي ما من شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين
وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على
ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه
ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال
والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اي وانجينا
لوطا وهو بعيد اتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى
وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح
من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اي اتفعلونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها
كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية الانكار

الجزء العشرون

وتكرير التوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للإيذان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الإتيان **من دون النساء** متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة **بل أنتم قوم تجهلون** تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** يتنزهون عن افعالنا او عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الأعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالأمر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها** اي قدرنا انها **من الغابرين** اي الباقين في العذاب **وأمطرنا عليهم مطرا** غير معهود **فساء مطر المنذرين** قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى** اثر ما قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص الأنبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على ألسنتهم حقية الإسلام والتوحيد وبطلان الكفر والإشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره صلى الله عليه وسلم بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التي هي من جملة المعارف التي أوجبت الحمد أداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده **آلله خير أما يشركون** اي آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير أما يشركونه به تعالى من الأصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير إلا خيره ولا إله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الأليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فأنبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما أمر به كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وأم في قوله تعالى **أمن خلق السموات والأرض** منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الأولى للإضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فللتنبيه على تبكيت وتكرير الإلزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقرير اي حملهم على الإقرار بالحق على وجه الاضطرار فإنه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف

بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منافعه من أخس تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الأول خلا أن التشريك ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وكذا في المواضع الأربعة الآتية والمعنى بل أمن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأي منافع ما بينهما **وأنزل لكم** التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الأولى لتشديد التبكيت والإلزام اي وأنزل لأجلكم ومنفعتكم **من السماء ماء** اي نوعا منه هو المطر **فأنبتنا به حدائق** اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط **ذات بهجة** اي ذات حسن ورونق يبتهج به الناظر **ما كان لكم** اي ما صح وما أمكن لكم **أن تنبتوا شجرها** فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خبرا ما تشركون وتقديم صلتي الإنزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والإيذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الأول على ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها **أإله مع الله** اي أإله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض أفعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الألوهية عما يشركون به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فإن احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انتفاء الألوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الأربعة الآتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى إله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط لأنهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله بل بإشراكهم به تعالى في العبادة ما يقرون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الألوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله تعالى في خواص الألوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالإنكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والأول هو الأظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من إله والأوفق بمقتضى المقام لإفادته نفي وجود إله آخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفي وقوعه فقط وقرئ أإله بتوسط مدة بين الهمزتين وبإخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها بإضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون او أتشركون **بل هم قوم يعدلون** اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل أمر من الأمور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الإشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الإفادة **أمن جعل الأرض قرارا** قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ ولعل ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والأظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت

بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام بجهة من الجهات اى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء وجوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم **وجعل خلالها** اوساطها **انهارا** جارية ينتفعون بها **وجعل لها رواسى** اى جبالا ثوابت يمنعها ان تميد باهلها وتكون فيها المعادن وتنبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى **وجعل بين البحرين** العذب والمالح او خليجى فارس والروم **حاجزا** برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداع وتاخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق **أإله مع الله** في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر **بل اكثرهم لا يعلمون** اى شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره **امن يجيب المضطر اذا دعاه** وهو الذى احوجه شدة من الشدائد والجاته الى اللجا والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى رحمه الله من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر **ويكشف السوء** وهو الذى يعترى الانسان مما يسوءه **ويجعلكم خلفاء الارض** اى خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط **أإله مع الله** الذى يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام **قليلا ما تذكرون** اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التى اريد بها العدم او ما يجرى مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفيه تذييل للكلام بنفى التذكر عنهم ايذانا بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكى وغبى وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام **امن يهديكم في ظلمات البر والبحر** اى في ظلمات الليالى فيهما على ان الاضافة للملابسة وفي مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها **ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته** وهى المطر ولئن صح ان السبب الاكثرى في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها بالهوى فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا **أإله مع الله** نفى لان يكون معه اله آخر وقوله تعالى **تعالى الله عما يشركون** تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اى تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم **امن يبدأ الخلق ثم يعيده** اى بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث **ومن يرزقكم من السماء والارض** اى باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع يقتضيه الحكمة التى بنى عليها امر التكوين خير ام ما يشركون في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شئ اصلا **أإله** آخر موجود **مع الله** حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى **قل هاتوا برهانكم** امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اى هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شئ مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان

كان فيهما في الحقيقة يخطا لبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا وانى لهم ذلك **ان كنتم صادقين** اى في تلك الدعوى **قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله** بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما فغيرهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولاولى العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة **وما يشعرون ايان يبعثون** اى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اى وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما للكل لما ان ما يلازم التفكيك بينه وبين ما سياتى من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل للكل واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم **بل ادارك علمهم في الآخرة** لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم في جهل فاحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الآخرة التى ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشئ مما سيكون فيها قطعا لكن لا على انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم وما من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل **بل هم في شك منها** اى في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التى سيقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل **بل هم منها عمون** حيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفنى وقد فسره الحسن البصرى باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناهما الظاهر اى تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم ح ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابات على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابى فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل اادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبل ادرك وبلى

ادارك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة ثمانية استفهام صريح او متضمن من ذلك فهو انكار
ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار
وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها
عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم
للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم
ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي اخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون
ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج
بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا
وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا
عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد
في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان
تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى
عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا
لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عليه السلام
وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق
لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير الاولين
تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم
للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي ينكرونه فان في
مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين
في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما
يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز
ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد
اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار
بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كالباء في قوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض
الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما
يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد
الله تعالى ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على
تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة
انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه بل يستعجلون وقوعه كدأب هؤلاء من المعاصي التي من
جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء
اي سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان

بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في
سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء
والارض اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب
ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح
المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العتو والغلو
في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء حتى بلغت المنافرة الى حيث
لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم
اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا
يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله
لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي
فتوكل على الله الذي هذا شأنه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه
وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق
ق المبين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق
بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الخ تعليل آخر للتوكل
الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد
علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من
جهته عليه السلام على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه
الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه
للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم
ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما
شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم
سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر
من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا
يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر وتقييد النفي
بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون
عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة
صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء
منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وقيل
بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع

سماع عدى السامع نفعا **الا من يؤمن بآياتنا** اى من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى والاثبات
دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدى الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات
التنزيلية **فهم مسلمون** تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى
من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله تعالى **واذا وقع القول عليهم** بيان لما اشير اليه بقوله تع
بعض الذى يستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات
الكريمة بمجىء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها
عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها
من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما فى قوله تعالى أتى
امر الله اى اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذى لا يكادون يسمعونه ومصداقه **اخرجنا**
لهم دابة من الارض وهى الجساسة وفى التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمى من
الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد فى الحديث ان
طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى ان لها اربع قوائم ولها زغب
وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها فقال رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة
وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا
بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير وروى عن على رض
انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروى لا يخرج الا
رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابى هريرة رضى الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها
فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن على رضى الله عنه انها
تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين
تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى انها تخرج ثلاث
خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس فى اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج
من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروى بينما عيسى عم يطوف
بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج
الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا
فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضىء لها وجهه وتكتب بين عينيه هو مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى
انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة
وانت يا فلان من اهل النار وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم
وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة
فتصرخ ثلث صرخات يسمعها من بين الخافقين تتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى **تكلمهم**
ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اى تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة
بمجىء الساعة ومباديها او بجميع آياته التى من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التى من جملتها خروجها

خروجها بين الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس الآية واضافة الآيات
الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول
الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا
وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اى بآيات ربنا ووصفهم بعدم
الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها
وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام فى
الاضافة كالذى سبق وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكلمها ويرده
الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فانه صريح فى كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق فى الدنيا
والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة وقد روى عن وهب انها تخبر كل من تراه
ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذى هو الجرح والمراد به ما نقل
من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده
ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض
مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو
الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود
تذكر ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اى واذكر لهم وقت حشرنا اى جمعنا من كل
امة من امم الانبياء عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل
امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى **ممن يكذب بآياتنا** بيان للفوج اى فوجا
مكذبين بها **فهم يوزعون** اى يحبس اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا فى موقف
التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن
عباس رضى الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى اهل مكة
وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **حتى اذا جاؤا** الى موقف السؤال والجواب
والمناقشة والحساب **قال** اى الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة
أكذبتم بآياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى **ولم تحيطوا بها علما** جملة حالية
مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اى أكذبتم بها بادى
الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص فى ان
المراد بالآيات فيما سلف فى الموضعين هى الآيات القرآنية لانها هى المنطوية على دلائل الصحة
وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة
وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اى أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها **ام ماذا كنتم**
تعملون ام اى شىء كنتم تعملون بها او ام اى شىء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل
غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك
تبكيتا ثم يكبون فى النار وذلك قوله تعالى **ووقع القول عليهم** اى حل بهم العذاب الذى هو
مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله **بما ظلموا** بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله **فهم لا**
ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم **ألم يروا أنا**

جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما
كما ذكر من قبيل المعقولات اى الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار
والنهار مبصرا اى ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب فى امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار
الذى هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى
الليل هذا المسلك لما ان تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الابصار ان فى
ذلك اى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل
لآيات اى عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة
واضحة كيف لا وان من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على
حكم رائقة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد فى الآفاق تبدل ظلمة
الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعاين فى نفسه تبدل النوم الذى هو اخو الموت
بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قضاء
متقنا وجزم بان الله تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الآيات الناطقة
به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم
ينفخ فى الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او مضمر معطوف عليه والصور هو القرن
الذى ينفخ فيه اسرافيل عم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ
تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل عم فهو واضعه على فيه شاخص بصره
الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى
نفسى بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها
فى الحياة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى
الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذى يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه ان المراد
بالنفخة ههنا هى النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض
ما يعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات فى الانفس والآفاق
من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه اعنى ينفخ مضارعا
للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن
بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد
منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعى الترتيب لربما
توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر فى قصة البقرة الا من شاء الله اى الا من تفزع فيه
وكل اى عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة
والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ اتوه اى حاضروه
داخرين اى صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل فى حكم
التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة ثابتة فى اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من
مفعوله وقوله تعالى وهى تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال فى تحسبها او فى جامدة اى تراها رأى

کلهم صح

رأى العين ساكنة والحال انها تمر فى الجو مر السحاب الذى تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام
العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل
الاجزاء وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة
الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها
على ما ذكر من الهيأة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى
لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن
الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون
الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان
اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية
وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضى
فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل
وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل فيه ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يستتبع الموت
لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الخ فيختص اثرها بمن كان
حيا عند وقوعها من مات قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره
تعالى وانقيادهم ولا ريب فى ان ذلك مما ينبغى ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا
ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى اريدت بقوله
وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون
سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموسقة فى البحر او كالقنديل المعلق ترجحه
الارياح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذى لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص فى الباب
ما سيأتى من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اى
صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ فى الصور وما يترتب عليه جميعا قصد به التنبيه
على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم
وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية ويكون لها عاقبة بل هى من قبيل بدائع
صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التى لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى
الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذى اتقن كل شئ اى احكم
خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما يفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا
محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها
وبيان كيفياتها على ما هى عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل
السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق
لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير
اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اى من جاء منكم او من اولئك الذين اتقوا
تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها

دی الجميلة صح

وفيه فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة **وهم** اى الذين
جاؤا بالحسنات **من فزع** اى عظيم هايل لايقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب **يوم**
تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه
حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت **يومئذ** يوم اذ ينفخ في الصور **آمنون** لايعتريهم ذلك الفزع الهايل ولا يلحقهم
ضرره اصلا واما الفزع الذي يعترى كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى
فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو
منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى
أفأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور
في القراءة الاولى لاجميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها
كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار** اى كبوا فيها على
وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **هل تجزون الا
ما كنتم تعملون** على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اى مقولا لهم ذلك **انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها** امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد
وشرح احوال القيمة تنبيها لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد
ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا
واصلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم
انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر
فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال
مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها لتشريفها وتعظيم ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب
الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن
الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد
شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد بها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي الجرائم وارادوا الفجور
واشنع احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها فانهم الله
انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى **وله كل شيء** اى خلقا وملكا وتصرفا من غير ان
يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف
مع عموم الربوبية لجميع الموجودات **وامرت ان اكون من المسلمين** اى اثبت على ما كنت عليه من
كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **وان اتلو القرآن** اى اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه
الرايقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية
الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى
فمعنى قوله تعالى **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه** ح فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من
الشرايع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة

وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عايدة اليه لا الى غيره **ومن ضل** بالكفر به والاعراض عن العمل
بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر **فقل** في حقه **انما انا من المنذرين** وقد خرجت عن عهدة الانذار
فليس على من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط **وقل الحمد لله** اى على ما افاض على من نعمائه
التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ
احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى **سيريكم آياته** من جملة
الكلام المامور به اى سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وساير
الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى **فتعرفونها** اى فتعرفون انها آيات الله تعالى
حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعرفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى
وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن
للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب
اولا به صلى الله عليه وسلم وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اى وما ربك بغافل عما تعمل انت من
الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون
على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك غافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا يحسبوا
تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهودا وصالحا وابرهيم
وشعيبا عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه
نتلوا عليك اى نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان تكون التلاوة مجازا من التنزيل **من
نبإ موسى وفرعون** مفعول نتلوا اى بعض نبائهما **بالحق** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو
او من مفعوله او صفة لمصدر اى نتلو عليك بعض نبائهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة
بالحق **لقوم يؤمنون** متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون
به **ان فرعون علا في الارض** استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد
للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اى انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في
الظلم والعدوان **وجعل اهلها شيعا** اى فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويستخدم من
بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا
مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم **يستضعف طايفة منهم**
وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله تعالى **يذبح
ابناءهم ويستحيي نساءهم** بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل
مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق لما فائدة القتل وان
كذب فما وجهه **انه كان من المفسدين** اى الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك

العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام **ونريد ان نمن** اي نتفضل **على الذين استضعفوا في الارض** على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة والاستضعاف مقارنة المراد لها لما ان تعلقها استقبالي على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها **ونجعلهم ائمة** يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين **ونجعلهم الوارثين** لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين او تأخر ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى **ونمكن لهم في الارض** الخ نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤون واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه **ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم** اي من اولئك المستضعفين **ما كانوا يحذرون** ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية **واوحينا الى ام موسى** بالهام او رؤيا **ان ارضعيه** ما امكنك اخفاؤه **فاذا خفت عليه** بأن يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه **فالقيه في اليم** في البحر وهو النيل **ولا تخافي** عليه ضيعة بالغرق ولا شدة **ولا تحزني** لفراقه **انا رادوه اليك** عن قريب بحيث تأمنين عليه **وجاعلوه من المرسلين** والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى الى امه ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى **فالتقطه آل فرعون** فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا

غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل معه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برئت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي تحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله تعالى **ليكون لهم عدوا وحزنا** لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم **ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطأ **وقالت امرأة فرعون** اي لفرعون حين اخرجته من التابوت **قرة عين لي ولك** اي هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه احباه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها **لا تقتلوه** خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده **عسى ان ينفعنا** فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة **او نتخذه ولدا** اي نتبناه فانه خليق بذلك **وهم لا يشعرون** حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه **واصبح فؤاد ام موسى فارغا** صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فزعا من قولهم وما هم بينهم فزع اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه **ان كادت لتبدي به** اي انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه **لولا ان ربطنا على قلبها** بالصبر والثبات **لتكون من المؤمنين** اي المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وعلة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه **وقالت لاخته** مريم والتعبير عنها باخوته عليه السلام دون

ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اى اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به
عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه
وتتعرف حاله او انها اخته والتعبير عنها باخته دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة
للامتثال بالامر وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى المراة
التى ترضع او مرضع هو الرضاع او موضعه اعنى الثدى من قبل اى من قبل اثرها فقالت عند رؤيتها
لعدم قبوله الثدى واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها
قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون
بان تاتى بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها
استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امراة طيبة الريح طيبة
اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فقرره فى يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله
تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله
حق اى جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك
وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده اى المبلغ الذى
لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى
الا على راس الاربعين واستوى اى اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين او علم
الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة
لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين
على احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها
على حين غفلة من اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اى ممن شايعه على دينه وهم
بنو اسرائيل وهذا من عدوه اى من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه
الذى من شيعته اى ساله ان يغيثه بالاغاثة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه على
الذى من عدوه فوكزه موسى اى فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى
عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى
عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين
فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال
قال توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف
الاول رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اى
البالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت على اما قسم محذوف الجواب
اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اى بحق

اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن تؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه عليه السلام لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين
اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
او الاخبار فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى
انك لغوى مبين اى بين الغواية تسبب لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو
لهما اى لموسى والاسرائيلى اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق
وقرئ يبطش بضم الطاء قال اى الاسرائيلى ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما توهمه لتسميته اياه
غويا يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم
ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى ع م
وقيل قاله القبطى ان تريد اى ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وهو الذى يفعل كل ما يريده
من الضرب والقتل ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان
تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اى كائن من آخرها
او جاء من آخرها يسعى اى يسرع صفة لرجل وحال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا صلة لجاء
فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين
يامر الآخر ويأتمر فاخرج اى من المدينة انى لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة
لا يتقدمها فخرج منها اى من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجنى من القوم
الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب
عليه السلام سميت باسم مدين ابن ابرهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية
ايام قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل توكلا على الله وثقة بحسن توفيقه وكان لا
يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ الوسطى وجاء الطلاب وتبعوا فى الآخرين وقيل خرج
خائفا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة
فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اى
فوق شفيرها امة جماعة كثيرة من الناس يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم فى موضع
اسفل منهم امراتين تذودان اى تمنعان اغنامهما عن التقدم الى البئر كيلا تختلط
باغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم قال عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التاخر
والذود ما خطبكما ما شانكما تعنى بما انتم عليه من التاخر والذود ولم لا تباشران السقى كداب هؤلاء
قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء اى عادتنا لا نسقى حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ريها من
الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف
مفعول السقى والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هى التى دعت
موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد
للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهم لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا
مثلا وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء اسم جمع كالرجال واما الرعاء

جمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى **وأبونا شيخ كبير** ابلا منهما للعذر اليه عليه السلام في توليهما السقي
بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا
رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي
الناس اوطارهم من الماء **فسقى لهما** رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر نقل روي ان الرعاة
كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله
وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا
الحجر على البئر ليعجز عليه السلام عن ذلك فان الظاهر انه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع
الى السقي لهما وقد روي انه عليه السلام دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى
عليها الصخرة المذكورة وروي انه عم سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا
ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما **ثم تولى
الى الظل** الذي كان هناك **فقال رب اني لما انزلت الي** اي لاي شيء انزلته الي **من خير** جل او قل
وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام **فقير** اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام
الدعاء لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عم اظهارا للتبجح والشكر على ذلك **فجاءته احديهما** قيل هي
اكبرهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما
لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا
فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى **تمشي** حال من فاعل جاءت وقوله تعالى
على استحياء متعلق بمحذوف وهو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي على استحياء فمعناه انها كانت
على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم
قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل استترت بكم درعها **قالت** استيناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت **ان ابي يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا** اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها
ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي
امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى
اتيا دار شعيب عليه السلام **فلما جاءه وقص عليه القصص** اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه
مصدر سمي به المفعول كالعلل **قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** الذي يلوح من ظاهر النظم
الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عم ويستظهر
برأيه لا ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا انه روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عم
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص
وعرفه انه صلوات الله عليهما من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم
لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل
الاجر الا اضطرارا للفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه عليه السلام رفع صوته بدعايه

بدعايه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعل ليكون ذريعة الى استدعائه لا
الى استيفاء الاجر **قالت احديهما** وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها موسى عليه السلام **يا ابت
استأجره** اي لرعي الغنم والقيام بامرها **ان خير من استأجرت القوي الامين** تعليل جار مجرى
الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي
للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ن
ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه **قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني** اي تكون اجيرا
لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى **ثماني حجج** على الاول ظرف وعلى الثاني
مفعول به على تقدير مضاف اي رعيه **ثماني حجج** ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير
ممدود واجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على
ان تأجرني نفسك وقوله تعالى **ثماني حجج** ظرف كالوجه الاول **فان اتممت عشرا** في الخدمة والعمل
فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب
عرض لرأيه على موسى عليه السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل **وما
اريد ان اشق عليك** بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق
المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام
بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى **قال ذلك
بيني وبينك** مبتدأ وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا
جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى
ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما **قضيت** اي وفيتكه باداء الخدمة فيه **فلا عدوان علي**
تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا اعتداء علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم
انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما رأسا للقصد
الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني
وايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط
وقرئ ايّ الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتأكيد
ابهام اي وشياعها وقرئ ايْما بسكون الياء كقوله من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما على
من الغيث استهلت مواطره **والله على ما نقول** من الشروط الجارية بيننا **وكيل** شاهد
وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما
من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما
يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي
انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي
وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل
الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها

فاوقع في يده الاهي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم وكانت
معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا
فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما
فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ
فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب
اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها كثيرا الا ان فيها تنينا اخشى عليك
وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف
لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام
دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام مس الغنم
فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليه السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا
وقال لابنته اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعا فاوحى اليه في المنام ان اضرب
بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعا فوفى له بشرطه والفا
في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي تعقد العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل
وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عليه السلام قضى ابعد الاجلين ومكث
عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله
آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا
لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في راسه
نار اولا قال فالجم • باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذى غير خوار ولا دعر •
وقال • والقى على قبس من النار جذوة • شديدا عليها حرها والتهابها • ولذلك بين بقوله
تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار
نودي من شاطئ الواد الايمن اي اتاه الله من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام
في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت
نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل
لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفا
في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها
واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كانها
جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع
يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون
اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك
اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى
تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخر هو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار
جرأة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا

ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب
اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون
الهاء وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف
مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم بره الرجل اذا جاء
بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض يقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة
سلطانا من التسليط وهو الربت لانا ربقا وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى
من ربك متعلق بمحذوف وهو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان
ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء
بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به
كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني
اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره
وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال
سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك
فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا
باياتنا او بنجعل اي نسلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجواب
لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة
لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي واضحات
الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما
موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا
سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف
بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي واقعا
في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه
جواب عن مقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما
من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية
هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب
فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اي لا
يفوزون بمطلوب ولا ينجون من محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري
قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين
اي اصنع آجرا فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان
جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه
اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم

كما في قوله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص
العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم
الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الأرض
أرض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وسكون
الجيم من رجع رجوعا والأول من رجع وهو الأنسب بالمقام فأخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا
من الكفر والعتو أقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الأخذ وتهويله
واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر
ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم أي صيرناهم في
عهدهم أئمة يدعون إلى النار إلى ما يؤدي إليها من الكفر والمعاصي أي قدوة يقتدي بهم
أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم إلى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم أئمة دعاة إلى النار
كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والأنسب أن يكون الجعل بعدهم
فيما بين الأمم وتكون الدعوة إلى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الألطاف الصارفة عن ذلك
ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
طردا وإبعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون
خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين
بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه
إذا جعله قبيحا وقال أبو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة إما متعلق بالمقبوحين على
أن اللام للتعريف لا بمعنى الذي أو بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من
القالين ولقد آتينا موسى الكتاب أي التورية من بعد ما أهلكنا القرون الأولى هم أقوام
نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون إيتائها بعد إهلاكهم للإشعار بمساس الحاجة
الداعية إليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية إلى إنزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله [عليه وسلم]
فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤدين
إلى اختلال نظام العالم وفساد أحوال الأمم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الأصول الباقية على
مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الأمم الخالية الموجبة للاعتبار
كأنه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة إلى إيتائها بصائر للناس أي أنوارا لقلوبهم يبصرون بها
الحقائق ويميزون بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والإدراك بالكلية فإن البصيرة
نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر وهدى أي هداية إلى الشرائع
والأحكام التي هي سبيل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل
على الحال من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أي ذا بصائر
وقيل على العلة أي آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة

البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان أن إنزال القرآن الكريم أيضا
واقع في زمان شدة مساس الحاجة إليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا
صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الأحوال لا يتسنى إلا بالمشاهدة
أو التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين أنه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله
تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم الآية وما كنت بجانب الجبل الغربي الذي [أو المكان الغربي]
وقع فيه الميقات على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربي على إضافة الموصوف
إلى الصفة كمسجد الجامع إذ قضينا إلى موسى الأمر أي عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي
وإيتاء التورية وما كنت من الشاهدين أي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات
حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الألواح فتخبره للناس
ولكنا أنشأنا قرونا أي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول
عليهم العمر وتمادى الأمد فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنباء لا سيما على آخرهم فاقتضى
الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله
تعالى وما كنت ثاويا في أهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن
شاهدها أي وما كنت مقيما في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم أي تقرأ على
أهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة إما حال من المستكن في ثاويا أو خبر ثان
لكنت ولكنا كنا مرسلين إياك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرها وما كنت بجانب الطور
إذ نادينا أي وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبائنا إياه وإرسالنا له إلى فرعون
[س] ولكن رحمة من ربك أي ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك
وقيل علمناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات إلى اسم الرب للإشعار بعلة الرحمة وتشريفه
عليه السلام بالإضافة وقد اكتفي عن ذكر المستدرك هنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفي في
الأول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود وإشعارا بأنه المراد
فيهما أيضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة وهو ما ذكرنا
من إرساله عليه السلام بالقرآن حتما لما أنه المعلل بالإنذار لا بتعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على أنه
[عم] خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما أتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما أي لم يأتهم نذير لوقوعهم
في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى
وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل لعلهم يتذكرون أي يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين
قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته
عم القصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولا نفي ثوائه عم في أهل مدين ثم نفي حضوره عند قضاء [عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره]
الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا
أن تصيبهم مصيبة أي عقوبة بما قدمت أيديهم أي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على
تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف
عليه وإنما ذكر في حيزها للإيذان بأن السبب الملجئ لهم إلى قولهم ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
أي هلا أرسلت إلينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا

الثانية ونكون من المؤمنين بهما وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا
قولهم هذا عند اصابة عقوبتهم بما جنت ايديهم ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا
محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اى اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه
عليه السلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتى يعنون به عليه السلام مثل ما اوتى موسى من الكتاب المنزل
جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كما يخفى انه عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتى
موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا
من قبل هذا القول بما اوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق لتقرير
كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ساحران خبر لمبتدأ محذوف اى هما يعنون
ما اوتى محمد وما اوتى موسى عليهما السلام تظاهرا اى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر وذلك
انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده في التوراة بنعته
وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اى بكل
واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية
عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الاظهر قوله تعالى قل
فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتيناه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين
فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اى ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به
من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع
دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اى في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع
صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما
كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال من امره كان
امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء
بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه
فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به
ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكارى للنفي اى لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوى كما مر في نظائره مرارا وتقييد
اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته
لهداية الله تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى والاعراض عن الايات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ
بالتخفيف اى انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم
الكتاب من قبله اى من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون
من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اى القرآن
عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اى الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم

الموصوفون بما ذكر من النعوت
يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم
بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا

ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد
لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك بصبرهم على
الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين
ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما
كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي
هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام
وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء
اى يهديه ويدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت
في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت
ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينيك عند الفراق لما
ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا
اى الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون
يجبى اليه وقرئ تجبى اى يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما
دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة
اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اى
جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم
يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه
مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان
الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا بأس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها
اى وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم
وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا
اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله
مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اهلاك القرى
المذكورة اى ما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي
وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث في امها رسولا اى في

اصلها وقصبتها التي هي عمالها ونوابها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم آياتنا الناطقة
بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه
في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة
الاهلاك ويرشدهم اليه في حال من الاحوال بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق
الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شأنه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو
الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة
الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن
مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه
اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحقق
الثبوت وعطف بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا اي هو مشوب
بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين
اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند
الله تعالى اي بعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة
من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له فتبكن متعناه
متاع الحياة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على التحقيق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة
وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما
عنوانا او ان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي
الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لتعاقبه بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني
على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم
الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم
به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا
لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم
بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوا اعتذارا وهؤلاء انما
قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا
اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون

يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب
حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا
بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة
واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله
ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما
كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اليك اي من عبادتهم ايانا وقيل
ادعوا شركاءكم امتهانا بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم
قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من
وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا ما رأوا وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا
مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا
عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمى عليهم
لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يخطر بالذهن يفيض عليه
ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى
الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل وجميع الانباء وهي داخلة
فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام
الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول فما ظنك بأولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل
بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك
وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين
بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب
بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه
ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك
مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما
روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا
يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح
سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختياره وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده عليه وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة
لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون
في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره
واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص
يقال درع دلاص اي ملس لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق

الغابر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في
قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظايرهما خلا انه قصد بيان
انتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لابراز التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا
تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل
الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او بتحريكها على مدار فوق
الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار
بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل ولتعرفوا نعمته وتشكروه
عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار
بانه لا شئ اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شئ ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه
وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وحال من فاعله
باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشان النزع وتهويل اي اخرجنا
من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ
ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون
في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي
بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان
يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرا بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا
كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فمالي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة
والحبورة والقربان لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على
شئ الى متى اصبر قال موسى عم هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تاتي باية فامر روساء بني
اسرائيل ان يجي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون
عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من
السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك
حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى وهارون عليهما السلام
وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو
ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة
صلة وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء
بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال
له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل باتيناه ورد بان الايتاء
ليس مقيدا به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله
تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا
لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب
الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا ان

انتفاء الموصوف

استراحة من متاعب الاشغال او لعل
تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا
بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع
افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي
لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه

ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما اتاك الله من الغنى الدار الاخرة
اي ثواب الله تعالى فيما يصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا
وهو ان تحصل بها اخرتك وتاخذ منها ما يكفيك واحسن اي الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك
فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض
نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه انما
اوتيته على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لما ينبئ عنه من انه تعالى انعم
عليه بتلك الاموال والذخاير من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت
به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم
الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم كنوز الكنوز والدفاين وعندي
صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورايي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته
وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ صح
وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى بامثاله من اهل القرون السابقة حتى
لا يغتر بما اغتروا به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه فالمعنى اعلم ما ادعاه
ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل
يعذبون بها بغتة كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك
بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص به اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين
يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته
اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كاينا في زينته قيل خرج على بغلة
شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثماية غلام وعن يساره ثلاثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير
وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين
اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والاخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الاخرة تنبيها على
ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين
ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب
الله في الاخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوا غيره مكتفين بثوابه تعالى
ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة والايمان
والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات
فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى
نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل

يجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام
موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت انت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا
لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل
ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
وهم يناشدونه بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت
عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله
تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله
بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر
اى منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيته
لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب
وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك
وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطا والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على
خطاهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطايه ايانا ما تمنيناه واعطا
مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول
وبنا هو القايم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون رسله وبما وعدوا من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة
تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض غلبة وتسلطا ولا فسادا اى ظلما وعدوانا على العباد كداب فرعون وقارون وفي
تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بتركهما انفسهما مزيد تخويف منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل
ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين
عما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله خير منها
ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول
والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اى الا مثل
ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض
عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اى معاد يتطاول اليه
اعناق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى
وعده وهو بشارة من اهلها انه يهاجر بها منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان
قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم
ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي

فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم صح

قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اى
يعلم وقيل باعلم انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني
بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى
اليك الكتاب اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك
ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك
الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة
الى طلبتهم ولا يصدنك اى الكافرون عن آيات الله اى عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت
اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى
عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر
هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار
ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو
وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته بعرضة
للهلاك والعدم له الحكم اى القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق
والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى
وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيمة انه كان صادقا والله اعلم

سورة العنكبوت مكية سوى عشر آيات من اولها وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظايره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به
تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة
لثبوت شيء لشيء او انتفايه عنه بحيث يحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع
تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منهما صالحة
لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم
غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه
تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف الطاعات
وفنون المصايب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه
ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود
في النار روي انها نزلت في اناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين
وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رماه عامر
بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه
الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى
ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكمة البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه

والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هولاء فصبروا كما يعرب
عنه قوله تعالى وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا الايات وعن النبى صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه
فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه
ذلك عن دينه **فليعلمن الله الذين صدقوا** اى فى قولهم امنا **وليعلمن الكاذبين** فى ذلك والفا
لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنها ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات
الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اى فوالله ليتعلقن
علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان الذى اظهروه والذين هم كاذبون فيه
مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين
وقرى وليعلمن من الاعلام اى ليعرفهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض
الوجوه وسوادها **ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا** اى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم
بمساوى اعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها
من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار
ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسياتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى
ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصى ولم يتفكروا فى العاقبة نزلوا منزلة من يطمع فى ذلك
كما فى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده **ساء ما يحكمون** اى بيس الذى يحكمونه حكمهم ذلك وبيس حكما
يحكمونه حكمهم ذلك **من كان يرجوا لقاء الله** اى يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه
يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه
تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال
بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتى ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة
لما رضى من افعاله او بضد ذلك لما يسخطه **فان اجل الله** الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر
من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر فى الاستعمال اى فان الوقت الذى
عينه تعالى لذلك **لات** لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على
التقضى والتصرم دايما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما
والجواب محذوف اى فليختر من الاعمال ما يودى الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب
كما فى قوله تعالى من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد
والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر بما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى **وهو
السميع** لاقوال العباد **العليم** باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد **ومن جاهد** فى طاعة الله عز وجل
فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها **ان الله لغنى عن العالمين** فلا حاجة الى طاعتهم وانما امرهم
بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته **والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم** الكفر
بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات **ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون** اى احسن جزاء
اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** اى بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا
حسن او ما هو فى حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجرى مجرى امر

مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان فى المامور به نفع عايد الى المامور او غيره وقيل هو بمعنى قال
فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى
وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو وفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على والديه وقرى حسنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم اى بالاهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها للايذان بان ما
لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه **فلا تطعهما** فى ذلك فانه
لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفى تعليق النهى عن
طاعتهما بمجاهدتهما فى التكليف اشعار بان موجب النهى فيما دونها من التكليف ثابت بطريق
الاولوية **الى مرجعكم** اى مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق **فانبئكم بما
كنتم تعملون** بان اجازى كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والاية نزلت فى سعد بن ابى وقاص
عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابى سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم
ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا الذى فى سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل
نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا
المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسما فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم
صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا
وفتلا منه فى الذروة والغارب واستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى
بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضى الله تعالى عنه فقال عمر رضى الله عنه اما اذا عصيتنى
فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتى
قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطى لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة
وذهبا به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد **والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
فى الصالحين** اى فى زمرة الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المومنين وغاية
مامول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين وقال فى حق ابرهيم عليه السلام وانه فى الاخرة لمن الصالحين او فى مدخل الصالحين وهى
الجنة **ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله** اى فى شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على
الايمان **جعل فتنة الناس** اى ما يصيبه من اذيتهم **كعذاب الله** فى الشدة والهول فيرتد عن الدين
مع انه لا قدر لها عند ما يحذر من عذابه تعالى اصلا **ولئن جاء نصر من ربك** اى فتح وغنيمة
ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان فى الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرى بالفتح **انا
كنا معكم** اى متابعين لكم فى الدين فاشركونا فى المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم
اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى **اوليس الله باعلم
بما فى صدور العالمين** اى باعلم منهم بما فى صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون
من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الانسب لما سبق وما
يحكى من قوله تعالى **وليعلمن الله الذين امنوا** اى بالاخلاص **وليعلمن المنافقين** سواء كان كفرهم باذية
الكفرة اولا اى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق **وقال الذين كفروا للذين امنوا** بيان لحملهم للمومنين
على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق

لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جنايته من اضلالهم واللام للتبليغ اى قالوا مخاطبين لهم
اتبعوا سبيلنا اى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذى هو المشى خلف ماش
اخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا فى طريقتنا ولنحمل خطاياكم اى ان كان ذلك
خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة
فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى
وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقرئ من خطيئاتهم اى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم
التى التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض
او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا فى ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا
فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر فى قوله
تعالى انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك
فى الاخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان
بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اى وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر
مع اثقالهم لما تسببوا له من الاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه
شئ ما اصلا وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اى يختلقونه فى الدنيا
من الاكاذيب والاباطيل التى من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما شروع فى بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان
المؤمنين باذية الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم
على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها
فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين عاما وعاش بعد
الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة
على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة
فان المقصود من القصة تسلية رسول الله وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة
واظهار ركاكة راى الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما فى التكرير من نوع بشاعة
فاخذهم الطوفان اى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ على كثرة
وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اى والحال انهم مستمرون
على الظلم لم يتاثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الايات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة
المتمادية فانجيناه اى نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه
وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى
السفينة او الحادثة والقصة اية للعالمين يتعظون بها وابرهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل
باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال
اى ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة
التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتمال من ابرهيم اعبدوا الله
اى وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اى ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اى مما انتم عليه

عليه من التفضيل مع انه لاخيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اى الخير والشر وتميزون
احدهما من الاخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف فى الحكم بخيرية ما ذكر
من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته فى نفسه
بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اى انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هى فى نفسها تماثيل
مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اى وتكذبون كذبا حيث تسمونها الهة
وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد
للتكثير فى الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص
وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون
من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا
اى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق
ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لها
بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اى بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتم به
وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اى تكذبونى فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون
بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اى فلا تضرونى بتكذيبكم فان من قبلكم من
الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا
وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ
المبين اى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة
التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام
مستانف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة
لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقررها والواو للعطف على مقدر اى الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا
مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اى قد
علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدا وقوله تعالى ثم
يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد
الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة باتيانه تعالى كل
سنة مثل ما انشاه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل
به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اى ما ذكر من الاعادة على الله يسير
اذ لا يفتقر فعله الى شئ اصلا قل سيروا فى الارض امر لابرهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك
اى سيروا فيها فانظروا كيف بدا الخلق اى كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبايع متغايرة واخلاق
شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين فى
اقطارها ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن
الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الاخرة المشعر بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما
شان واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم
الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والاخروية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرافة

والرأفة ومحلها النصب على أنها مصدر مؤكد لنشئ بحذف الزوائد والأصل الإنشاءة أو بحذف العامل
أي ينشئ فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا والجملة معطوف على جملة
سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وإظهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ مع إضماره في بدأ
لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علة الحكم وتكرير الإسناد وقوله تعالى
إن الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فإن من علم قدرته تعالى على جميع الأشياء
التي من جملتها الإعادة لا يتصور أن يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما أخبر به يعذب أي
بعد النشأة الآخرة من يشاء أن يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء أن يرحمه وهم المصدقون
بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب وإليه تقلبون
عند ذلك لا إلى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما أنتم بمعجزين له تعالى عن إجراء
حكمه وقضائه عليكم في الأرض ولا في السماء أي بالتواري في الأرض أو الهبوط في مهاويها ولا
بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى إن استطعتم أن
تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا أو القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف
معطوف على أنتم أي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما
يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله أي بدلائله
التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيها النشأة الأولى الدالة
على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام
ولقائه الذي تنطق به تلك الآيات أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه
يئسوا من رحمتي أي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا
منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء وأولئك لهم عذاب أليم وفي تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد
وتنكير العذاب ووصفه بالأليم للدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي أولئك الموصوفون
بالكفر بآيات الله ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف
القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام فما كان جواب قومه بالنصب على أنه خبر
كان واسمها قوله تعالى إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه
وخارجه وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج إبراهيم عليه السلام إلا هذه المقالة
الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد
اللتيا والتي في المرة الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات والأباطيل ما لا يحصى فأنجاه الله
من النار الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما
حسبما بين في مواضع أخر وقد مر في سورة الأنبياء بيان كيفية إلقائه عليه السلام فيها وإنجائه تعالى
إياه مفصلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلا إن في ذلك أي في إنجائه منها لآيات بينة
عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها في زمان يسير وإنشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون
وأما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال أي إبراهيم عليه السلام
مخاطبا لهم إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا أي لتتوادوا بينكم
وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف أي أوثانا

أي أوثانا آلهة ويجوز أن يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة أو بجعلها
نفس المودة مبالغة أي اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو مودودة أو نفس المودة وقرئ مودة
منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والإضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة
أو نفس المودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبر إن على أن ما مصدرية أو موصولة
قد حذف عائدها وهو المفعول الأول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد
تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرئ إنما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم إياها مودة بينكم
والمعنى أن اتخاذكم إياها مودة بينكم ليس إلا في الحياة وقد أخرتم أحكامه حيث فعلتم ما فعلتم
لأجل مودتكم لها انتصارا مني كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيامة ينقلب
الأمر ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض
وهم الأوثان ويلعن بعضكم بعضا أي يلعن كل فريق منكم ومن الأوثان حيث ينطقها
الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار أي هي منزلكم الذي تأوون إليه ولا ترجعون منه أبدا
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه
في مقابلة الجمع أي ما لأحد منكم من ناصر أصلا فآمن له لوط أي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته
وما دعا إليه من التوحيد فقط فإنه كان منزها عن الكفر وما قيل إنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه
ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا أو على أن يراد بالإيمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي إليها
إلا همم الأفراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام وقال إني مهاجر أي من قومي إلى ربي
إلى حيث أمرني إنه هو العزيز الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا إلا
وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي وروي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة
مع لوط وسارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا
له إسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين أيس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الأنبياء
والكتاب أي جنس الكتاب المتناول للكتب الأربعة وآتيناه أجره بمقابلة هجرته إلينا في الدنيا
بإعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه
إلى آخر الدهر وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب إما بالعطف
على نوحا أو على إبراهيم والكلام في قوله تعالى إذ قال لقومه كالذي مر في قصة إبراهيم إنكم لتأتون
الفاحشة أي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ أإنكم ما سبقكم بها من أحد من العالمين استئناف
مقرر لكمال قبحها فإن إجماع جميع أفراد العالمين على التحاشي عنها ليس إلا لكونها مما تشمئز منه الطباع
وتنفر منه النفوس أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة أي بالفاحشة حيث
روي أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما
ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال وتأتون في ناديكم أي تفعلون في مجلسكم
الجامع لأصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها مما لا خير فيه من الأفاعيل المنكرة عن ابن
عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الإزار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين أي فما كان جوابا من

من جراتهم شي من الاشيا الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات من مواعظ لوط عم
وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم الاية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقالات
الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد تم تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال
العذاب الموعود على القوم المفسدين باتباع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال
العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابرهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام
حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة
لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على
الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عن
ما تعرض له ابرهيم عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتنا حسبما ينبئ
عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي
الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لابرهيم عليه السلام
لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان لتاكيد ما بين الفعلين
من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت
يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال
ما لا يناله قصير الذراع وقالوا حسبما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن
مدافعتهم بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن
شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شي وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك
مما يصيبهم من العذاب الا امراتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء وايا ما
كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استيناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية
من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتكس
واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من
القرية آية بينة هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على
ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم
الآخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاحوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل
وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجا بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة

اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهوا وما يجاورها من الارض
فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين
وعادا وثمودا منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمود بتاويل الحي وقد
تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم
بها ذاهبين الى الشام وآيبين منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي
فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال
ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم
لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وتقديم قارون
لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين
فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادركهم
[illegible] الهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد
من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصبا وقيل ملكا رماهم بها
وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال
من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر
والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة
او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتا طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات
واما العكاب والعكب والاعكب فاسما الجمع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شي
يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيا من الاشيا لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى
من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد
به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شي على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم
وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشي مفعول يدعون او
مصدرية وشي عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ
تدعون بالتاء والكلام على الاول تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو
العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيا بمن هذا شانه من فرط الغباوة
وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شي البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم
البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون
الراسخون في العلم المتدبرون في الاشيا على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم
من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا

الحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا للامر الامة بها علل بقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروي عن انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما

[illegible]

حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او من اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به اي بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واضرابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتاب تابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اباءهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته ههنا عليه السلام عن ذلك بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل عن مدارستها وممارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها ويكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما بايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي من جملتها شأني وشأنكم وهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله سبحانه وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر

عليها حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك **ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب** قد ضربه الله
تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لقومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيمة وقيل
يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا
كانوا يستعجلون به **وليأتينهم** جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب
عند محل الأجل أي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل **بغتة** أي فجأة
وهم لا يشعرون أي بإتيانه ولعل المراد بإتيانه كذلك أنه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم
والإجابة إلى مسؤلهم فإن ذلك إتيان برأيهم لا إتيان بغتة وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال
كإتيان بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان
عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل **يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة
بالكافرين** استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه
عذاب الآخرة أي يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم
كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب إن العذاب محيط بهم أي سيحيط بهم وإنما جيء بالجملة الاسمية
دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فإن الكفر و
المعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت
في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ
الحق ولام الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون
فيه دخولا أوليا **يوم يغشاهم العذاب** ظرف لمضمر قد طوي ذكره إيذانا بغاية كثرته وفظاعته
كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأهوال
ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للإحاطة **من فوقهم ومن تحت أرجلهم** أي من جميع جهاتهم
ويقول أي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره **ذوقوا ما كنتم
تعملون** أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب
يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما
ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم **إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**
أي إذا لم يسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام
من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام
والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها
في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص
كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالأمر
أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة إلى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فمن كانت
هذه عاقبته فلا بد له من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون **والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم** لننزلنهم **من الجنة غرفا** أي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من
الثواء بمعنى الإقامة فانتصاب غرفا حينئذ إما بإجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو بتشبيه الظرف
المؤقت بالمبهم كما في قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم **تجري من تحتها الأنهار** صفة لغرفا

لغرفا **خالدين فيها** أي في الغرف أو في الجنة **نعم أجر العاملين** أي الأعمال الصالحة والمخصوص بالمدح
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم **الذين صبروا** إما صفة للعاملين أو نصب على المدح
أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق **وعلى ربهم يتوكلون**
ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى **وكأين من دابة لا تحمل رزقها** روي أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم
بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا
معيشة عندها **الله يرزقها وإياكم** ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء
في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر
بالمهاجرة **وهو السميع** المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا **العليم** المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم
ولئن سألتهم أي أهل مكة **من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** إذ لا سبيل
لهم إلى إنكاره ولا إلى التردد فيه **فأنى يؤفكون** إنكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل
بموجبه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده تعالى في الإلهية مع إقرارهم بتفرده تعالى فيما
ذكر من الخلق والتسخير **الله يبسط الرزق لمن يشاء** أن يبسط له **من عباده ويقدر له** أي يقدر
لمن يشاء أن يقدر له منهم كائنا من كان على أن الضمير مبهم حسب إبهام مرجعه أو يقدر لمن يبسط
له على التعاقب **إن الله بكل شيء عليم** فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط له ومن يليق بقدره
له فيقدر له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا
منهما في وقته **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** معترفين
بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد
يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلا **قل الحمد لله** على أن جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على
جحوده وأن أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده
بل أكثرهم لا يعقلون أي شيء من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه
أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك **وما هذه الحيوة الدنيا**
إشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **إلا لهو ولعب** أي إلا كما يلهى ويلعب
به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**
أي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها وهي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حيي سمي به ذو الحيوة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من
معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة
لو كانوا يعلمون أي لما آثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة
عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال **فإذا ركبوا في الفلك** متصل بما دل عليه شرح
حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل
الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية كما مر في سورة هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من أحوالهم فإذا

ركبوا في البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من
المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى
البر اذا هم يشركون اي فاجاوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا اي
يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التي من حقها ان يشكروها فسوف
يعلمون اي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا
جعلنا اي بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس
من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
افبالباطل يؤمنون اي بعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق
وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين
لاظهار كمال شناعة ما فعلوه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم بان له شريكا
اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي
وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بان لم
يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي اثير أليس في جهنم مثوى
للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اي لا يستوجبون الثواء
فيها وقد فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على
ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى الكافرين حتى
اجترءوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اي في شأننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم
جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او
لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي
الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بمعية النصر والمعونة
سورة الروم مكية من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين وآيها
ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض
اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم
من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم
الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض وهم اي الروم
من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالحلب والحلب سيغلبون
اي سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله
اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع

الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند راس سبع
سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي
فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآية
من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن
الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول
والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة
من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد
اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم
مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس
وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا
وآخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم يفرح
المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون
ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به
المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين
كلمهم حتى تناقضوا وتفانوا وقل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري
انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو
الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اي من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه
استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز البالغ في العزة والغلبة فلا
يعجز من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم البالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق
كان والمراد هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية
واما على القراءة الاخرى فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من
آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق
بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم
وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر ويجوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف
كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه تعالى يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم
الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها
كما قيل فانهما ليسا مما علموه فيها بل من افعالهم المترتبة على علمهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس
دون الوحدة كانه قيل يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية
القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي
الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سبقا فيها والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية

للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير الاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر
الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقرير لـ
جهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون
احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وفي قوله
تعالى **اولم يتفكروا في انفسهم** ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق
امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى **ما خلق الله السموات والارض وما بينهما** الخ متعلق
اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا
فقط او اقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما
من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء **الا** ملتبسة **بالحق** او يقولوا هذا القول
معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه
على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهادها للكاملين بذواتها وصفاتها واحوالها
المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية
وصحة اخبارها التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عما تبين
المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم
المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عم وقوله تعالى
واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه
محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على
معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم
باحوال ما عداها فتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير
دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا
وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير
وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امرها كالانسان ومجازاته بما عمل من
الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات ما دونها
عليه مع كونه بمعزل عن الجزاء تعكيس فتدبر وقوله تعالى **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم**
لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الآخرة
والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات
بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث **اولم يسيروا** توبيخ لهم بعدم اتعاظهم
بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم وماآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا **في الارض** وقوله تعالى **فينظروا** عطف على

يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى **كانوا اشد منهم**
قوة الخ بيان لمبدأ احوالهم وماآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث
كانوا اشد منهم قوة **واثاروا الارض** اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وغير ذلك **وعمروها** اي عمروها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس
والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها **اكثر مما عمروها** اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة
هؤلاء كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين
بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على البسط في البلاد
والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد
لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس **وجاءتهم رسلهم بالبينات** بالمعجزات والآيات الواضحات **فما كان**
الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله تعالى ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم
والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من
قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى
وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بان اجترؤوا على اقتراف
ما يوجبه من المعاصي العظيمة **ثم كان عاقبة الذين اساؤوا** اي عملوا السيئات وضع الموصول
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم **السوأى** اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى
وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ
على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى **ان كذبوا بآيات الله** علة لما اشير اليه من
تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسلهم
ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى **وكانوا بها يستهزؤون** عطف على كذبوا داخل معه
في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق
بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل **الله يبدؤ الخلق** اي ينشئهم **ثم يعيده** بعد الموت
بالبعث **ثم اليه ترجعون** اي موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ
بالياء **ويوم تقوم الساعة** التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه **يبلس المجرمون** اي يسكتون
متحيرين لما يبهتون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه
اذا افحمه واسكته **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء** يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا
يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا **وكانوا بشركائهم**
كافرين اي بالهتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضي للدلالة
على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به
فائدة يعتد بها **ويوم تقوم الساعة** اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى **يومئذ**
يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون
لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد

بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الاخر بل تفرقهم الى فريقى المومنين والكافرين كما فى قوله تعالى
فريق فى الجنة وفريق فى السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى **فاما الذين امنوا وعملوا**
الصالحات فهم فى روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض
ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره
اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبر كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل
لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان
يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى اخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال عليه السلام
يا اعرابى ان فى الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها
قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسالت ابا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروى
ان فى الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت
العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **واما**
الذين كفروا وكذبوا باياتنا التى من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل **ولقاء الاخرة** صرح
بذلك مع اندراجه فى تكذيب الايات للاعتناء بامره وقوله تعالى **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافهم بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك
عن غيرهم وانتظامهم فى سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
ببعد منزلتهم فى الشر اى اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح **فى العذاب محضرون** على الدوام لا
يغيبون عنه ابدا **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض**
وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقى المومنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين
بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجى من الاول ويفضى الى الاول من تنزيه الله عز وجل
عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثانى لما ان
التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله
تعالى اى نزهوه عما ذكر سبحانه اى تسبيحه اللائق به فى هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت
الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض فى معنى الامر به على ابلغ وجه واكده
وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله
تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام
من قال حين يمسى وحين يصبح سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به
الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصهما
بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته
ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى
وعشيا عطف على حين تمسون وتقديم عليه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب

لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول فى الشىء كالمساء والصباح والظهر ولعل السر فى ذلك ان ليس من
الاوقات التى يختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول ل
فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت يتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما فى المساء والصباح
فظاهر واما فى الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر فى سورة
النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلوة
العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة
ركعتان فى اى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث ب
المعراج فانه صح فيه فرض خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز
الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه **يخرج الحى من الميت** كالانسان ن
من النطفة والطير من البيضة **ويخرج الميت من الحى** النطفة والبيضة من الحيوان **ويحيى الارض**
بالنبات **بعد موتها** يبسها **وكذلك** ومثل ذلك الاخراج **تخرجون** من قبوركم وقرئ تخرجون
بفتح التاء اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحى من الميت
واخراج الميت من الحى ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها **ومن اياته ان خلقكم** اى فى ضمن
خلق ادم لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا **من تراب**
لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه فى ذاتكم وصفاتكم **ثم اذا انتم بشر**
تنتشرون اى ثم فاجاتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض وهذا مجمل ما فصل فى قوله
تعالى يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية **ومن اياته**
الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء **ان خلق لكم** اى لاجلكم **من انفسكم ازواجا** فان خلق
اصل ازواجكم حواء من ضلع ادم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او
من جنسكم لا من جنس اخر وهو الاوفق لقوله تعالى **لتسكنوا اليها** اى لتالفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا
بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر **وجعل بينكم**
اى بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف
المذكور اى جعل بينكم وبينهن كما مر فى قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد
الجنس اى بين الرجال والنساء وياباه قوله تعالى **مودة ورحمة** فان المراد بهما ما كان منهما
بعصمة الزواج قطعا اى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم
سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم وقيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى
والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى
ورحمة منا **ان فى ذلك** اى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة
والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته **لايات** عظيمة لا
يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها **لقوم يتفكرون** فى تضاعيف تلك الافاعيل المبنية
المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة

كما يأتي عند قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة على ما ذكر من أمر
البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات
بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما
ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى
هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف
السنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم
واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد
وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع به التمايز
بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في
شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات
والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقية بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم
للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق
السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين
اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال
وضوح الآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة
القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء
الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين
الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على
الاتحاد ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي شأنهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث
يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم البرق الفعل
اما مقدر بان كما في قول من قال • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
اي ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على
حاله صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت
واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او سحاب
يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل
يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف
نحو ارادة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما
للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض
بالنبات بعد موتها بيبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في
ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء
والارض بامره اي بارادته تعالى لقيامها والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى
عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق

السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم
يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل
قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله
السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متاخرة عن سائر الآيات المعدودة
متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده وانقضاء
اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كانه قيل ومن
آياته قيام السموات والارض على هيآتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما
ثم اذا دعاكم بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى
اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق
بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بيخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملائكة والثقلين
خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله
لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريره
لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم
والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة
لما انها مؤولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل
الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما
فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد
باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضاء
تعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير
ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى
اي الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس
لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في
السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما
على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل
او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري
الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم
اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر
من بطلان الشرك ولكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى هل لكم الخ تصوير للمثل اي هل
لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها
مما تتصرفون فيه فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي
المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم شركاءهم

متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لا انتم
الفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها
ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير
فرق بينكم وبينهم **تخافونهم** خبر اخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا
بالتصرف فيه بدون رايهم **كخيفتكم انفسكم** اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين
لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضوا بان يشارككم فيما هو
معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه
في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم
ثم تعبدونه **كذلك** اي مثل ذلك التفصيل الواضح **نفصل الآيات** اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا
ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات على
هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان **لقوم يعقلون** اي يستعملون عقولهم في تدبر
الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها **بل اتبع الذين ظلموا**
اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات
الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا
اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون
للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد **بغير علم** اي جاهلين ما اتوا به
عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه **فمن يهدي من اضل**
الله اي خلق فيه الضلال لصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد **وما لهم** اي لمن
اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى **من ناصرين** يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته
وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع **فاقم وجهك**
للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم
بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه اي فقوم
وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى **حنيفا** حال من المأمور او من الدين
فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله وان الخطاب للكل
كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة
فامره عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع
الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى **التي فطر الناس**
عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة
عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم
لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى **لا تبديل لخلق الله** تعليل للامر بلزوم

فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه
وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على ان
يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها
غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع
قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها وترتيب
مقتضاها عليها وعدم الاخلال بها بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان **ذلك** اشارة
الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت
بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر **الدين القيم** المستوي الذي لا عوج فيه **ولكن**
اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا **منيبين اليه** حال من الضمير في الناصب المقدر
لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب
اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى **واتقوه** اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا
قوله تعالى **واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين** المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا **من**
الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه
على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان
ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به **وكانوا شيعا** اي
فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها **كل حزب بما لديهم** من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ
والزعم الباطل **فرحون** مسرورون ظنا منهم انه حق واني له ذلك والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم
اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده **واذا مس الناس ضر** اي شدة **دعوا ربهم منيبين اليه** راجعين
من دعاء غيره **ثم اذا اذاقهم منه رحمة** خلاصا من تلك الشدة **اذا فريق منهم** الذي كانوا
دعوه منيبين اليه **بربهم يشركون** اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان
بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد
او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة **ليكفروا بما آتيناهم** اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي
كقوله تعالى **فتمتعوا** غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا **فسوف تعلمون** عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى **ام انزلنا عليهم** للايذان
بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة **سلطانا** اي حجة واضحة وقيل ذا
سلطان اي ملكا معه برهان **فهو يتكلم** تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
او تكلم نطق **بما كانوا به يشركون** باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون **واذا اذقنا**
الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة **فرحوا بها** بطرا واشرا لا حمدا وشكرا **وان تصبهم سيئة**
بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم **اذا هم يقنطون** فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون
اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا **ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين **ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** فيستدلون بها
على كمال القدرة والحكمة **فآت ذا القربى حقه** من الصلة والصدقة وسائر المبرات **والمسكين وابن**

السبيل ما استحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير
للذين يريدون وجه الله ذاته أو جهته أو يقصدون بمعروفهم إياه تعالى خالصا أو جهة التقرب
إليه لا جهة أخرى وأولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا
زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ أتيتم بالقصر أي غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا
ليربوا في أموال الناس ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يربوا عند الله أي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا
أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله أي تبتغون به
وجهه تعالى خالصا فأولئك هم المضعفون أي ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي
تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أثبت له تعالى لوازم الألوهية وخواصها ونفاها
رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الأصنام وغيرها مؤكدا بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان
ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لأنه بمعنى
من أفعاله ومن الأولى والثانية يفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة
لتعميم المنفي وكل منهما مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في
البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار
أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت أيدي الناس بشؤم
معاصيهم أو بكسبهم إياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل أخاه هابيل وفي البحر بأن جلندى
كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا أي بعض جزائه فإن تمامه في الآخرة
واللام للعلة أو للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في
الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا آثارهم كان أكثرهم مشركين
استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشو الشرك فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه
من المعاصي في قليل منهم فأقم وجهك للدين القيم أي البليغ الاستقامة من قبل أن يأتي يوم
لا مرد له لا يقدر أحد على رده من الله متعلق بيأتي أو بمرد لأنه مصدر والمعنى لا يرده الله
تعالى لتعلق إرادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون أصله يتصدعون أي يتفرقون فريق في
الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره أي وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا
فلأنفسهم يمهدون أي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على
الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون
أي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين
هو المقصود بالذات أبرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الإثابة بطريق
التفضل لا الوجوب وأشير إلى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى إنه لا يحب الكافرين فإن عدم محبته تعالى
كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته أن يرسل الرياح أي الشمال
والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها

اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على إرادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته
وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها
واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم أو بمحذوف
يفهم من ذكر الإرسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلها لا لأمر آخر لا تعلق له بمنافعكم
ولتجري الفلك بسوقها بأمره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله
فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم كما أرسلناك إلى قومك فجاؤوهم
بالبينات أي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى
فانتقمنا من الذين أجرموا فصيحة أي فكذبوهم فانتقمنا منهم وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على
مكان المحذوف والإشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين
مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم وإشعار بأن الانتقام
من الكفرة لأجلهم وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق
الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لإنذار الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال
بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بإرسالها كيلا
يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان
ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء
سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك ويجعله كسفا تارة أخرى
أي قطعا وقرئ بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله في التارتين فإذا أصاب به من يشاء من عباده أي بلادهم وأراضيهم إذا هم
يستبشرون فاجأوا الاستبشار بمجيء الخصب وإن كانوا إن مخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها
محذوف أي وإن الشأن كانوا من قبل أن ينزل عليهم أي المطر من قبله تكرير للتأكيد والإيذان
بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال وقيل على الكسف
على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة
بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم عن اليأس إلى الاستبشار بالإشارة إلى غاية تقارب ما بينهما ببيان
اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة إذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام
فارقة أي آيسين فانظر إلى آثار رحمة الله المترتبة على نزول المطر من النبات والأشجار وأنواع ع
الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ أثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي أي الله
تعالى الأرض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أي فانظر إلى إحيائه البديع
للأرض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأيا ما كان فالمراد بالأمر بالنظر التنبيه على عظم
قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من أمر البعث وقرئ بالتاء بناء على الإسناد
إلى ضمير الرحمة إن ذلك العظيم الشأن الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على إحيائهم فإنه إحداث
لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن إحياء الأرض إحداث لما كان فيها من القوى
النباتية ومحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي
مبالغ في القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحياؤهم لما أن نسبة قدرته إلى الكل سواء ولئن

ارسلنا ريحا فرأوه اى الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم
القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم
يمطر ولا يخفى بعده واللام فى ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه
فصيحة واللام فى قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اى والله لئن ارسلنا
ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه
من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب
عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا
ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا بالشكر الى الطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا
بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتى
السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احديهما لكفاهم ذلك فكيف وقد
جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته بشئ من كلامه وان لم يسمعه
اصلا واما اذا كان معرضا فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادى
العمى عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدى
العمى ان تسمع اى ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول
او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به
من الحق الله الذى خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم
كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اى خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد
ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير لان المتقدم
غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم
القدير المبالغ فى العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم
والقدرة ويوم تقوم الساعة اى القيمة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها
تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اى فى القبور او
فى الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك وقيل
فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون
وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهى اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة
استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا
يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان فى الدنيا من الملائكة
والانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او فى اللوح او القرآن وهو
قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كانهم من فرط

حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد
فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم
ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبونها بالاخبار بوقوعها
حيث قالوا فهذا يوم البعث الذى كنتم توعدون فى الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما فى قول من قال ٭ قالوا خراسان اقصى ما يراد
بنا ٭ ثم القفول فقد جئنا خراسانا ٭ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اى عذرهم وقرئ
تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون
الى ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم
استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل
مثل اى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل
قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل
بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن
الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبى صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
ان انتم الا مبطلون اى مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات
ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من
الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء
كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين
لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك بالاباطيل التى من
جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون
المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين مبين
وانما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه فى الحقيقة
نهى له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما فى قوله
تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك يومه وليلته

سورة لقمان مكية وآيها ثلاثون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه فى نظائره الحكيم اى ذى الحكمة لاشتماله عليها او هو
وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا فاستكن فى الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا عقدت اللبن فهو عقيد
اى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيها
معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين اى
العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة فى الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة

ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة الالتفى
الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص هذه الثلاث
بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون
الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخر بصورة كونه مبتدا مما لا وجه له اولئك على هدى من
ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم نظري العلم
والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محل الرفع
على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث
موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري
او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد
بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى التبيين ان اريد بالحديث المنكر
بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل
نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد
يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري
القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق
الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر
على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت
بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين
الاسلام او القرآن اي ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري
وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي
اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم الحق
بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افرد الضمير فيه وفيما بعده
كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها آياتنا التي هي
آيات الكتاب هدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر
كان لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة
اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار
لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم تجزع على
ابن طريف كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل
مانع من السماع ويجوز ان يكونا استئنافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم
اي اعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين باياته تعالى اثر بيان الكافرين بها اي الذين آمنوا باياته وعملوا

وعملوا بموجبها لهم مقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اي نعيم جنات فعكس للمبالغة
والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى
خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به
اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات
النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى
الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء
ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
خلق السموات بغير عمد الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي
كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك
وتبكيت اهله والعمد جمع عماد وكاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط
اذا دعمته بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استئناف جيء به
للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة للعمد
اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة
والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار
الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام
في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها
واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص
وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها
بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة
في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما
من الامور المعدودة خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذ تموهم
شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء
وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن
تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة
الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من
الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون
للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد والظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد
آتينا لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك ولقمان بن باعوراء من اولاد
آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم
وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا
والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على
الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع
فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود

حتى ما سميت حكيماً وان داود عليه السلام قال له يوماً كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر
داود عليه فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان
والقلب ثم بعد ايام امره ان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضاً فسأله عن ذلك فقال هما اطيب
شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء
الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر
اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد
مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد
حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم
التعرض لكونه تعالى مشكوراً لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس
الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعاً واذ قال لقمان لابنه
انعم وقيل اسلم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وكسرها
لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافراً فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسماً
ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ
كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن
الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى
وهناً حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهناً وقوله تعالى
على وهن صفة للمصدر اي كائناً على وهن اي تضعف ضعفاً فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف
ضعفها وقرئ وهَناً على وهَن بالتحريك يقال وهن يهن وهناً ووهن يوهن وهناً وفصاله
في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمه الله
هي ثلاثون شهراً وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير
لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقهما خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال له
من ابر امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الى الرجوع
لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما
ليس لك به اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفاً اي صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد
والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند
رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلاً منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الخ
شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر بيان ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض
انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلاً في الصغر
كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال
الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة
في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله

اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد
الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه تعالى وقدرته
امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلاً له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال
مستميلاً له يا بني اقم الصلوة تكميلاً لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلاً لغيرك واصبر
على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مراراً من الاشعار ببعد منزلته في الفضل من عزم
الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول
ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر جد والجملة تعليل لوجوب
الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي
لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير
يلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه
ولا تمش في الارض مرحاً اي فرحاً مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي
تمرح مرحاً او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي وتأخير الفخور
مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحاً لرعاية الفواصل واقصد
في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة
د المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فالمراد
به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض
من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ
وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير
عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال
صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات
سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى
سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع
مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون
منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان
المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سبباً لحصول مراده من غير ان يكون له
دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشاً او معاداً
واما جعله منقاداً والكلام مبني على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات
مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء بحسب الظاهر فهو في
الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير
معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين
قارنت الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سابغ صابغ وقرئ نعمة
ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة

الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اى
لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون
بعبادة الاصنام أولو كان الشيطان يدعوهم اى اباؤهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار
الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اى ايتبعونهم ولو
كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته
والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره
واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن
اى فى أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر فى سورة النحل فقد استمسك
بالعروة الوثقى اى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة
بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله
لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك
فى الدنيا ولا فى الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاى وليس بمستفيض
الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب
والجمع فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبيه المعبر
عن العذاب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة
الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى
الاحراق والضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية
وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث
لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى
اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما فى السموات والارض فلا يستحق العبادة فيهما
غيره ان الله هو الغنى عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد ولو بالفعل يحمده كل
مخلوق بلسان الحال ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام اى لو ان الاشجار اقلام وتوحيد
الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده اى من بعد نفاده سبعة ابحر اى والحال
ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد
كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربى وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون
البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هى المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها ينصب الانهار
العظام اولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة فى الكلمات للايذان بان ما ذكر
لا يفى بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا
تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى الا كخلقها وبعثها فى
سهولة التأتى اذ لا يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة
مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث
الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق
لما سبق وما لحق اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل اى يدخل كل واحد منهما فى الاخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة
ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين فى
الاخر متجدد فى كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد فى
آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجرى اى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على
المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره
الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة
على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير
اختصاصه به عليه السلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من
جملة ما فى حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما فى
فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة ح
بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين فى الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف
جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التى
هى فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذى هو
اقرب المدارات الى سمت الرأس وعند ذلك بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد
عن سمت الرأس فلا تزال القوس التى فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض
اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذى هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك
عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ
داخل معه فى حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع
الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها
ذلك اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اى بسبب بيان انه تعالى هو الحق الالهية فقط
ولاجله لكونها ناطقة بحقيقة التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اى ولاجل بيان بطلان
الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء
والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على
بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر
ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلى الكبير اى وبيان
انه تعالى هو المرتفع المتسلط عليه فان ما فى تضاعيف الآيات الكريمة لاختصاص العلو والكبرياء
به تعالى اى بيان هذا وقيل ذلك ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص
البارى به تعالى بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير
بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن

بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس
للامر ورد ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانهما لا ان بطلانهما مقتضيا الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته
وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ
الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته اي بعض
دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله
اي ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب
نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل
مؤمن واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ
كالظلال وهو جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى
والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد
السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار
غدار فانه نقض للعهد الفطري او نقض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في
كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي
عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا
مولود عطف على والد او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود
اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين اياه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب
حق اي لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان
المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم
الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة واني القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا
واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى
محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص
وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء منها فتفعل خلافه وما
تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان
عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني
فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه السلام كان دوام نظري
اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما نسب العلم الى الله تعالى
والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلته وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو الحق به
من كسبه وعاقبته فكيف بما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها
بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي
من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من

بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر والله اعلم بالصواب

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان
ل ذكرها قد عرفت سرها وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل
الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر
ب لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب
وقد مر مرارا انما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا
عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان
على الآخرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو
حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ولا وجه
ح له الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كانه
قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه
فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصودا لافادة لا قيدا
للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية
ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو
الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له ثم
ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يهتدون فان غاية الشيء وحكمته لا سيما غاية كونه غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في
جهم وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم
الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما آتاهم من
نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا
لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب
مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه
الاول وخبر ثالث على الوجهين الآخرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة
لا قيد لحكم آخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى
احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم
وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
نكات افلا تتذكرون اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار
على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما
يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة
وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان

مقداره الف سنة مما تعدون اى فى برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما
بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر الحوادث اليومية باثباتها فى اللوح المحفوظ
فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر
وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور
به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا الا فى مدة متطاولة
لقلة المخلصين والاعمال الخالص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضى بطء عروجها
الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من
خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات
على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة
فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه
ايماء الى انه تعالى متفضل فى جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذى احسن كل شئ خلقه
خبر آخر او نصب على المدح اى حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما
تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوت الى حسن واحسن كما قال تعالى
لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اى يحسن معرفته
ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شئ والضمير
للمبدل منه احسن خلق كل شئ وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق
اى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اى اعطى كل شئ
خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شئ مفعوله الثانى
الخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم
خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شئ يحتاجون اليه فيؤول الى معنى
قوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من
طين على وجه بديع تحار العقول فى فهمه حيث برأ آدم عليه السلام فطرة عجيبة منطوية على سائر
افراد الجنس لطواه اجمالا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها
المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله الخ اى ذريته سميت بذلك لانها
تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المنى الممتهن ثم سواه اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم
وتصويرها على ما ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافة اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق
عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى الحضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهى اليه العقول البشرية
من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما فى
قوله تعالى قل الروح من امر ربى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعى واللام متعلقة
به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع
طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها فى
انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة

الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة
بالتوحيد والبعث وبابصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما
وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى على ان القلة
بمعنى النفى كما ينبئ عنه ما بعده اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية احوال الانسان
من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ
عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان
اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض
عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة أئذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا
بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد
المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهى الارض اى صرنا من جنس الصلة وقيل القائل
ابى بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله تعالى
ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ
انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من
تقدم الهمزة فى ان فانها موخرة عنها فى الاعتبار وانما تقدمها عليها لاقتضائها الصدارة بل
هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع
منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق
وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة
للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون
من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذى وكل بكم اى بقبض ارواحكم واحصاء
آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ائذا ضللنا
فى الارض الآية ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور رداءة احوالهم التى اقترفوها
فى الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد
لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى
الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم
لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعرى
البصر والسمع كأنهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة
اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما
سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه
ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى على صورة منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة
بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا
منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم يكون باظهار مدلول ما اخبروا
به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اى
سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر للرؤية مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت

او يقدر رأينا بينى عند صلة اذ والمعنى فيها ولو باعتبار ان الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب
لو محذوف اى لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ
المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء
دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية
يتعجب من هولها او فظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان حالهم قد بلغت من
الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية له
مدخل فى هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح
عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اى ونقول لو شئنا
اى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما يهتدى به الى
الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه فى الدنيا التى هى دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء
ولكن حق القول منى اى سبقت كلمتى حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول
لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم
الى الغى باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم يختاروا الهدى واختاروا
الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتى
من قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الاية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى فى الحقيقة سوء
اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلى بافعال العباد عند حدوثها لان
المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا لا متوقفة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون
عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتى الى الغى وايثارهم له على
الهدى فلو اريدت هى لعلة من تلك الحيثية الاستدراك بعدمه ويمتنع ذلك بما ذكر من المناط على منهاج
قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فتوهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من
اللطف الذى لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمناه منهم اختيار الكفر وايثاره فقد
اشتبه عليه الشؤون والفاء فى قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله
من نفى الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا
للايذان بان تعذيبهم ليس بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من
قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا وحق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل
وتركتم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرة وفى
تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى
للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصى التى
كانوا مستمرين عليها فى الدنيا ونظم الكل فى سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منهما فى استيجاب
العذاب وفى ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط

السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن باياتنا
استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه
بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا
كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكر وا
بها اى وعظوا خروا سجدا اثر ذى اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاتبه
نطقت به من الوعد والوعيد اى سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اى ونزهوه عند
ذلك عما لا يليق به من الامور التى من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التى
اجلها الهداية بايتاء الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات
مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى
لهم وهم لا يستكبرون اى والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور
والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اى ترتفع وتتنحى عن المضاجع اى الفرش ومواضع المنام والجملة
مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضى الله عنه نزلت فينا معاشر
الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبى صلى الله عليه وسلم وعن انس
انه قال انها نزلت فى اناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة
العشاء وهى صلوة الاوابين وهو قول ابى حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر فى جماعة والمشهور ان المراد منه
صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعى وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل
الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبى صلى الله عليه وسلم
فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينا دى
بصوت تسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن
المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير
جنوبهم اى داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا
فى رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون فى وجوه الخير والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا
ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفى لهم اى لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة
من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفى لهم وما نخفى لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى
لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اى جوزوا جزاء واخفى لهم
بما كانوا يعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى
ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اى ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن
الذى حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار

نفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لتنبيه التفضيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما
سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل
لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي
وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه
رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اى ثوابا وهو في الاصل
ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال
الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا اى خرجوا عن الطاعة فمأواهم اى ملجأهم ومنزلهم النار
مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون
النار مأواهم روى انه تضربهم لهب النار فترفعهم الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا
ان يخرجوا منها ضربهم اللهب فهووا الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم
مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اى بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم
من العذاب الادنى اى عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون
العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذي يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون يتوبون
عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن
اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض
بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية
وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة • لا يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى
غمرات الموت ثم يزورها • اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير
تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اى كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته
منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية
عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كايتائه لموسى عم فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك
لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن
في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عم وعنه عليه السلام
رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اى الكتاب
الذي آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل وقيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون
يفتيهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام اى طريق الحق او يهديهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه
بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير
للائمة وتقديره لما صبروا جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة
الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبرهم وكانوا بآياتنا يوقنون التي في تضاعيف
الكتاب لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم
ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اى يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين

او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين

بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين
اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل
يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين في المفعول محذوف
والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اى اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او لم يبين لهم مآل امرهم
كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز
ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا
مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اى يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم
ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشّون للتكثير ان في ذلك اى فيما
ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها
افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اى
التي جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا
تاكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها
وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اى الا ينظرون
فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون
ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستهزاء
تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى
ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم
وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على
ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم
واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كأنه قيل لا
تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر
واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف
لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم
وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم
متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور
وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ
على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عم
سورة الاحزاب مدنية وآيها من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام سبعون وثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عم بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى

المأمور بها لثبات عليه والازدياد منه فإن لها بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه **ولا تطع الكافرين**
أي المجاهرين بالكفر **والمنافقين** المضمرين له أي فيما يعود بوهن في الدين وإعطاء دنية فيما بين المسلمين
روي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي
كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله
ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من أهل مكة
والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك **إن الله كان عليما حكيما** مبالغا في العلم والحكمة
فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة
ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للأمر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما **واتبع**
أي في كل ما تأتي وتذر من أمور الدين **ما يوحى إليك من ربك** من الآيات التي من جملتها هذه الآية
الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب
الامتثال بالأمر **إن الله كان بما تعملون خبيرا** قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع
للتعظيم وقيل له عليه السلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن
يكون للكل على ضرب من التغليب وأياما كان فالجملة تعليل للأمر وتأكيد لموجبه أما على الوجهين
الأولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل إن الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب
على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا وأما على الوجه الأخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل إن الله
خبير بما يعمله الفريقين فيرشدك إلى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على ما يعملونه
من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك أن تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل
بمقتضاه حتما **وتوكل على الله** أي فوض جميع أمورك إليه **وكفى بالله وكيلا** حافظا موكلا إليه كل
الأمور **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** شروع في إلقاء الوحي الذي أمر باتباعه وهذا مثل
ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن
أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم** وتنبيها على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعي ابنا
أي بمنزلة الأم والابن في الآثار والأحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في
جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر أو
لجميل بن أسد الفهري ذو القلبين أي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله
تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص
لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في
القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة
على الإطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة
وأحكام البنوة لإبطال ما كانوا عليه من إجراء أحكام الأمومة على المظاهر منها وإجراء أحكام البنوة على
الدعي ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية
من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق
أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو

عموده فإن ذكره يقرب من ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان الزوجة
وظهرها إلى السماء وقرئ اللاتي وقرئ اللاء تظاهرون بحذف إحدى التاءين من تتظاهرون
وتظاهرون بإدغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر
بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا
على الشذوذ واختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي وأتقياء كأنه شبه به في اللفظ فجمع جمعه
كقتلاء وأسراء **ذلكم** إشارة إلى ما يفهم مما ذكر من الظهار والادعاء أو إلى الأخير الذي هو المقصود
من مساق الكلام أي ادعاؤكم بقولكم هذا ابني **قولكم بأفواهكم** فقط من غير أن يكون له مصداق
وحقيقة في الأعيان فإذن هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم **والله يقول الحق**
المطابق للواقع **وهو يهدي السبيل** أي سبيل الحق لا غير فدعوا قولكم وخذوا بقوله عز وجل **ادعوهم
لآبائهم** أي انسبوهم إليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى **هو أقسط عند الله** تعليل له والضمير
لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل أي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى و
فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم **فإخوانكم في الدين ومواليكم** أي فهم إخوانكم وأولياؤكم فيه
أي فادعوهم بالأخوة الدينية والمولوية **وليس عليكم جناح** أي إثم **فيما أخطأتم به** أي فيما فعلتموه
من ذلك مخطئين بالسهو والنسيان أو سبق اللسان **ولكن ما تعمدت قلوبكم** أي ولكن الجناح فيما
تعمدت قلوبكم بعد النهي أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح **وكان الله غفورا رحيما** لعفوه عن المخطئ
وحكم النبي بقوله هو ابني إذا كان عبدا للقائل المعتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه إلا إذا كان
مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر بنسبه من غيره **النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم** أي في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق فيجب عليهم أن يكون عليه السلام
أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم
من شفقتهم عليها روي أنه عليه السلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن
آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة
الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة **وأزواجه أمهاتهم** أي منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق
التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء
وأولوا الأرحام أي ذوو القرابات **بعضهم أولى ببعض** في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام
من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين **في كتاب الله** في اللوح أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية
المواريث أو فيما فرض الله تعالى **من المؤمنين والمهاجرين** بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولى أي
أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة **إلا أن
تفعلوا إلى أوليائكم معروفا** استثناء من أعم ما تقدر الأولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية أو منقطع **كان ذلك في الكتاب مسطورا** أي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح أو
القرآن وقيل في التوراة **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم** أي اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين الحق **ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم**
تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للإيذان بمزيد مرتبتهم وفضلهم وكونهم

من مشاهير ارباب الشرايع واساطين اولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل **واخذنا منهم ميثاقا غليظا** اى عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه عبارة عن اخذه والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيما لشانه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وقوله تعالى **ليسأل الصادقين عن صدقهم** متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبيا ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اى ليسأل الانبيا الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل فان المعنى ليسال المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى **واعد للكافرين عذابا** عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبيا الدعوة على دينه لاجل اثابة المومنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسال الصادقين كانه قيل فاثاب المومنين واعد للكافرين الاية **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم** ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اى كائنة عليكم **اذ جاءتكم جنود** ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم خرج فى ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابى جهل وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع فخرج على بن ابى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التى اقتحموها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له على رضى الله عنه يا عمرو انى ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لى اليه قال فانى ادعوك الى النزال قال يا ابن اخى والله لا احب ان اقتلك قال على رضى الله عنه لكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على على فتنازلا وتجاولا فضربه على رضى الله عنه ضربة قتله فيها فلما انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان

عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى قتله ايضا على رضى الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى **فارسلنا عليهم ريحا** عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتى تفصيلها فى اخر القصة **وجنودا لم تروها** وهم الملائكة عليهم وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال **وكان الله بما تعملون** من حفر الخندق وترتيب مبادى الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اى بما يعمله الكفار اى من التحزب والمحاربة ومن الكفر والمعاصى **بصيرا** ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم** من اعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل وهوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير **ومن اسفل منكم** اى من اسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبنو كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف **واذ زاغت الابصار** عطف على ما قبله داخل معه فى حكم التذكير اى حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع **وبلغت القلوب الحناجر** لان الرية تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب وحسبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب فى قوله تعالى **وتظنون بالله الظنونا** لمن يظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما زيدت فى القوافى **هنالك** ظرف زمان وظرف مكان لما بعده اى فى ذلك الزمان الهائل والمكان الدحض **ابتلى المومنون** اى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل **وزلزلوا زلزالا شديدا** من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء **واذ يقول المنافقون** عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته **والذين فى قلوبهم مرض** اى ضعف اعتقاد **ما وعدنا الله ورسوله** من اعلاء الدين والظفر **الا غرورا** اى وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه قال يعدنا محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور **واذ قالت طائفة منهم** اوس بن قيظى واتباعه وقيل عبد الله بن ابى واشياعه **يا اهل يثرب** هو اسم المدينة المطهرة وقيل المدينة فى ناحية منها وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقيل هى طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه السلام ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها **لا مقام**

لكم لا موضع اقامة لكم ولا اقامة لكم هنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اى لا قيام او لا موضع قيام لكم
فارجعوا اى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا
بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم فى دين محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه
من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم فى يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم
المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى ويستأذن فريق منهم النبى معطوف على قالت
وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه السلام فى الرجوع
ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبنى على
السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اى غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى
نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة فى الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة ويجوز ان يكون تخفيف
عورة من عورت الدار اذا اختلت وقرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير
مقالهم بحرف التحقيق وما هى بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستئذان
الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها
وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا
كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض
فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة
طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اى الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا
الآن من الايمان والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة
الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر اى لفعلوها وجاؤوها وما تلبثوا بها بالفتنة اى ما لبثوا وما اخروها
الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن
وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول
بتلك العساكر المتحزبة مع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من
فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشئ يسير وان
دعوا الى الباطل يسارعوا اليه اثر ذى اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول
عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان
العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون
فى الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
فان بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله
وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن
اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤولا عن
الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من
حتف انف او قتل سيف فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا
اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من ذا
الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى ويصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر

فاختصر الكلام او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضر قد يعلم الله المعوقين منكم اى المثبطين للناس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقى المدينة هلم الينا وهو صوت
سمى به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو
تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اى قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا
القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس اى الحرب والقتال الا
قليلا اى اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين
يوهمون انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى
ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا
يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اى بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة
جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم اى احداقهم كالذى يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون
او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اى ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من
معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون نظرا كائنين كالذى الخ او تدور
اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم
وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم والسلق البسط بقهر باليد او باللسان وقرئ صلقوكم اشحة
على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء
لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اى اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل
تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا
هينا وتخصيص يسيره بالذكر مع ان كل شئ عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها
لكمال تعاضد الدواعى وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم
يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو
انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع
باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون اى يتساءلون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان
صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسند اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى
بتعدد الفاعل كما فى المثال المذكور ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه
الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان
لكم فى رسول الله اسوة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد خصلة حسنة و
وهو فى نفسه قدوة يحق التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر
من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اى ثواب الله
او لقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم

الآخر من ايام الآخرة او الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على
ان الضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اى وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا
كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدى الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط
الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اى لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما
شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من
احكام اللفظ كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب
او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو ما وعدنا الله
ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعد فى
بقوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء
الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم
والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ
بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا فى
النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اى ما رأوه الا ايمانا بالله
تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اى المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين
حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام
والمقاتلة لاعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد
بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا
بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل
اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره اى فى سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم
خاطبوه خطاب من قال لكريمة ايه نحرنى الاعداء ان لم تجرى وقالوا له سنفى بك حيث وفوا به
فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال
الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على
نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين
المذكورين فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اى فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة
كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين لانهم قد قضوا
نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التى هى المقاتلة
المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزام على ما مر عليه كما فى
ومنهم اى وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اى قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد
بعد ذلك رضوان الله عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى
وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل

بتنزيل التزام اسبابه التى هى افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه
وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففى وصفهم بالانتظار المنبئ عن
الرغبة فى المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت
لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن
مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اى وما بدلوا عهدهم ولا غيروه
تبديلا اى تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على
احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم
عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثانى لهم فى الحكم ويجوز
ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روى ان طلحة
رضى الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة
الجنة وفى رواية اوجب طلحة وعنده عليه السلام فى رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض
فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفى رواية عائشة رضى الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على
الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزى الله الصادقين
بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكى من الاحوال
والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل
وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب
المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا
وقيل متعلق بما قبله من نفى التبديل المنطوق واثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل
عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما
يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون
الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزى الآية فتأمل وبالله التوفيق ان
الله كان غفورا رحيما اى لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين
كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزى الله كأنه قيل
اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط
بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت فيها
الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقى اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال
والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم
اليها اى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اى متلبسين به
وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اى غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى
او استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث
كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب المردودة

من أهل الكتاب وهم بنو قريظة **من صياصيهم** من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك
يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك **وقذف في قلوبهم الرعب** الخوف الشديد بحيث أسلموا
أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبما نطق به قوله تعالى **فريقا تقتلون وتأسرون فريقا**
من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي أن جبريل عم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع
لأمتك والملائكة ما وضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في
الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصروهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم
الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل
مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة إلى تسعمائة وأسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما
قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في
قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل
وأورثكم أرضهم وديارهم أي حصونهم **وأموالهم** نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال عم إنكم في منازلكم فقال
عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عم إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما
صنع الله ورسوله **وأرضا لم تطؤوها** أي وأورثكم في علمه وتقديره أرضا لم تقبضوها بعد كفارس
والروم وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وقيل خيبر **وكان الله على كل شيء قديرا** فقد شاهدتم
بعض مقدوراته من إيراث الأراضي التي تسلموها فقيسوا عليها ما عداها **يا أيها النبي قل**
لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها أي السعة والتنعم فيها وزخارفها **فتعالين**
أي أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام
يهددني **أمتعكن** بالجزم جوابا للأمر وكذا **وأسرحكن** أي أعطكن المتعة وأطلقكن **سراحا جميلا**
طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي أنهن سألنه عم ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلفوا في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق
إليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار أو لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن
تفويض الطلاق وإنما كان تخييرا لهن بين الإرادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن عليه السلام
كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن وذهب آخرون إلى أنه كان تفويضا للطلاق
إليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس رضي الله تعالى عنهم إذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء أصلا ولو اختارت
نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى
سفيان رحمهم الله وروي عن زيد بن ثابت أنها إن اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإن اختارت
نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه أنها إذا
اختارت زوجها لا يقع شيء أصلا وعليه إجماع فقهاء الأمصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه
قطع لمعاذيرهن من أول الأمر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد
واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والإقتار إلا أن يكون
نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم **وإن كنتن تردن**
الله ورسوله تردن رسوله وذكر الله عز وجل للإيذان بجلالة محله عم عنده تعالى
والدار الآخرة أي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا **فإن الله أعد للمحسنات**
منكن بمقابلة إحسانهن **أجرا عظيما** لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لأن كلهن محسنات
وتجريد الشرطية الأولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الإكراه
وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل **يا نساء النبي** تلوين
للخطاب وتوجيه له إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالإضافة إليه عم
لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام **من يأت منكن بفاحشة** كبيرة **مبينة** ظاهر قبحها
بالفتح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقرئ تأت بالفوقانية
يضاعف لها العذاب ضعفين أي ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن
زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق
وعوتب الأنبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الأمم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف
بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب **وكان ذلك على الله يسيرا** لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه إليه لمراعاة حقه **ومن يقنت منكن** وقرئ بالتاء أي
ومن يدم على الطاعة **لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين** مرة على الطاعة والتقوى
وأخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء
حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى **وأعتدنا لها** في الجنة زيادة على أجرها
المضاعف **رزقا كريما** مرضيا **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء** أصل أحد بمعنى الواحد
ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء في الفضل والشرف **إن اتقيتن** مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله وإن اتصفتن
بالتقوى كما هو اللائق بحالكن **فلا تخضعن بالقول** عند مخاطبة الناس أي لا تجئن بقولكن خاضعا
لينا على سنن قول المريبات والمومسات **فيطمع الذي في قلبه مرض** أي فجور وريبة وقرئ بالجزم
عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الإطماع بالقول الخاضع
كأنه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب **وقلن قولا معروفا** بعيدا من الريبة و
الإطماع بجد وخشونة من غير تخنث أو قولا حسنا مع كونه خشنا **وقرن في بيوتكن** أمر من قر
يقر من باب علم وأصله اقررن فحذفت الراء الأولى ونقلت فتحتها إلى ما قبلها كما في قولك ظلن أو من
قار يقار إذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا إذا ثبت واستقر وأصله اوقرن ففعل به
ما فعل بعدن من وعد أو من قر يقر حذفت إحدى رائي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف
كما يقال ظلن **ولا تبرجن** أي لا تتبخترن في مشيكن **تبرج الجاهلية الأولى** أي تبرجا مثل تبرج النساء في

الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان
الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها على الرجال وقيل من زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام
لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر **واقمن الصلاة**
وآتين الزكوة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية **واطعن الله ورسوله**
في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرن به ونهين عنه **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**
الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن
وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح **اهل البيت** مرادا بهم من حواهم بيت النبوة **ويطهركم**
من اوضار الاوزار والمعاصي **تطهيرا** بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد
التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته
قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيه رضوان
الله عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم
قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من
عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص **واذكرن ما يتلى**
في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن **من آيات الله والحكمة** من
الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتهن الدالة على صدق النبوة
بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل
بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا
على الانتهاء والايتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها
مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكر
بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة
غيرهن تعلما وتعليما **ان الله كان لطيفا خبيرا** يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من
الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل ان يكون من اهل بيته **ان المسلمين والمسلمات** الداخلين
في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث **والمؤمنين والمؤمنات** المصدقين بما
يجب ان يصدق به من الفريقين **والقانتين والقانتات** المداومين على الطاعات القائمين بها
والصادقين والصادقات في القول والعمل **والصابرين والصابرات** على الطاعات وعن
المعاصي **والخاشعين والخاشعات** المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم **والمتصدقين والمتصدقات**
بما وجب في مالهم **والصائمين والصائمات** الصوم المفروض **والحافظين فروجهم والحافظات** عن
الحرام **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات** بقلوبهم والسنتهم **اعد الله لهم** بسبب ما عملوا من الحسنات
المذكورة **مغفرة** لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة **واجرا عظيما**
على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة

الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن لرسول الله قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي
انه لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قالت نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين
فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدة الدلالة على ان مدار اعداد
ما اعد لهن جمعهم بين هذه النعوت الجميلة **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** اي ما صح وما استقام لرجل
ولا امرأة من المؤمنين **اذا قضى الله ورسوله امرا** اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى للتعظيم
امره وللاشعار بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله
وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي عليه السلام فزوجها من زيد فسخطت هي
واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده **ان يكون لهم الخيرة من امرهم** اي ان يختاروا من
امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير
لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم
وقرئ تكون بالتاء **ومن يعص الله ورسوله** في امر من الامور ويعمل فيه برأيه **فقد ضل** طريق الحق
ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب **واذ تقول** اي واذكر وقت قولك **للذي انعم الله**
عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته **وانعمت عليه** بالعمل بما وفقك الله له
من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة
حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما
مما لا يتصور في حق زيد **امسك عليك زوجك** اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد
ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت
زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها
لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك **واتق الله** في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها **وتخشى الناس** تعييرهم
اياك به **والله احق ان تخشاه** ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده
بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض
الامر الى رأيه **فلما قضى زيد منها وطرا** بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل
قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك **زوجناكها** وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزوجه
منه عليه السلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم
وشاهد عدل بقوة ايمانه **لكيلا يكون على المؤمنين حرج** ضيق ومشقة **في ازواج ادعيائهم** اي
في حق تزوجهن **اذا قضوا منهن وطرا** فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام
وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل **وكان امر الله** اي ما يريد تكوينه من الامور وما مور الحاصل بكن

منفولا لا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج أي ما صح وما استقام
في الحكمة أن يكون له ضيق فيما فرض الله له أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه
فروض العساكر لأعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله
من نفي الحرج أي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الأنبياء عليهم السلام حيث
وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان
عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا أي قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة إلى تقرير نفي
الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا ومدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرئ
رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا
ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يخشون أحدا إلا الله في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى
تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التعريض في قوله تعالى وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي أن لا يخشى غيره أو محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
أي على الحقيقة بينه وبينه ما يثبت بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه
بكونه عليه السلام أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه السلام
لا لهم ولكن رسول الله أي كان رسول الله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح
لهم وسبب لحياتهم الأبدية وما زيد إلا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلام فحكمه
حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين أي كان آخرهم الذي
ختموا به وقرئ بكسر التاء أي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين
وأيا ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى أنه قال
في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لأن معنى كونه
خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل إنما ينزل عاملا على شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الأحكام
والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو أهله من التهليل
والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الأوقات والأحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به
بكرة وأصيلا أي أول النهار وآخره وتخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح به من بين الأذكار
مع اندراجه فيها لكونه العمدة بينها وقيل كلا الفعلين متوجه إليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من
الأمرين فإن صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة
على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في
يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار
ثانيا فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن يراد بها معنى مجازي
عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فإن كلا من الرحمة والاستغفار

الدعاء عليهما دون سائر الأوقات
بل لإبانة فضلهما على سائر الأوقات
لكونهما مشهودين كما أفراد ح

والاستغفار فرد حقيقي له أو الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلاة على الانعطاف الصوري
الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما
أن ذلك سبب الرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فإن اعتباره ينزع إلى الجمع بين المعنيين المتغا
يرين ليخرجكم من الظلمات إلى النور متعلق بيصلي أي يعتني بأموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك
من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله أي كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء
بإصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم إلى الإيمان والطاعة أو كان بكم رحيما على أن المؤمنين
مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم وإشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام
بيان للأحكام الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم و
هدايتهم إلى الطاعة أي ما يحيون به على أنه مصدر أضيف إلى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو
عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة
بشارة لهم بالجنة وتكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
أو إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما بيان لآثار رحمته
الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك ولعل إيثار
الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلا وأجرهم أجر كريم للمبالغة في الترغيب
والتشويق إلى الموعود ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود
بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على من بعثت
إليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر
ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة
ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار وداعيا إلى الله أي إلى الإقرار به
وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله بإذنه أي بتيسيره أطلق عليه مجازا لما
أنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانا بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الإعضال لا يتأتى إلا
بإمداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبلة المعبودة وإدخال للأعناق في قلادة
غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بأنواره إلى مناهج
الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب
أحوال الناس وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا أي على مؤمني سائر الأمم في الرتبة والشرف
وزيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن
مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار كني عن ذلك بالنهي عن
طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على
التهييج والإلهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل ودع أذاهم أي لا تبال بإيذائهم لك بسبب تصلبك في
الدعوة والإنذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فإنه تعالى
يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمور في كل الأحوال وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتعليل
الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه

بزن

أي وأجرهم أجر كريم ع

خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة المبشر عليه وهو الامر بالتبشير
حيثما ذكر انفا وقيل الانذار بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل
الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة
به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به فان من انار الله تعالى بالقوة القدسية ونوره بخلعة النبوة وجعله برهانا
نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن
بضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى
الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على
ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم
المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته
ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في
العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن
من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق
السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان
فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر
المثل او المتعة على تقدير الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه السلام كتقييد احلال
المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا
يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل
بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه
فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء
وامراة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق
الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللنا لك ايضا ان
وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا
مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها
اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا
نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا
واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن عنده عم احد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم
وايراده عليه السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم

الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها
خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا
لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال
المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان
احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود وعلى الوجه
المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك
المراة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز الى المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر
المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر
لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه
قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد
علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي صفة يحق ان
يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج
اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام
لا باعتبار اختصاصه به لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم
ثبوته لغيره وكان الله غفورا رحيما ~~لما يعسر التحرز عنه~~ ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من
تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجي بالهمزة
والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقة بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما
ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم
يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية
وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عائشة وحفصة وام
سلمة وزينب وارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير
سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر
من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي اقرب الى
قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك
وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر
على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في
قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه
وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخرها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء
لان تانيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع وهو في حقه
كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك
وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اي
تتبدل بحذف احدى التائين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها وتنكح مكانها
اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على اخترن ورضين فقصرن

لما يعسر التحرز عنه بالتوسعة في مواطن الحرج

تؤخرها وتترك مضاجعتها

عليهن وهي التسع اللاتى توفى عليه السلام عنهن وهي عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة
بنت ابى سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث
الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة معنى لا يحل لك النساء
من بعد الاجناس الاربعة اللاتى احللناهن لك بالصفة التى تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من
الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة
احلال نكاحهن فلابد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما
يتصور بالنسخ الذى من وظايف البشرية ولو اعجبك حسنهن اى حسن الازواج المستبدلة وهو
حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك
بهن وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس
الخثعمية امرأة جعفر بن ابى طالب رضي الله عنه اى هي ممن اعجبه عموم حسنهن واختلف فى ان الاية
محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى
انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس مات عليه السلام على التحريم الا ما ملكت
يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا
حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطى حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي شروع فى بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي عليه السلام اثر بيان
ما يجب مراعاته عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن قوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اى لا تدخلوها فى حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من اعم الاوقات
اى لا تدخلوها فى وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه ان النحاة نصوا على ان
الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المأول لا يقال اتيتك ان يصيح الديك وانما يقال
اتيتك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغى
ان يدخلوا الى الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اى
غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا
عند من يجوزه او من المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز
الضمير وهو غير سائغ عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اى ادرك ولكن اذا
دعيتم فادخلوا استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن
الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا انه خطاب لقوم كانوا يتحينون
طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم
والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين
لحديث اى لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل
اى ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستأنسين الخ ان ذلكم اى الاستيناس الذى كنتم تفعلونه من قبل كان
يؤذى النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله بما لا يعنيه فيستحيى منكم اى من
اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيى من الحق فانه يستدعى ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا

متعلقا بهم لا انفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغى ان يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامرهم بالخروج
والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها
واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا اى شيئا يتمتع به
من الماعون وغيره فاسألوهن اى المتاع من وراء حجاب اى ستر روى ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول
الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان
يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت
ذلكم اى ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال
المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اى اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما
كان لكم اى وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اى ان تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه
ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اى من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة
الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته فى الشر والفساد كان عند الله عظيما اى امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره
وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى و
لذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او
تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية
لا محالة وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة فى الوعيد
لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استئناف
لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول
الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى
العم ابا فى قوله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء
الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين
العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه
كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اى نساء المؤمنات ولا ما
ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر فى سورة النور واتقين الله
فى كل ما تأتون وما تذرون لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا
لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت فى علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع
عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأى
البصريين يصلون على النبي قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون
وقال ابو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له فينبغى
ان يراد بها فى يصلون معنى مجازى عام يكون كل واحد من المعانى المذكورة فردا حقيقيا
له اى يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله
سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم

أنتم أيضا بذلك فإنكم أولى به وسلموا تسليما قولوا اللهم صل على محمد وسلم ونحو ذلك وقيل المراد بالتسليم
انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار
وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فأبعده الله ويروى أنه عليه السلام
قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك
وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلي علي إلا قال
ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم
من قال يجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر وكذا قال في إظهار الشهادتين
والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه السلام أن يصلي عليه كلما جرى ذكره
الرفيع وأما الصلاة عليه في الصلاة بأن يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن إبراهيم النخعي رحمه الله
أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما
الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا وأما الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام فتجوز تبعا وتكره
استقلالا لأنه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا
إن الذين يؤذون الله ورسوله أراد بالإيذاء إما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لأنه
سبحانه لا حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في إيذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي إيذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر
ساحر كاهن مجنون وقيل يوم كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم في نكاح
صفية والحق هو العموم فيهما وأما إيذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل
لتعظيمه والإيذان بجلالة مقداره عنده تعالى وأن إيذاءه عليه السلام إيذاء له سبحانه لعنهم
الله أبعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها وأعد لهم
عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون
به من قول أو فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا أي بغير جناية يستحقون بها الأذية بعد
إطلاقه فيما قبله للإيذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق قطعا وأذى هؤلاء قد يكون حقا ومنه
فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا أي ظاهرا بينا قيل إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه
ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في أهل الإفك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء إذا
برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر
أيضا جهلا أو تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي
من أراجيف المرجفين يا أيها النبي بعدما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الإيذاء أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بأن يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع إيذاءهم في الجملة من التستر والتميز
عن مواقع الإيذاء فقيل قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن

الجلباب ثوب واسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها
وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعي
ومن للتبعيض لما مر من أن المعهود التلفع ببعضها وإرخاء بعضها وعن السدي تغطي إحدى
عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين ذلك أي ما ذكر من التغطي أدنى أقرب أن يعرفن
فيميزن عن الإماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وإيذائهم فلا يؤذين من جهة أهل الريبة
بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث راعى من مصالحهم
أمثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة
للإيذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمر جفون
في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من
الأراجيف الملفقة المستتبعة للأذية وأصل الإرجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة
وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتلهم وإجلائهم
أو بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم
للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام أعظم ما يصيبهم فيها أي في المدينة
إلا قليلا زمانا أو جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم
أو الحال على أن الاستثناء وارد عليه أيضا على رأي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين إناه
ولا على أن انتصابه عن قوله تعالى أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل أي سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وهي
أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء عليهم السلام وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا
ولن تجد لسنة الله تبديلا أصلا لابتنائها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسألك
الناس عن الساعة أي عن وقت قيامها كان المشركون يسألون عن ذلك استعجالا بطريق
الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب قل إنما علمها عند الله
لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عم غير داخل تحت
الأمر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب أي أي شيء يعلمك بوقت
قيامها أي لا يعلمك به شيء أصلا لعل الساعة تكون قريبا أي شيئا قريبا أو تكون الساعة في وقت
قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة في معنى اليوم والوقت
وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والإظهار في حيز الإضمار للتهويل وزيادة التقرير
وتأكيد استقلال الجملة كما أشير إليه إن الله لعن الكافرين على الإطلاق أي طردهم وأبعدهم
من رحمته العاجلة والآجلة وأعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين
فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم
الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة
كاللحم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال
أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف إحدى التاءين من تتقلب ونقلب بإسناد
الفعل إلى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب بإسناده إلى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما

لانها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع الامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد قوله
تعالى يقولون استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند
ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا
العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول
الى الصيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا في تلك الورطة وان علموا عدم نفعه في حق خلاصهم منها
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة
على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين
من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما
وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه
الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي
هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها
مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية
بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هرون
عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير مقتول وقيل
احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء
فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة
وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام
وقولوا في كل شان من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سددت السهم نحو
الرمية اذا لم تعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم
ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها
هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله
ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان
عظم شان ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر
عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق
مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها
والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد
ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن وعن عدم
استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق

هذا ليس مستمرا كقولهم السابق
بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا
من التشفي بمضاعفة عذاب الذين
اغووهم ح

معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية
التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت
هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين
قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق
المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة
الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة
القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله
تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم
وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا
بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى
الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي
حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام
للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب
الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب
الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني
اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله على
هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم
من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم
الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر
المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها ان يكون
من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل
الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو
جدير بان يفوز بخير الدارين ياباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على
فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها
الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها
فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين
الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به لقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات
بما امرناه انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها
اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا
نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فتحمله وكان
ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليه جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف
وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة

عدم اللياقة والاستعداد
لها وبحمل الانسان قابليته
واستعداده لها وكونه
ظلوما ح

عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على
الاستئناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم
وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه
أعطي الأمان من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض أي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالإيجاد
والإعدام والإحياء والإماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما
فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليق
الحمد المعرف بمقام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراده به تعالى بذلك لتقرير ما أفاده
على ما بين في خاتمة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات
التي من جملتها الإنسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه
من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد
الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراده به تعالى وقوله تعالى
وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى إثر بيان اختصاص الدنيوي على أن
الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس
للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن
ذكر كون الحمد أيضا فيها بل ليعم النعم الأخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا
الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة إلى نيلها من النعم
الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح
والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة و
الثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو
الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الأشياء
ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الأرض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي
نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والأموات
ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب
والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة وأعمال العباد
والأبخرة والأدخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه
وكرمه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم
أو من خلا من قبلهم فقط كما أرادوا بنفي إتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في
نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود الأمور الزمانية
المستقبلة لا سيما أجزاء الزمان لا يكون إلا بالإتيان والحضور وقيل هو استبطاء لإتيانها
الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه على معنى
ليس الأمر إلا إتيانها وقوله تعالى وربي لتأتينكم تأكيد على أتم الوجوه وأكملها وقرئ ليأتينكم

على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ لزيادة التأكيد وتشديد له
إثر تشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فإن تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الإطلاق
يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما أن ذلك في حكم الاستشهاد على الأمر ولا
ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلى كانت الشهادة آكد وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت
وأولى لا سيما إذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فإن وصفه بعلم
الغيب الذي أشهر أفراده وأدخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم
حوله شائبة ريب ما وفائدة الأمر بهذه المرتبة من اليمين أن لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلا فإنهم
كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وإنما لم يصدقوه مكابرة
وقرئ علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه أي لا يبعد وقرئ بكسر
الزاي مثقال ذرة مقدار أصغر نملة في السموات ولا في الأرض أي كائنة فيهما ولا أصغر من ذلك
أي من مثقال ذرة ولا أكبر أي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى إلا في كتاب مبين هو
اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز أن
يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لأن الاستثناء
يمنعه إلا أن يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون
المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة
لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها أولئك إشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف أي أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة
لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب
فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين
مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين أي مثبطين عن الإيمان من أراده أولئك لهم عذاب الكلام فيه
كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة رحمه الله الرجز سوء العذاب أي شديد
الإيلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين أوتوا العلم أي يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وكعب وأضرابهما رضي الله عنهم الذي أنزل إليك من ربك أي القرآن هو الحق بالنصب على أنه
مفعول ثان ليرى والمفعول الأول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولي العلم
على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة
معاينة أنه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين ويجوز أن يراد بأولي العلم
من لم يؤمن بالأحبار أي ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على
الحق عطف الفعل على الاسم لأنه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن أي وقابضات
كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك الحق وهاديا إلى صراط العزيز الحميد الذي
هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذي أنزل على إضمار مبتدأ
أي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وأرهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا

وقوله تعالى اليم صفة للعذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب

مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وان فضدوا واباالتنكير الطن والسخرية فانهم الله تعالى ينبئكم اى يحدثكم بعجب عجايب وقرى ننبئكم من الانبا اذا مزقتم كل ممزق اى اذا متم ومزقت اجسادكم كل ممزق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اى وستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون وتخلقون خلقا جديدا للاشباع فى الاستبعاد والتعجب وكذا تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاسناد لا لعند الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد والظهور لكون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يومنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم اوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاهم بما قالوا فى حقه عليه السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم فى حال كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذى هو الجنون حقيقة وفيما يودى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوؤهم ويفت فى اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالاخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه ما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استيناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريب وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشية به اى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفناها بقارون او نسقط عليهم كسفا اى قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هى وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرى يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله كذبا وكسفا بسكون السين ان فى ذلك اى فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلى من الوحى الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شانه الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيهما او فى الوحى المذكور ينزجر عن تعاطى القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة

بالبعيد الذي هو وصف الضلال

والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اى آتيناه بحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم وهنا لتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما فى قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد تتمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبى معه من التاويب اى رجعى معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيه صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرى اوبى من الاوب اى رجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضمار كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف اى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرى بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه انه مفعول معه والاول هو الوجه وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولى الالباب والنا له الحديد اى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التى آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرى صابغات وهى الدروع الواسعة الصافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بنى اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما يقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر فى السرد السرد نسج الدروع اى اقتصد فى نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر فى السرد لا تصرف جميع اوقاتك الى السرد بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقى فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله انى بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرى برفع الريح اى ولسليمان مسخرة وقرى الرياح غدوها شهر ورواحها شهر اى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك والجملة مستانفة او حال من الريح وقرى وغدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا فى

نزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عم نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من
اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى وأسلنا له عين القطر
النحاس المذاب اسلناه من معدنه كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع
ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام وقوله تعالى ومن الجن من
يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدم منه باذن ربه
بأمره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة
سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الاخرة
روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى ضربه من حيث لا يراه
الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب الخ بيان لما يشاء اي من قصور
حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور
الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط
الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وكان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب
كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات
الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل
للمنعم شكر له او لفعله اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا وقليل من
عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه
لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تأت ساعة من الساعات الا وانسان
من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان ما دلهم اي الجن او آله على موته
الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال
ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا تأكل
منسأته اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ منساته بالف ساكنة
بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءة على مفعالة كميضاة في ميضأة
ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ من ساته فلما
خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته
عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن
وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء
للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا
للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب روي ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه

تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل
ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس
له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى
اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن شيطان ينظر اليه
شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عم قد خر ميتا ففتحوا عنه
فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في
يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
لقد كان لسبأ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد
سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا
هم ولعلها اخراج لها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم
وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال آية دالة بملاحظة احوالها السابقة
واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضد
للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف
اي هي جنتان ومعناه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن
يه يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية
لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال
لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم
الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب شكركم رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح
قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين
الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من بعوض وذباب وهوام شيء فاعرضوا عن الشكر بعد
ابانة الآيات الداعية لهم قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم
عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم
اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي
يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين
بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل
العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم
فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم بسكون الراء قالوا وكان ذلك في الفترة التي كانت بين
عيسى والنبي عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط
اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو كالحمض والمرض كل شيء وقيل هو
ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك وكل شجر ذي شوك و
التقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل

وأثل وشيء من سدر قليل معطوفان على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفا وقيل شجر يشبهه أعظم منه
ولا ثمر له وقرئ أثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك
يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة
لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هاهنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم
خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك إشارة إلى
مصدر قوله تعالى جزيناهم أو إلى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد رتبته في
الفظاعة ومحله على الأول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول
ثان أي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر وذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم
النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي إلا الكفور
أي وما نجازي هذا الجزاء إلا البالغ في الكفران أو الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجازى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أوتوا من
النعم الكاملة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين
القرى التي باركنا فيها حكاية لما أوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران
وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وإنما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من
زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم وبأجزيتها
أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا
فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة
متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير أي جعلناها
في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في أخرى
والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيرا لها
في الحضر والسفر سيروا فيها على إرادة القول أي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي وأياما أي متى
شئتم من الليالي والأيام آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها
آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياما كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون
فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه
المذكور منزلة أمرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب
العيش فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى
جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها
الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الإجابة بتخريب تلك القرى
المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا
على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد
بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم مع
قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم
يتشاكون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا أنفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا

بطروا النعمة أو غمطوها فجعلناهم أحاديث أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم
معتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق أي فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح
ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة
على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي فرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يضرب به الأمثال في كل فرقة
ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل قصتهم على ما
رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ وبينهما اثنا عشر أبا وهو الذي يقال له
ابن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين
وعن أبي زيد الأنصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه كان كاهنا
وقد علم بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة وأهلها
جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن
عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم إلى أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون
له موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم إلا الشريد
وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا إلى الخروج وقد
رجع إليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار
ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الأنصار ومضت غسان
فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي أمر
مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم أولاد إسماعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم في ذلك
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فروة بن مسيك القطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ
فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والأزد والأشعريون
وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت أموالهم
وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت
الأوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة
والنضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم
غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب ينقسمون
قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها
فبعضهم ينسبونها إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان والله تعالى أعلم إن في ذلك أي فيما ذكر من قصتهم لآيات
عظيمة لكل صبار شكور أي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على
النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أي حقق عليهم ظنه أو وجده
صادقا وقرئ بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه
نوع من القول وقرئ بنصب إبليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى
قال له الصدق حين خيله إغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الإبدال وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى
انهماكهم في الشهوات أو ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى إلى وسوسته قال لأذريته أضعف
منه عزما وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال

لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبأ او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه
على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه
عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا
ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم
حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان
قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة
وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله
تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون
لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم
ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير
وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان
آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر
سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا
ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة
عنده اي لا توجد راسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا
لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له
في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستاهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية
اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا
ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصورة على الشفاعة لمستحقيها لقوله
تعالى ولا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب
او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستاهلين في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي
شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها
وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم
عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول
حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع
بمعزل وعن التفزيع قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار
والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاست
ئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف
الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا

اللتيا واللتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره
ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون
بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها
وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية
عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من
اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو
الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا
لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاده فاسند
اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ الرجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم
حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف
عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا
يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل
من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا
في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة
الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين
من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت
للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان
الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس
في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ
في الانصاف وابعد من الجدل والاغضاب حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى
الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عند الحشر
والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة
والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به
قل اروني الذين الحقتم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام
اظهار خطئهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم اي اروني لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي
ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن
المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة
فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير لله عز وعلا او للشان
كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد
كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل
الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا

يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم
متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه والموعود بقوله تعالى يجمع بيننا
ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد
يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل وبنوما
باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا
الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا
وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد
بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من
الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ
الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول
اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الخ اي يقول الاتباع للذين
استكبروا في الدنيا واتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه السلام قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف مبني على
السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ
جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب
كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر
الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا
او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين مجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون
عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف
باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائما
وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعل المذكور نعمة من الله واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية
الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي اضمر الفريقان
الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها فانه
من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار
في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا
يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير الا قال مترفوها
انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب
والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك

على الاسناد مجاز
بالتنوين ونصب الظرفين
اي بل صدنا مكركم الليل
والنهار م

بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط
الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوا به نحو ما كادوا
به وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله
تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الرأي الركيك
بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي
رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا
عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ان يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدر عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع
الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع
عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعقاب اللذين مناطهما
الطاعة وعدمها وقرئ بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط
هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج
والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقريره
اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء
سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا
استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في
سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير ويربيهم على الصلاح ويرشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم
على حذف المضاف اي الا اموال من الخ فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار
والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد بتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار
والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول
اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشر
فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف
وجزاء الضعف بالرفع بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون
من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا
بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون
لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي يوسعه عليه تارة
ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره
واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين

وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا يقول الملائكة فقيل يقولون منزهين عن ذلك سبحانك أنت ولينا من دونهم والعدول إلى الصيغة الماضي للدلالة على التحقق أي أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم تبينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها أكثرهم بهم مؤمنون الضمير الأول للإنس أو للمشركين والأكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب إليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الأشهاد إظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الإخبار به عليه وسببه عدم النفع والضر إلى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع أنه لا بحث عنه أصلا إما لتعميم العجز أو لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها أو لأن المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الإطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف على يقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لأنه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ إثر حكاية ما سيقال للملائكة أي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ونقول كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون بكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفرهم أي إذا تتلى عليهم بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير أن يكون هناك دين إلهي وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم إلا إفك أي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى بإسناده إلى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق أي لأمر النبوة والإسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالأول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه إن هذا إلا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من

الدرس

مجلس

المسارعة إلى البت بهذا القول الباطل إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الإشراك كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يدعوهم إليه وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الأمم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ فكيف كان نكير أي إنكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل إنما أعظكم بواحدة أي ما أرشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى أن تقوموا لله على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنتصبوا للأمر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى أي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فإن الازدحام يشوش الأفهام ويخلط الأفكار بالأوهام وفي تقديم مثنى إيذان بأنه أوثق وأقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا في أمره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة ولا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه عليه السلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فإنه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من أجر أي أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا إن أعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل إليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ إن أجري بسكون الياء قل إن ربي يقذف بالحق أي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به إلى أقطار الآفاق فيكون وعدا بإظهار الإسلام وإعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل إن واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو مقدرا بأعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب قل جاء الحق أي الإسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد أي زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحي فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة

فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل إبليس أو
الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده أو لا يبدي خيرا لأهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها
قل إن ضللت عن الطريق الحق **فإنما أضل على نفسي** لأن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الجاهلة
بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى **وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي**
لأن الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء **إنه سميع قريب** يسمع قول كل من المهتدي
والضال وفعله وإن بالغ في إخفائه **ولو ترى إذ فزعوا** عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس
أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف أي لرأيت
أمرا هائلا **فلا فوت** فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن **وأخذوا من مكان قريب**
من ظهر الأرض أو الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والجملة معطوفة
على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ بالعطف
على محله أي فلا فوت هناك وهناك أخذ **وقالوا آمنا به** أي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره
في قوله تعالى ما بصاحبكم **وأنى لهم التناوش** التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان
تناولا سهلا **من مكان بعيد** فإنه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص
بالإيمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة
وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء إذا طلبته وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول
من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا أن يكون أطاعني وقد
حدثت بعد الأمور أمور **وقد كفروا به** أي بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه
من قبل من قبل ذلك أوان التكليف **ويقذفون بالغيب** ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم
في حق الرسول عليه من المطاعن أو في العذاب المذكور من بت القول بنفيه **من مكان بعيد** من جهة
بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه عليه السلام إلى الشعر والسحر والكذب وإن أبعد شيء من
عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه
من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على أن الشياطين تلقي إليهم وتلقنهم ذلك
وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف
في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** من نفع الإيمان والنجاة من
النار وقرئ بإشمام الضم للحاء **كما فعل بأشياعهم من قبل** أي بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة **إنهم
كانوا في شك مريب** أي موقع في الريبة أو ذي ريبة والأول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الأعيان
إلى المعنى والثاني من صاحب الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض مبدعهما من غير مثال تحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو
الشق طولا كأنه شق العدم بإخراجهما منه والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل
ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق **جاعل الملائكة** الكلام في إضافته وكونه نعتا

نعتا أو بدلا كما قبله وقوله تعالى **رسلا** منصوب به على الوجه الثاني من الإضافة بالاتفاق وأما على
الأول فكذلك عند الكسائي وأما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لأن اسم الفاعل إذا كان
بمعنى الماضي لا يعمل عندهم إلا معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي إلى اثنين
يعمل في الثاني لأنه بإضافته إلى الأول تعذرت إضافته إلى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم
ذلك بأنه بالإضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات
والأرض وجعل الملائكة أي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون
إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة أو بينه تعالى وبين خلقه أيضا حيث يوصلون
إليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا أما على تقدير كونه إبداعا فرسلا
نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين **أولي أجنحة** صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو ونظيره
في الأسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع** صفات لأجنحة أي ذوي
أجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون
بها والمعنى أن الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا آخر
لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلفون أجسادهم
وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله
عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليهما السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح
وروي أنه سأل عليهما السلام أن يتراءى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك فقال إني أحب أن
تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فأتاه جبريل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه عليه السلام
ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت
أرى أن شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها
بالمشرق وجناح منها بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل في بعض الأحايين لعظمة الله عز وجل
حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير **يزيد في الخلق ما يشاء** استئناف مقرر لما قبله من تفاوت
أحوال الملائكة في عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لأمر راجع إلى
ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بأنه تعالى يزيد في أي خلق كان ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته تعالى ومقتضى
حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض
المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق
التمثيل لا بطريق الحصر فيه وقوله تعالى **إن الله على كل شيء قدير** تعليل بطريق التحقيق للحكم
المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاء إيجابا
بينا **ما يفتح الله للناس من رحمة** عبر عن إرسالها بالفتح إيذانا بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس
فيها المتنافسون وأعزها منالا وتنكيرها للإشاعة والإبهام أي أي شيء يفتح الله تعالى من خزائن رحمته
أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به **فلا ممسك لها** أي لا أحد
يقدر على إمساكها **وما يمسك** أي أي شيء يمسك **فلا مرسل له** أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف
الضميرين لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه
إشعار بأن رحمته سبقت غضبه **من بعده** أي من بعد إمساكه **وهو العزيز** الغالب على كل ما يشاء من الأمور التي

جعلها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما
قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه
الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه
امر الناس قاطبة واهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم اي انعامه
عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد
ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري
المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود
على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله
كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء
والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقدير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا
مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوع المحل او مجرور به لان معناه نفي وجود خالق موصوف
بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ
ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان
معناهما نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى
لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام
صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى
فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى
بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خطاب الناس مساق
الى تسليته عليه السلام بعموم البلية والايماء الى الوعد والوعيد اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت
اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في المصابرة على ما
اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد
التسلية والتوجيه الى المصابرة اي رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره
فيجازي كلا منك ومنهم بما انت عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص
المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع
بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة
والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا
تغرنكم الحياة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد
والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في لا ارينك ههنا ولا يغرنكم بالله وعفوه
وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا
ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول
السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم

بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم
للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله
تعالى انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان
غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية
كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب
المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته
عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من
الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما
المؤديين الى تلك العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر
يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح
حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل تقرير له
وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل من يشاء اي يضله لاستحبابه الضلال
وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء اي يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى
اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك
بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم كما دل عليه قوله تعالى
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه السلام عما كان عليه من الحرص
الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم
اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في
اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء
الخ على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك
وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عم
على احوالهم وعلى كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا
ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم صلته واما
حال كانها كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله
على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة
والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان
احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار اثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ
بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن
كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة
على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن الاختصاص به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة
بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة

تحرف

الربانية والكاف في جزاء الزرع على الجزية اى مثل ذلك الاحيا الذى تشاهدونه احيا الاموات في صحة المقدورية
وسهولة التاتى من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثانى وقيل في كيفية الاحيا يرسل الله
من تحت العرش ماء ينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة
الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين امنوا
بالمنافقين كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة ومن
يعن كان يريد لله لا له على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اى له تعالى وحده لا لغيره
عزة الدنيا وعزة الاخرة اى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص
العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما
او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور لعبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اى اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين
باعمال العباد فقط وهو يعرضا حينئذ يعطى طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل
هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به
وقرى يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول
الذكر والدعا والاستغفار وقراءة القران وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر اذا قالها العبد عرج به الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن
مسعود رضى الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا
استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب
والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل
الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة لمصدر المحذوف اى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قريش
بالنبى صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الراى في احدى الثلث التى هى الاثبات والقتل والاخراج
لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة
موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه
من معنى البعد للتنبيه على ترامى امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اى ومكر اولئك المفسدين
الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام هو يبور اى هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابادهم
الله تعالى بعد ابادة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث
التى اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل اخر على صحة البعث والنشور اى خلقكم
ابتداء منه في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى خلقكم منها خلقا تفصيليا
ثم جعلكم ازواجا اى اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه اى ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اى من احد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره
اى وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتدا ناقصا وقيل الزيادة

الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار عليه السلام الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص
ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب
يومان وهكذا حتى ياتى على اخره وقرى لا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضى
انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه
محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوى البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمومن والكافر والفرات الذى يكسر العطش
والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرى سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف
وملح كحذر ومن كل اى من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية اى من الملح
خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكميل للتمثيل
كانهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما منتفعان فيما هو المقصود بالذات
من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المومن وان شاركه
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصة العظمى لبقاء احدهما على
فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الاخر وتفضيل الاجاج على الكافر من حيث انه
يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه
في كل منهما وافراد ضمير الخطاب بعد جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد تتأتى منه الرؤية
دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله
من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة
اى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان
بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص
الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الاخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة
لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما التعدد
والتجدد في اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجرى اى يجرى حركته الخاصة او حركته القسرية
على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى
لجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريهما عبارة عن حركتهما الخاصتين
بفلكيهما والاجل المسمى منتهى دورتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في
سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة
اسنادا لما فيه من اخبار مترادفة ذلكم العظيم الشان الذى ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم
له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له تعالى
وتجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدا في قران قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرى يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة

النواة وهو مثل في القلة والحقارة إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف
عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم
لعجزهم عن الأفعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فإن ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا
ويوم القيمة يكفرون بشرككم أي يجحدون بإشراككم وعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه وتعالى فإنه الخبير
بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية
يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله في أنفسكم وفيما يعن لكم من أمر مهم أو خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة
في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى
فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الإنسان ضعيفا والله هو الغني الحميد أي المستغني على
الإطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك أي ما ذكر من الإذهاب
بكم والإتيان بآخرين على الله بعزيز بمتعسر أو متعذر ولا تزر وازرة أي لا تحمل نفس آثمة وزر
أخرى إثم نفس أخرى بل إنما تحمل كل منهما وزرها وأما ما في قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا
مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال إضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من
أوزار غيرهم شيء وإن تدع مثقلة أي نفس أثقلتها الأوزار إلى حملها ليحمل بعض أوزارها لا يحمل منه
شيء أي لم يجب بحمل شيء منه ولو كان أي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو
قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والأول نفي له إجبارا إنما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر
أي إنما تنذر بهذه الإنذارات الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن
الناس في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم وأقاموا الصلوة أي راعوها كما ينبغي وجعلوها
منارا منصوبا وعلما مرفوعا أي إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل
التمرد والعناد ومن تزكى أي تطهر من أوضار الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الإنذارات فإنما
يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى
وهو اعتراض مقرر لخشيتهم وإقامتهم الصلوة لأنها من معظم مبادي التزكي وإلى الله المصير لا إلى أحد
غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء وما يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن
ولا الظلمات ولا النور أي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل
واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور أي ولا الثواب ولا العقاب وإدخال لا على المتقابلين لتذكير
نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما
يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين
أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين أفراد الفريقين
وقيل تمثيل للعلماء والجهلة إن الله يسمع من يشاء أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته
وما أنت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عليه السلام
من إيمانهم إن أنت إلا نذير ما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة
لك إليه في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك بالحق أي محقين أو محقا أنت أو إرسالا مصحوبا بالحق ويجوز

أن يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أي ما من
أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية إلا خلا أي مضى فيها نذير من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء
بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولأن الإنذار هو الأنسب بالمقام
وإن يكذبوك أي يتموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم
العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب
المنير كالتورية والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير
العنوانين ثم أخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار
بعلة الأخذ فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها ألم تر
استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في
جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به بذلك الماء والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال
القدرة والحكمة ثمرات مختلفا ألوانها أي أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها ذو أصناف
مختلفة أو هيئاتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق لما في قوله
تعالى ومن الجبال جدد أي ذو جدد أي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء وقرئ
جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف
ألوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط
ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فإن الغربيب تأكيد
للأسود كالفاقع للأصفر والقاني للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول
النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار
والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي ومنهم بعض مختلف ألوانه أو بعضهم
مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وإيراد الجملتين اسميتين
مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الأحوال الباطنة
لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على
الاستمرار وأما إخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما
كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف
أحوال الجبال والناس وغيرها فإنها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية
فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف أي صفة لمصدره المؤكد تقديره
مختلف اختلافا كائنا كذلك أي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ ألوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة
في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى إنما تنذر
الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين
مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية
لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أي إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به
من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى

كان الخشية منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال
قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر
الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم
فان المعظم يكون مهيبا **ان الله عزيز غفور** تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه
غفور للتائب عن عصيانه **ان الذين يتلون كتاب الله** اى يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت
سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية
تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال
الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ
لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة
مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الكل
مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم للقرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية
واستتباع الاجر بالمرة فتدبر **واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** كيفما اتفق من غير
قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة **يرجون تجارة** تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان
وقوله تعالى **لن تبور** اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست
كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة
قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى **ليوفيهم اجورهم** متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد
وينفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم **ويزيدهم من فضله** على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل
بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة
انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وقيل
هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا **والذي اوحينا اليك من الكتاب** وهو القرآن ومن
للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء **هو الحق مصدقا لما بين يديه** اى احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام
ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح
اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب اى قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه
من الامم السالفة اى اخرناه عنهم واعطيناه **الذين اصطفينا من عبادنا** وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم
ممن يسير بسيرتهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة
الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية **فمنهم ظالم لنفسه** بالتقصير في العمل به وهو المرجا لامر الله **ومنهم مقتصد**
يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء **ومنهم سابق بالخيرات باذن الله** قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقيل هم الذين يداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اى بتيسيره وتوفيقه
تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل

وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي رجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة
وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما المقتصدون فاولئك
يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته
وقد روى ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له **ذلك** اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف **هو الفضل الكبير** من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى
جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا وخبره **يدخلونها** وعلى الاول هو
مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين
الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في
ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها
على البناء للمفعول **يحلون فيها** خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية **من اساور**
هي جمع اسورة جمع سوار **من ذهب** من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اى يحلون بعض اساور من ذهب
كانه افضل من سائر افرادها **ولؤلؤا** بالنصب عطفا على محل اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اى من
ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ **ولباسهم فيها حرير** وتغيير الاسلوب قد مر في
سورة الحج **وقالوا** اى يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق **الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن**
وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن
الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم
لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون
التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن **ان ربنا لغفور** اى للمذنبين **شكور**
للمطيعين **الذي احلنا دار المقامة** اى دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا **من فضله** من انعامه وتفضله
من غير ان يوجبه شيء من قبلنا **لا يمسنا فيها نصب** تعب **ولا يمسنا فيها لغوب** كلال والفرق بينهما
ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام
نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما **والذين كفروا لهم نار جهنم لا
يقضى عليهم** لا يحكم عليهم بموت ثان **فيموتوا** ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا
على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون **ولا يخفف عنهم من عذابها** بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع **نجزي كل كفور** مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى
منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ يجازى **وهم يصطرخون فيها**
يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته **ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل** باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه
من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين
خلافه وقوله تعالى **اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة
للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اى الم نمهلكم ولم نعمركم

ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن
ابن عباس ستون سنة وروى ذلك عن على رضى الله تعالى عنهم وهو العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن ادم
قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على
الجملة الاستفهامية لانها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه
فى معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القران وقيل العقل
وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذى يقتضيه المقام والفاء فى قوله
تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجئ النذير وفى قوله تعالى فما للظالمين
من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية
اى لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور وقيل انه تعليل لما قبله
لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذى جعلكم خلائف فى
الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثانى خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم
خلفاء فى ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء
ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل
هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اى وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو
مقت الله تعالى اياهم اى بغضه الشديد الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الاخرة الذى ما بعده
شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين
القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون
الله اى الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم
شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل
اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبرونى عن شركائكم اروني اى جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك فى
السموات اى ام لهم شركة مع الله سبحانه فى خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية
ام اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اى حجة ظاهرة من ذلك الكتاب
بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما فى قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فى اثباته من تعاضد الدلائل بل ان
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو
تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله تعالى يشفعون لهم بالتقرب
اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اى
يمسكهما كراهة ان تزولا او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اى ما امسكهما
من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى
مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التى تستوجبها
جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم

بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود
والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى
وغيرهم او من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فلما
جاءهم نذير واى نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اى النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن
الحق استكبارا فى الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا السيئ اى المكر
السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة فى الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقف خفيف
وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون اى ما ينتظرون الا سنت الاولين اى
سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب
ولن تجد لسنت الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم
بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق
البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب
المكذبين بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار ديار الامم الماضية
العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اى اقعدوا فى مساكنهم
ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول
اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وما
كان الله ليعجزه من شيء اى ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض اعتراض مقرر لما
يفهم مما قبله من استئصال الامم السابقة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اى مبالغا
فى العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل
لذلك ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من
السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اى على ظهر
الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بنى ادم
وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم
وهو المروى عن ابن مسعود وانس
رضى الله عنهما ويعضده
الاول قوله تعالى
ولكن يؤخرهم
الى اجل
مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على ذلك
باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة
دعته ثمانية ابواب الجنة ان
ادخل من اى باب شئت
والله سبحانه وتعالى
اعلم

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل
وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر
وعليهما مدار قراءة يسُ بالرفع والنصب اي هذه يس او اقرأ يس ولا مساغ للنصب
باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول
ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف
كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف
ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم لمقابلته لقابيل وهابيل يتأتى فيهما
الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل حرك بالفتح كما في حيث واين
حسبما يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك لمجرد الهرب من التقاء الساكنين
وعن ابن عباس ان معناه يا انسان في لغة طي وقالوا المراد به النبي صلى الله عليه وسلم ولعل اصله
يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله **والقرآن** بالجر على انه مقسم به ابتداء
وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم **الحكيم** المتضمن
للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان
يكون اصله الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبما انقلب مرفوعا بعد
الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان **انك لمن المرسلين** جواب للقسم والجملة
لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة
ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام
به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عم من حيث نظمه
المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من حيث هذه الجملة القسمية وتقويه لثبوته فيكون شاهدا
به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى **على صراط مستقيم** خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار
والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته
عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه صلى الله عليه وسلم
من جملة المرسلين بالشرائع **تنزيل العزيز الرحيم** نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن
القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهار الفخامة
الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة
التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة

بيان م

الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد
لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على ان الكلام مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن
القرآن وعلى كل تقدير ففيه نوع فصل تأكيد لمضمون الجملة القسمية **لتنذر** متعلق بتنزيل على
الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق
بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر **قوما ما انذر آباؤهم** اي لم ينذر آباؤهم
الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار
والذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا
ثانيا لتنذر او انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا للمصدر مؤكدا اي لتنذر
انذارا كائنا مثل انذارهم **فهم غافلون** على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه
والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق
بقوله لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم
المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم
الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى **لقد حق القول على اكثرهم** جواب القسم
اي والله لقد ثبت وتحقق البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل
بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في
العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
كيف لا والمراد به ما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم
الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل
له بتبعه قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك
المصرين على تبعه ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على
الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى **فهم لا يؤمنون** متفرع في الحقيقة على ذلك لا على
ثبوت القول وقوله تعالى **انا جعلنا في اعناقهم اغلالا** تقرير لتصميمهم على الكفر
وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم **فهي الى الاذقان** اي فالاغلال
منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له **فهم مقمحون** رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق وينظرون
الى جهته **وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون**
تتمة وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم
فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين
بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال
فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات
وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله
فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى

للتمثيل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخ راسه فاتاه وهو صلى الله عليه وسلم يصلي ومعه حجر ليدمغه
فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه منها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك
فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم
تنذرهم بيان لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اى مستو عندهم انذارك اياهم
وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله او بدل منه
ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل إنما تنذر اى انذارا مستتبعا
للاثر من اتبع الذكر اى القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان
وخشي الرحمن بالغيب اى خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه
في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما هو رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر
قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي
الموتى بيان لشان عظيم ينطوي عليه الانذار والتبشير انطواء اجماليا اى نبعثهم بعد مماتهم
وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب
ما قدموا اى ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم
علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من
وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين
العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي
آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع
آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان أحصيناه في امام مبين اصل عظيم الشان مظهر
لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حال غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب
الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس
من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين
اى بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا
لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان
لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين
لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية
اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عم الى اهلها ونسبة ارسالهم
اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية
وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اى فاتياهم ودعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة
فعززنا اى قويناهما يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف
المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اى جميعا
انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك

وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات
له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما
خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك
فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون
فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما
بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال
شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى
حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له
شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر
ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون
انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام وقال
اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء
فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى ان قوله اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا
هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد
واللجاج وركوبهم متن المكابرة في اللجاج ولم يذكر فيه ممن لم يؤمن احد سوى حبيب وبواب الملك
وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا
كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق
الخفية على خوف من عتاة يعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اى اهل انطاكية للذين
يوموا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعون
ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي
الرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى
وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا من جهة ربنا الا البلاغ
المبين اى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته
فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة
على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى نتصدى لذلك قالوا لما ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون
بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وان كان
مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر
متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر

شمعون
قدر
ملابدم
ه
ع

تفاءلوا لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم لا يقادر قدره
قالوا طائركم معكم اى سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم
أئن ذكرتم او وعظتم لما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف تقديره لانه ما قبله عليه اى تطيرتم
وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بألف بين همزتين وبفتح أن بمعنى أتطيرتم بأن ذكرتم
وان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ
بل انتم قوم مسرفون اضراب عما يقتضيه الشرط من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد
اى ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او فى الظلم
والعدوان ولذلك توعدتم وتشأمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره احد
قبل مبعثه وقيل كان فى غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اتاهم واظهر دينه قال
ويقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فاذا قال عند مجيئه فقيل قال
يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف
قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء
الى خير الدنيا والدين وما لى لا اعبد الذى فطرنى تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض
المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على تركهم
عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة فى التهديد
ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفى لاتخاذ الآلهة على الاطلاق
وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا اى لا تنفعنى شيئا من
النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفى المذكور وجعله
صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردنى بفتح
الياء على معنى ان يردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر انى اذا اى اذا اتخذت من دونه آلهة لفى
ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر غيره
ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز فى الجملة انى آمنت بربكم خطاب منه
للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال
ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم
روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذى ارسلكم والذى
تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب
للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم
لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا
قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها كسائر الشهداء وقيل لما
هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى

يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا
المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والسخاء
بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومى يعلمون
بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فاذا
قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك
على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى
كظم الغيظ والترحم على الاعداء وليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على الحق وان
عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او
استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اى باى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شأن
المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه
من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة
ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين
وما صح فى حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شئ سببا حيث اهلكنا
بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا
انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى وما
كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اى ما كانت الاخذة او
العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ
الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة
رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد
• وما المرء الا كالشهاب وضوئه ۞ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • يا حسرة على
العباد تعالى فهذه من الاحوال التى حقها ان تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة
الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من
الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على
انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار
فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على
العباد باجراء الوصل مجرى الوقف ألم يروا اى الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى كم
اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام
خلا ان معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه
انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين
انفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا
والبدل حينئذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد

الجزء الثالث والعشرون

بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل
بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل
محضرون معذبون فيكون عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام
فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ **وآية لهم الارض الميتة** بالتخفيف
وقرئ بالتشديد قوله آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها
بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى **احييناها**
استيناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبره والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها
خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر الآية وقيل الخبر لها
الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة
هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض **واخرجنا منها حبا** جنس الحب **فمنه ياكلون**
تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به **وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب** اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص
شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع **وفجرنا فيها** وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى **من العيون** اى بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه والعيون
ومن مزيدة على راى الاخفش **ليأكلوا من ثمره** متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من
مبادى الثمار اى وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادى اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر
من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير له تعالى بطريق الالتفات الى
الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون
وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الاول قراءة
عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها **افلا يشكرون**
انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها **سبحان الذي خلق الازواج كلها**
استيناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآية المذكورة واستعظام ما ذكر في
حيز الصلة من بدايع آثار قدرته واسرار حكمته وروايع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة
والتعجيب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا
وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح
اى واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه عما لا
يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق ومن جهة
النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة
لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة

اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا
اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه
عز وجل بذلك وتلقين للمومنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد
بالازواج الاصناف والانواع **مما تنبت الارض** بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء
المذكورة وغيرها **ومن انفسهم** اى خلق الازواج من انفسهم اى الذكر والانثى **ومما لا يعلمون**
اى والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما
لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال
على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه
وسلطانه **وآية لهم الليل** جملة من خبر مقدم ومبتدأ موخر كما مر وقوله تعالى **نسلخ
منه النهار** جملة مبينة لكيفية كونه آية اى نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو
ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال
سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة **فاذا هم مظلمون** اى داخلون
في الظلام مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض **والشمس تجري لمستقر لها**
لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد
ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرار لها
على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين
مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل
او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى
ليس **ذلك** اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو رتبته لانه يحار في فهمها العقول والافهام **تقدير العزيز** الغالب بقدرته على كل مقدور
العليم المحيط علمه بكل معلوم **والقمر قدرناه** بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ
بالرفع على الابتداء اى قدرت له **منازل** وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل
وهي ثمانية وعشرون الشرطان• البطين• الثريا• الدبران• الهقعة• الهنعة• الذراع• النثرة• الطرف• الجبهة•
الزبرة• الصرفة• العواء• السماك• الغفر• الزبانى• الاكليل• القلب• الشولة• النعايم• البلدة•
سعد الذابح• سعد بلع• سعد السعود• سعد الاخبية• فرغ الدلو المقدم• الدلو الموخر• الرشا•
وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في كل واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان في
آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس **حتى عاد كالعرجون**
اى كالعرجون فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون **القديم** العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا **لا الشمس ينبغي لها** اى يصح
ويتسهل لها **ان تدرك القمر** في سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في
الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي
للشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها **ولا الليل سابق النهار** اى يسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان

لاسكون لها ولا حركة دائما

الهنعه م

الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملايم لسرعة سيره **وكل** اى وكلهم
على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر الحاصل
لها بتكاثر مطالعها فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما
مشعر بها **فى فلك يسبحون** يسيرون بانبساط وسهولة **وآية لهم انا حملنا ذريتهم** اولادهم
يبعثون الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاسيما مع
الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم فى السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع **فى الفلك
المشحون** اى المملو وقيل هو فلك نوح عم وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفى اصلابهم
هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب الذى عليه
يدور ركونه آية **وخلقنا لهم من مثله** مما يماثل الفلك **ما يركبون** من الابل فانها سفائن البر او
مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات
العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته وحكمته
حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن
بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور
منهم واختيار **وان نشا نغرقهم** الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا
غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرى نغرقهم بالتشديد وفى تعليق الاغراق
بمحض المشية اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيته تعالى
به اى ان نشا نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جى به فى خلال
الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من
السفن والزوارق **فلا صريخ لهم** اى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه
وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون** اى ينجون منه بعد وقوعه وقوله
تعالى **الا رحمة منا ومتاعا** استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية
المتاخرة اى لا يغاثون ولا ينقذون لشئ من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة
والانقاذ وتمتيع بالحيوة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقابل التمتيع من الرحمة
الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اى لنوع من الرحمة وتمتيع **الى حين** اى الى زمان
قدر فيه آجالهم كما قيل ولم اسلم لكى ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام **واذا قيل لهم
اتقوا** بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا
يشاهدونها وعدم تاملهم فيها اى اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا **ما
بين ايديكم وما خلفكم** من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من
حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقائع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب
المعد لكم فى الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او ما
تقدم من الذنوب وما تاخر **لعلكم ترحمون** اما حال من واو اتقوا او غاية له اى راجين ان ترحموا
اى كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف
ثقة بانفهامه من قوله تعالى **وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** انتها

انتها ما بينا اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم
حين اعرضوا عن آيات ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب
اعرضوا حسبما اعتادوه وما تاتيهم وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الاولى
مزيدة لتاكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم
الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه فى حقها والمراد بها اما الآيات
التنزيلية فاتيانها نزولها والمراد ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات
الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا اذا كانوا
عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التى من جملتها الآيات
الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحى وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما
يظهر لهم آية من الآيات التى من جملتها ما ذكر من شؤن الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المودى الى الايمان به تعالى وايثار ان يقال
الا اعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة
على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة
للفواصل والجملة فى حيز النصب على انها حال من مفعول تاتى او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها
على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما تاتيهم من آية من آيات ربهم فى حال من
احوالهم الا حال اعراضهم عنها او وما تاتيهم آية منها فى حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها **واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اى اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها
بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها
على عظم جنايتهم فى ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اى اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا
ما اعطاكم الله من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويرفع المكاره **قال الذين كفروا**
بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة **للذين آمنوا** تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور
بمشية الله تعالى **انطعم** حسبما تعظوننا به **من لو يشاء الله اطعمه** اى على زعمكم وعن ابن عباس
كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل
قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التى زعموا انهم جعلوها لله تعالى
من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشا اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك
وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على
اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك **ان انتم الا فى ضلال مبين** حين تامروننا بما يخالف مشية
الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم **ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** اى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها و
معنى القرب فى هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد **ما ينظرون** جواب
من جهته تعالى اى ما ينتظرون **الا صيحة واحدة** هى النفخة الاولى **تاخذهم** مفاجاة **وهم
يخصمون** اى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شئ من ذلك مخايلها كقوله تع

فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا يزعمون انها لا تاتيهم واصل
يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر
الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز
الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه
اذا جادله **فلا يستطيعون توصية** في شيء من امورهم اذا كانوا فيما بين اهليهم **ولا الى اهلهم
يرجعون** ان كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا **ونفخ في الصور**
هي النفخة الثانية وبينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق
وقوعها **فاذا هم من الاجداث** اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء **الى ربهم** مالك امرهم على
الاطلاق **ينسلون** يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ
بضم السين **قالوا** اي في ابتداء بعثهم من القبور **يا ويلنا** احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا **من
بعثنا من مرقدنا** وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واوصل الفعل الى الضمير وقيل فيه
ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار
هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب
وقتادة ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية
وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم
وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن
هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم
مراقدهم للكل **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة
العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا
لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون
الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه
وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما
سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما
وعد الخ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلين حق **ان
كانت** اي ما كانت النفخة التي حكيت انفا **الا صيحة واحدة** حصلت من نفخ اسرافيل ع م في
الصور **فاذا هم جميع** اي مجموع **لدينا محضرون** من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث
والحشر والاستغناء بهما عن الاسباب ما لا يخفى **فاليوم لا تظلم نفس** من النفوس برة كانت
او فاجرة **شيئا** من الظلم **ولا تجزون الا ما كنتم تعملون** اي جزاء ما كنتم تعملونه على الاستمرار
من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط
بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين
يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين
يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وكذا قوله تعالى **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون** من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم

وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل
هب بنا وحذف الجار ح

ط

اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما
هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما
سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم
والمراد ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به
ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع
وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم
عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما
روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط
بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء
مقام البيان اياه وهو مع خبر ان وفاكهون خبر اخر لها اي انهم مستقرون في شغل واي شغل
في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة
الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها
ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة
وسكون وهي لغة كفطن وفاكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى **هم وازوا
جهم في ظلال على الارائك متكئون** استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها
بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم
مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل
او هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني
مستانف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون
مبتدأ موخر وقرئ متكئين بالاهم نصبا على الحال من المستكن في الظرفين واحدهما وهم
تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر اخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال او هذا
بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة
ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا
يكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى **لهم فيها فاكهة** الخ بيان لما يتمتعون به
في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم
فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها
فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة او موصوفة
عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح
به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها
التعميم بعد تخصيص المواد المعتادة بالذكر وايا ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة
على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة
عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم مدعو عظيم الشأن او كل ما يدعو
كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة

ع

والكل لغات وفكهون للمبالغة
وفكهون بضم الكاف ر

صل

ن

بعض ج

والغبطة ويدعون ويفتعلون من الدعا كما اشتوى مثل اشتوى واحتمل اذا شوى وحمل لنفسه قيل
بمعنى يتداعون كالارتما بمعنى الترامى وقيل يتمنون من قولهم ادّعى علىّ ما شئت بمعنى تمنّه علىّ وقال
الزجاج هو من الدعا اى ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال
بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى وقوله تعالى **سلام**
على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدا محذوف **قولا** مصدر مؤكد لفعل هو صفة
لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال
لهم قولا كائنا **من** جهة **رب رحيم** اى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها
مبالغة فى تعظيمهم قال ابن عباس رضى والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على
تقدير الثانى فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف
مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اى ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه
وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
قيل هو مبتدا محذوف الخبر اى لهم سلام اى تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون
قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال
لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصب لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ
سلاما بالنصب على الحالية اى لهم مرادهم سلاما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين
وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان
المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء
حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اوليائك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى وبشر
الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر
ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم فى شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم
مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم **ايها المجرمون** الى مصيركم عن قتادة اعتزلوا
عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا
بمعزل من السداد لما ان المحكى عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر
المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع
لا يجدى نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانتظام الكلام عليه بعد ما نزلت
تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر
بيانه واسقط كونها مرتقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدى لاضمار شئ يتعلق به
اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة **ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان**
من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم
بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم
الله تعالى على ألسنة الرسل عم من الاوامر والنواهى التى من جملتها قوله تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى لا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو
مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة فى هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم

حين اخرجوا من ظهر آدم واشهدهم على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم
ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادته عز وجل بل
وقرئ إعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء وأحهد بالحاء كان العين واحد بالادغام وهى لغة
بنى تميم **انه لكم عدو مبين** اى ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل
للنهى **وان اعبدونى** عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذى فيه معنى القول بالنهى والامر
لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى **هذا
صراط مستقيم** فانه اشارة الى عبادته تعالى التى هى عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار
اليه بقوله تعالى هذا صراط مستقيم والمقصود بقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم
واللام فى قوله تعالى **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** جواب قسم محذوف والجملة استئناف
مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان جنايتهم ليست بنقض العهد فقط بل به
وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان
فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف
جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين
وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا
جمع جبلة كفطر وخلق فى جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اى
وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذى امرتكم بالثبات
عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التى ملأ الآفاق اخبارها وبقى
مدى الدهر آثارها والفاء فى قوله تعالى **افلم تكونوا تعقلون** للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا
تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى **هذه جهنم
التى كنتم توعدون** استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت
عند اشرافهم على شفير جهنم اى كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة
الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما
مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت الخ اى ادخلوها
من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وقوله تعالى **اليوم نختم
على افواههم** اى نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة
استدعى ان يعرض عنهم ويحكى احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من
مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم **وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** روى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد
عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم

ان لا تعبدوا واعلى ر
او مصدرية حذف عنها الجار اى الم
اعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان
وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر ح

عما كانوا

ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على
فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها
وقرئ وتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم
على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة
التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار
صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم
المشيئة فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل
قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع
الخافض او هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك
ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكانة اخص
كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه
باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون
اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس قردة وخنازير وقيل
حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق
الشرطيتين لمجرد بيان قدرته على ما ذكر من عقوبتي الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من
الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم
في الدنيا من ذلك ليس الا لعدم تعلق المشيئة الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس
والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأها جريا على سنن الرحمة
والحكمة الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه ونخلقه على
عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته
حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك
وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من
قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى
بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولون
في حقه عليه السلام من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر
فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال من زخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني
على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر
المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه
عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا
يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون

الشعر

لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير
قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ان
هو اي ما القرآن الا ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا
ذكر للعالمين وقرآن مبين اي كتاب سماوي بين كونه كذلك اذ فارق بين الحق والباطل يقرأ
في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا
لينذر اي القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه
ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت
او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به
ويحق القول اي تجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة
من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة
اولم يروا الهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف
اي الم يتفكروا ولم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم
وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل
اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به انعاما
مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة فيتمكن
عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا نافعا
خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح
عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تأخيره جمعا بينه
وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون اي فتملكناها اياهم وايثار
الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة
بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون
بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها
باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال • اصبحت لا احمل السلاح ولا •
• املك رأس البعير ان نفرا • والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تأسيسا
لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون
بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه
وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعهم الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه
من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ
ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها يأكلون اي وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام
بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة
بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون

الايات ؛

م

اى ايشاهدون هذه النعم وينتفعون بها فلا يشكرون المنعم بها **واتخذوا من دون الله** اى
متجاوزين الله الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة
آلهة من الاصنام واشركوها به تعالى فى العبادة **لعلهم ينصرون** رجاء ان ينصروا من جهتهم
فيما حزبهم من الامور او ليشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى **لا يستطيعون نصرهم** الخ استئناف
سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اى لا تقدر آلهتهم على نصرهم
وهم اى المشركون **لهم** اى لآلهتهم **جند محضرون** يتبعونهم عند مساقهم الى النار وقيل
معدون فى الدنيا لحفظهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء
فى قوله تعالى **فلا يحزنك قولهم** لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم
وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه
لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة اما لو نصبوهم مع ذلك لخدمتهم وحفظهم فيعرى
من ذلك النهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله
ونهى له عن التأثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه وآكده فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه
المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد
النهى عن السبب كما فى قولك لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد
بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء
آلهتنا وانهم شركاء الله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم
الياء وكسر الزاى من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون** تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما
ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لا
يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر
على العلن اما للمبالغة فى بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه اقدم
منه بما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها
بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو
او مباديه مضمر فى القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية حقيقة **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة** كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان
انكارهم البعث بعدما شاهدوا فى انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق
لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام
واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى
انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هى مستتبعة للمعطوف
كما مر فى الجملة الانكارية السابقة اى الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة
الخ او هى عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق بالانكار
والتعجب مما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب فى ان علم الانسان

باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كأنه قيل الم يعلموا
خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك فى غاية
الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول قبيح والثانى ابعد واقبح ويجوز ان تكون
الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة فى الاعتبار وان تقدم
الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة فى الكلام كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير
لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما فى قوله تعالى او لا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى **فاذا هو خصيم مبين** اى شديد الخصومة
والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجيب كأنه قيل اولم يرى
انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا فى امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته
شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره فى الخصومة واستمراره عليها
روى ان جماعة من كفار قريش منهم ابى بن خلف الجمحى وابو جهل والعاص بن وائل والوليد
بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم ابى بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات
ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول
يا محمد اترى ان الله يحيى هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك
جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل
مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح فهو معطوف على خلقناه غير
داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى **وضرب لنا مثلا**
معطوف على الجملة داخل فى حيز الانكار والتفظيع واما على تقدير الاول فهو عطف على الجملة
الفجائية ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اى اورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الامر هى
فى الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهى انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة فى زعمه واستبعد
وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهى احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من
الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى **ونسى خلقه** اى
خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار
والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى **قال** استئناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل اى مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال **من يحيى
العظام** منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله **وهى رميم** اى بالية اشد البلى بعيدة عن الحياة
غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عجيب فى نفس الامر حقيق
بان يستبعد من العقول بل بعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر
لكونه كالانشاء بل اهون منه فى قياس العقل وعلى الثانى هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب فى زعمه
قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه فى نفس الامر اقرب شئ من الوقوع
لما سبق من كونه مثل الانشاء واهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار
او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات
وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وامثاله

اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من
الغضاضة والرطوبة فى بدن حى حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة
الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذى انشاها اول مرة فان قدرته كما هى
لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ فى العلم بتفاصيل كيفيات
الخلق والايجاد واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها
وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا
من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلى مقرر لمضمون الجواب
او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر
ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول
وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما فى كيفية الدلالة اى خلق لاجلكم
ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما
عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ
وقرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين
وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى انثى فينقدح النار
باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار
من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة
الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات
والارض الخ استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذى امر عليه السلام بان يخاطبهم
بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أليس
الذى انشاها اول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذى خلق السموات
والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالنسبة
اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسى اقدر كما قال تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهته تعالى وتصريح
بما افاده الاستفهام الانكارى من تقرير ما بعد النفى وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه
مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اى بلى هو قادر
على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اى شانه اذا اراد شيئا من الاشياء ان
يقول له كن اى تعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شئ اخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير
قدرته تعالى فيما اراده بامر الامر المطاع للمامور المطيع فى سرعة حصول المامور به من غير
توقف عن شئ ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ
تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا فى شانه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان
والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه
تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة
فى الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك واليه ترجعون لا

انشائه

لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس
كنت لا اعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل شئ قلبا وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر
كانما قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده سورة يس وقد نزل به ملك الموت
ن نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا سورة يس وهو
فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب
الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم
ان فى القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهى سورة يس والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

د والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد
ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول والصافات انفسها اى الناظمات لها فى سلك الصفوف
بقيامها فى مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين
المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها فى الصلوة وقيل اجنحتها
فى الهواء فالزاجرات زجرا اى الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية
والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصى وزجر الشياطين
عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سياتى وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما
اى صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا فى قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات اى
التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من
التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب
الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها فى الفضل
اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على
طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات
نفوس العلماء العمال الصافات انفسها فى صفوف الجماعات واقدامها فى الصلوات الزاجرات
بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة
الصافات انفسهم فى مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص او طوائف قوائمهم الصافات لها فيها
والزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو فى المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه
تها فى تضاعيف ذلك والكلام فى العطف ودلالته على ترتيب الصافات فى الفضل او ترتيب موصوفاتها
ج فيه كالذى سلف واما الدلالة على الترتيب فى الوجود كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب فغير ظاهرة فى شئ من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر

في الملائكة والقراءة فتاخر التلاوة عن الزجر عن ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير
صافات والزاجرات كل ما زجر عن المعاصي والتاليات كل ما يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات
القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال إن إلهكم لواحد جواب للقسم
والجملة تحقيق للحق هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من
البرهان الناطق بها اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان
وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل
شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر
لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها
والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل
يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب
كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء
ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من
زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها
من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما
يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد زينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها
ويروى عن ابن عباس رض بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا
فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى
تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد هو
التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر
متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائقة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت
في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه
على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان
مارد اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل موخر معلل به كانه
قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى
كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم
اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سوال مقدر لعدم
استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذف من قوله
جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما
اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون
والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام
اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من

جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال
بمعنى مدحورين او مصدر موكد لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا
دحورا طاردا في الطرد ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب
اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع
كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن
بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف
الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها
اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء
ثاقب مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم الشياطين اذا صعدوا لاستراق
السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعودون من سلم منهم حبا طمعا في السلامة ونيل المراد
كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة أهم أشد خلقا اي اقوى خلقة وامتن
بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا أم من خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما
والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه
ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين
لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد
اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم
ولاتب بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث
ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة
مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن
هذه افاعيله ويسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى
الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول
اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اي وديدنهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ لا
يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور
واذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الآيات
الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض
اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا
ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى أئنا لمبعوثون اي نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا
وتفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة
منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة
بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط أو آباؤنا

الأولون رفع على الابتداء وخبر محذوف عند سيبويه اى واباؤنا الاولون ايضا مبعوثون
وقرئ عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير فى مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية
مجرى حرف النفى فى قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا واياما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد
بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او اباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب
فى قوله تعالى وأنتم داخرون لهم ولابائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل
ما دل عليه نعم اى كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى
لغة فيه فانما هى زجرة واحدة هى اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب
شرط مضمر او تعليل لنهى مقدر اى اذا كان كذلك فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر
الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة الثانية فاذا هم قيام قائمون من مراقدهم
احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اى المبعوثون وصيغة
الماضى للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اى هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى
هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اى اليوم الذى نجازى فيه
باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون
باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذى
كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا
الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى
الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اى اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد
الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل
قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على دينهم وما كانوا يعبدون من دون
الله من الاصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة
جىء به لتعليل الحكم بما فى حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم
اى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم فى الموقف كان الملائكة
سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون
ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسألوا لكن
لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به
قوله تعالى ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اى لا ينصر بعضكم بعضا كما
كنتم تزعمون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة
الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنهم بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ
لا تتناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم و
انسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم
على بعض هم الاتباع والرؤساء والكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق

ولا تناصرون بالادغام [illegible]
[illegible]

بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل
كيف يتساءلون فقيل قالوا اى الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تأتوننا فى الدنيا عن اليمين
عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع الناصح فتبعناكم فهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذى هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا
او يتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغى وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث
كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اى قال الرؤساء او القرناء بل لم تكونوا
مؤمنين اى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر
عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين
مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اى لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اى العذاب الذى ورد به الوعيد
فاغويناكم فدعوناكم الى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغى على
الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا
فى الغواية فانهم اى الاتباع والمتبوعين يومئذ فى العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين فى الغواية
انا كذلك اى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين فى
الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة
والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق
الذى قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة
انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسل عم والالتفات لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار
كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ
لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اى الا جزاء ما كنتم تعملونه من
السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقون وما
بينهما اعتراض جىء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة
غيرهم اصلا او جعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد
الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا
بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم
لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم
ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادة الله تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه فى سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم فى الفضل
وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم اما خبر له وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار
او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا
بيانا تفصيليا وقيل هو خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى معلوم اى معلوم
الخصائص من حسن المنظر ولذة المطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت

كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اي ذلك
الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون
الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان
الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان
وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال
كما هو شان ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل
الحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه اي في مكرمون وقوله تعالى يطاف
عليهم اما استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين
او في احد الجارين وقد جوز كونه لمكرمون بكاس باناء فيه خمر وبخمر فان الكاس يطلق على
نفس الخمر كما في قول من قال • وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها • من معين
متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كائنة من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض
الظاهر للعيون والخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجري في
الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا لكاس
ووصفها باللذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال
• ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدا من خشية الحدثان • يريد به النوم لا فيها
غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنها الغول ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات
اذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر
كانه جنس براسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو
تاثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ
ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين
كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط
بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على
يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال • وما بقيت من اللذات الا
احاديث الكرام على المدام • فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم
وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل
منهم في تضاعيف محاوراتهم اني كان لي في الدنيا قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ
بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك لمن المصدقين اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد
من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل
من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال

فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى به في الاخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين
بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون الغرض لذكر موتهم
وكونهم ترابا وعظاما حينئذ انكار الجزاء المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل بعد ما
حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم مطلعون اي الى اهل النار لاريكم ذلك القرين
يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل
تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في
الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فراه اي قرينه في سواء الجحيم
اي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع
بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع يقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى واحد والمعنى هل
انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع
هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعهم كما هو ديدن
الجلساء فكانهم مطلعون وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد
مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم
الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين
اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان وضمير
الشان الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة
ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت
واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين معاودة الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه
تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى
التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن
بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة
لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على
صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمون
فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة
من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي نحن فيه لهو
الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق
العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام
الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الالام
وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل
الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله
اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ
من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة

واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فانهما خير نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة
الرائحة تكون في تهامة سميت بها الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة
وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجرة ولم يعلموا ان
من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في
اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في الشكل او الطلوع
من الشجر فانه اول الثمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين
في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات
هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس
الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون
منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان
لهم عليها على الشجرة التي ملؤا منها بطونهم بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم
كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم
لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول
مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة
الزقوم فياكلون منها الى ان يمتلئوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان
منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في
الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم
ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحيته للدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق
او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون
على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك
قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا
فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم
عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا
اهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله
تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله
تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم
متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان سوء عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله

ووفقهم للايمان كما اشار اليه بالاستثناء كقوم يونس عم ووجه تقديم قصة نوح عم على سائر القصص
غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله
لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعدما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة
بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من
الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير
ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية
نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم
وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في
الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت
سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل هو قول
معتد اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه
الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا
كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه وابقاء ذريته
وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان
الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية
التي وقعت جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل
نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل
لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا
يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته
اي ممن تابعه في اصول الدين لابرهيم وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما
اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته او ممن تابعه على التصلب
في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح
وابرهيم عم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من
معنى المتابعة بقلب سليم اي من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله تعالى
ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون بدل من الاول او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون ائفكا آلهة
دون الله تريدون اي تريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك فقدم المفعول على
الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم
ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله
دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا

ودعائه احسن اجابة

بالاحسان

بمعنى افكين فما ظنكم برب العالمين اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته
خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شى هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما
ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك فنظر نظرة في النجوم قيل
كانت له عم حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد
حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم
القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام
ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل
بامارة في علم النجم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا
يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معبدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى
فتولوا عنه مدبرين اى هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اى ذهب اليها في خفية واصله
الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اى من الطعام الذي كانوا يضعونه عندها لتبرك
عليه مالكم لا تنطقون اى بجوابى فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين
مصدر موكد لفراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم
ضربا او هو حال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ عليهم ضربا باليمين اى ضربا شديدا
قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل
بالقوة والمتانة كما في قوله • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • اى بالقوة وعلى
ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويوكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه اى المامورون باحضاره عم بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام
فوجدوها مكسورة فسالوا عن الفاعل فظنوا انه عم فعله فقيل فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا
اى يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اى
حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون
من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه عم
قال اى بعد ما اتوا به عم وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أتعبدون ما تنحتون ما
تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون موكدة للانكار والتوبيخ
اى والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامكم ومادتها بخلقه تعالى وتشكلها
وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد
والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها
لله تعالى ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتخلية والتزيين
ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما
تعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اى عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه
فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم اى في النار الشديدة الاتقاد من الجمة وهي شدة التاجج واللام عوض عن

عن المضاف اليه اى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم في سورة الانبيا فارادوا به كيدا
فجعلناهم الاسفلين فانه عم لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عم بجعل النار عليه
بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي اى مهاجر اليه حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي
وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى
مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تع معه ولم يكن كذ
حال موسى حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي
من الصالحين اى بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويونسني في الغربة يعني الولد
لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما
استوهبه عم ولقد جمع فيه بشارات ثلاث انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما
واى حلم يعادل حلمه عم حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تومر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة
وجوده غير ابرهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفا
في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال
وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما مر في قوله
تعالى فلما رأينه اكبرنه وفي قوله فلما رآه مستقرا عنده اى فوهبناه له ونشا فلما بلغ رتبة
ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر
لا تتقدمه ولا يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه
لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلاث عشرة سنة قال اى ابرهيم يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اى ارى هذه الصورة
بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله
يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم
ام من الشيطان فمن ثمه سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى
فمن ثمه سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل
ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي قيل له اوف
بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر الهجرة
ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام لقوله عم انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسمعيل عم والآخر ابوه عبد الله وهو ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان
سهل الله تعالى له حفر بير زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله
فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين
بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان بشارة اسحق كانت مقرونة
بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل

اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله
فالصحيح انه عم قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوايد من الراوى وما روى من ان
يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من
الراى وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه
ان جزع ويامن عليه ان سلم ويوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله
وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اى
تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العايد الى الموصول بعد انقلابه
منصوبا بايصاله الى الفعل وحذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول
تسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به
متوجها اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء
الله تعالى فلما اسلما اى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم واسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه
سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقول منه ومعناه اخلص نفسه لله
وجعلها سالما له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة فى اسلما اسلم
ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد
جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله
تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل فى المنحر
الذى ينحر اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان
بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم
وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم
وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما
لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار
فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزى
المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع
المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا
لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا
شئ اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اى عظيم الجثة سمين
او عظيم القدر لانه لا يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان
ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس انه الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى
فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابرهيم
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقى سنة فى الرمى وروى انه رمى الشيطان حين
تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر
فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى

الذبيح

فى الحقيقة هو ابرهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطى له والامر به على التجوز فى الفدا
ح او الاسناد وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابرهيم قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح
كذلك نجزى المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق
فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر انفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين فى
الايمان على وجه الايقان والاطمينان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اى مقضيا نبوته
مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت
ل البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال
فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين
كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عم لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما
يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عم وفى ذكر الصلاح بعد النبوة
تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق
وباركنا عليه على ابرهيم فى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل
وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام او افضنا عليهم بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا
ومن ذريتهما محسن فى عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى
بهما مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له فى الهداية والضلال وان الظلم فى اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون اى انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها
من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم هو تملك
آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان الغشم والعذاب كما فى قوله واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل
هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اى اياهما وقومهما على عدوهم
فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما فى اسرهم
وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب
الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص
عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليب
عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة
على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اى البليغ فى البيان والتفصيل وهو التورية
يع وهديناهما الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل تلك الشرايع وتفاريع
الاحكام وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون اى ابقينا فيما بين الامم الآخرين
هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزى المحسنين الذين هما من جملتهم
لا جزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو
الياس بن ياسين من سبط هرون اخى موسى عليهما السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه
ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اى
عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك

بزنات وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه
فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم
بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اى اتعبدون بعض
البعول وتذرون احسن الخالقين اى وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضى للانكار المعنى المتوهم
ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين بالنصب على البدل من احسن الخالقين
وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم للتاكيد لانكار تركهم عبادته
والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اى فى العذاب
والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين هو لغة فى الياس
كسيناء فى سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع
يجب تعريفه باللام وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون
ياسين ابا الياس انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن
المرسلين اذ نجيناه اى اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين
الباقين فى العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان فى ذلك شواهد على حقية
امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم فى متاجركم الى الشام
وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشام مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل اى
نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون
اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن
المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه
بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى المملوء فساهم فقارع اهله فكان من
المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد ابق فاقترعوا
فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من
اللقمة وهو مليم اى داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا
من ليم كمشيب فى مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى
بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عم
كان كثير الصلوة فى الرخاء للبث فى بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر
وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت
على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس
يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا وروى
ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون
وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه
روى انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو

وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة
من يقطين وهو كل ما ينبت على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو
يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع
عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هى شجرة اخى
يونس وقيل هى التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان
يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم
قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على
الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك وما بعده
بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عم وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه
وقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم ان
ايمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل
بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اى فى
رأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ
بالواو فآمنوا اى بعد ما شاهدوا اوائل حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اى بالحياة الدنيا علايم ح
الى حين قدره الله تعالى لهم ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص المتقدمة
بينهما وبين ارباب الشرائع واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين
فى آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت
قريش وابطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه
لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين
وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين
على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها انهم
من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره عليه السلام ههنا بتبكيتهم
بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة
لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة
وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل
الذين هم اعلام الخلائق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم
الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطال اصل
كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك اى فاستخبرهم ألربك البنات اللاتى
هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شئ من
العقل وقوله تعالى أم خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بذلك الى التبكيت بهذا كما
اشير اليه اى بل خلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل بل
الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل

الاستفتاء السابق الى التبكيت م

لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء
النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل
خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون ح او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون
وقوله تعالى **ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله** استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر
بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح
من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا **وانهم لكاذبون** في قولهم كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ
ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا والولد فعل بمعنى
مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **أصطفى البنات على البنين** اثبات لافكهم
وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على
البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة
بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى
الخ تعسف بعيد **ما لكم كيف تحكمون** بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول **أفلا
تذكرون** بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر الفاء للعطف على
مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي **أم
لكم سلطان مبين** اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل
تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله تعالى ضرورة
ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي **فأتوا
بكتابكم** الناطق بصحة دعواكم **ان كنتم صادقين** فيها وفي هذه الايات من الانباء عن السخط
العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك
عقولهم وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم
عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكي جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة
قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك
وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما
بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة
بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون**
اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة
لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب
ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في
ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس
اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين

فعلى هذا الاقاويل يجوز ان يكون الضمير
في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين
ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم ولو
كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق
العبادة

القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا
جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة ثما عذبهم والوجه هو الاول
فان قوله تعالى **سبحان الله عما يصفون** حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به
بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى **الا عباد الله
المخلصين** شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم عنه بحكم اندراجهم
في زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد
علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله
الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف وقوله تعالى **فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين** تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات
الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين
الذين اغووهم وفيه ايذان بتبريهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية
وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلق بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته
اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد
عباده واضلالهم **الا من هو صال الجحيم** منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره
ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانهم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم براء
من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على
انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى **وما منا الا له مقام
معلوم** تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة
فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم
اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه
ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا
يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح
وروي انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع
اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في
القربة والمشاهدة **وانا لنحن الصافون** في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة **وانا لنحن المسبحون**
المقدسون لله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز
ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في
تفسير الاية الكريمة واعرابها وجوه اخر فتأمل والله الموفق **وان كانوا ليقولون** ان هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول **لو ان
عندنا ذكرا من الاولين** اي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل **لكنا عباد الله المخلصين**
اي اخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم والفاء في قوله تعالى **فكفروا به** فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك

البحر فانفلق اى نجاهم ذكر واى ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا
به فسوف يعلمون اى عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف مقرر
للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة
وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهم اتباع المرسلين
على اعدائهم فى الدنيا والآخرة ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه
الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة
مع انها كلمات لانتظامها فى معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين الى
مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وافظع
نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه
فسوف يبصرون ما ينتج من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون
روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل
العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم
بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده
الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اى نزل العذاب فساء صباح المنذرين
فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش لوقت نزول العذاب
ولما كثر منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال
صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم
حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع
الميعاد غب تأكيد مع ما فى اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام من
فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب
الدنيا والثانى عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل
ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمة وما لم يذكر
من الامور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك
العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التى من جملتها ترك نصرتك عليهم كما
يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام
بعد تنزيهه عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب
وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه تعالى بصفاته الكريمة الثبوتية
بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التى من
جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم

وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده
من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله
الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا فى فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل
توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع
ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن على رضى الله عنه
من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان
مؤمنا بالمرسلين

بسم الله الرحمن الرحيم

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار
حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ كما
مر فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرف
من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو فى قراءة الكسر امر من المصاداة
وهى المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذى ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه
عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم جعل اسما للحرف مسرودا
على منهاج التحدى او للرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او
اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امر من المصاداة والواو فى قوله
تعالى والقرآن ذى الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه فاذا اريد بالقرآن كله
فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهى اعتبارية كما فى قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة
المباركة واياما كان ففى التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة
كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه فى امر الدين من
الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد
وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدى والامر
والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اى
اقسم بالقرآن او بصاد وبانه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين
الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن
المسمى وتنبيه على عظم الشأن والقرآن لح على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد
من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى بل
الذين كفروا فى عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه وليس عدم اذعان الكفرة
له لشائبة ريب ما فيه بل هم فى استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله ولرسوله ولذلك
لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل

خطره اى انه لصادق والقران للذكر او هذه السورة قطعية ؛

الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبيه له من مبادي الايمان ودواعيه كم
اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين
وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرونا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند
نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة ليتخلصوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال
من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلب النجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة
من ناصه اذا فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما
زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي
النافية للجنس وزيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها على انه اسمها
اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها
والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر اي ولا حين مناص
كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله • طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين بقاء •
اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله • لولاك هذا العام لم احجج • ولات
اوان شبه باذ في قوله • نهيتك عن طلابك ام عمرو • بعافية وانت اذ صحيح • في انه
زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع
المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء
والبصريون بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها في الامام مما لا وجه
له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة
على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة
الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار
لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير
غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا
ساحر فيما يظهر من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل
الالهة الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب
بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على
عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد
فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته
بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء
من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الاثار بلا موثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام
وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم
فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل السفهاء وجئناك لتقضي بيننا
وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك
السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا تسالوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر

الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا
وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على ان
يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور
ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اي واثبتوا على
عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو
عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها
ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان
اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدنا
من محمد عليه السلام من امر التوحيد ونفي الهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلام
امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان
او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رايه بوساطة
ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما
تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله ويحكم بامضائه
وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر شيء من نوائب الدهر
يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان هذا الذي دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا
عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم
لشيء يتمنى ويريده كل احد فتامل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل
ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله في الملة الاخرة اي ملة النصرانية التي هي اخر الملل فانهم
مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي
ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك افتح
كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي هذا الا اختلاق
اي كذب اختلقه اانزل عليه الذكر اي القران من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من عند الله عز
وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم
ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من القران
او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في
عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق
بل لما يذوقوا عذاب اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي
لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل
لم يذوقوا عذابي الموعود في القران ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز
الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا

ولم يتولوا عمرتنا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيخصوا بالنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة
عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اى الغالب
الذى لا يغالب الوهاب الذى له ان يهب ما يشاء لكل من يشاء وفى اضافة الرب المنبئ عن التربية
والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى **ام
لهم ملك السموات والارض وما بينهما** ترشيح لما سبق اى بل الهم ملك هذه العوالم العلوية
والسفلية حتى يتكلموا فى الامور الربانية ويتحكموا فى التدابير الالهية التى يستأثر بها رب العزة
والكبرياء وقوله تعالى **فليرتقوا فى الاسباب** جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ما ذكر من
الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر
العالم وينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب فى
الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم
مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو
اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل
ذلك القول العظيم وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد**
الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما
فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات
البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود
بن يعفر • ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • فى ظل ملك ثابت الاوتاد • او ذو الجموع
الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد للبناء وقيل نصب اربع سوار كان يمد يدى
المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد
فى الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى
اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد
الوجوه وفيه فضل تاكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى **ان كل
الا كذب الرسل** استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه
اى ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد
منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج
مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام فى خبر المبتدا اى ما كل احد منهم
محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل
وفى اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب
على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتنويع تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من
المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى **فحق عقاب**
اى ثبت ووقع على كل منهم عقابى الذى كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها

فى مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اى ان كل منهم الخ والجملة
استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين
جعلوا الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم
منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدا قوله تعالى
وعاد الخ او قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى **وما ينظر هؤلاء**
شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق
بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه
قطعا وفى الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعلها اشارة الى الاحزاب باعتبار
حضورهم بحسب الذكر او حضورهم فى علم الله عز وجل فليس فى حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار
سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور فى حق من لم يترتب على اعماله نتائجها بعد وبعد ما بين
عقاب الاحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم امر منتظر وانما الذين
فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات
مثل ما ارتكبه الاحزاب او اشد منه ولما يذوقوا بعد شيئا من غوائلها اى وما ينتظر هؤلاء
الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة فى الكفر والتكذيب **الا صيحة واحدة** هى
النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع
الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هى حيث
اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبى صلى الله عليه وسلم
بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها
ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب
المطلق موجها اليها بل يحل بهم من حين موتهم **ما لها من فواق** اى من توقف مقدار فواق وهو ما بين
الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب**
حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اى قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا
قطنا من العذاب الذى توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحة المذكورة
والقط القطعة من الشئ من قطه اى قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر
بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى
المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان
فى الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال **اصبر على ما يقولون** عن امثال هذه
المقالات الباطلة **واذكر لهم عبدنا داود** اى قصته تهويلا لامر المعصية فى اعينهم وتنبيها لهم
على كمال قبح ما اجترءوا عليه من المعاصى فانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم
والكرامات لما الم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن
فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب ونوحه الدائم فما
الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصى او تذكر

قصته عليه السلام وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من
المعاتبة ذا الأيد اى ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شئ ما يتقوى به
انه أواب رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد ودليل على ان المراد به القوة في
الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه
استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثاره
على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي
فيها اليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة
الله تعالى وقيل متعلقة بما بعده وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء يسبحن اى يقدسن
الله عز وجل بصوت يتمثل لها ويخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه
من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال
[...]نا مبين لكيفية التسخير بالعشي والاشراق اى ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى
تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق
وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير على الجبال محشورة حال من الطير
والعامل سخرنا اى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية كل له أواب استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا الاواب موضع
المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب
هو التواب الكثير والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اى كل من داود والجبال والطير لله أواب
اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد
قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز
عن اقامة البينة فاوحى الله تعالى في المنام ان اقتل المدعى عليه فتأخر فاعيد الوحي في اليقظة
فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكني بأني قد قتلت أبا هذا غيلة
فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته
في القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل
كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل
او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به
اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل
الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل
أتاك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من
الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك
يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصما فريقان اذ تسوروا المحراب اى تصعدوا

الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح ع

تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته
واذ متعلقة بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد
داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه
من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول عليه السلام لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا
على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روى انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين
قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما
الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم
لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء
قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا
ازالة لفزعه لا تخف خصمان اى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما
بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط اى لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق ولا تشطط وكلها
من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط اى الى وسط طريق
الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي
استئناف لبيان ما فيه الخصومة اى اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد
لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن
وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اى ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما
اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اى نصيبي وعزني في الخطاب اى غلبني في مخاطبته
اياي بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها
هو فخاطبني خطابا اى غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اى
غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في انكار
فعل صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله
وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء
الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف
الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب
من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه والظن مستعار للعلم الاستدلالي
لما بينهما من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر
احدهما الى صاحبه فضحكا ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى

ولا تشطاط ح

يق

اي محاجته ع

ف

ظانم ع

ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عم دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى
المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا
بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره
من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار
النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من
الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص
يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى
فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطا والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه
والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه
بامراة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه
ابلغ في التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيره
في قلبه وادعى الى التنبه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار
بانه امر يستحيي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عم الى التصريح بنسبة نفسه
الى الظلم وتنبيهه على ان اوريا بصدد الخصام **فاستغفر ربه** اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب
وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه
احرم بركعتي الاستغفار **وأناب** اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عم
راى امراة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة
حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر
الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع رتبته
وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه احاد امته ويسال رجلا
ليس له الا امراة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه
ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود فآثره عليه
اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام
دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان
في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في
كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو في غزاة
البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقا ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه
وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء
وتزوج امراته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع
ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث

بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على
الانبياء صلوات الله عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عم فتسوروا المحراب في
قيل ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عم غرضهم بان ينتقم منهم
فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب **فغفرنا له ذلك**
اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة
او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد
نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب
ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعى الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما
غفر له حاربه فهزمه **وان له عندنا لزلفى** لقربة وكرامة بعد المغفرة **وحسن مآب** حسن
مرجع في الجنة **يا داود انا جعلناك خليفة في الارض** اما حكاية لما خوطب به عليه السلام
مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله
اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها
او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عم
بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط **فاحكم بين الناس بالحق** بحكم الله تعالى فان الخلافة
بكلا معنييه مقتضية له حتما **ولا تتبع الهوى** اي هوى النفس في الحكومة وغيرها من امور
الدين والدنيا **فيضلك عن سبيل الله** بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف
على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله
التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى **ان الذين يضلون عن سبيل الله**
تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان
بكمال شناعة الضلال عنه **لهم عذاب شديد** جملة من خبر ومبتدا وقعت خبرا لان او الظرف
خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار **بما نسوا** بسبب نسيانهم وقوله
يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم
الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم
لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى اي لهم عذاب شديد
يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل
الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ولم ينتبه لهذا
السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق
ومخالفة الهوى فتدبر **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** كلام مستانف مقرر
لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا الانتظام
البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة
بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها
العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب
منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل افاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد

بيناهم

ثم

بما لم تقتصر على ذلك المقدار من الألطاف بل أرسلنا إليها رسلا وأنزلنا عليها كتبا بيّنا فيها كل دقيق و
جليل وأزحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء
على حسب أعمالها ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ﴿ظن الذين كفروا﴾ أي مظنونهم فإن
جحودهم بأمر البعث والجزاء الذي عليه يدور رحى تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر
وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿فويل للذين كفروا﴾ مبتدأ وخبر والفاء
لإفادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للإشعار بما في حيز الصلة
بعلية كفرهم ولا تنافي بينهما لأن ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى ﴿من النار﴾ تعليلية كما في قوله
تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الإشعار بعلية
ما يؤدي إليها من ظنهم وكفرهم أي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ﴿أم نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾ أم منقطعة وما فيها من بل للإضراب
الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح إلى
تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من إنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أي
بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب
عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين
لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الأولين إلى أعلى عليين ورد الآخرين إلى أسفل
سافلين وقوله تعالى ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم
المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه
استحالة وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا
يساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين ويكون التكرير باعتبار وصفين
آخرين هما أدخل في إنكار التسوية من الوصفين الأولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى
في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة
وقوله تعالى ﴿أنزلناه إليك﴾ صفته وقوله ﴿مبارك﴾ خبر ثان للمبتدأ أو صفة لكتاب عند من يجوز
تأخير الوصف الصريح وقرئ مباركا على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية
والدنيوية وقوله تعالى ﴿ليدبروا آياته﴾ متعلق بأنزلناه أي أنزلناه ليتفكروا في آياته التي
من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة
والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب أي أنت وعلماء أمتك
بحذف إحدى التاءين ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ أي وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فإن الكتب الإلهية
مبينة لما لا يعرف إلا بالشرع ومرشدة إلى ما لا سبيل للعقل إليه ﴿ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد﴾ وقرئ نعم العبد أي سليمان كما ينبئ عنه تأخره عن داود مع كونه مفعولا صريحا
لوهبنا ولأن قوله تعالى ﴿إنه أواب﴾ أي رجاع إلى الله تعالى بالتوبة أو إلى التسبيح مرجح له تعليل
للمدح وهو من حاله لما أن الضمير المجرور في قوله تعالى ﴿إذ عرض عليه﴾ راجع إليه عليه السلام قطعا وإذ
منصوب باذكر أي اذكر ما صدر عنه إذ عرض عليه ﴿بالعشي﴾ وهو من الظهر إلى آخر النهار ﴿الصافنات﴾

عن عز الهوى

﴿الصافنات﴾ فإنه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق إلى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو
من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتحقق إلا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما (بهما)
وأما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم ﴿الجياد﴾ جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل
الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة
وجارية أي إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها
وقيل هو جمع جيد روي أنه عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل
أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر
على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له
من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها مقربا لله تعالى وبقي ما بقي منها
في أيدي الناس من الجياد من نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره
﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه
من الاشتغال بها وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر (خر)
العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق
مضمون الخبر وأصل أحببت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدي بعن
وحب الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به
الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود
بنواصي الخيل إلى يوم القيامة وقرئ إني ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ متعلق بقوله أحببت بقوله
باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أي أنبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك
حتى توارت أي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها وإضمارها من غير
ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل أي بظلامه
﴿ردوها علي﴾ من تمام مقالة سليمان ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره
توهم أنه منفصل عنه هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل
ردوها فتأمل والفاء في قوله ﴿فطفق مسحا﴾ فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة
بدلالة الحال عليها وإيذانا بغاية سرعة الامتثال بالأمر أي فردوها عليه فأخذ يمسح السيف
مسحا ﴿بالسوق والأعناق﴾ أي بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أي ضرب عنقه
وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وإعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق
على همز الواو لضمتها كما في أدؤر وقرئ بالسؤق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ
بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لأمن الالتباس ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه
جسدا ثم أناب﴾ أظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا أنه قال لأطوفن الليلة على سبعين
امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم
تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل
الله فرسانا أجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في

بها عن الصلاة
بمعنى

السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه
غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها
لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر
الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى
باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه
وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به
وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته
فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه
كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر
آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين فقذف الخاتم ح
البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا
وعاد الى ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص
وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن
كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا والسجود
للصورة بغير علم منه لا يضره **قال** بدل من اناب وتفسير له **رب اغفر لي** اي ما صدر عني من
الزلة **وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي** لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة
لحالي فانه عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما استدعى من ربه معجزة جامعة
لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك
لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله
فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله
تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام
والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ لي بفتح الياء **انك انت الوهاب** تعليل للدعاء
بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا **فسخرنا
له الريح** اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ
الرياح **تجري بامره** بيان لتسخيرها له **رخاء** اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة
لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد **حيث اصاب** اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب
الصواب فاخطأ الجواب **والشياطين** عطف على الريح **كل بناء وغواص** بدل من الشياطين
وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل
الشياطين الى عملة فاستعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ح
ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم
شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد يجوز ان يكون
الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به
العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه على

عكس وعد واوعد **هذا** الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شان ما اوتي
من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من
فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناك من
الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط غيرك **عطاؤنا** الخاص بك **فامنن او امسك**
عليه م
فاعط من شئت وامنع من شئت **بغير حساب** حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامسا
كه
لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب
لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد
بالمن والامساك الاطلاق والتقييد **وان له عندنا لزلفى** في الآخرة مع ما له من الملك العظيم
في الدنيا **وحسن مآب** هو الجنة قيل فتن سليمان عم بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد
الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عم
ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى
خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز
بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء
بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره
الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله اعلم **واذكر عبدنا ايوب** عطف
على اذكر عبدنا داود وعدم تصديره بقصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين
داود عليهما السلام وايوب هو ابن عيص بن اسحق عليهما السلام **اذ نادى ربه** بدل اشتمال
من عبدنا وايوب عطف بيان له **اني** باني **مسني الشيطان** اي بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها
له
واسقاطها **بنصب** اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل **وعذاب** اي
الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني
مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى
الشيطان اما لان الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه
مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون
اعترافا بالذنب او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما
نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان
يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام
بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى هاهنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك
هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكره هاهنا وقوله تعالى **اركض برجلك** الخ اما حكاية لما قيل له
او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض كذا
قوله تعالى **هذا مغتسل بارد وشراب** فانه ايضا اما حكاية لما قيل وضربها فنبعت عين فقلنا
له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال
وباردة للشرب وياباه ظاهر النظم الكريم وقوله **ووهبنا له اهله** معطوف على مقدر
مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به

ومراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم ح

له بعد اغتساله بالحر وبنوع الماء او مقول لقول مقدر يساق اليه الكلام كانه قيل ح

من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله لما احياهم بعد هلاكهم روي عن الحسن او بجمعهم
بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة
منا اي رحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على
الشدائد كما صبر ويلجئوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة
وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول
اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم
بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليهم السلام ذهبت لحاجة فابطأت
فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة
من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا
تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن
خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها
قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل
والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب
الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا
لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان
ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني
ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تعالى عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى
واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم
وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني واسحق ويعقوب عطف على عبدنا
واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها
بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم
كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح
الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا
به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة
عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها
للتفخيم اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم اياها وذلك لان مطمح
انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه ولا يتسنى
ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد
الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا
معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون
ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء

عطف ع

عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار
جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل
فصل ذكره عن ذكر ابيه واخويه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو
ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل
على يسع كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن اصله ليسع فيعل من
اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو
يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة
من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة ركعة
وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة
بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وآياته
منه مشتمل على انباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى
وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل
في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم
دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القا صية
من الكمالات جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا
فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب
على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين
من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر
كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل
ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن مفتحة
متكئين فيها حال من ضميرهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة
كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار
على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل
بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم
اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية و
اشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله
فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان
والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد
انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين
لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق الاول جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي
يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص ص
بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا

فليذوقوه كقوله تعالى فاياى فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه وهذا مبتدأ خبره حميم وغساق
وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اى هو حميم والغساق والغساق وما يغسق من
صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده
وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرة قطرت فى المغرب لنتنت اهل
المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله وقرئ بتخفيف السين وآخر من شكله اى ومذوق
آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة والفظاعة وقرئ واخرى اى ومذوقات
اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو
راجع الى الغساق ازواج اى اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاث
او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة للرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام
الدخول فى الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام
كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اى مقولا او مقولا فى حقهم لا مرحبا
بهم اى لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لا
ستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء فى حق اتباعهم
عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك
كلام الرؤساء بعضهم مع بعض فى حق الاتباع قالوا اى الاتباع عند سماعهم ما قيل فى حقهم وجه
خطابهم للرؤساء فى قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الخ على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه
الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا
بهم الخ وقصدهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا فى قضائها
بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اى بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم
قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اى انتم قدمتم العذاب او الصلى لنا واوقعتمونا فيه بتقديم
ما يؤدى اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها فى اعيننا واغرائنا عليه لا انا باشرناه
من تلقاء انفسنا فبئس القرار اى فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا
اى الاتباع ايضا وتوسيط بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اى قالوا معرضين
عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا او ذا ضعف و
ذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد
بالضعف الحيات والافاعى وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت
لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها
فى الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اى
الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم والازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم
على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم

سخريا بل زاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على
الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة
على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا
لا نراهم فى النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان
تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اى الذى حكى من احوالهم
لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان
لذلك وفى الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من
حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل
عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام
الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته
تعالى انذركم عذابه وما من اله فى الوجود الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة
اصلا القهار لكل شئ سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان
يكون له شريك منها العزيز الذى لا يغلب فى امر من اموره الغفار المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء
لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى
وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام
الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به
امرا وائتمارا هو اى ما انبأتكم به من انى منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك
له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا
يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته
تعالى وقوله انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون
قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن
القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لى من علم بالملأ الاعلى الخ استئناف
مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير
سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك
بطريق الوحى من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة
وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه
المقام اذ المراد نفى علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لى فيما سبق علم ما بوجه من
الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع
فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال
ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحى فلا بد من اعتبار العموم فى
نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط
بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان
بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشئ من

بما دبره المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا
وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره وما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر
في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر
او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم
الا لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه وموجباته
حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وهو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان
المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه
من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في
الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض يكون اجنبيا مما توسط
بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى
اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول
وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ
الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان
القصة ناطقة بذلك والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية له وتأييد له عليه والكاف واردة
باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر **اني خالق** اي فيما
سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه **بشرا** قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف
ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته
به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية **من طين** لم يتعرض لاوصافه
من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر **فاذا سويته** اي صورته بالصورة الانسانية
والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجراء الريح
الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به
الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح
التي هي من امري **فقعوا له** امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي
اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتكريما **فسجد الملائكة** اي فخلقه فسواه فنفخ فيه من الروح
فسجد الملائكة **كلهم** بحيث لم يبق منهم احد **اجمعون** بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد
منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد
بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وان سجودهم هذا على ترتبه على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه
هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما
شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه
ما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات
الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف **الا ابليس** استثناء

استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم
استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى
استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل
والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر
وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله
عز وجل **قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي** اي خلقته بالذات من غير توسط
اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى
تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ **استكبرت** بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير
استحقاق **ام كنت من العالين** المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من
المتكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى **قال انا خير منه**
ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما
يعرب عنه قوله تعالى لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى **خلقتني
من نار وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من فضله عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص
الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت
بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو
ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر
الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره **قال فاخرج منها** الفاء لترتيب الامر على ما ظهر
من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة ومن زمرة الملائكة
وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد
هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها
وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما
كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا وقوله تعالى **فانك رجيم** تعليل للامر بالخروج اي
مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب **وان
عليك لعنتي** اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى
وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى
وانهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة **الى يوم الدين** اي يوم الجزاء والعقوبة
وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرة الى
ذلك اليوم ولكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ
من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى الى قوله تعالى
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا **قال رب
فانظرني** اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما
فامهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة
لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث **قال فانك من**

المستحقين

المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بكون السائل
تبعا لهم في ذلك واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع
اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتاخير العقوبة
كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما
يقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذى قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق
وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار
بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان
لجعل الفاء فيه لربط ما بعدها من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط
الاخبار بثبوت الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد تركنا التوقيت في سورة الاعراف كما تركنا
النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر بالبال
ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما
حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى
احد وجوه الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة
الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج
الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله وتوفيقه قال فبعزتك الباء
للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني وقوله تعالى
رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره و
سلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما
واخرى بالآخر اى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اى ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم
الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين
على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اى الله عز وجل فالحق والحق
اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول
لما بعده قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فالحق قسمي
لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا
الحق اى فقولي الحق وقوله تعالى لاملأن جهنم الخ جواب لقسم محذوف اى والله لاملأن
الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون
الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا
منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض
وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على
حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد وقرئ بجر
الاول على اضمار حرف قسمه ونصب الثاني على المفعولية منك اى من جنسك من الشياطين
وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف
عليه اى لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين

اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك
شائبة الجبر فتدبر قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي
وما انا من المتكلفين اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن
ان هو ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين اى للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اى ما
انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد
الموت او يوم القيامة وعند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا
ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان
يصر على ذنبه صغير وكبير وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغير وكبير والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم الاشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها
منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير
عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم
صفة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول
معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفق بمقتضى المقام الداعي
الى بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا الى بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا
من غيره كما يفيده الوجه الآخر وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم
والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ
اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وباتيانه جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان
شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو
المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب الحق واثباته
واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب
اى انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اى كل ما فيه حق لا ريب فيه
موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة
على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء
حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد
الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى
الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به
على القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اى الا هو الذى يجب ان يخص باخلاص الطاعة

لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد
ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع
على الابتداء خبره ما سياتي من الجملة المصدرة بان والاولياء عن الملائكة وعيسى عم والاصنام وقوله
تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية
اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ
المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره
قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم اي وبين خصمائهم
الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة
● فما كان بين الخير لو جاء سالما ● ابو حجر الا ليال قلائل ● اي بين الخير وبيني وقيل
ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد و
الاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال المؤمنين الجنة والمشركين
النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة
عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر يعول عليه ولا دلالة السياق عليهم
ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ان الله
يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم
يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسف بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب
الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك
بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيمة
وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك
مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم
اتباعا للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه
والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة
كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن
في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا
الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما
قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه
او من جنس ما يخلقه ما يشاء اي يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد
الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ
والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن
اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير بوضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية

الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه
اي لو اراد الله ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء
عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة على انه متحقق
عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه سبحانه تقرير لما ذكر
من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن
ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به
على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او يستحق تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله
الواحد القهار استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان
والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق
مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان
من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل
الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات
الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح
وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما
بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد
منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله
كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر
الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية
تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو
العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار البالغ
في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير
الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان
لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في
الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب
آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس
نفس آدم عم وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اي من نفس
خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها
او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى
لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما
يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت

على الاول ثم للدلالة على مباينتهما لها فضلا ومزية وتراخيهما عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية
فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق حواء منه
ثلث آيات مترتبة خلق آدم عم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر
منهما وقوله تعالى **وانزل لكم** بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى وقسم لكم فان
قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب
نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب **من الانعام ثمانية ازواج** ذكرا وانثى هي الابل
والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما
مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لنافعهم وكونه من الجهة
العالية من الامور المهمة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى **يخلقكم في بطون امهاتكم**
استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطوارهم المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة
المضارع للدلالة على التدريج والتجدد وقوله تعالى **خلقا من بعد خلق** مصدر موكد اي
يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة
لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة
من بعد نطفة **في ظلمات ثلاث** متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة
المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم **ذلكم** اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء
اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله **الله** وقوله تعالى **ربكم** خبر آخر اي مربيكم
فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به **له الملك** على الاطلاق
في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى
لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى **فانى تصرفون** لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شئونه
تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها
بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها **ان تكفروا** به تعالى بعد مشاهدة
ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر **فان الله غني عنكم**
اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما **ولا يرضى لعباده الكفر**
اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى **وان
تشكروا يرضه لكم** اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين
لا لانتفاعه تعالى به وقيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ
باسكان الهاء **ولا تزر وازرة وزر اخرى** بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا
اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى **ثم الى ربكم مرجعكم** بالبعث بعد الموت **فينبئكم**
عند ذلك **بما كنتم تعملون** اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم
بذلك ثوابا وعقابا **انه عليم بذات الصدور** اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة
وهو تعليل للتنبئة **واذا مس الانسان ضر** من مرض وغيره **دعا ربه منيبا اليه** راجعا اليه
مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال

المشوقة

بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار **ثم اذا خوله نعمة منه** اي اعطاه
نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخويل وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل
مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يخول اي يختال ويفتخر
نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه **من قبل**
اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله
وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه
بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت
وجعل لله اندادا شركاء في العبادة **ليضل** الناس بذلك **عن سبيله** الذي هو التوحيد
وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن
الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
الا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال
وان لم يعرف بجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة
اصلا **قل** تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وماله **تمتع بكفرك قليلا** اي تمتعا
قليلا او زمانا قليلا **انك من اصحاب النار** اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام
وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما
امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته **امن هو قانت
آناء الليل** الخ من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة
مساق الكلام عليه كانه قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أانت احسن حالا ومآلا ام من
هو قائم بمواجب الطاعات ودائب على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء
والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه **ساجدا وقائما** اي جامعا بين الوصفين
المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما على انه خبر بعد
خبر **يحذر الآخرة** حال اخرى على الترادف والتداخل او استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية
حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة
ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها
فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ
الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت الخ افضل ام هو كافر مثلك
كما هو المعنى على قراءة التخفيف **قل** بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل **هل يستوي
الذين يعلمون** حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور **والذين لا يعلمون**
ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين
في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد
من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا
يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى **انما يتذكر اولوا الالباب** كلام مستقل

غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن
الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال
عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات
الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر
بالادغام **قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم** امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين
وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما يصرح
به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن
المأمور به فان نقل عين امر الله ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى **للذين احسنوا** تعليل
للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب
الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى **في
هذه الدنيا** متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو
الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك **حسنة** اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق
بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية **وارض
الله واسعة** فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه
من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى **انما يوفى
الصابرون** الخ ترغيب في التقوى المأمور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون
لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة
حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على
دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام
والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان **اجرهم** بمقابلة ما كابدوا من الصبر
بغير حساب اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف
وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل **قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين** اي من
كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من
الاخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان
بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون **وامرت لان اكون اول المسلمين** اي وامرت بذلك
لاجل ان اكون اول مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص والعطف
لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه
لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل بدليل قوله
وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او

او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه **قل اني اخاف ان عصيت ربي** بترك الاخلاص و
الميل الى ما انتم عليه من الشرك **عذاب يوم عظيم** هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظم ما فيه
من الدواهي والاهوال **قل الله اعبد** لا غيره استقلالا ولا اشتراكا **مخلصا له ديني** من كل شوب
امر عليه السلام اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من
العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه في
الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى **فاعبدوا ما شئتم** ان
تعبدوا **من دونه** تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا
عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب **قل ان الخاسرين** اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة
عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه **الذين خسروا انفسهم واهليهم** باختيارهم الكفر لهما اي
اضاعوهما واتلفوهما **يوم القيامة** حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما
في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما
خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وقيل ان المحذور
ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم
لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا
واياما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم اما بجعل الموصول
عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى **الا ذلك هو الخسران
المبين** من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه
في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته
وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى **لهم من فوقهم ظلل من النار** الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله
بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل هو حال من ظلل والاظهر انه
حال من ضميره في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة
بعضها فوق بعض كائنة من النار **ومن تحتهم** ايضا **ظلل** اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل
لآخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها **ذلك** العذاب الفظيع هو الذي **يخوف الله به عباده**
ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** ولا تتعرضوا لما يوجب
سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي
والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان
ان يعبدوها بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها
والمزين لها **وانابوا الى الله** واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا **لهم البشرى** بالثواب على
السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك **فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه** هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع
ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم
نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل **اولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم

ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع
على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة **الذين هداهم الله** للدين
الحق **واولئك هم اولوا الالباب** اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى
المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفضل الله تعالى وقبول النفس لها
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة
الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير
عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه
كلمة العذاب فانت تنقذه على ان من شرطية دخل عليها الهمزة للانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها
على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونها معا اي انت مالك امر الناس
فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال
الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم
عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم
من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون
الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار
النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا امن حق
عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد التنكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه
تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من
فوقهم ظلل الخ استدرك عنهم بقوله تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف** (من النار ومن تحتهم ظلل)
وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عددت من الصفات الفاضلة
وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم
درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها
فوق بعض **مبنية** بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة والاحكام **تجري من
تحتها** من تحت تلك الغرف **الانهار** من غير تفاوت بين العلو والسفل **وعد الله** مصدر مؤكد
لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد واي وعد **لا يخلف الله الميعاد** لاستحالته عليه سبحانه
الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال و
قرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا في زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بها
كما في نظائره كقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الاية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية
من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من اثار قدرته تعالى و
احكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة
ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع **فسلكه** فادخله ونظمه **ينابيع في الارض** اي عيونا ومجاري
كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على
الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع **ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه** اصنافه من بر وشعير

وشعير وغيرهما وكيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة **ثم يهيج** اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته **فتراه مصفرا**
من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا **ثم يجعله حطاما** فتاتا متكسرة كان لم يغن بالامس ولكون
هذه الحالة من الاثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج **ان في ذلك** اشارة الى ما
ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد
بيانه لتذكيرا عظيما **لذكرى لاولي الالباب** لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم (لذكرى لأولي العقول)
على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما
يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان
من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت
الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن
تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر
من الاثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسنادها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله (عز وجل)
تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى او شؤون اثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله
افمن شرح الله صدره للاسلام الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى
باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو
منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته
بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك
قال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله
والكلام في الهمزة والفاء كالذي في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف
لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا
للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها **فهو** بموجب
ذلك مستقر **على نور** عظيم **من ربه** وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الايات
التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسى قلبه وحرج صدره بسبب تبديل
فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الايات بالكلية
حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** اي من اجل ذكره الذي حقه
ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او اياته اشمأزوا من
اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله
اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلب **في ضلال** بعيد من الحق **مبين** ظاهر كونه
ضلالا لكل احد قيل نزلت الاية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار
بن ياسر رضي الله عنه وابي جهل وذويه **الله نزل احسن الحديث** هو القران الكريم روي ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا وعن ابن
مسعود وابن عباس رضي الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث
وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على

حسنه وتاكيد لاستناده اليه تعالى وانه من عنده تعالى لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز
ما لا يحيى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ
مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة لاتصافه بقوله تعالى
متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على
الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب
نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر
لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه
يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى ثم ارجع
البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات
ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائله اي شمائله والمعنى متشابهة
معانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة
والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه
وتقرير لكونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا
وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد
يقال اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد
اما افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق
التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقراءة وقوارع آياته ووعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها
جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا
بانها لم تخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله
يهدي به من يشاء اي يهدي به لصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمل فيما في تضاعيفه من شواهد
الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته
الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده اصلا او ومن
يخذله فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه
تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره
على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه الخ استيناف جار مجرى التعليل
لما قبله من تباين حالتي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظائره
والتقدير افكل الناس سواء فمن شأنه ان يتقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب
اي العذاب السيئ الشديد يوم القيامة لكون يده التي بها يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه
كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل
للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على
التحقيق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم
بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم تكسبونه في

في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذلك كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض
الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين
من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار
في الحيوة الدنيا كالخسف والمسخ والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب
الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من شأنهم ان يعلموا شيئا
لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر
في امر دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على
ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال
فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم
يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد لمثل
من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى و
المراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس و
مثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من
تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه صلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل
كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور
ورفع شركاء به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما
يقوده اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه معبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه
ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة ويتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سلما
اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون
اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما
اي وهنالك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان
مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء
والظهور بحيث لا يقدر احد يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى
عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاعل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز
اي هل يستوي حالاهما وصفاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ
مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في
الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى
الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية
بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه
تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب
لحمده وعبادته تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه
المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة

الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرى
مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته انكم جميعا بصدد الموت
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت
به من الاحكام والمواعظ التى من جملتها ما فى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق
الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين الانام
والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الى آخره مسوق لبيان حال
كل من طرفى الاختصام الجارى فى شان الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله
سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اى بالامر الذى هو عين الحق
ونفس الصدق وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اى فى اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا
تامل اليس فى جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب
بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير السابقة باعتبار لفظها
او لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا والذى جاء بالصدق وصدق به الموصول
عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل هو الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن
مسعود رضى الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج
والفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجى بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى
الذى هو اجل الرغائب وقرى وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من
غير تغيير وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام
وقرى صدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاءون عند ربهم بيان لما لهم فى الآخرة من حسن المآب
بعد بيان ما لهم فى الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاءونه من جلب المنافع ودفع المضار فى
الآخرة لا فى الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال
القيمة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذى ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اى
الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذى
عملوا الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاءون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور
كونه غاية لثبوت ما يشاءون لهم فى الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم بل باعتبار فحواه فانه
حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتى كان فى معنى الوعد به كما مر فى قوله
تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه فى معنى
وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم جميع ما يشاؤنه من زوال المضار و
حصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذى عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم
باحسن الذى كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء
بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل عليه بل
من اضافة الشى الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر
فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما فى قولهم الناقص والاشج اعدلا

[illegible]

اعدلا بنى مروان خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هى فى الاول بالنظر الى
ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثانى بالنظر الى لطف
اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة
وان امكن فى الاول بناء على تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة
واستلزام تكفير الاسوأ لتكفير السىء لكن لما لم يكن ذلك فى الاحسن كان نظمهما فى سلك
واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى صلة الموصول الثانى دون الاول
للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده انكار
ونفى لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده لان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر
احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم فى الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا
قراءة من قرأ بكاف عباده على الاضافة ويكافى عباده على صيغة المبالغة اما من الكفاية لافادة
المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما
قالت له قريش انا نخاف ان يخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفى رواية قالوا
لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اى الاوثان التى اتخذوها
آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى
وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ومن
يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا
معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع
ذى انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام
وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل
قل تبكيتا لهم افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اى
بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فاخبرونى ان آلهتكم ان ارادنى
الله بضر هل يكشفن عنى ذلك الضر او ارادنى برحمة اى لو ارادنى بنفع هل هن ممسكات
رحمته بمنعها عنى وقرى كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد فى نحورهم حيث كانوا خوفوه مضرة الاوثان
ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبى الله اى فى جميع امورى من اصابة الخير ودفع
الشر روى انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان
كل ما سواه تحت ملكوته قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التى انتم عليها من العداوة التى
تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان
وقرى على مكاناتكم انى عامل اى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار
بان حاله لا تزداد الا قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى
الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزى اعدائه دليل غلبته عليه السلام

وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر **ويحل عليه عذاب مقيم** اى دائم هو عذاب النار **انا**
انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى المعاش والمعاد **بالحق** حال من فاعل
انزلنا او من مفعوله **فمن اهتدى** بان عمل بما فيه **فلنفسه** اى انما نفع به نفسه **ومن ضل** بان لم يعمل
بموجبه **فانما يضل عليها** لما ان وبال ضلاله مقصور عليها **وما انت عليهم بوكيل** لتجبرهم على
الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اى ابلاغ **الله يتوفى الانفس حين موتها والتى**
لم تمت فى منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما
تعلقها م
عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم **فيمسك التى قضى عليها الموت** ولا يردها الى البدن
وقرئ قضى على البناء للمفعول ورفع الموت **ويرسل الاخرى** اى النائمة الى بدنها عند التيقظ
الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد
منه فان ذلك مما لا امتداد فيه كيف وما روى عن ابن عباس ان فى ابن آدم نفسا وروحا
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك
فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر **ان فى ذلك** اى فيما
ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى احدهما والارسال فى الاخر **لآيات** عجيبة دالة
على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته **لقوم يتفكرون** فى كيفية تعلقها بالابدان
وتوفيها عنها تارة بالكلية عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء
آجالها **ام اتخذوا** اى بل اتخذ قريش **من دون الله** من دون اذنه تعالى **شفعاء** تشفع لهم
عنده تعالى **قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون** الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ
عليه اى قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان
يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هى لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من
اتخاذ الشفعاء فى شئ لانتفاء كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمنكر حينئذ غير ما
قدر اولا وعلى اى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها
اي يشفعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه م
وقد مر تحقيقه مرارا **قل** بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق **لله الشفاعة جميعا**
اى هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له
وكلاهما مفقود هنا وقوله تعالى **له ملك السموات والارض** تقرير له وتأكيد اى له ملكهما
وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم فى امر من اموره بدون اذنه ورضاه **ثم اليه**
ترجعون يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد
واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم **اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة** اى انقبضت
ونفرت كما فى قوله تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا **واذا**
ذكر الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى **اذا هم يستبشرون** لفرط افتتانهم بها
ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ فى بيان حاليهم القبيحتين حيث بنى على الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض ... هو
منه اديم الوجه والعامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت

الاستبشار **قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة** اى التجئ اليه تعالى بالدعاء
لما تحيرت فى امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم فى المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها
والعالم بالاحوال برمتها **انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** اى حكما يسلمه كل مكابر
معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوى او الاخروى وقوله تعالى **ولو ان للذين**
ظلموا ما فى الارض جميعا الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذى استدعاه النبى صلى
الله عليه وسلم
وغاية شدته وفظاعته اى لو ان لهم جميع ما فى الدنيا من الاموال والذخائر **ومثله معه**
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة اى لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب
الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اى ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن فى حسابهم
وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره فى الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم
من قرة اعين **وبدا لهم سيئات ما كسبوا** سيئات اعمالهم وكسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى احاط بهم جزاؤه **فاذا مس الانسان ضر دعانا**
اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر
موكد م
من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض للانكار عليهم اى انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى
وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا
بذكره **ثم اذا خولناه نعمة منا** اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما
اعطى جزاء **قال انما اوتيته على علم** اى على علم منى بوجوه كسبه او بانى سأعطاه
لما لى من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بى وباستحقاقى والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة
والتذكير لما ان المراد شئ من النعمة **بل هى فتنة** اى محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما
قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما
هو امر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير **و**
لكن اكثرهم لا يعلمون بان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس **قد قالها**
الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة
عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى وهم راضون به **فما اغنى عنهم ما كانوا**
يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه **فاصابهم سيئات ما كسبوا** جزاء سيئات اعمالهم او جزاء سيئة
او جزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم م
سيئة مثلها **والذين ظلموا من هؤلاء** المشركين ومن للبيان او للتبعيض اى افرطوا فى الظلم والعتو
سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصى كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اى
اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر **وما هم بمعجزين** اى فائتين **اولم يعلموا**
اى قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا **ان الله يبسط الرزق لمن يشاء** ان يبسط له
ويقدر لمن يشاء ان يقدر له من غير ان يكون لاحد مدخل ما فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا
ثم بسطه لهم سبعا **ان فى ذلك** الذى ذكر **لآيات** دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل
لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها **قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم** اى
افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف

القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حيثما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر
كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما
عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط عن الرحمة فضلا عن
المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على
انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود
الاية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل
اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة
والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اذ ليس المدعى ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن
الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن والمأمور به
دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة
والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا
وتتأهبوا له ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه
مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف
بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ
يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري
في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد
حرى وعين ترقرق وهو كناية فيه مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في
قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين
بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله
هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو
ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو
عن هذه الاقوال تحيرا وتحسرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني
من معنى النفي وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه
يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا
ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة لما
ينالهم من الشدة او لما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ اكتفى فيها بالضمير عن الواو او على ان
الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها علمية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن

عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي
اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب او ظفر به والباء متعلقة
بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى
المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
اما حال اخرى من الموصول او من ضمير بمفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمس
العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجى منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير
وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية
على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما
على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام
نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر لكن بمباشرة الكاسب لاسبابهما
وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها
ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على
الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو
جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن
عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال صلى الله عليه وسلم
لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على
هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصاب
به والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق
لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيف يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي
والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها ها تيك
الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل انه متصل بقوله تعالى
وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد
مشاهدة هذه الايات غير الله اعبد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب
ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه
تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تامرونني ان اعبد
فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تامرونني باظهار النونين على الاصل
وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن
اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط
الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره
فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا

بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم و
عطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب **بل الله فاعبد** رد لما امروه ولولا دلالة التقديم
على القصر لم يكن كذلك **وكن من الشاكرين** انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص من
وتقديمه **وما قدروا الله حق قدره** ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا
له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد **والارض جميعا قبضته يوم القيمة**
والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي
يتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على (على الظرف)
طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شاب لمة الليل
والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير
ذات قبضة وقرئ بالنصب على تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض
منظومة في حكمها **سبحانه وتعالى عما يشركون** ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء **ونفخ في الصور** يعني النفخة الاولى **فصعق من في السموات**
ومن في الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم **الا من شاء الله** قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل
لا يموتون بعد وقيل حملة العرش **ثم نفخ فيه اخرى** نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل (فانهم)
النصب والرفع **فاذا هم قيام** قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر **ينظرون**
وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم
واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر
الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم ولذلك اضيف الاسم الجليل الى
الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجرام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل **ووضع**
الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في
ايدي العمال واكتفي باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف **وجيء بالنبيين**
والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون **وقضي بينهم** بين العباد
بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد **ووفيت كل نفس ما**
عملت اي جزاءه **وهو اعلم بما يفعلون** فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى **وسيق الذين**
كفروا الى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مرتبة حسب مراتبهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع
زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه **حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها**
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد **وقال لهم خزنتها** تقريعا وتوبيخا
الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم **يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم**
لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل
الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب **قالوا بلى** قد اتونا وانذرونا
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك

منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول
فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس
مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخو (لهم)
النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانهم انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد تم تحقيقه
في سورة الم السجدة **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة** مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى
دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين **زمرا** متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة **حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها** وقرئ بالتشديد وجوا
ب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات لانه قيل
حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها **وقال لهم خزنتها سلام عليكم** من جميع المكاره والآلا (م)
طبتم طهرتم من دنس المعاصي وطبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم **فادخلوها خالدين** كان
ما كان مما يقصر عنه البيان **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده** بالبعث والثواب **واورثنا**
الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من
اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه **نتبوأ من الجنة حيث نشاء** اي يتبوأ (ها)
كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها
فنعم اجر العاملين الجنة **وترى الملائكة حافين** محدقين **من حول العرش** اي
حوله ومن زائدة او لابتداء الحفوف **يسبحون بحمد ربهم** اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به متلبسين
بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه
تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه
عز وجل **وقضي بينهم بالحق** اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة
باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم **وقيل الحمد لله رب العالمين** اي على ما قضى
بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملائكة وطي
ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم
القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا كل
ليلة بني اسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء
الساكنين او نصبها باضمار اقرا ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها
على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى **تنزيل الكتاب** كالذي سلف في
الم السجدة وقوله تعالى **من الله العزيز الحكيم** كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها
ووجه التخصيص التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكرناه لك **غافر الذنب وقابل التوب شديد**
العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو
المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب

مستوده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله
الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة
او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب
وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها و
رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى
غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي بالطعن
فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن
فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج
الحق في مضايق الافهام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عم
ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك
تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء
امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد
يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم كما
ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على
الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية
برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ
بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد
عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم
به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في
الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه
تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض
الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه
اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من
احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول
عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب
بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها
ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول صلى الله عليه وسلم كدأب من قبلهم من الامم
المهلكة فهم لسائر العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه
بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار
كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة
ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن

وسر الى الانذار عم

وجدلوا

من حوله وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز
عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل
الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين
ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل
ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع
الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم
للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان اقوى
المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم
المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند
الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت
العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم
ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل حامل
زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع
سمواته وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة
ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى
العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام
وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون
الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا
وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه
تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء
في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق
لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح
بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار
جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف
على الضمير الاول اي وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن
لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله
تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة
فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال
ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة
واستغفار وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو

را

يسبحون بحمد ربهم عم

بغرهم

بكيد

على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال عم

جهم

كنت

الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك
انت العزيز اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اى العقوبات
لان جزاء السيئة سيئة مثلها او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص
بالاتباع او المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تق المعاصى
فى الدنيا فقد رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا لهم السبب بعدما سالوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة
من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار
اليه هو الفوز العظيم الذى لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع فى بيان احوال الكفرة
بعد دخولهم النار بعدما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اى من مكان بعيد وهم فى
النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا
اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم
عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء ومقته اياكم فى الدنيا
اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة
الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لاراءهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت
بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل
لمصدر اخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلاهما
المقتين فى الاخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله
اياكم الان اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة
كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعى له قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتا
لمصدرى الفعلين المذكورين اى اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران
لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان
عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين واحييتنا فحيينا حياتين على طريقة قول
من قال ۰۰ وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع ۰ من المال الا مسحتا او مجلف ۰ اى لم يدع
فلم يبق الا مسحت الخ قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء
اجالهم على ان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما فى قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءين الاحياء الاول
واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر
وبالاحياءين ما فى القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة
تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتداد هم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع اثارها
واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما نطق به قولهم فاعترفنا
بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوصلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة
من الرجع الى الدنيا كما صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى ارادوه بقولهم
فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار ياس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت

كما قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء
بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف
به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها
وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين
لترتيبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اى من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالى ذلكم
الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اى ذلكم الذى انتم
فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اى بسبب ان الشان اذا دعى الله فى الدنيا
اى عبد وحده اى منفردا كفرتم اى بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اى بالاشراك به وتسارعوا فيه
وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع فى الثانية ما لا يخفى
من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى
الا بما تقتضيه الحكمة العلى الكبير الذى ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته
كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذى يريكم اياته الدالة على شؤنه
العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى
وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب
رزق هو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده
بعنوان كونه من اثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة
على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر
بتلك الايات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه فى تضاعيف
مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به ومن ليس
كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اى اذا كان الامر
كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم
اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات
على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من
اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال اى رفيع درجات ملائكته اى معارجهم ومصاعدهم
الى العرش ذو العرش اى مالكه وهما خبران اخران لقوله تعالى ذو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو
شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد
بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم
العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شانه وعظم سلطانه فى
غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء
على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقى الروح من امره فانه خبر اخر لما ذكر مبنى عن
انزال الرزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان انزال الرزق الجسمانى الذى هو المطر اى ينزل
الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذى اريد

من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا

انفسكم

اثنتين

عليها ذكر احسب ترتيبهما

بالوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى
مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته
وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو
الرسول عليه السلام او الروح فانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس
العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه تتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو
المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ
لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم
او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم
ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم
لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم
وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل
حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية
السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير
قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم
فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله تعالى الخلائق
يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط فاول ما
يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم ٢ لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به
لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاصها من جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته
لانه هي الحكم السوي والقضاء بالحق وحكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي
تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص الثواب او زيادة
عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تماما اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب
الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل
الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك
اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون
تعليلا للانذار وانذرهم يوم الازفة سميت بها لازوفها وهو اقرب غير ان فيه اشعارا بضيق
الوقت وقيل الخطة الازفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله
تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل
من يوم الازفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف
وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من

او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين
من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي لا شفيع يشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا
على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع
الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة
كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية
وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من
خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء
الا وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد
لا يقال في حقه يقضي ولا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله
هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون
ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم
كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين
معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف
وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم
عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات
او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة
قاهرة وهي ايضا من الآيات والعطف لتغاير العنوانين وان بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر
مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل بالذكر مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه
من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة
قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
عم واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه ان يصدهم بذلك عن
مظاهرته ظنا منهم بانه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد فرعون
الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور
والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم
او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من
الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال
فرعون ذروني اقتل موسى كان ملأه اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه
فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة

كان

انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف انه ان هم بقتله عاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى وليدع ربه تجلد وعدم المبالات بدعائه ولكنه اخوف ما يخاف اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح اليا والها ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع ما يقوله اللعين من حديث قتله اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تأكيدا وايذانا بمزيد الاعتنا بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانها الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتأمل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد • • تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها • مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان من كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد المعنى الثاني وهو كالعلاوة على الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله اي من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعه عنا احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى

240

تعالى تطييب لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في خاصة نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعدما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين على انه للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار وفارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بانه لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في المجادلة أتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين

قلب وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا
عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها
ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب
الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه
احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على رسالة الله تعالى
اياه وان يرى فساد قوله عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه
ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك
الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك
اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي
عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده
قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار
وهلاك او على انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال الى الصاد
وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي
مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم اتبعوني فيما دللتكم عليه اهدكم
سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه
سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا
ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون
ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار
لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في الآخرة الا مثلها عدلا من
الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى
النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى ومبالغة
في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه
الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني
الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى
تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام و
اشرك به ما ليس لي به بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم و
الاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار
الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن
من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى

حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي
وجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة وقيل جرم
بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا
ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد
اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده
قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان
مردنا الى الله اي بالموت عطف على انما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان
المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها
فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما
اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا يتوعدونه ان الله بصير
بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا
به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون
اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك
وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي
والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر
لمبتدأ محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل
من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحيوة ان يكون الحاق ذلك
السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل
رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة على
الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من
قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه
ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر
الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا
ويوم تقوم الساعة يقال لخزنة جهنم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم
فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ
ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في
النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم
انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او وصفا
على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع او بالحمل و
نصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى
الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الخ او نصب على المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا

انا كل فيها اى نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرى كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدم عليه كما يعمل فى الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اى للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة عند الله لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اى مقدار يوم او فى يوم ما من الايام على انه ظرف لا مفعول به شيئا من العذاب واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت اماتيهم قالوا اى الخزنة أولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اى الم تنتبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اى اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلال كبير قالوا فادعوا فصيحة كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا اى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عراه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن فى حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به فى قولهم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستانف من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى يقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم فى الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبى وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اى يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرى لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اى البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اى جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولى الالباب لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اى وعده الذى ينطق به قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص

بك او جميع مواعيده التى من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى فى بعض الاحايين فانه تعالى كافيك

ذنبك

فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار اى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون فى آيات الله ويجحدونها بغير سلطان اتاهم فى ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم فى امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر خبر لان اى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما وان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم فى الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة والنبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور فى التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج فى آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اى فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع العليم لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم فى النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوى الاعمى والبصير اى الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء اى والمحسن والمسىء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسىء لتاكيد النفى لطول الكلام بالصلة لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اى تذكرا قليلا تتذكرون وقرى على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها اى فى مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعونى اى اعبدونى استجب لكم اى اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اى صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرى سيدخلون على صيغة المبنى للمفعول من الادخال الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدوء الحواس لتستريحوا فيه

وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارًا والنهار مبصرًا اي مبصرًا فيه او به ان الله لذو
فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم
بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المنفرد بالافعال المقتضية للالوهية
والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة
وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فتكون لا اله الا هو استينافا لما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا
يؤفك كل من جحد بآياته تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان
وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان
الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب
الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي
تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقرا اليه في ذاته ووجوده
وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنها لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية
الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته تعالى فادعوه فاعبدوه خاصة
لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله
رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا هو فليقل على اثرها الحمد لله رب
العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
من الحجج والآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات
للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين بان انقاد له واخلص له
ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه
مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا
اي اطفالا والافراد لارادة الجنس ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا
لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا
شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من
قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا
مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك
من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي ويميت الاموات الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة
فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من
الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب
المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها
من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات

لارادة الجنس او بارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم

الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل
القرآن وسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو
الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة
للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء
الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القرآن او بجنس
الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز
النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع
المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في
الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او
مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة الخبر الاول
عليه وقيل خبره قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن
في الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون
حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول
وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم
بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون
من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اي ملئ والمراد بيان انهم
يعذبون بانواع العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا
عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن
ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم
لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل
الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم
حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا
خلودكم فبئس مثوى المتكبرين اي جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم
بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن
لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا
تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا
يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل

فؤادك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة
اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام
مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بني اسرائيل
واربعة الاف من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي
بآية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته
المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح
منها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك
المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون
بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم
الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم قوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون
تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما
بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض
معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير
النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع
اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها
بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة
التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما
بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها
بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق
به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله
الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فأي آية من تلك الآيات الباهرة
تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو
ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي
هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو
حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم
واشد قوة الخ استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من
الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما
كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية
مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات
الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه

الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع او التنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم
الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم
فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض
المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في
الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد
التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ
هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف
على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت
في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر
هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف
آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا
مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا او مبتدأ خبره
تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد
وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل
منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ولعل نسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية
والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان
متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق
والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا
قرآنا عربيا نصب على المدح او على الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون
اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف
هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او
بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية
او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فأعرض اكثرهم

عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا
اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القران قلوبنا فى اكنة
اى اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر اى صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح
القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من
الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام
فاعمل اى على دينك وقيل فى ابطال امرنا اننا عاملون اى على ديننا وقيل فى ابطال امرك و
الاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد
تلقين الجواب اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان
كما ينبئ عنه قولهم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا
بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام
للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه
العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل
وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحى
الى وانا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب اتباعى وتامل والفاء فى قوله تعالى فاستقيموا اليه
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايجاد الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص
فى الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين
ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون
الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر
بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلاف
بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس انه فسر لا يؤتون
الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد
وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا
يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
اى لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل ولا ينقطع من منت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى
اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع
لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وقوعه
فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذى خلق الارض فى يومين لتفخيم
شانه واستعظام كفرهم به اى بالعظيم الشان الذى قدر وجودها اى حكم بانها ستوجد فى مقدار
يومين او فى نوبتين على ان ما يوجد فى كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق
بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على
تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار
هو التعدد اى وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول

وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد

الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد
منزلته فى العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده
اى ذلك العظيم الشان الذى فعل ما ذكر رب العالمين اى خالق جميع الموجودات ومربيها دون
الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسى
عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن
حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية
مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد
المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه
المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف واياما كان
فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسى
اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد
الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التى من
جملتها الانسان واصناف النبات التى منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان يوجد
فيما سيأتى لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة
وقرئ وقسم فيها اقواتها فى اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر
حصولها فى يومين وانما قيل فى اربعة ايام تتمة اربعة تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد
لمضمر هو صفة لايام اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير
فى اقواتها او فى فيها وقرئ بالرفع اى هى سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين
عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين
اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان
كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر
المخاطبين وترتيب ما يتعلق بمعايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان
اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره وهى دخان اى امر ظلمانى عبر به عن
مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها او دخان مرتفع من الماء كما سيأتى وانما خص
الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال
لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها
ووجود ما فيها ائتيا اى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن
تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك
امر ومأمور كما فى قوله كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما
واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
اى طائعتين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما
بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا
على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار

كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله **فقضاهن سبع سموات** تفسير
وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على تكوينها اى خلقهن خلقا ابداعيا
واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول
تمييز على الثاني **في يومين** في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها
عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل **وأوحى في**
كل سماء أمرها عطف على فقضاهن اى خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا
يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف
عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق
عن القيد المذكور وايا ما كان فعلى ما قد رمزنا لتفصيل لا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب بين
ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق
وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم
خلق الارض وما فيها على خلق السماء وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش العظيم
كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه
دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى ان الله تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم
الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس
ويوم الجمعة وخلق آدم عم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق
جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها لما روى عن الحسن ان الله تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها
الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمهما مع السماء في سلك
الامر بالاتيان انشاؤهما واحداثهما بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل
معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه اي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك ويا سماء مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة
اتيا وايتيا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم
الارض حتى يتاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان
يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور ولا
ضرورة ان يكون دحوها مرتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا
ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض
على الوجه المذكور قبل ذلك وان يحمل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا
بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها
وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة كما قيل

القاهرة

بل واما على انه داخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس
بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روى عن الحسن نصا في تاخر دحو الارض عن
خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق بالواو فلا دلالة في ذلك على
الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن
دحوها فلا بد من حمل الامر بالاتيان ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم
خلق السماء على خلق الارض هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير
ل كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول
وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية
وانما لم يحمل الخلق هنالك على معنى التقدير كما حمل عليه هنا لتوفية مقام الامتنان حقه **وزينا**
السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها مثلا انه عليها كانها فيها والالتفات الى نون
العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى **وحفظا** مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا
وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح
زينة وحفظا **ذلك** اى الذي ذكر بتفاصيله **تقدير العزيز العليم** البالغ في القدرة والعلم
فان أعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور
الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان **فقل** لهم **أنذرتكم** اى انذركم وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به **صاعقة** اى عذابا هائلا شديد الوقع كانه
عق صاعقة **مثل صاعقة عاد وثمود** وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق
او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل **اذ جاءتهم الرسل**
حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله
صفة لصاعقة عاد اى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته **من بين أيديهم**
ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي
بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الاخرة
وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة
مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم
اى من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد جاؤوهم وخاطبوهم بقوله تعالى **ألا**
تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا وعلى ان ان مصدرية او لا تعبدوا وعلى انها مفسرة **قالوا لو شاء**
ربنا اى ارسال الرسل لانزال الملائكة كما قيل فانه عبارة عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد
مر فيما سلف **لأنزل ملائكة** اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل **فانا بما**
ارسلتم به اى على زعمكم فيه ضرب تهكم بهم **كافرون** لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى
ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر و
الكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت

الدنيا ومن عذاب

ربيبنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات قريش شئت وان كان بك
المال جمعنا لك ما تستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ
والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان
يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا
فى الارض شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما
يعم الكل من الكفر المطلق اى تعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق
اى بغير استحقاق التعظيم والولاية وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بشدتهم وقوتهم حيث
كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل
فيقتلعها بيده اولم يروا اى اعقلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان
ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على
ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر ولعله
اورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب
من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اى ينكرونها وهم يعرفون
حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم
الشنعا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد
الذى يصر اى يجمع ويقبض او عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير فى ايام نحسات جمع نحسة
من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف
بمصدر ربما لقد قيل كن اخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء
لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى
الايام واضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه
قوله سبحانه ولعذاب الاخرة اخزى وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب
للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الطريق بنصب الايات التكوينية وارسال الرسل وانزال الايات التشريعية وازحنا عللهم
بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب
بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اى اختاروا
الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب
الهون والهوان وصف به العذاب مبالغة او بدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا
الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع فى بيان عقوبتهم
الاجلة اثر بيان عقوبتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم
من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين ويرده ما سيأتى من قوله تعالى

من قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب
اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اى الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق
الشهادة الاتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان
بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما
منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا
ما جاءوها اى جميعا غاية ليحشر او ليوزعون اى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال
الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من
فنون الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى ويظهر عليها اثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس
ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزى و
العقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود
الجوارح التى يسألونها سؤال توبيخ لما روى انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا
لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى قالوا
انطقنا الله الذى انطق كل شئ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء
اى انطقنا الله الذى انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا
من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ وليس
بذاك لما فيه من ايهام الاضطراب فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فقالوا ليس نطقنا
بعجب من قدرة الله تعالى الذى انطق كل شئ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر
على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم
ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد
الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب
المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع
تقريرا لجواب الجلود اى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد
عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث
والجزاء راسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها فى
الاخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت
عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل
ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى او قرشيان وثقفى فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال
الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
وما كنتم تستترون الاية فالحكم المحكى حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل

الظن ح

الانسان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المبنية عنده كما
في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكى من احوال جميع اصناف الكفرة فتدبر **وذلكم** اشارة
الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ
وقوله تعالى **ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم** خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم الخبر
خبر **فاصبحتم** بسبب ذلك السوء الذي اهلككم **من الخاسرين** اي صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين
سببا لشقاء النشأتين **فان يصبروا فالنار مثوى لهم** اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم
منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او
للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غاية دركات النار **وان يستعتبوا** اي يسألوا
العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه **فما هم من المعتبين** المجابين اليها ونظيره قوله
تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان
يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة **وقيضنا لهم** اي قدرنا وقرنا للكفرة
في الدنيا **قرناء** جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض
وهو القشر وقيل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة **فزينوا لهم ما بين ايديهم** من امور
الدنيا واتباع الشهوات **وما خلفهم** من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه
قط **وحق عليهم القول** اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله
تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما مر مرارا **في امم**
حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد
باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين
كما قيل **قد خلت** صفة لامم اي مضت **من قبلهم من الجن والانس** على الكفر والعصيان كدأب
هؤلاء **انهم كانوا خاسرين** تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين **وقال الذين**
كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض **لا تسمعوا لهذا القرآن** اي لا تنصتوا
له **والغوا فيه** وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم
بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو
اذا هذى **لعلكم تغلبون** اي تغلبونه على قراءته **فلنذيقن الذين كفروا** اي فوالله لنذيقن
هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا **عذابا شديدا** لا يقادر
قدره **ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون** اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه
لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر
وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة **ذلك** مبتدأ
وقوله تعالى **جزاء اعداء الله** خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله
النار عطف بيان للجزاء او لذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة
لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى **لهم فيها دار الخلد** جملة مستقلة
مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع
من امر ذي صفة امرا آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل

وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق
فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة
بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا
الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو **وقال الذين كفروا** وهم متقلبون فيما ذكر
من العذاب **ربنا أرنا اللذين اضلانا من الجن والانس** يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين
لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر
والقتل بغير حق وقرئ أرْنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس
كسرة الراء **نجعلهما تحت اقدامنا** اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا **ان الذين قالوا ربنا الله** شروع في بيان حسن
احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوا اعترافا بربوبيته
تعالى واقرارا بوحدانيته **ثم استقاموا** اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في
الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشان كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها **تتنزل عليهم**
الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم
ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين
القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة
عند الموت وفي القبور وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه **الا تخافوا** ما
تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه **ولا تحزنوا** على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه
من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى
كتب لهم الامن من كل غم فلن يذوقوه ابدا وأن اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه
ف لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف
وابشروا اي سروا **بالجنة التي كنتم توعدون** في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في
احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى **نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا** الخ من بشاراتهم في الدنيا
اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر
ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة
ى **وفي الآخرة** نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي
والخصام **ولكم فيها** اي في الآخرة **ما تشتهي انفسكم** من فنون الطيبات **ولكم فيها ما تدعون**
ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في
الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف تدعون على ما تشتهي
للاتباع في البشارة والايذان باستقلال كل منهما **نزلا من غفور رحيم** حال مما تدعون مفيدة
لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف **ومن احسن قولا**
ممن دعا الى الله اي الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

دعى الى الاسلام وعند انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستانفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اسائتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الاثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سوال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المامور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان موذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن اياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منهما مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الايات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في اياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلابد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله وعندنا اخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسئمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء قدير من الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في اياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة

لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المودية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان امنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون الخ وخبران هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القران وقوله وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله لا ياتيه الخ اعتراض عند من يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقران وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القران من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جوابا لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى ءاعجمي وعربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى اكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي اكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على الاخبار بان القران اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا وبعضها عربيا لافهام العرب والعجم واياما كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين امنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على ان التقدير هو اي القران في اذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في اذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في اذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر في اذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر ما فيه من كمال المنافاة للهدى من بعد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الايات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات

نق

ن

عليه و

لافهام العجم

نق

خرين

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف فى شان الكتب عادة
قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
اى وبالله لقد آتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شان ما
آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك فى حق امتك المكذبة
وهى العدة بتاخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله
تعالى بل الساعة موعدهم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضى بينهم باستيصال المكذبين
كما فعل بمكذبى الامم السالفة وانهم اى كفار قومك لفى شك منه مريب من القرآن وجعل
الضمير الاول لليهود والثانى للتورية مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل
بموجبها فلنفسه اى فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما
ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله
واثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه
سبحانه وتعالى وقد مر ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال اليه
يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من   الجزو الخمس والعشرون
اكمامها اى من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرات على ارادة الجنس
والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال
ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اى حملها
وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل
حامل ولا وضع واضع ملابسا بشئ من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائى
اى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى اين شركائى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم
منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع
الله الرسل قالوا آذناك اى اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم
لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم
وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ   هو قولهم
مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا
نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار
بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اى يعبدون من قبل اى غابوا
عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اى ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن
معلق عنه بحرف النفى لا يسأم الانسان اى لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اى العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه
مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره فى
الشخص فيتضاءل وينكسر اى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف
غالب افراده لما ان الياس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لى اى حقى استحقه لما لى من الفضل

الفضل والعمل ولى لا لغيرى فلا يزول عنى ابدا وما اظن الساعة قائمة اى تقوم فيما سياتى
ولئن رجعت الى ربى على تقدير قيامها ان لى عنده للحسنى اى للحالة الحسنى من الكرامة
وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا اى لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد
مر تحقيقه فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم
على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا
انعمنا على الانسان اعرض اى عن الشكر ونأى بجانبه اى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا
وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون
عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض اى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول
اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض
الذى حكى عنه الياس والقنوط او شان الكل فى بعض الاوقات قل أرأيتم اى اخبرونى ان
كان اى القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو فى شقاق   ق
بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم
آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله فى الآفاق هو ما اخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم
من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور
على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفى انفسهم
هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس فى الآفاق اى منازل الامم الخالية وآثار   هم
وفى انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عم وعلى
المسلمين وفى انفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق اى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم
وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار
وفى انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام وحدوث
الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون واعتذر
بان معنى السين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك انه تعالى سيطلعهم على تلك
الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه
الحق اى القرآن او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم
فى شان القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا تكاد   د
تزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شئ شهيد بدل منه اى ألم يغنهم عن اراءة الآيات
الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر
بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى انفسهم سيرونه
ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد
اى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده تعالى ولو

لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم
يكفك انه تعالى على كل شي شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة [كما خص سائر الاشياء الموعودة] نعم استعاره بما لا
يليق بجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ألا
إنهم في مرية من لقاء ربهم اى في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم
الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهى لغة فيها ألا إنه بكل شيء محيط عالم
بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على
كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى
بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد آيتين وقيل اسم واحد والفصل
ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ
عسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي إليك وإلى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما
في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق
وان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف في
حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني
وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اى مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك
في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة
الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ومثل ايحائها اوحي
اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغاير له كما في قوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع
على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون
السورة وايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير
الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك
مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه
يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز
وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد
السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في
سورة مريم عليها السلام وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر
وقرئ تنفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن يبتدئ التفطر من جهتهن
الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات وادلها على العظمة والجلال من تلك

الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة
الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل
الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى
عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من
الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا
في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع
الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله
حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني بيان لكمال
تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار
الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما
طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم
رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما
وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل
الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البديع البين
المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية
المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا
وقرآنا عربيا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر أم القرى اى
اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اى يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال
تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار
يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول
مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب
فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اى بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون
فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة لفظ الجمع عليه
وقرئا منصوبين على الحالية منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين او مشارفين للتفرق او متفرقين
في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم في الدنيا أمة واحدة قيل مهتدين او ضالين
وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في
رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله
فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله
ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة
واحدة بل جعلهم فريقين والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب
من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة لا لما
قيل من ان المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في

قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الإيمان ولكن شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بإدخال بعضهم في رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره بإخراج بعضهم من بينهم وإدخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه أن يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم في فترة إدريس أو في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوفقهم الله تعالى للإيمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة إلى السعير من غير ولي يلي أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب **أم اتخذوا من دونه أولياء** جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولي أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لإنكار الواقع واستقباحه كما قيل إذ المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أي بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى **فالله هو الولي** جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه **وهو يحيي الموتى** أي ومن شأنه ذلك **وهو على كل شيء قدير** فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء **وما اختلفتم فيه من شيء** حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم **فحكمه** راجع **إلى الله** وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين **ذلكم** الحاكم العظيم الشأن **الله ربي** مالكي **عليه توكلت** في مجامع أموري خاصة لا على غيره **وإليه أنيب** أرجع في كل ما يعن لي من معضلات الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والإنابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية تشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله تعالى والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عم **فاطر السموات والأرض** خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره **جعل لكم** وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل في قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف **من أنفسكم** من جنسكم **أزواجا** نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر مرارا غير مرة **ومن الأنعام** أي وجعل للأنعام من جنسها **أزواجا** أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا **يذرؤكم** يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذر **فيه** أي فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير **ليس كمثله شيء** أي ليس مثله شيء من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة **وهو السميع البصير** المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر **له مقاليد السموات والأرض** أي خزائنها **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة **إنه بكل شيء عليم** مبالغ في الإحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى** وإيذان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته عم أي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عم وتفرد النصارى في حق عيسى عم وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبئ عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عم إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك الآية وإما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عم بالذي دون ما لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لرعاية ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الإيحاء من التصريح برسالته عم القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عم للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب إليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه السلام **أن أقيموا الدين** أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه أو التشمر له ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى **ولا تتفرقوا فيه** للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي إلى أممهم

نحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته صلى الله عليه وسلم وانهم المتفرقون كما سيجيء بجزاى لا
تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلا
الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين
شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اى عظم وشق عليهم ما تدعوهم
اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم
من يجيب الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختيا
الى ما دعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق
والالطاف وقوله وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية
الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما
امن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقران من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثنا
مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقا
الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي
بينهم لاوقع القضا بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتا
وقرئ ورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم
لفي شك منه من القران مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي
والمكابرة بعدما علموا بحقيته كدأب اهل الكتاب بين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم
الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد
عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي
بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مومنين بعدما اهلك الله تعالى اهل الارض
بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال
من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامم وانما ذكر من الانبياء عليهم السلام
لتحقيق ان ما شرع لهولاء دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم السلام تاكيدا لوجوب اقامته
وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك
المرام فلذلك اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق
بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من
تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب
للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم

عليه وعلى الدعوة اليه

يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان
ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع واستقم كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة
وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب كان من الكتب المنزلة كالذين امنوا ببعض منها
وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين
وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم
في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني
وبينكم ولا امركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم
واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اى امرت بذلك لاعدل او زائدة اى امرت ان اعدل
والباء محذوفة الله ربنا وربكم اى خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا
جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم اثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم تكم
لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة
ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم لكم
وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية
القتال والذين يحاجون في الله اى في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب
له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته عليه السلام واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود والنصارى كانوا
يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة
عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم
الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره
الله الذي انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق
انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او
نفس العدل بان انزل الامر به او الة الوزن وما يدريك اى اى شيء يجعلك عالما لعل الساعة
التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اى شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القرب بمعنى ذات
قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى ان الساعة على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب
على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق
اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها
مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات ت
فمن لم يهتد لتجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بر بليغ
البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدي الافكار والظنون يرزق من

يرزق من يشا اى يرزق من كيفما يشا فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الاخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها نؤته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده بنفسه وما له فى الاخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتأخير الجزاء والعدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات مستقرون فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته هو الفضل الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذى يبشر الله اى يبشر به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة فى القربى اى الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى عليه السلام حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تتوددوا الى الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة

ای بیانها

ای

اى يكتسب اى حسنة كانت فيتناول مودة ذوى القربى تناولا اوليا وعن السدى انها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اى فى الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القران على ان الهمزة للانكار التوبيخى كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلاة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله تعالى الذى هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه الصلوة والسلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القران افتراء على الله تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومراده استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وانه فى البعد مثل الاشراك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القران وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقران او بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجرى عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذى يقبل التوبة عن عباده التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضى الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرئ ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الدعاء الحمد لله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

ويستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب
قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سالوا و
استحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض
بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية
او كيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيته انه بعباده
خبير بصير يحيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق
بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم
جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا
اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم
من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا ايسوا منه و
تقييده بذلك مع تحققه بدونه ليذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته
اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة
لما ذكر استظهارا اولياء وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على
ذلك لا غيره ومن اياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها
وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي
على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح
نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد يجوز ان يكون للملائكة
مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله تعالى في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على
الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق
السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على
جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان
المقيد بالمشية جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل على المضارع
وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها
والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو
عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها
تعريضه للثواب العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم
من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار
السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار
للاهتداء خاصة ان يشا يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين
ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي
تجرين تارة وتركدن اخرى على حسب مشيته تعالى لايات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد
دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل

ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض

همته بالنظر في ايات الله تعالى والتفكر في الائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر
ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن
بعصفها والايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله
تعالى ويعف عن كثير لان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج اخرين بطريق العفو عنهم وقرئ و
يعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم
وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرهما
وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشا يجمع بين اهلاك
قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها
الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاع
تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا
حيث لا يزول ولا يفنى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما
كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابه
الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من
المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين امنوا او مدح بالنصب والرفع وبناء
يغفرون على الضمير خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ
كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو
شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم
امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر
المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون
ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر
امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه
ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب
والعوراء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت
اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة
الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي سيء فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما
ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها
تسوء من تنزل به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما
في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة
منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن حد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة
والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة

الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف تعويلا على ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله تعالى اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعدما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى النبي عليه السلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فله من قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما نعلمه ومما لا نعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا

اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق ح

كثير الوقوع ح

جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده بان يسمع كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله او يرسل مصدران موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته صلى الله عليه وسلم له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء بتوفيقه تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو

الذكور ح

ن

الاسلام وسائر الشرايع والاحكام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله وقرئ لتدعوا صراط الله بدل من
الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذى له ما فى السموات وما فى الارض
لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له
تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور
اى امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره وفيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين
عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة
ويستغفرون له ويسترحمون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته
كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه
مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف
المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين اى البين
اثره عليهم لكونه بلغتهم واساليبهم او المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج
اليه فى ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد جعله
كذلك كما قيل بل ما هو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة
الى التحقيق والتاكيد لكونها مبنية عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم
اى جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق
وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى
ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه فى ام الكتاب اى فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب
السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اى عندنا لعلى رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم
ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما
ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها
داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه
من علو الشان بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف
فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر
بالبال عند ذكره شئ آخر اولى منه بالاقسام به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذى ابنى عنه
الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو
شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب
ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اى ننحيه ونبعده عنكم مجاز
من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه
يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اى انهملكم فننحى الذكر صفحا اى اعراضا
عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل عليه فان التنحية منبئة عن الصفح و
الاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اى فننحيه

عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم صلى الله عليه وسلم
وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتون على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة
رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان
بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ن
تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله
من استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من هؤلاء القوم المسرفين عنه
له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء
بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها ان تسير
مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن
خلقها الى من هذا شانه فى الحقيقة وفى نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك
هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه
ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان
يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهدا استيناف من جهته
تعالى اى بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها فى اسفاركم لعلكم تهتدون ن
اى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى
والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا
به اى احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد
وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية
بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج ج
النبات من الارض تخرجون اى تبعثون من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار
الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن
الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذى خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس س
الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وكل ما سوى
الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله لد
فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود
عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من
الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها
بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لشانها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر
لنا هذا متعجبين من ذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب ب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله
لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه

واصله وجه قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من
تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم
بها وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من
المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فيبنى اموره فى مسيره ذلك على
تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما ياتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه
لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ اى وقد جعلوا
له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد
استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين
ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما
يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى الانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على
الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب
من شانهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ وداخل فى حكم الانكار والتعجيب
او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام
وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ وامن خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا
انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان فى
من العقل ما دعاء اذ ادعاء انه تعالى اثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما
وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا استيناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر من حالهم ان
احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم
تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد
ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملو من الكرب والكآبة
والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا
له اومن ينشأ فى الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا
اى اوجعلوا من شانه ان يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الوقوع
واستقباحه وتجوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة ح للانكار الوقوع واستبعاده واقحامها
بين المعطوفين لتذكير ما فى ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف لتغاير العنوان اى اتخذ
من هذه الصفة الذميمة صفته وهو ما ذكر من القصور فى الخصام اى الجدال الذى لا يكاد يخلو
عنه الانسان فى العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف
رايه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشؤ وينشا من الافعال
والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واعلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر اخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل
اخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع
اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك

ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ اشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة
واشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ
سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة
ويسائلون من المسائلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن اخر من كفرهم اى لو
شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه
حق مرضى عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه
بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل
على مقدمتين احديهما ان عبادتهم له بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية
عنده تعالى ولقد اخطأوا فى الثانية حيث جعلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على
بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضى والسخط فى شئ من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى
ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة
فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الايات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون
يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة
نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة
النقل فقيل ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعون
فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على
امة وانا على آثارهم مهتدون اى لم ياتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند
لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم وقرئ امة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد
والامة الدين والطريقة التى تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه
وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر كما
ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك فى قرية من
نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استيناف
مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص
المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد
قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اى قال كل نذير من
اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اى تقتدون بآبائكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى
مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وانما عبر عنها بذلك مجاراة
معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحى الى كل نذير لا على انه خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية
عن الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز
كما مر فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه عليه السلام بحمل صيغة
الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد
لاجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين يخل بعيد برده بالكلية قوله
تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين

فلا تكترث بتكذيب قومك اذ قال ابرهيم اى واذكر وقت قوله عليه السلام لابيه وقومه المكبين
على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه
في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة
ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء بضم الباء ككريم و
كرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اى اننى برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذى
فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام
او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين اى
سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى ما وراء الذى هدانى اليه الى الآن والاوجه ان السين
للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اى وجعل ابرهيم كلمة التوحيد
التى تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اى في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب الاية فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة
في عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اى جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك
منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف يستاق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة
باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه
بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عم من اهل مكة واباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اى هؤلاء الحق اى القرآن
ورسول اى رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرات او مبين للتوحيد بالايات
البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة
باقية الخ مبالغة في تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر
والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما
جاءهم الحق لينبههم عما هم عليه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا
الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون سموا القرآن
سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين اى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان عظيم اى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل
حبيب بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا
بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع
اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما
زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة
روحانية لا يرقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين
بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق
تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب
من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم في الحيوة الدنيا

قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها
بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادى المعاش درجات متفاوتة بحسب
القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم
ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم
ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا
نقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم
وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحال فما ظنهم بانفسهم في تدبير
امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها عن امر النبوة
ورحمت ربك اى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا
الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع
الدنيا ودناءة قدرها عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شأنه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم
الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق
وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اى متخذة
منها ولبيوتهم بدل اشتمال لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار
لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ
سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج
اى وجعلنا لهم معارج من فضة اى مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون
اى يعلون السطوح والعلالى ولبيوتهم اى وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها
اى على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اى زينة عطفا على سقفا
او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اى وما كل ما ذكر من
البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شئ يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما
كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ
بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اى للذى هو متاع الخ كما في
قوله تعالى تماما على الذى احسن والاخرة بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان عند
ربك للمتقين اى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا
ومن يعش اى يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله
رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى يعشى اذا كان في بصره آفة وعشى يعشو
بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض
عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له
شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعش فحقه ان يرفع نقيض وانهم اى الشياطين الذين قيض كل واحد
منهم لمن يعشو ليصدونهم اى قرناءهم فقد رجع الضميرين باعتبار معنى من كما ان مدار افراد
الضماير السابقة باعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذى يدعو اليه القرآن ويحسبون اى

العاشون أنهم أي الشياطين مهتدون أي إلى السبيل المستقيم وإلا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أي وإنهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون إليه وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى إذا جاءنا فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مرارا وإفراد الضمير في جاءنا بعدما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من القرناء لتهويل الأمر وتقطيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين أي بعد المشرق والمغرب أي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني وأضيف البعد إليهما فبئس القرين أي أنت وقوله تعالى ولن ينفعكم الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهته تعالى توبيخا وتقريعا أي لن ينفعكم اليوم أي يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم إذ ظلمتم أي لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم إياهم في الكفر والمعاصي وقيل إذ ظلمتم بدل من اليوم أي إذ تبين عندكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وعليه قول من قال إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى أنكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز أن يسند الفعل إليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لأن لكل منهم ما لا تبلغه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى أن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي وهو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم عنه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله وحده بالقسر والإلجاء فإما نذهبن بك أي فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فإنا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة وما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في أنها لا تفارق النون المؤكدة أو نرينك الذي وعدناهم أي أو أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرتنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي أوحي إليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه إلى اليوم الآخر وقرئ أوحي على البناء للفاعل وهو الله

الله عز وجل إنك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك أو للأمر به وإنه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيامة عنه وعن القيام بحقوقه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم السلام أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أي هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ملتبسا بها إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عم إلى التوحيد إثر ما أشير إلى إجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي فاجؤوا وقت ضحكهم منها استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية من الآيات إلا هي أكبر من أختها أي إلا هي بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من ينظر إليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها أولا وهي مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها وأخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا أيها الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ أيه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة إننا لمهتدون أي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته إذا هم ينكثون فاجؤوا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الأعراف ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي أي من تحت قصري أو أمري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجري حال منها أو للحال فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ أفلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين أي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أني أنا خير وهذه حالي من هذا الخ وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير

موضع يبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب
فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته **فلولا ألقي عليه أسورة**
من ذهب اى فهلا القي عليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض
التاء من ياء اساوير **أو جاء معه الملئكة مقترنين** مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته
به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن **فاستخف قومه** فاستفزهم وطلب منهم
الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم **فاطاعوه** فيما امرهم به **انهم كانوا قوما فاسقين**
فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي **فلما آسفونا** اى اغضبونا اشد الغضب
منقول من اسف اذا اشتد غضبه **انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين** في اليم
فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استيجاب مثل ما حل بهم
من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام
على انه جمع سليف اى فريق قد سلف كرغيف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال
ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة قد سلفت **ومثلا للآخرين** اى عظة لهم او
قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون **ولما ضرب ابن مريم مثلا**
اى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال هذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام
هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون
المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن
وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى **اذا قومك منه**
اى من ذلك المثل **يصدون** اى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون
من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اى يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون
فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المفاجاة
وقالوا أآلهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل
المموه بما يغتر به السفهاء اى ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا باس بكوننا
مع آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عم سكت
عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع
ابهامه لما يجب تنزيه ساحته عنه من شائبة الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف
لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع
الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك
فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عم هذا الحكم بآلهتهم حين سال الفاجر عن الخصوص
والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة
موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه للكل لكن لا بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في
المعبودية من دون الله ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك

وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه
اسورة واساور على البناء للفاعل
وهو الله تعالى ع

عبارة النص بل بطريق ع

بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المذكورة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد
كما ينطق به قوله تعالى **ما ضربوه لك الا جدلا** اى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام
لا لطلب الحق حتى يذعنوا لظهوره ببيانك **بل هم قوم خصمون** اى لداد شداد الخصومة مجبولون
على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو
تفضيل لآلهتهم على عيسى عم لان المراد بهم الملائكة ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدال
وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان
كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام
هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون
مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا
من القول ولا فعلنا امرا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم
قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى **ان هو الا عبد انعمنا**
عليه اى بالنبوة **وجعلناه مثلا لبني اسرائيل** اى امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة
على الوجه الاول بيان مسوق لتنزيهه عم عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز
كما نطق به صريح قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان راي
من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راي من يرى رايهم في شان الملائكة وعلى الثاني
والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره
انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد
خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى
يفتخر عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف واخف من حالهم واما على الوجه
الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في
الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عم
بمعبوديته ام كيف يتوهم الرضى بمعبوديته نفسه وقوله تعالى **ولو نشاء** الخ لتحقيق ان مثل عيسى عم
ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط
الملائكة ايضا من درجة المعبودية اى قدرتنا بحيث لو نشاء **لجعلنا** اى لخلقنا بطريق التوالد **منكم**
وانتم رجال ليس من شانكم الولادة **ملائكة** كما خلقناهم بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها
كما جعلناهم مستقرين في السماء **يخلفون** اى يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون و
يباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شانهم بهذه
المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا **وانه** وان عيسى **لعلم للساعة** اى ان نزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصول العلم
به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من

ومعنى

الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به
ذكرا تسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بارض المقدسة يقال لها
افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام
فيقدمه عيسى عم ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة
فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول
مامور ان يقوله تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له صراط مستقيم
موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين ثابت العداوة حيث اخرج اباكم
من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات
قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر ينبئ عنه
المجيء بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام
كما قال عم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله
هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع
هذا اي التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم
او استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة من بينهم
اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم
اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اي الا اتيان الساعة
بغتة اي فجاة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها
وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور
الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة
والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على
حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول
متصل وعلى الثاني منقطع يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به
المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة
للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل واحد فينادي مناد يا عبادي
فيرفع الخلائق رؤوسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوههم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما
وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك
والصحاف جمع صحفة قيل هي القصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم
المئكلة والاكواب جمع كوب لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهي الانفس من فنون الملاذ

الملاذ وقرئ ما تشتهيه وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون
تمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف
وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال
الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ او صفة
والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول وبما كنتم تعملون متعلق بالمحذوف
لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد
فقط منها تأكلون اي بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام
لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موفرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم
الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب
عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ
فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم
انفسهم للعذاب الخالد ونادوا يا مالك خازن النار وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز
الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليميتنا حتى نستريح من قضى
عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن
للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن
ابن عباس انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم
بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى
مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق
كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم
كارهون مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول
الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى
حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده
وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم
ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة بهم او فانا مبرمون كيدنا
حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا
يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره عليه السلام ام يحسبون اي بل ايحسبون انا
لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم
بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم
اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال
التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عليه بلى او حال اي نسمعهما
والحال ان رسلنا يكتبونه قل للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتهم له بعدم عبادة
ما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغض وعداوة لهم او لمعبوديهم بل انما هو لانه

في عذاب جهنم خالدون خبران
او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به

كرمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين اى لذلك الولد لانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه
واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفائه كذلك على
ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد
ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن
امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى
وقيل فانا اول الآنفين اى المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل
ان نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون اى يصفونه به من ان يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام
واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون
شئ منها جزءا منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد
ما سمعوا هذا البرهان الجلى يخوضوا فى اباطيلهم ويلعبوا فانما هم فيه من الافعال والاقوال ليست
الا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو
يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبود بناء على اختصاصه
بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كانه قيل وهو الذى مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى
سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول
الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء
الجملة عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر لمبتدأ محذوف على ان الجملة بيان
للصلة وان كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى لالهة السماء والارض
وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذى له
ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او فى بعض الاوقات كالطير وعنده
علم الساعة اى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد
وقرئ على الغيبة وقرئ بالتاء ولا يملك الذين يدعون اى يدعونه وقرئ بالتاء مخففا
ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذى هو التوحيد وهم يعلمون
ما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد باعتبار
لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص
بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اى سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار
لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون
الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم
قوله صلى الله عليه وسلم يا رب الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر وعلى ان
الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفى الاقسام به من رفع شانه وتفخيم دعائه
والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله

فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم وقل سلام اى امرى تسلم منكم ومتاركة
فسوف يعلمون حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ تعلمون على انه داخل فى حيز قل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة
بغير حساب

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة انا انزلناه اى
الكتاب المبين الذى هو القرآن فى ليلة مباركة هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله
او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عم على السفرة ثم كان ينزله على النبى
صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول
القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة
وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضى
الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله
تعالى انا انزلناه لان من شاننا الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم
استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة والملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى ان ينزل
فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها
ليلة القدر ومعنى يفرق اى يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم
من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة
البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى
جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو
ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على
البناء للفاعل اى يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقيل نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على
الاختصاص اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته
الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره فى
حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهى ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان
فى المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلناه اى آمرين او مامورا انا
كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وهو مستانف وقوله رحمة من
ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم
عليه على ان المراد مبدؤها اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد
لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان
بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام لتشريفه او تعليل ليعرف

او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل
له اى يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب فى ان كلا
من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية فى تكليف العباد
تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اى تلك رحمة وفى قوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق
لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان
او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتدأ ان كنتم موقنين اى ان كنتم
اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما
اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا وان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك
لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض
يحيى ويميت مستانفة كما قبلها وكذا قوله ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل
من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل يميت وفى يحيى ضمير راجع الى رب
السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات وعلى قراءة الجر بل هم فى شك مما ذكر من شؤونه
تعالى غير موقنين فى اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزل
ولعب والفاء فى قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب والامر على ما قبلها فان كونهم فى
شك مما يوجب ذلك حتما اى فانتظر لهم يوم تاتى السماء بدخان مبين اى يوم شدة
ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان فى عام القحط
يظلم الهوى لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا
لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل
يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك
قوله تعالى يغشى الناس اى يحيط بهم هذا عذاب اليم اى قائلين ذلك فمشى اليه
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا
وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود
وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتى من السماء قبل يوم القيمة
فيدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعترى المومن منه كهيئة الزكام
ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين
يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه
ودبره والاول هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى
الى آخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم فى الوعد بالايمان المنبى عن التذكر
والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اى كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما
وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اى والحال انهم

انهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه فى ايجابها حيث جاءهم رسول
عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا
عنه عن ذلك الرسول بما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يكتفوا
بالتولى وقالوا فى حقه معلم مجنون اى قالوا تارة يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف واخرى مجنون
او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير
وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون
بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اى انا نكشف العذاب المعهود عنكم
كشفا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه
الحالة وصيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله
تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد
ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين و
غوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما
فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة وقيل يوم
بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اى
يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تاتى الخ وقرئ نبطش اى نحمل الملائكة على
ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم
وقرئ نبطش بضم الطاء وهى لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بارسال موسى عم
او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم
وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المومنين او فى نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا
من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى عباد الله اى بان ادوا الى بنى اسرائيل وارسلوهم معى
او بان ادوا الى يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول
لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اى جاءهم بان الشان ادوا الى الخ
وقوله تعالى انى لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المامور به اى رسول غير ظنين
قد ائتمننى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله لا تتكبروا
عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله كالذى سلف وقوله تعالى انى آتيكم اى من جهته
تعالى بسلطان مبين تعليل للنهى اى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها واتيكم على صيغة
الفاعل وفى ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى وانى عذت بربى
وربكم اى التجات اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجمونى اى تؤذونى ضربا او شتما
او ان تقتلونى قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال فى التاء
وان لم تومنوا لى فاعتزلون اى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تومنوا لى فخلونى كفافا
لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم
وحمله على معنى ما قطعوا اسباب الوصلة عنى فلا موالاة بين من يومن وبين من لا يومن يأباه المقام

فدعى ربه بعد ما اصروا على تكذيبه ان هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان
دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها
كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا
وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك
البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك
لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح اي لانهم كم
تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل
محسنة ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في محل النصب
وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها
قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في محل الرفع على الخبرية اي الامر كذلك
فيكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال
من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض وضده ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل
عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما
كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا
ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد
فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الحيف والضيم من فرعون بدل من العذاب
اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين
اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره
اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر
والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا
او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف
ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم
يزيغون في بعض الاوقات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم
من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم
يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون ان هؤلاء
يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي
ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة
اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة
كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حياة الا الموتة

ويكثر منهم الموطات

الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقبها حياة القبر كما تزعمون
وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام
والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل
كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم
في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير في القوة والمنعة التي يدفع بهما
اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل
هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان
كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا اي مجار الكرم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا
فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس
انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين بن
من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي بأس شديد
والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف لبيان
عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل له لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب
اجرامهم مع انهم كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم في الاجرام
اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين الجنسين
وقرئ وما بينهن لاعبين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما
وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء
من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة
والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل
اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم وقت
موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم بهم
وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا لنفسه مولى من قرابة وغيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول
الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي
لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد
مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة
ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت تغلي
في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليا كغليه خذوه على ارادة
القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ
بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان
الاصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت

الجزؤ الخامس والعشرون

العزيز الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاءً به وتقريعاً له على ما كان يزعمه روى ان اباجهل قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا
بى شيأ وقرئ بالفتح اى لانك او عذاب انك ان هذا اى العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصى فى مقام فى موضع
قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرئ بضم
الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة
وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره فى جنات
وعيون بدل من مقام جئ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من
سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى الجار والسندس ما رق من الحرير والاستبرق
ما غلظ منه معرب متقابلين فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اى الامر كذلك او كذلك
اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء
وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون
فيها بكل فاكهة اى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا تتخصص شئ منها بمكان
ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحيوة
ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه
قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى ح ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
مشدداً للمبالغة فى الوقاية فضلا من ربك اى اعطوا ذلك كله عطاءً وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع
اى ذلك هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله
تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اى انما انزلنا الكتاب المبين
بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم
انهم مرتقبون ما يحل بك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة
اصبح مغفوراً له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا
على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر
على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اى المؤلف من
جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذى يجعل عنوانا
للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله
خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة
معتد بها مخل على تحمل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل
وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات
للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية

حم

والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه
البيان واما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفى
خلقكم اى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة
عطف على المضاف دون المضاف اليه اى وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه
مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ
وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان فى خلقكم وما
يبث من دابة آيات لقوم يوقنون اى من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هى عليه واختلاف
الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما
تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اى من مطر وهو سبب
للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة فاحيى به الارض بان
اخرج منها اصناف الزرع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن آثار الحيوة وانتفاء قوة
التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال
وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث
لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة
واما لان كون التصريف آية ليس بمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها
سوق السفن فى البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور
والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والظرف
المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى اقيمت الواو مقامهما
فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا
واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء تلك آيات الله مبتدأ وخبر
وقوله تعالى نتلوها عليك حال من عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او
عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله اى نتلوها فباى حديث من الاحاديث بعد
الله وآياته اى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او
بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته
ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك
اثيم كثير الافك والآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير فى
اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون
ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اى يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على
العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا
لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث
الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل
من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع
الآيات التى حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى

نة بالتوحيد من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها

ف

ب

محقين او ملتبسة بالحق

٢

غمرات الموت ثم تن وردها كان لم يسمعها اى كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال
من ضمير يصر اى يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا
شيئا اذا بلغه من آياتنا شئ وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك
العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة
اتخذها اى الآيات كلها هزوا اى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتانيث لانه
فى معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار
الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار
كل واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم
واستهزائهم بآيات الله تعالى من ورائهم جهنم اى من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او
من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص
من خلف وقدام ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى
او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين
مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم
الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره
هذا اى القرآن هدى فى غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اى بالقرآن وانما وضع
موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب
من رجز اى من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين
عذاب فى المواقع الثلاث للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذى سخر لكم
البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجرى
الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم
تشكرون ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض
من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما فى السموات والارض وتوكيد له ومنه
متعلق بمحذوف وهو صفة لجميعا او حال من ما فى السموات اى جميعا كائنا منه تعالى او
سخر لكم هذه الاشيا كائنة منه مخلوقة له او خبر لمحذوف اى ذلك منه ان فى ذلك اى فيما
ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون فى بدائع
صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها
قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة الجواب عليه فانه جواب للامر اى قل لهم اغفروا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله اى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم
ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم
الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت به وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه
غفارى فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابى ما قال وذلك انهم نزلوا فى غزوة بنى
المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابى غلامه يستقى فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما
حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم

واحده

وفيه تهكم

اى لى جميعا منه تعالى وقرى منه على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر مبتدا محذوف ع ح ق

وقرب

وقرب ابى بكر رضى الله عنه فقال ابن ابى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ
ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى ليجزى قوما بما كانوا يكسبو ن
تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اى امروا بذلك ليجزى
يوم القيامة قوما اى قوم قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها
الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وما يقصر عنه البيان من
الثواب العظيم وهذا وقد جوزوا ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من
جملتها ما حكى من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة
لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه فى الدنيا
او بما يصدر عنه بالذات وفى ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا
واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما ولنجزى الجزاء بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها لا يكاد يسرى عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم نعما
على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب اى التورية والحكم اى الحكمة النظرية
والعملية والفقه فى الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث
كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ كالمن والسلوى
وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرها
وقيل على عالمى زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة فى امر الدين ومعجزات قاهرة
وقال ابن عباس رضى الله عنه هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه
يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا فى ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم
العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الاختلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اى عداوة
وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اى سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اى امر الدين
فاتبعها باجراء احكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشئ منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم
ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولى المتقين الذين
انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اى القرآن او
اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب
وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب
الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان حالى الظالمين
والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى البيان الثانى والهمزة لانكار
الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه
والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى

انكار

الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم ما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم
في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من
الضمير والظرف والموصول معا لاشتماله على ضميرهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان
به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم
كلا لا يستوون في شيء منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله
تعالى ورضوانه في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين
مستو حياتهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما
ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في
الآية الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع
على انه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان
التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين مبالغة
في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الحرمان
بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه وآكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك
وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله لهما ولما فيهما
بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم
من الظالم وان لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على
بالحق لانه في معنى العلة اذ معناه خلقهما مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل
فحاصله خلقهما لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته اي ليعدل ولتجزى
وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب وتسمية
ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه
تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده فنظرت فرأيته فان
ذلك مما يقضى منه التعجب وقرئ آلهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى
احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله
وتبديله لفطرة الله التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا
يتفكر في الآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة من الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح
الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى بموجب تعاميه
عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون
على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحيوة
الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة وليس وراء ذلك
حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء
اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر اهل
الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم

واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانها في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات ح
في الممات كما استووا ح

العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور
الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى
الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر
وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد الحيوة والموت الى الدهر
من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد
من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى
عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به
او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا
ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت الا هذا القول الباطل
الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم
بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان
حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء
آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة
للجزاء لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء
لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة
التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو
اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم
في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك
المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما به عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث
والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل
منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس جاثية مجتمعة
وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ
كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما
كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان
كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا
مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا
نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه
عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون
في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام
المنطوي على الوعد والوعيد ذلك اي الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز
المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي

وفيما بينهما ع

فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم تكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف
عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اى قوما
عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله حق ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق اى واقع
لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اى في وقوعها وقرئ والساعة
بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندرى
ما الساعة اى اى شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه في
قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا
وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل
الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا
لهم اى ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما هم عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة
عاقبتها او جزاءها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من الجزاء والعقاب
وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا
اى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار
وما لكم من ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم
آيات الله هزوا اى مهزوا بها ولم ترفعوا لها رأسا وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة
سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة
للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار
ولا هم يستعتبون اى يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة
رب السموات والارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان
بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء
في السموات والارض لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن
الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة
ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما
من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه
الحكمة التكوينية والتشريعية من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناهما
في حال من الاحوال الا حال ملابستهما بالحق وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات
كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على
الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امر الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد

واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم
القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم ويجوز كون ما مصدرية
والجملة حالية اى ما خلقنا الخلق الا بالحق وبتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم
غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا أرأيتم اخبروني وقرئ
ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني تأكيد لأرأيتم ماذا خلقوا
من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اى شركة مع الله تعالى في السموات اى في خلقها
او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود
شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء
فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي
بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اى ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اى
القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم اى بقية
من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين
في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها
شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اى
مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اى شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوى عن غيركم واثرة
بث بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث
اى رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا
من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان
كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اى هم اضل
ري من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري
عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول
لمفعول يدعوا والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار
لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من
ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام الساعة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين
اى مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيى الاصنام فتتبرأ من عبادتهم وقد
جوز ان يراد بهم كل ما يعبد من دون الله من الملائكة والانس وغيرهم ويبنى رجع الضماير
واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير
كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
او مبينات قال الذين كفروا للحق اى لاجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع الموصول
موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اى في اول ما جاءهم من غير تدبر
عنهم وتأمل هذا سحر مبين اى ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم
السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اى بل يقولون

موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع

افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لاريب في انه تعالى يعاجلني
بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افترى عليه تعالى كذبا او اعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها
هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته
سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم
بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل
البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم
او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا
يقترحون عليه صلى الله عليه وسلم آيات عجيبة ويسالونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر صلى الله عليه وسلم
بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه
واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام ما كانوا يأتون الا بما
آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون قومهم الا بما اوحي لهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
اي لي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن
الحسن ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة
وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون
المنفي هي وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم
بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي
عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ضجروا من اذية المشركين حتى قالوا الى متى
نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل
وشجر قد رفعت الي ورأيتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة واستفهامية وهو اقضى لحق مقام
التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد
الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى
قصر افعاله على اتباع الوحي ولا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه
في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه
عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول
هو الاوفق لقوله وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين
الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن من عند الله لا
مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء
الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى ارايتم ان كان من
عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه باعتبار حاله
في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم
في ان ذلك كفر بما عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما هو من عند

الله تعالى واستكبار ضلال ولي والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به و
شهد شاهد عظيم الشأن من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من
التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه من الحقيقة يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر
الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارة اخرى او على مثل ما
ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن
للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن
سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه
ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول
اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم
اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد
حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله
حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت واذا علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني
عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا فقال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك
فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا
وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وفيه
نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه
وسلم وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ... بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت
السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان
من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد
هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من
اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم
الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم
لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين
به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه السلام من القرآن والدين
خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال
ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية
مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد
حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما
اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه
ان السورة مكية لا يدح فيه الا ان يدعى ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف و

ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام

ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آية الرجم سألت بعلمه وانا اسلم عبد الله

يدل عليه ما قبله وترتب عليه ما بعده اى واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير
مكتفين بنفى خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس
بذلك ومن قبله اى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستأنفة
وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا
اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اى اماما يقتدى به فى دين الله تعالى وشرايعه كما يقتدى
بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذى يقولون فى حقه ما يقولون
كتاب عظيم الشان مصدق اى لكتاب موسى الذى هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية
وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اى يصدق ذا لسان عربى لينذر الذين
ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الاخير
القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين فى حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل فى محل الرفع على
انه خبر مبتدأ مضمر اى وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا اى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى امور الدين التى
هى منتهى العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد
بيان دوام نفى الحزن لا نفى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك
الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن فى اصحاب
وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اى يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك
اصحاب الجنة فى معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا
الانسان بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ حسنا اى بان يفعل بهما حسنا اى فعلا ذا حسن او كانه
فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين وبفتحهما اى بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه
حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اى ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح
وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اى مدة حمله
وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به
الرضاع التام المنتهى به كما اريد بالامد المدة من قال كل حى مستكمل مدة العمر مود اذا انتهى امده
ثلاثون شهرا تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاسات الشدايد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة
الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقى للحمل ذلك قيل لعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب
والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اى اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث
نبى قبل اربعين وقيل حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعنى اى الهمنى واصله اولعنى من
اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى اى نعمة الدين او ما يعمها وغيرها
وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لى فى ذريتى اى واجعل الصلاح ساريا
فى ذريتى راسخا فيهم كما فى قوله يجرح فى عراقيبها نصلى قال ابن عباس اجاب الله دعاء ابى بكر

ابى بكر رضى الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه
الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لى فى ذريتى فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا
فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه
عبد الرحمن بن ابى بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك
لاحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انى تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلنى عن ذكرك
وانى من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد
به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اى
اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات
فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيآتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى
الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور فى اصحاب
الجنة اى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى
نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى بالتقبل والتجاوز الذى كانوا يوعدون على السنة الرسل والذى قال
لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان
المؤفف له كما فى هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين
والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو فى الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى
انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سيأتى من قوله تعالى
الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها
من قال ذلك اتعداننى ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت
القرون من قبلى ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله تعالى يسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان
ويلك آمن اى قائلين له ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك ان وعد الله حق اى البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطئه
فى اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اى آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذى
تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير ان يكون لها حقيقة
اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
وقد مر تفصيله فى سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية
مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى ولكل
من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها
ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اى جزيتها وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون
بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استئناف
مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل
من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين

كفروا على النار اى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم
بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين
وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اى اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون وقد
قرئ كذلك بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اى تخرجون
من طاعة الله عز وجل اى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اى
للكفار أخا عاد اى هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اى وقت انذاره اياهم بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد
خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه ومن خلفه اى من قبله ومن بعده والجملة
اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله الا
تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية
والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه
من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه
انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم
ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ففيه ما فيه من
تكلف تقدير الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا
اجئتنا لتأفكنا اى تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من
الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اى بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها
ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله
تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها
بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ
ولكني اريكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس من وظايف الرسل من الاتيان بالعذاب
وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة اى فأتاهم فلما رأوه وقوله تعالى عارضا اما
تمييز او حال او راجع الى ما استعجلوا بقولهم فأتنا بما تعدنا اى فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض
في افق السماء مستقبل اوديتهم اى متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا
هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اى قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ
قل وهو رد عليهم اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما
او خبر لمبتدأ محذوف فيها عذاب أليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شيء
من نفوسهم واموالهم بأمر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف
محذوف او هو الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا
منوطا بامر بارئه ويكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح
من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة

فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا
لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم
كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف
وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعهما في الجو حتى ترى كأنها جرادة
قيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا
به انه عذاب اليم انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا
بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا
لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين وعن ابن عباس اعتزل هود عليه السلام
ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد
بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اى قررنا عادا او اقدرناهم
وملكناهم وقوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اى في الذي او في شيء
ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم
اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن
تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يستعملونها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته
من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم
حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية
المنصوبة في صحائف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء
اى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما اغنى
وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني
في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه
فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم
يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون
لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة
قربانا القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذ ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة
وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها
متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة
بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة
المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوا من دون الله قربانا اى متقربا به مما لا صحة
له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله

في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر كان عدم نصرهم لغيبتهم
اوضاعوا عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغايب عن المنصور وذلك
اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة
شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقيل افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة
الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم
بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اي جعلهم افكين وقرئ افكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا
الى ضميرهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما يقال كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي
واثر افترايهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون
من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد
للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال
مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا
كاينا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته
على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضى
اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام ولوا الى قومهم
منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء
ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف نصيبين او
نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله
وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا لقرايته وذلك عند منصرفه من الطايف
وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم وانما كانوا يتلو في صلوته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى
ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليهم نفرا منهم جمعهم له فقال صلى الله عليه وسلم اني امرت ان
اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى
اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام ثم انقطعوا كقطع
السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا مستثفري
ثيابا بيضا فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرأ باسم
ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل قالوه
لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عم مصدقا لما بين يديه
اراد به التورية يهدي الى الحق من العقايد الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرايع
والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب
وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما د
عوتهم الى ذلك بيانا لحقيقته واستتباعه ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر

يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا
تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم
في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب
للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله
من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروع
وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل
مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء بيان لاستحالة
نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من
مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار
اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا
يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة
والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر
اذا لم تعرف وجهه بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها
في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس
الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير
تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا
على النار ظرف عامله قول مضمر مقول له اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه
من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه انه هو
اللايق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم و
توبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا
اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا وانى لهم
ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون به في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم
والتوبيخ لهم وقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا
كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم
من الرسل فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرايع
الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها
ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية
قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح
ويعقوب على فقد ولده ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع
لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف

النزول بهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من
نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف اي
هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا
اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ او عن
الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك
ونصب القوم وصفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد
كل رملة في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا
او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل
الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا
وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل
اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها
بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر
كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها
لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن
سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا
لهم وقوله فاذا لقيتم الخ والذين امنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من
الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وامنوا بما نزل على محمد خص
بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر
ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله تعالى وهو الحق من ربهم بطريق
حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا يقابل الزائل وعلى
الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على
البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل
الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من
اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين
اتبعوا الشيطان كما قال مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال
المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الاخرين اتبعوا الحق
الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة
فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له
متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح
في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل

لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان
مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد بحسن عنه فلا وجه
للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتها له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل
نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما
لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك
اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهم
الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع
الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب
ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم
مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا
لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم
المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل
تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم
اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم
عنهم النهوض فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق
بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا بعد ذلك او تفدون
فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رحمه الله
وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد
ليس اليوم من ولا فداء انما الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب
اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها
اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله لاحد الامور الاربعة
او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى
لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب على
حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها
وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب
اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها اثامها حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم
بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال
وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم
ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله
اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ
تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد
سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب وسيثبت هدايتهم ويصلح

وخيبتهم

واضل اعمالهم

بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بكتبه أو وصفها لهم بحيث اشتاقوا إليها أو بينها لهم بحيث
يعلم كل أحد منزله ويهتدي إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله في
الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو
حددها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة إما مستأنفة أو حال
بإضمار قد أو بدونه يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله أي دينه ورسوله ينصركم على أعدائكم ويفتح
لكم ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الإسلام والذين كفروا فتعسا لهم
التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه
بفعله الواجب حذفه سماعا أي فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وقوله تعالى وأضل أعمالهم
عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك أي ما ذكر من التعس وإضلال الأعمال بأنهم
بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه
واشتهته أنفسهم الأمارة بالسوء فأحبط لأجل ذلك أعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الإيمان لا
يثابوا عليها أفلم يسيروا في الأرض أي أقعدوا في أماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الأمم المكذبة فإن آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم وقوله تعالى
دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل
الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره الله أهلكه ودمر عليه أهلك عليه
ما يختص به وللكافرين أي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم أمثالها أمثال عواقبهم وعقوباتهم
لكن لا على أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلته لعواقب
متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين
وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألما من
الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه
قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها ذلك إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم
السابقة لهؤلاء بأن الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على أعدائهم وقرئ ولي الذين وأن الكافرين
لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا إلى
الله مولاهم الحق فإن المولى هناك بمعنى المالك إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الأنهار بيان لحكم ولاية الله تعالى لهم وثمرتها الأخروية والذين كفروا يتمتعون
أي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الأنعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى
لهم أي منزل ثواء وإقامة والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف وكأين كلمة
مركبة من الكاف وأي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييزها وقوله
تعالى هي أشد قوة من قريتك صفة لقرية كما أن قوله تعالى التي أخرجتك صفة لقريتك وقد حذف
عنها المضاف وأجري أحكامه عليها كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى أهلكناهم أي
وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية
الأولى بشدة القوة للإيذان بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية
بإخراجه عليه السلام للإيذان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

اي

كليب لعمري كان أكثر ناصرا ◦ وأيسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم
من العذاب بواسطة الأعوان والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر
ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية أفمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي
فريقي المؤمنين والكافرين وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين وبيان
لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ
بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم
أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم
مما يأباه منصبه الجليل والمعنى أيكون الأمر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير
من مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله
من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين أهواءهم الزائغة و
انهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل
عليه وجمع الضميرين الأخيرين باعتبار معنى من كما أن إفراد الأولين باعتبار لفظها مثل الجنة
التي وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان
كيفية أنهارها التي أشير إلى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين إيذانا بأن الإيمان والعمل
الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها
وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله
تعالى فيها أنهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والأول هو الأنسب لصدر
النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال إلى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة
مبتدأ خبره فيها أنهار الخ من ماء غير آسن أي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير أسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه بأن صار قارصا ولا حاذرا كألبان الدنيا وأنهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وإنما هي تلذذ محض ولذة إما تأنيث
لذ بمعنى لذيذ أو مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على أنه صفة أنهار وبالنصب على العلة
أي لأجل لذة الشاربين وأنهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا
تمثيل لما يجري مجرى الأشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا فالتخلية عما
ينغصها أو ينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الأنهار
من كل الثمرات أي صنف من كل الثمرات ومغفرة أي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله
تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف
تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله
تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل
جزاء من هو خالد في النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الإنكار
وحذف ما حذف لتصوير مكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من
سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان

ضمنهم
حالم
وسلم
التزيين

تلك الاثرة فقطع أمعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنى منهم شوى وجوههم وامازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنفه وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا أولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مرتقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه عليه السلام وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطئهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له صلى الله عليه وسلم الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة

سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فأولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله أويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل نافقوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوا فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قولهم لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا في الايمان وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين بما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر مساويهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فأصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اي يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات

أم على قلوب أقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من
التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب
اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف
حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة
الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة
وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على أدبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه
من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال
فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة
وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في كتابهم
وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا
لان اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار القلب
بمعنى سول له امر اوقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف
المضاف اى كيد الشيطان وأملى لهم ومد لهم في الامانى والامال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم
بالعقوبة وقرئ املى لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال
او للاستئناف وقرئ املى لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما
ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل اذ ليس شيء منهما مسببا
عن القول الاتى وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اى بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين المذكورين
لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في التورية كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب
هذا القول ولو فرض صدوره عنهم كان المقول لهم المنافقين او المشركين على راى القائل من جهة
لعندهم للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله
مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى
سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان
قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي
اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم
فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم
أسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم جمع سر اى اسرارهم التى من جملتها قولهم هذا
والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الاخرة والفاء في قوله تعالى فكيف
اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل
في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع
على انه خبر لمبتدا محذوف اى فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه ماض او
مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفتهم او من مفعوله

مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهوال الوجوه وافظعها وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية
الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفى الهائل بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله
من الكفر والمعاصى وكرهوا رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد
الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك أعمالهم
التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التى لو عملوها حال الايمان
لانتفعوا بها ام حسب الذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا
بوصفهم السابق لكونه مدار النعى عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم وام
منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها
والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه
لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم
مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لأريناكهم
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة
لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها وعن انس رضى الله عنه ما
خفى على رسول الله بعد هذه الاية شىء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض
الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه
كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب
المعرفة على الاراءة واما ما فى قوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن
القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام
عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان
بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو
اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو باسكون
الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه
من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام فى التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات
ونزل عليه من الايات وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم
شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف
لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اى مكايدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تعالى
ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل
على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله فى اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا
تضعفوا وتدعوا الى السلم اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح حذرا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز

أم على قلوب أقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من
التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب
اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف
حالها ولا يقادر قدرها في القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة
الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة
وقرئ اقفالها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على أدبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه
من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال
فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة
وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في كتابهم
وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا
لان اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المحقق لاستمرار العقب
يعني سول له امراح او وقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف
المضاف اى كيد الشيطان وأملى لهم ومد لهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم
بالعقوبة وقيل املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال
او للاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما
ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا
من القول الآتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بأنهم اى بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين
لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في التورية كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب
هذا القول ولو فرض صدوره عنهم كان المقول لهم المنافقين او المشركين على راى القائل من حيث
تعنتهم للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله
مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى
سنطيعكم في بعض الأمر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان
قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذين
اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم
فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم
إسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم جمع سر اى اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا
والجملة اعتراض لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى فكيف
إذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل
في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع
على انه خبر لمبتدا محذوف اى فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه ماض او
مضارع قد حذف احدى تاءيه يضربون وجوههم وأدبارهم حال من فاعل توفتهم او من مفعوله

مقرر ح

مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية
الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بأنهم اى بسبب انهم اتبعوا ما أسخط الله
من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد
الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فأحبط لاجل ذلك أعمالهم
التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان ن
لانتفعوا بها أم حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا
بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى أن لن يخرج الله أضغانهم فأم
منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها
والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه
لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم
مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لأريناكهم
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة
لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما
خفي على رسول الله بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض
الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه
كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب
المعرفة على الاراءة واما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن
القول نحوه واسلوبه وامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام
عن سمت الصواب والله يعلم أعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان ن
بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو
أخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون
الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه
من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات
ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم هم
شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف
لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط أعمالهم اى مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى
ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم
بما ابطل هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل
على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا
تضعفوا وتدعوا إلى السلم اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح حذرا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز

ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهى ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارموا الصيد وترامو وتنازلوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد به صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه وعند قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى **وانتم الاعلون** جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتها وكذا قوله تعالى **والله معكم** فان كونهم الاغلبين وكونه عز وجل ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ولن يتركم اعمالكم** اى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد واخ او حميم فافردته منه من الوتر الذى هو الفرد عبر عن ترك الاثابة فى مقابلة الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شئ معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة الحقوق واتلافها وقد مر فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم **انما الحيوة الدنيا لعب ولهو** لا ثبات لها ولا اعتداد بها **وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم** اى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون **ولا يسألكم اموالكم** بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم **ان يسألكموها** اى اموالكم **فيحفكم** اى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله **تبخلوا** فلا تعطوا **ويخرج اضغانكم** اى احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان **ها انتم هؤلاء** اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى **تدعون لتنفقوا فى سبيل الله** استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى ها انتم الذين تدعون تفيد توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرها **فمنكم من يبخل** اى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة **ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه** فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى **والله الغنى** دون ما عداه **وانتم الفقراء** فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى **وان تتولوا** عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى **يستبدل قوما غيركم** يخلق مكانكم قوما آخرين **ثم لا يكونوا امثالكم** فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفس محمد بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروى عن انس بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظم شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتفق له عليه السلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وعن قتادة ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوهم الصلح وقد روى انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال بل هو اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح **فتحا مبينا** بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى **ليغفر لك الله** غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الاخرى مترتبة على صفة من صفاته تعالى **ما تقدم من ذنبك وما تأخر** اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل **ويتم نعمته عليك** باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية **ويهديك صراطا مستقيما** فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل **وينصرك الله** اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى **نصرا عزيزا** اى فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه **هو الذى انزل السكينة** بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة اى انزلها **فى قلوب المؤمنين** بسبب الصلح والامن اظهارا

اعظم ح

صلى الله عليه وسلم

غير حيثية

لتفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل
فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرايع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية
واليوم الاخر عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلوة والزكوة
ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد
ذلك ايمانا الى ايمانهم **ولله جنود السموات والارض** يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض
تارة ويوقع بينهم السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح **وكان الله عليما**
مبالغا فى العلم بجميع الامور **حكيما** فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى **ليدخل المومنين والمومنات**
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات
والارض من معنى التصرف والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك
ويشكروها فيدخلهم الجنة **ويكفر عنهم سيئاتهم** اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى
الذكر على التكفير مع ان الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلوب الاعلى
وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير **عند الله فوزا عظيما** لا يقادر قدره لانه منتهى
ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة فى الاصل
فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى فى علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين
على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب **الظانين بالله ظن السوء** اى ظن
الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمومنين فهو حايق بهم ودايرة عليهم وقرى دايرة السوء بالضم
وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شى
واما المضموم فجار مجرى الشر **وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم** عطف لما استحقوه فى
الاخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة للسببية فانهما
قيلهما لما بعدهما للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها
لبعض **وساءت مصيرا** اى جهنم **ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما**
اعادة لما سبق قالوا فايدتها التنبيه على ان لله تعالى جنودا للرحمة وجنودا للعذاب وان
المراد هنا جنود العذاب كما ينبى عنه التعرض لوصف العزة **انا ارسلناك شاهدا** اى على امتك
لقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا **ومبشرا** على الطاعة **ونذيرا** على المعصية **لتومنوا بالله**
ورسوله الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والامة **وتعزروه** تقووه بتقوية دينه ورسوله **وتوقروه**
وتعظموه **وتسبحوه** وتنزهوه وتصلوا له من السبح **بكرة واصيلا** غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى
صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرى الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرى وتعزروه
بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرى بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره **ان الذين يبايعونك** اى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى
انما يبايعون الله يعنى ان مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة
اوامره ونواهيه وقوله تعالى **يد الله فوق ايديهم** حال او استيناف موكد له على طريق التخييل
والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع

عليهم دايرة السوء اى ما يظنون ويتربصون بالمومنين خ

يطع الرسول فقد اطاع الله وقرى انما يبايعون لله اى لاجله ولوجهه **فمن نكث فانما ينكث على**
نفسه اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرى بكسر الكاف **ومن اوفى بما عاهد**
عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرى بكسرها
اى ومن وفى بعهده **فسيوتيه اجرا عظيما** هو الجنة وقرى بما عهد وقرى فسنوتيه بنون العظمة
سيقول المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والذين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفرهم من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا
معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه
عن البيت واحرم صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج
وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى
اليه عم سيعتلون ويقولون **شغلتنا اموالنا واهلونا** اذ لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم
ويحميهم من الضياع وقرى شغلتنا بالتشديد للتكثير **فاستغفر لنا** الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار **يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم** بدل منه او استيناف
لتكذيبهم فى الاعتذار والاستغفار **قل** ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم **فمن يملك**
لكم من الله شيئا اى فمن يقدر لاجلكم من مشية الله وقضائه على شى من النفع **ان اراد بكم ضرا**
اى ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر
عنهما وقرى ضرا بالضم **او اراد بكم نفعا** اى ومن يقدر على شى من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم
من حفظ اموالكم واهليكم فاى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد
لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة
والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى **بل كان الله بما تعملون خبيرا** فانه اضراب عما قالوا وبيان
لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اى ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون
من الاعمال التى من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى **بل ظننتم** الخ بدل من كان
الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اى بل ظننتم **ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا**
بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا
لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير
تاء التانيث واما الاهالى فاسم جمع كالليالى وقرى الى اهلهم **وزين ذلك فى قلوبكم**
وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرى زين على البناء للفاعل باسناده
الى الله سبحانه او الى الشيطان **وظننتم ظن السوء** المراد به اما الظن الاول والتكرير للتشديد
التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة
رسالته صلى الله عليه وسلم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال **وكنتم قوما**
بورا اى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع باير كعايذ وعوذ او فاسدين
فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك بناء ومعنى ولذلك وصف به
الواحد والجمع والمذكر والمونث **ومن لم يومن بالله ورسوله** كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل
فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اى ومن لم يومن بهما كدأب هولاء المخلفين **فانا**

أعتدنا للكافرين سعيرا اى لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان
بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير السعير للتهويل او لانها نار مخصوصة
ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء **يغفر لمن يشاء** ان يغفر له **ويعذب**
من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد فى شئ منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة
فى استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم **وكان الله غفورا رحيما** مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يشاء
ولا يشاء الا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن بالله ورسوله واما من عداه من الكافرين فهو بمعزل
من ذلك قطعا **سيقول المخلفون** اى المذكورون وقوله تعالى **اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها**
ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر حسبما وعدكم اياها
وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة **ذرونا نتبعكم** الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها
يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا فى الغنائم التى خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام
رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم فى سنة سبع ثم غزا
خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم
الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة
لا قوله تعالى لن تخرجوا معى ابدا فان ذلك فى غزوة تبوك **قل** اقناطا لهم **لن تتبعونا** اى لا تتبعونا
فانه نفى فى معنى النهى للمبالغة **كذلكم قال الله من قبل** اى عند الانصراف من الحديبية **فسيقولون**
للمؤمنين عند سماع هذا النهى **بل تحسدوننا** اى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم
فى الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى **بل كانوا لا يفقهون** اى لا يفهمون **الا قليلا**
الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد وادهى
من الجهل المفرط وسوء الفهم فى امور الدين **قل للمخلفين من الاعراب** كرر ذكرهم بهذا العنوان
مبالغة فى ذمهم **ستدعون الى قوم اولى باس شديد** هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم
ممن ارتد وابعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون لقوله تعالى **تقاتلونهم او يسلمون**
اى يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم
فينتهى قتالهم بالجزية كما ينتهى بالاسلام وفيه دليل على امامة ابى بكر رضى الله عنه اذ لم يتفق هذه
الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك فى عهد النبوة وقيل يختص دوام
نفى الدعوة الاتباع بما فى غزوة خيبر كما قاله محيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون
فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية **فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا** هو
الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة **وان تتولوا** عن الدعوة **كما توليتم من قبل** فى الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا**
على المريض حرج اى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على
الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة
الرخصة **ومن يطع الله ورسوله** فيما ذكر من الاوامر والنواهى **يدخله جنات تجرى من تحتها**
الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة **ومن يتول** اى عن الطاعة **يعذبه** وقرئ بالنون **عذابا اليما**
لا يقادر قدره **لقد رضى الله عن المؤمنين** هم الذين ذكر شانهم ومبايعتهم ولهذه الآية سميت بيعة

لتحوزوها

تولونهم

كان ح

من ح

بيعة الرضوان وقوله تعالى **اذ يبايعونك تحت الشجرة** منصوب برضى وصورة المضارع لاستحضار
صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روى انه صلى الله عليه وسلم لما
نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعى رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث
عثمان بن عفان رضى الله عنه فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما
لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول
الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم
ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا
ولا يفروا وروى على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم
خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة
وقوله تعالى **فعلم ما فى قلوبهم** عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على
رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم
له عليه السلام **فانزل السكينة عليهم** عطف على رضى اى فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون
النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح **واثابهم فتحا قريبا** هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية
كما مر تفصيله وقرئ واتاهم **ومغانم كثيرة ياخذونها** اى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب
لتشريفهم فى مقام الامتنان **وكان الله عزيزا** غالبا **حكيما** مراعيا لمقتضى الحكمة فى احكامه
وقضاياه **وعدكم الله مغانم كثيرة** هى ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة **تاخذونها** فى اوقاتها
المقدرة لكل واحدة منها **فعجل لكم هذه** اى غنائم خيبر **وكف ايدى الناس عنكم** اى ايدى
اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب
فنكصوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح **ولتكون آية للمؤمنين** امارة يعرفون صدق الرسول
فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام
واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما يتعلق به
علة اخرى محذوفة من احدى الفعلين اى فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ
فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة **ويهديكم** بتلك الآية **صراطا مستقيما**
هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تاتون وما تذرون **واخرى** عطف على
هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى **لم تقدروا عليها** وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين
ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قيل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى
قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد
بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل
حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها
اى وقضى الله اخرى ولا ريب فى ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها فى جملة المغانم
الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة فى
بيان تعجيلها **وكان الله على كل شئ قديرا** لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشئ دون شئ
ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر **لولوا الادبار** منهزمين

وفيه ح

تها

ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التى قد خلت من قبل اى سن الله غلبة
انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تغييرا وهو الذى كف ايديهم
اى ايدى كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اى فى داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك
ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة ان مكة فتحت
عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام
وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام
والهدى بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف
اى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى معكوفا حال من الهدى اى محبوسا
وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدى او منصوب بنزع الخافض اى محبوسا من ان
يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية
من الحرم وروى ان خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه
صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان
تطؤهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب فى تعلموهم فتصيبكم
منهم اى من جهتهم معرة اى مشقة ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم
وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره اذا عراه ودهاه
ما يكره بغير علم متعلق بان تطؤهم اى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام
عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك
مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف ف
كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة
بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الامن
مستضعفين تحت ايدى الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة
لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال
لهم فى الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب فى الاسلام من المشركين ويأباه
قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة
بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ
لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم والجملة
مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على
الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم
بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى فى قلوبهم الحمية اى الانفة
والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة
راسخة فى قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من

من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف
على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء
صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل
الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك
على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتب بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم
لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم
قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله
ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عم اكتب م
اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا
وحلموا والزمهم كلمة التقوى اى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله
وقيل كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى
واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل
للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها المستأهل لها وكان الله بكل شئ عليما
فيعلم حق كل شئ فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله
بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام
فنزلت اى صدقه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه كما فى قولهم صدقنى سن بكره وتحقيقه اراه
الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق
اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه او حال من
الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذى هو
من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على
الاول جواب قسم محذوف اى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة
لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هى حكاية لما قاله
ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله صلى الله عليه وسلم لاصحابه آمنين
حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلق
بعضكم ومقصر آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال
مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك
فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بامر حادث بعد المعطوف
عليه اى فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد
بالصدق علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اى من دون تحقق مصداق ما اراه من

دخول المسجد الحرام آمنين الخ فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير
تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حيثما تكون ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله
تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه
الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على ارادة الرؤيا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي
ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس
الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة
بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان
اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس
المؤمنين على انه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه
فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته صلى الله عليه وسلم
باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت
اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره
والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء
بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة
ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة لقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر قوله
تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات
وهو على الاول خبر آخر او استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا
ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف
مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل
يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان
وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى
من اثر السجود حال من المستكن في الجار وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله لا تعلموا صوركم اي لا تسموها
انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق
والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله تعالى عز وجل وكان الامام
زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت
كثرة سجودهما في مواضعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر
وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور
وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ قال ع م من كثر صلاته بالليل ح
من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو
مبتدأ خبره قوله تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله
تعالى في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على

على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة
تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الخ تمثيل مستأنف اي هم كزرع اخرج فراخه
وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان
الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بنقل حركة الهمزة
وتخفيفها وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا
فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزره
بالتشديد اي شد ازره وقواه وقوله تعالى فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على
سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن بالزرع
منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا يوما
واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما
يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا الله عليه وسلم
ما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى اشد غيظا
الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير ع
يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان
بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان
ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان
يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى
تعميمه والاول اولى بمقتضى المقام لما ان النهي عن التلبس بنفس الفعل موجب لانتفائه بالكلية
مستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم
ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى
التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا الله عليه وسلم
امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان
بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزلت فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى
الله عليه وسلم في تأمير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من
الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن
حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع ع
في النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ

والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اى لا تبلغوا باصواتكم
وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا
كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من
صوته عليه السلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة
المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة عن ابن عباس لما نزلت
هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن
عمر رضى الله عنه كان يكلم النبى عليه السلام كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضى الله عنه اذا قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة
والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهى
اى لا تجهروا خشية ان تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهى اى لا تجهروا
لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل
كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف
والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى اثناء المحاورة من الرفع
والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام
لما كان منكرا محضا لم يقيد بشىء ولا يتناول النهى رفع الصوت فى حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو
ذلك وعن ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت وربما
كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس رضى الله عنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده
صلى الله عليه وسلم فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى
رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير
وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما روى عن الحسن من انها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون
اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص وانتم
لا تشعرون حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه
وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد
الترهيب عن الاخلال به اى يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهى اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها
للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام
صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل
التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضى الله عنه اذهب عنها الشهوات لهم فى الآخرة مغفرة
لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة
او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك

اوكراهة ان تحبط
النص
بخيره
عنده
عظيم

من وراء الحجرات اى من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت
من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بخلاف ما لو قيل ينادونك
وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة
بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة
والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعضهم
من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكون قد ناداه من وراء
الحجرة التى كان صلى الله عليه وسلم فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذى ناداه
عيينة بن حصن الفزارى والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين
رجلا وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى الكل لانهم
رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما
تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو تحقق صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها
التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى انك قائم وحتى تفيد ان
الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشىء فى نفسه ولذلك تقول
اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار
بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اى
الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر
فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق
ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
اى فتعرفوا وتفحصوا روى انه صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه
مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع
وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم صلى الله عليه وسلم بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وفى ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض
المواد وقرئ فتثبتوا اى توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا قوما
بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم فى حقهم
نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما فى حيزها ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من قوله
تعالى لو يطيعكم فى كثير من الامر فانه حال من احد الضميرين فى فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله
كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة كذلك وهى انكم تريدون ان يتبع
رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زين

الله عليه وسلم
هوم
م

لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رأيهم
واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم
لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب
الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة
على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل
على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي
يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك
بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى
بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر
استمراره فينبغي ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد بالاستمرار الطاعة استمرارها وتجددها
بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة
ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة
في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها
حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر في كثير
من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في
الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت
ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني
لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين ولو لم يستمر امتناعها
بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان اللائق بالاخبار ولاهو
بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب
ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا
على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس
او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على الاستمرار نفي الحزن
عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس
حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد
للخطاب وتوجيه له الى ان بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم من اوصاف الاولين
واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه
فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى
انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين
كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان و
كراهتكم الكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون
الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكاة

تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره
وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ
في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء
الى حكم الله تعالى فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال
حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما
عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه
بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله
عليه وسلم
يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله
بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب
ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد
هو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة
الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب
الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك
بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ
بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم
به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر
اي منكم
قوم من قوم اخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه
اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام
على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في الفريقين مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما
للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد
الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء من
يد
المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية
في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال والاوضاع والاطوار التي عليها يدور
امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله
اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن
عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل
عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا
فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه
واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا
بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين

ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار
اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا
اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن
لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم
والدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك
هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ظن حتى
يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن
الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء
بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب
او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة
من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من
الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى
الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته
ولتقاربهما يقال لمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من
تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تذكر اخاك
بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره
عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون
شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك
وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للآكل
ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على
الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا
الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول
التوبة واضافة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل
يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان
فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال صلى الله عليه وسلم انكما اغتبتما
فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب
وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق بتقرير

الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى
اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ و
الفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب
فلا يعتزي احد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب
وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب
المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان
فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا نتفاخر
بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص
هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله ورجل
فاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم
بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال
والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه صلى الله عليه وسلم
ما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم
يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه
النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز عن
النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه
تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا ولكن قولوا اسلمنا حال عدم
مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان
تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من
اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقيل لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من
النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع
التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم
الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل كما في قوله تعالى و
جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة
والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف
الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية
جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزلت لتكذيبهم قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم
اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات

ثم استقاموا
اي و

وما في الارض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى **والله بكل شيء عليم** تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم **يمنون عليك ان اسلموا** اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن **قل لا تمنوا علي اسلامكم** اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنزع الخافض **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان** على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم **ان كنتم صادقين** في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى كونه ايمانا وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم **ان الله يعلم غيب السموات والارض** ما غاب فيهما **والله بصير بما تعملون** في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس والكلام فيه كالذي في مطلع سورة ص **بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم** اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للتنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه من وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا بالغاية في الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله تعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا **ءاذا متنا وكنا ترابا** تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي حين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار **ذلك** اشارة الى محل النزاع **رجع بعيد** اي عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فيكون ناصب الظرف ما ينبئ عنه المنذر من البعث **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم **وعندنا كتاب حفيظ** حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده **بل كذبوا بالحق** اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة **لما جاءهم** من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث **فهم في امر مريج** اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن **افلم ينظروا** اي اعقلوا او عموا فلم ينظروا **الى السماء فوقهم** بحيث يشاهدونها كل وقت **كيف بنيناها** اي رفعناها بغير عمد **وزيناها** بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع **وما لها من فروج** من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل **والارض مددناها** اي بسطناها **والقينا فيها رواسي** جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها **وانبتنا فيها من كل زوج** من كل صنف **بهيج** حسن **تبصرة وذكرى** علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا **لكل عبد منيب** اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى **ونزلنا من السماء ماء مباركا** اي كثير المنافع شروع في كيفية بيان انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده **فانبتنا به** اي بذلك الماء **جنات** كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار **وحب الحصيد** اي حب الزرع الذي شأنه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات **والنخل** عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل **باسقات** اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف **لها طلع نضيد** اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **رزقا للعباد** اي لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق **واحيينا به** بذلك الماء **بلدة ميتا** ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت

وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة
بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة
المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم
بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى
بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى
لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استئناف
وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب
الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عم وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد
وفرعون اى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عم واصحاب
الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عم غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم فى سورة الدخان
كل كذب الرسل اى فيما ارسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى اجمعوا عليه قاطبة
اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسلهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد
الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار
بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على
تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على
التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى
كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول
استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالامر العجز
عنه يقال عى بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر
ينبئ عنه العى من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم
عجزنا عن الاعادة بل هم فى لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل
هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من
مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه
حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما
تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما
ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم
بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته للبيان
والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه
وقيل سمى وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب من معنى الفعل
والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى
الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما لا يخفى عليهما
وانما ذلك لما فى كتبهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد

بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات
والرغبة فى الحسنات وعنه صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما
وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقى
الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون
به عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد
كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قول من قال
رمانى بامر كنت منه ووالدى • بريئا ومن اجل الطوى رمانى
وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما
يلفظ من قول ما يرمى به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب
ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال
ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما
رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اى معد مهيا
لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه لهذا توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول
بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى
انينه فى مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عم كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل
حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازاحة
ذلك ببيان ما يحقق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك
ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن
وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء اما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة
الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله وحقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتى
فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ
سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب
زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة
للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد اى تميل وتنفر عنه والخطاب
للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ فى الصور النفخة الثانية ذلك
اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا
او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان
المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع
انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس

ن

عن يسارى ر

ح

قد

البر والفاجر معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس
عملا اي معها ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد بعمله او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل
معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو
في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس والجر على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من
هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ
مما قبله كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما انه ما
من احد الا وله غفلة ما من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث
النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث • يا نفس انك باللذات
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف
في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا
ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى
ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها
وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمحذوف القيا في جهنم كل كفار
خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل
منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله • فان تزجراني يا ابن عفان انزجر • وان تدعاني احم
او على ان الالف بدل من نون التوكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون
الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير
الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك
في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره فالقياه
في العذاب الشديد او بدل من كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره
فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في
حكاية التقاول لانها جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه منبئ عن
سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان
اليه بخلاف الجملة فانها واجب العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول
اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من
الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل
فماذا قال الله تعالى فقيل قال تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا
فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة
رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها
تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه

الغطا الحجاب المغطي لامور المعاد والغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها م

وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون قد
واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون بالوعيد متعلق بمحذوف هو حال من
المفعول او الفاعل اي ~~وقد قدمت اليكم هذا القول حال من المفعول او الفاعل اي~~ وقد
قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان
ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو
تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه
الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق
له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه انفا وما انا بمعذب للعبيد
بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما
يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من
التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم
لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل
من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد
اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها
من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او لانها من غيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء
والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون
ذلك اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال
ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء
النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ
قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون
المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تاكيد للازلاف اي
مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير
لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث اولتاويل الجنة بالبستان
هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال
لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه لانها من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما
راى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و
رسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هي اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت
وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من
المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب
اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل
هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه
الله من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف

اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لانه من لا يوصف به الا الاب الذي او صفة اخرى ادخلوها بتاويل
يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من قوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غايب عنه
او هو غايب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه
راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله
تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان
العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين
بسلامة من العذاب وزوال النعيم او بسلام من جهته تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان
الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن
من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول
او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم
من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب
تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا
قبلهم اي قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابهم فنقبوا في البلاد
اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت
واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم
اقدرتهم على التنقيب قيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم اذ قدرتهم على التنقيب قيل
هي عاطفة في المعنى كانه قيل فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي ما لهم من مخلص من
امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل
من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف وارد
لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم في بلاد القرون فهل راوا
لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من
النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في
ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب
اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك
يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الاثار من غير تذكير او القى السمع
اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما
يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب
كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب
وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه
مما لا يفي به القوى والقدر من لغوب من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة
اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت

السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اي ما
يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه
الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه
وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها
الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به
عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما
مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر
وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل
العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك
من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم يناد المناد اي اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام
فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه
الى الكل على السواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم
يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم
يناد الخ وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله
تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من
القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في
الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من
تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك
حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى
نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الايات الناطقة وغير ذلك مما لا خير فيه وما
انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم ويستدعيه اعمالهم
من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه
تارات الموت وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال
فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول
بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب
الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر
محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق
وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد ويجوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا

لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو وهي تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري
في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات
مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي
لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري
به باسطة الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين
لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون
الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على
البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى و
الدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات
الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل
والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة
التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين
الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك
بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم
والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام
تارة شاعر واخرى ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي
هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول
الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات وتباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك
عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد
وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على
معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي افك الناس وهم قريش حيث
كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما
اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا
صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل
الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان
يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء
وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب السؤال الذي يقع يوم هم على النار يحرقون
ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو يومهم الخ والفتح لاضافته الى غير
متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول المضمر وقوله تعالى
هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون
به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ان
المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين

قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول انهم كانوا
قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من
الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا
يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة
لمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على
الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم
واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة
ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية فيه
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي هم مع قلة هجوعهم يداومون على
الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم
الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم
حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل
والمحروم اي للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات
للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد
وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر
وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار
واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر
لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في
العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكين من الافعال البديعة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع
الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم
اي اسباب رزقكم وتقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما
توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة
في السماء وقيل انه مبتدأ خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما
على الاول فالضمير لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم
تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحال من
المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على
الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة
ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم
لشأن الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه
ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم فكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم
جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا

والضيف ؛

في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين
عند الله تع او عند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف
من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابرهيم
سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدا لقصد الثبات والدوام حتى يكون تحيته عم
احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم
عم للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم
خلاف ما عليه ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به
جهرا وسالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام
لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف
ان يبادر بالقرى ويبادر به حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفا في قوله
فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال
سرعة المجي بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فذبح عجلا
فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تاكلون انكارا لعدم
تعرضهم للاكل فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه
انهم ملئكة جاؤا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عم العجل بجناحه فقام يدرج حتى
لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم بغلام
هو اسحق عم عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها
وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية
ان حمل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحيا لما
انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت
عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال
ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عم قال لها انظري الى سقف بيتك
فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عم
ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفا بما ذكر هناك كما لم يذكر هناك سارة
اكتفا بما ذكر ههنا وفي سورة هود قال اي ابرهيم عليه السلام لما علم انهم ملئكة ارسلوا
لامر فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا
عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل
مسومة مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله
في سورة هود عند ربك للمسرفين اي المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ
حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى
بين الملئكة وبين ابرهيم عليه السلام من الكلام والفا فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت

الجزء السابع والعشرون

حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك
الخ من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن امن
بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان
لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرية آية علامة دالة على ما
اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون ن
العذاب الاليم اي من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من
ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية وفي موسى عطف على قوله
وفي الارض او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها
تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت
ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة
فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان بدواز ور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما ح الركن ح
يتقوى به من ملكه وعساكره فانه اسم لما يركن اليه الشي وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر
اي هو ساحر او مجنون كانه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة وتردد في انه حصل
باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على
غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي
آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد
اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقيم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن
خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شي اتت
عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك
وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال
لهم صالح عم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما رأوا العلا مات
ئم التي بينها صالح عم من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه
الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا في الانطاع فاتتهم
الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما
استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم
يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان
يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه ٥
من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود
فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء وما بينها وبين الارض
او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي
نحن ومن كل شي اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء

والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اى
فعلنا ذلك كله كى تتذكروا فتعرفوا انه خالق لكل شئ ورازقه وانه المستحق للعبادة
وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول
خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكى من
اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم ان
كان الامر كذلك فاهربوا الى الله تعالى الذى هذه شؤونه بالايمان والطاعة كى تنجوا
من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم
تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى انى لكم منه نذير مبين
تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه تعالى
موجب عليه عليه السلام ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اى انى لكم من جهته تعالى
منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب ان يحذر منه من العذاب المنذر به وفى امره تعالى
للرسول صلى الله عليه وسلم بان يامرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من
جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله
تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من
نفسه كما يشعر به قوله تعالى انى لكم منه اى من الجعل المنهى عنه نذير مبين فان تعلق كلمة
من بالانذار ربما كون صلته اليها بتضمينه معنى الانذار يقال فر منه اى هرب والفرار عنه كانه قيل
وفروا ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار
من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك
اى الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى
الذين من قبلهم الخ تفسير اى ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا فى حقه ساحر
او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما بعدها بالنافية فيما
قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد
تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اى اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا
عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك
واثبات لكونه امرا اقبح من التواصى واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور
تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم
بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم
الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ
كل حد معهود وذكر اى فعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف
الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين
آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه
الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على

على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم
استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب
الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا
كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها
بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل
بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من افعاله تعالى
بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق
معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام
واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن
البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى
وتاخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرا وما خلقت الجن
والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى الا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه
عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن
المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة صلة
بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
بيان لكون شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم
ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم
بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى
ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه وقرئ انى
انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر وقرئ
بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد فان للذين ظلموا اى ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل
مكة ذنوبا اى نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم
المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء فلا
يستعجلون اى لا يطلبوا منى ان اعجل فى المجئ به يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره
بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب ت
لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم
على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك من
قوله تعالى من يومهم الذى يوعدون للتفصيل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل

يوم القيمة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث
انه في العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والذاريات اعطاه الله عشر
حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا سورة الطور وهي اربعون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عم كلام الله تعالى
وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به
القرآن او الواح موسى عم وهو الانسب بالطور او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد
الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما
ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح
وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولا يخفى
حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى
واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار
جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر
ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد
وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال
علمه وحكمته الدالة على احاطته بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره
التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية
الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل
هو تحرك في تموج وقيل هو الدوران والسماء الفلك اي تدور كدوران الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف
اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما
للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك
كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ
يقع ذلك لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون
يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى
اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا
حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه
النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق
وقوله تعالى أفسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن
الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم
لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا
على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم
اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون

سبع م

تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع ان
المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم
مخصوصة بالمتقين على ان التنوين للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وعلى
ان الجار والظرف لغو متعلق بالجار ح خبر ان ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على
ان ما مصدرية او على في جنات او حال باضمار قد اما من المستكن في الجار او الحال واما من فاعل
آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موضع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل
كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي
لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او مقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما
كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى الصفة بالتاويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء
لما في التزويج ما ينعقد بنفسه من معنى الوصل والالصاق والسببية اذ المعنى صرنا
ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا
كلام مستانف سيق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم
ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على
آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في
الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل
اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم ليتناول في الكثرة وقرئ واتبعتهم ذرياتهم بكسر التاء وقرئ واتبعناهم
ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ الحقنا بهم ذرياتهم اي في الدرجة
كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا
دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وما التناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم
من ثوابه من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنقص مثوبتهم وتحط درجتهم وانما رفعناهم
الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم
والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من آلت يؤلت ولنناهم من لان
يلين والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور
وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان
المؤمنين وقوله تعالى واتبعناهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان
عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا
عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية
كانه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين
قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه
والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام
فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الآباء
شيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم

والبياج

هم

هم

ن

من صنوف النعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء وألوان الالاء **يتنازعون فيها** أي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع **كأسا** أي خمرا تسمية لها باسم محلها **لا لغو فيها** أي في شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام **ولا تأثيم** ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح **ويطوف عليهم** أي بالكأس **غلمان لهم** أي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم **كأنهم لؤلؤ مكنون** مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** أي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤولا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا **قالوا** أي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة **إنا كنا قبل** أي في الدنيا **في أهلنا مشفقين** أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة **فمن الله علينا** بالرحمة والتوفيق للحق **ووقانا عذاب السموم** عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد **إنا كنا من قبل ندعوه** أي نعبده ونسأله الوقاية **إنه هو البر** المحسن **الرحيم** الكثير الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لأنه **فذكر** فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل **فما أنت بنعمة ربك** بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل **بكاهن ولا مجنون** كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع أي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر **قل تربصوا فإني معكم من المتربصين** أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة بإهلاكهم **أم تأمرهم أحلامهم** أي عقولهم **بهذا** أي بهذا التناقض في المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الأمور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق محكم فكيف يجمع أوصاف هؤلاء في واحد وأمر الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إليه **أم هم قوم طاغون** يتجاوزون في المكابرة والعناد ولا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم **أم يقولون تقوله** أي اختلقه من تلقاء نفسه **بل لا يؤمنون** فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل التي لا يخفى على أحد بطلانها فكيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم **فليأتوا بحديث مثله** مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى **إن كانوا صادقين** فيما زعموا فإن

صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك **أم خلقوا من غير شيء** أي أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شيء من عبادة وجزاء **أم هم الخالقون** لأنفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه **أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون** أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته **أم عندهم خزائن ربك** أي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا أو عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره **أم هم المسيطرون** أي الغالبون على الأمور يدبرونها كيف شاؤوا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء **أم لهم سلم** منصوب إلى السماء **يستمعون فيه** صاعدين إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الأمور التي يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة **فليأت مستمعهم بسلطان مبين** بحجة واضحة تصدق استماعه **أم له البنات ولكم البنون** تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية والالتفات إلى الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ **أم تسألهم أجرا** رجوع إلى خطابه عليه السلام وإعراض عنهم أي بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة **فهم** لأجل ذلك **من مغرم مثقلون** محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك **أم عندهم الغيب** أي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب **فهم يكتبون** ما فيه حتى يتكلموا في ذلك نفيا أو إثباتا **أم يريدون كيدا** هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة **فالذين كفروا** هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أوليا **هم المكيدون** أي هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته **أم لهم إله غير الله** يعينهم ويحرسهم من عذابه **سبحان الله عما يشركون** أي عن إشراكهم أو عن شركة ما يشركونه **وإن يروا كسفا** قطعة **من السماء ساقطا** لتعذيبهم **يقولوا** من فرط طغيانهم وعنادهم **سحاب مركوم** أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب **فذرهم حتى يلاقوا** وقرئ حتى يلقوا **يومهم الذي فيه يصعقون** على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حيا ولأن قوله تعالى **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا** أي شيئا من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه في أمره عليه السلام من الكيد الذي من جملته

من التزام غرامة فادحة

ما اصابهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجدي في دفع الكيد والحيل وقيل هو يوم
موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه من الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من
جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من
قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اى قبله وهو
القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذا من دونها وهو دونها وهو عذاب
القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا
واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة
الهموم فانك باعيننا اى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير
والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك
على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطا اى قل حين
تقوم من مجلسك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وفي قوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل
بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا كما يلوح به تقديمه على الفعل
وادبار النجوم اى وقت ادبارها من اخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل
صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى في اعقابها اذا غربت
او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه
من عذابه وان ينعمه في جنته

سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله عنهما صلى الله حين تقوم من مقامك 3

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه
وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد
واما النجم من نجوم القران فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت
منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك اتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عم
عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين
فلان النجم شانه ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به
السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اى ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة
وما غوى اى وما اعتقد باطلا قط اى هو في غاية الهدى والرشد وليس مما يتوهمونه من الضلال
والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشان القران كما اشير اليه في مطلع سورة الزخرف
وتنبيه على مناط اهتدائه صلى الله عليه وسلم ومدار رشاده كانه قيل والقران الذي هو علم
في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد صلى الله عليه وسلم وما غوى والخطاب
لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة
واحاطتهم خبرا ببراءته صلى الله عليه وسلم مما نفي عنه بالكلية باتصافه بغاية الهدى والرشاد
فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي

سورة يس وحم

الهدى على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط
السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما
فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا
هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض النجم
الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا
ن يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اى وما يصدر نطقه بالقران عن هواه ورأيه اصلا فان
المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اى ما الذي
ينطق به من القران الا وحي من الله تعالى وقوله يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال
المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام
فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود فاصبحوا
جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة
اى حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه
الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى
عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ع احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا فطلع له جبريل
من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل
في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء
في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه رآه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل
استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من
فاعل استوى ثم دنا اى اراد الدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى اى استرسل من الافق
الاعلى مع تعلق به فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير
ها وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اى مقدار ما بينهما قاب قوسين اى مقدار
فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل مكان جبريل عم كما في قولك
هو مني معقد الازار او ادنى اى على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة
الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله
تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من
الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة اى فاوحى الله تعالى ح بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحي
اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد
اى فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى اى ما رآه ببصره من صورة جبريل عم اى ما قال فؤاده
لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب
اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اى اتكذبونه فتجادلونه
على ما يراه معاينة اوابعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو المجادلة

والجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرى أفتمرونه
اى افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل
افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى جحده **ولقد رآه نزلة أخرى** اى وبالله لقد رأى جبريل
فى صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من
الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر **عند**
سدرة المنتهى هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها
كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين
عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق
واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة
السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك
كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار
والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وعلا قال تعالى الى ربك المنتهى **عندها جنة المأوى**
اى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو
الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ظرف
زمانى لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان
بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل حين اى يأتينى
والاول هو الاليق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه
اى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفا ولا
كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة البديعة او للايذان باستمرار
الغشيان بطريق التجدد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها
وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله تعالى
حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك
وقيل يغشاها فراش وجراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا
قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر **ما زاغ البصر** اى ما مال
بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه **وما طغى** وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة
مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها وما
منها وجاوزها **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** اى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها
حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان
يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف
بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرى
بالتشديد اللات على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزبيب ويطعم الحاج وقيل كان يلت

تمريسيم ح

ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليها

يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما
مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله عز وجل وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز
كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها
بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلعم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل و
خزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اى تراق وقرى ومناءة
وهى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهى
المتأخرة الوضيعة المقدار وقد يجوز ان يكون الاولوية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم
كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا فقيل توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما
ذكر من شؤون الله تعالى مع المنافاة بينهما غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف
لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله
وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها
شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبرونى عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة
التى وصف بها رب العزة فى الآية السابقة وقيل المعنى أظننتم ان هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم
وقيل ظننتم انها تشفع لكم فى الآخرة وقيل أفرأيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها
لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى **ألكم الذكر وله الانثى** شهادة بينة فانه
توبيخ مبنى على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه
تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة
التى يبتنى بها التوبيخ الثانى عليه وظاهر ان ليس فى شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة
عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول
الاول لما ان الاصل اخبرونى ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اى تلك الاصنام
فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه
ساحة التنزيل عن امثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جانب الله العزيز
الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد الى الله سبحانه **تلك** اشارة الى القسمة المفهومة من الجملة
الاستفهامية **اذًا قسمة ضيزى** اى جائرة حيث جعلتم لربكم ما تستنكفون منه وهى فعلى
من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فى نعل بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف
وقرى ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرى ضيزى اما على انه مصدر
وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى **ان هى** الضمير للاسماء اى ما الاصنام باعتبار
الالوهية التى يدعونها **الا اسماء** محضة ليس تحتها مما تنبئ هى عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا
وقوله تعالى **سميتموها** صفة للاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا
جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى

معظمته عزوجل

وان نسبت الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق
ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها الاية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة
المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بان سلب دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة
للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق
جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية
انما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل
الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد
قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل
بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه
انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض
وايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من
اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب افتح
ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه مستند الا الى
توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان
كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الالهة ونظائرها
التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه
حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من
الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات والارض لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط
لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق
الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير
في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئا
من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا
له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر و
الطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة في
باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها من العقاب
على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق
اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه
وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة
واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها راسا وقوله تعالى وما لهم به
من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي
بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما

كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة
عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شان المعارف الحقيقية وانما يعتد به في
العمليات وما يؤدي اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتوصل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن
اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر
لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب
او المرهوب عنها ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته
والاعتناء بشانه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى
سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم
فيه من التولي وقصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره
حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق
باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير
والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن
اهتدى من من شانه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا
وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل
الامر بالاعراض عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال الفريقين عليه رمز الى انه تعالى
يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء وفيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي
صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا
اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله
فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال
من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي الذين اساؤا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من
الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا
بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل
واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن
اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء
بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني
وصيغة المضارع في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب
على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ
كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا
ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة

الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عقاباً وقيل عادة النفس الحين بعد
الحين والاستثناء منقطع إن ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل
لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة
المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد
المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب
العقاب عليه تعالى هو أعلم بكم أي بأحوالكم إذ أنشأكم في ضمن إنشاء أبيكم آدم عليه السلام
من الأرض إنشاء إجمالياً حسبما مر تقريره مراراً وإذ أنتم أجنة ووقت كونكم أجنة في بطون (بعلمها)
أمهاتكم على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها
اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله
تعالى فلا تزكوا أنفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة
باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر
كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا
الله تعالى على فضله ومغفرته هو أعلم بمن اتقى المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر
بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا
فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب والرياء وأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من
الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة
طاعة وذكرها شكر أفرأيت الذي تولى أي عن اتباع الحق والثبات عليه وأعطى قليلاً أي
شيئاً قليلاً أو عطاء قليلاً وأكدى قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أي الصلابة
كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعيره بعض المشركين وقالوا له تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل
عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص
بن وائل السهمي لما أنه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل في أبي جهل
كان ربما يوافق الرسول عليه السلام في بعض الأمور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم
الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلاً وأكدى والأول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى
أعنده علم الغيب فهو يرى الخ أي أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه
يوم القيامة أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أي وفى وأتم ما ابتلي به من
الكلمات أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر
على نار نمرود حتى إنه أتاه جبريل عليهما السلام حين ألقي في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك
فلا وعلى ذبح الولد وروي أنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى
الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر ألا تزر وازرة وزر أخرى
أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن
الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنه بدل مما في صحف موسى
أو الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل هو ألا تزر الخ والمعنى أنه لا يؤاخذ

أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام من سن سنة
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره
وقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب
النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء واستغفار الملائكة
عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة
للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعاً فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الإيمان
والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وإن كان بانضمام عمل غيره إليه وأن
مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى أي يعرض عليه ويكشف له
يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء ثم يجزاه أي يجزى الإنسان سعيه يقال جزاه الله
بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم
يفسر بقوله تعالى الجزاء الأوفى أو يبدل هو عنه كما في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا
وأن إلى ربك المنتهى أي انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً وقرئ
بالكسر على الابتداء وأنه هو أضحك وأبكى أي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وأنه هو أمات وأحيا
لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت
عنده بفعل الله تعالى على العادة وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى
تدفق في الرحم وتخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وأن عليه النشأة الأخرى
أي الإحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي أيضاً مصدر نشأه وأنه هو أغنى
وأقنى وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال وإفرادها بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى
وتحقيقه جعل الرضى له وأنه هو رب الشعرى أي رب معبودهم وهي العبور وهي أشد ضياء
من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيهاً له عليه السلام به لمخالفته إياهم في دينهم وأنه أهلك عاداً
الأولى هي قوم هود عليه السلام وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً
بعد قوم نوح وقرئ عاد لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها إلى اللام وعاد لولى بإدغام التنوين
في اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف وثمود عطف على عاداً لأن ما بعده لا
يعمل فيه وقرئ وثموداً بالتنوين فما أبقى أي أحداً من الفريقين وقوم نوح عطف عليه أيضاً
من قبل أي من قبل إهلاك عاد وثمود إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه
وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى
لا يكون به حراك ولا أثر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة والمؤتفكة هي قرى قوم لوط
ائتفكت بأهلها أي انقلبت بهم أهوى أي أسقطها إلى الأرض بعد ما رفعها على جناح جبريل إلى السماء
فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فبأي آلاء
ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن
عملك أو لكل واحد وإسناد فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه مع أن
صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون

كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الأول فقط كما في تداعوهم أي يدعونهم وقد تجرد عنه أيضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما في ما نحن فيه فإن المراد متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الأمور المعدودة الآلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضا نعم من حيث أنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الأولى هذا إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول عليه السلام والنذير بمعنى المنذر وأيا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى أزفت الآزفة إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة أي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله تعالى فإنه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية أفمن هذا الحديث أي القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المكذبة وأنتم سامدون أي لاهون أو مستكبرون من سمد البعير إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال

• رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا •

• فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا •

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للنفي والإنكار وارد على نفس البكاء والسمود معا وعلى الوجه الأول قيد للنفي والإنكار متوجه إلى نفس البكاء ووجود السمود والأول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الأمر وموجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع أي إذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فإنه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام أي وإن يروا آية من آيات الله تعالى

يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوي مستحكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو لا يستتب بقولهم في العناد والمكابرة ويرومون ما ساء برده وقرئ وإن يروا على البناء للمفعول من الإراءة وكذبوا أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا أهواءهم التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقوله تعالى وكل أمر مستقر استئناف مسوق لإقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه السلام مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار وقرئ بالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر ولقد جاءهم أي في القرآن وقوله تعالى من الأنباء أي أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أي وبالله لقد جاءهم كائنا من الأنباء ما فيه مزدجر أي ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وإدغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي للإغناء أو إنكار له والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما على الوجه الثاني منصوبة أي فأي إغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار فتول عنهم لعلمك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون أو باذكر والداعي إسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في قوله تعالى كن فيكون وإسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا إلى شيء نكر أي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر خشعا أبصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لأن العامل متصرف أي يخرجون من الأجداث أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والإفراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الأصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار مهطعين إلى الداع مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر أي صعب شديد وفي إسناد القول

المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشناعة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في
تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا
لفحوى قوله تعالى فما تغني النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح فكذبوا
عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد
تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء
عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي
ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة
تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون
وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي
هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه انى اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول
مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك
بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى
يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض
تغيير قضاء لحق المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين
لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف
النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله
تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل قدر ما اخرج او على
امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام
على ذات الواح واخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي
صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام
لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته واي نعمة واي رحمة ويجوز
ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا
وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على
خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى
نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر
على الاصل ومدكر بقلب التاء دالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم
وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد
يسرنا القرآن الخ جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من
قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على
ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة

كلكم

في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه
بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعد والوعيد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من
مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم
بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده
المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار
ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه
قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله
بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي
وانذاراتي لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا
اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او استمر
عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء
آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل
وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير
صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى
وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه
شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة
يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه
كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح
او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا
منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من
آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان
كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا
واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على
تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك
بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي
نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول ءالقي الذكر
اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر
كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون
غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه
والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة
عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله بطره على الترفع اصالح هو ام من كذبوه وقرئ
ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم

حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد
يوم القيمة ويأباه قوله انا مرسلوا الناقة فتنة لهم الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود
حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما
يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب
العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر
ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى
الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر
الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عم
فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش
اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة والشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر وهو آخر الليل
وقيل هو السدس الاخير منه اي ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك
اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط عم
بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا وكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم
لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط عم فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد
به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة
على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه
بالاستقرار ايماء الى ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم
ح من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من
الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها
لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء
بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى
كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا
ح فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا
يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعددا او مكانة من اولئكم الكفار
المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون
ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزبر
اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل ألكم براءة وامن من تبعات ما تعملون
من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى
أم يقولون نحن جميع منتصر اضراب عن التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات ۵

والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم
لغيرهم اي بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او
منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تع
سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر
اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او لارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد
كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت
سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفتها وقرئ سيهزم الجميع اي الله عز وعلا
بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه
والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي
لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين
من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى
في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر
بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي حرها والمها وسقر علم لجهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير
يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها
يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده
وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين
وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل
معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في
الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي
مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور
في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي
بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال
فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن ونهر اي انهار كذلك والا فراد
للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في
مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر
ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ۵

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل

ضرب منها ان القران قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد
في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية
وانكر عليهم كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القران فقيل **الرحمن علم القران**
لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على
سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد
اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من اثار الرحمة
الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل **خلق الانسان
علمه البيان** تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه
من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان
من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القران والجمل الثلاث
اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد **الشمس
والقمر بحسبان** اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات
السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب **والنجم** اي النبات الذي ينجم اي
يطلع من الارض ولا ساق له **والشجر** الذي له ساق **يسجدان** اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا
انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران اخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا
على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يذهب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا
الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء
الجملة الاولى من العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث
التقابل لان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال
السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل **والسماء رفعها** اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها
منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه
وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء **ووضع الميزان** اي شرع العدل وامر به بان وفر
كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت
السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القران وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا
معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن
وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم
وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم **ان لا تطغوا في الميزان** اي لئلا
تطغوا فيه على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان
او اي لا تطغوا على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول **واقيموا الوزن بالقسط** قوموا وزنكم بالعدل وقيل
اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب **ولا تخسروا الميزان**
اي لا تنقصوه امر بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران
الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتاكيدا للامر باستعماله والحث

بتوهم

مستحقه

والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره بفتح السين
ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها** اي خفضها
مدحوة على الماء **للانام** اي الخلق قيل المراد كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل
الثقلان وقوله تعالى **فيها فاكهة** الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون
الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن
ح ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي ضروب كثيرة مما يتفكه به **و
النخل ذات الاكمام** هي اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه مما
ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه **والحب** هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير **ذو
العصف** هو ورق الزرع وقيل التبن **والريحان** قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به
من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف
هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب والعصف والريحان اي خلق الحب
والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه
ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي **فباي الاء ربكما
تكذبان** الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى
ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الالاء الموجبة
للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة
الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالالاء كفرهم بها اما بانكار كونه
نعمة في نفسه كتعليم القران وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه نعمة من الله تعالى
مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا
او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لالهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به
فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الالاء المذكورة على وجوب
الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل
فباي فرد من افراد الالاء مالككما ومربيكما بتلك الالاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق
شاهد بالصدق **خلق الانسان من صلصال كالفخار** تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب
شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة
والفخار الخزف وقيل خلق الله ادم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا
فلا تنافي بين الايات الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين **وخلق الجان** اي الجن
او ابا الجن **من مارج** من دخان صاف **من نار** بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج
اذا اضطرب **فباي الاء ربكما تكذبان** مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم
رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على خبرية مبتدا محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل
البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات
قاطبة وقيل على الابتداء والخبر من قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما

قد

فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول
حدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها
والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان ان يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما
في رأي العين وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه
بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر
بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر
المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وانما نسب خروجهما الى البحرين مع انهما انما
يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما
التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا
يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا
للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار
اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقوله من قال لها ثنايا اربع حسان واربع
فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع
او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل
الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره كل من عليها اي على الارض
من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه
ربك اي ذاته ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي
عنده الاجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته ولقد قال عليه السلام الظوا عظايم ع
بيا ذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال
والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك وايا ما كان
ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار
لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحيوة
الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض
فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم ووجودهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان اليه ع
المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما
يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يستشموا رائحة
الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى
وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عم كل يوم اي كل وقت من الاوقات هو
في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني
آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة و
في الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود

اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم
لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون
الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو الجزاء فعبر
عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك اي سأتجرد
للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ
مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس
والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء
ربكما التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب
تكذبان بأقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة
التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان
ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض اي تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا منها
وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي
بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا
رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فبأي آلاء ربكما
تكذبان من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما
شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر
المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ
شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار وقرئ نرسل
بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ نحس اي نقتل
بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم
عليه من الكفر والمعاصي لطف واي لطف ونعمة اي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت
يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت
سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم
او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت
ف وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف
اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فبأي آلاء ربكما تكذبان
مع عظم شأنها فيومئذ اي يوم تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا
على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف
المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه
قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فبأي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعهما فان
الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين

والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل
صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرئ
بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار ع

في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجري
مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة
والحزن فيؤخذ بالنواصي والأقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا
كان المأخوذ مقصودا بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوه وقوله خذوا حذركم ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ
شيئا من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث
خذ بيدي أخذ الله بيدك أي يجمع بين نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل
تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله
تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على إرادة القول أي يقال لهم ذلك بطريق
التوبيخ على أن الجملة إما استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الأخذ بالنواصي والأقدام
كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصي والأقدام
لأن الألف واللام عوض عن المضاف إليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها أي بين النار
يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا
من النار أغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه
الأمور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الدينية والدنيوية
واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن
أنفسها آلاء جليلة واصلة إليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة إليهم في الدنيا آلاء عظيمة
لكونها داعية لهم إلى السعي في تحصيل ما يؤدي إلى نيلها من الإيمان والطاعة وإن ما فصل من فاتحة
السورة الكريمة إلى قوله تعالى كل يوم هو في شأن من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية
آلاء جليلة واصلة إليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي
إلى استدامتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة
التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وإنما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي
إلى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما أشير إليه في تضاعيف تعدادها ومقامه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام
عليه إذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين وإضافته إلى الرب للتفخيم والتهويل
أو هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني فإن الخطاب للفريقين
والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى
لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى
فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله ذواتا أفنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض
وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ والأفنان
إما جمع فن أي ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن أي ذواتا أغصان متشعبة من
فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان
وليس فيهما شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة
منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن

الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا من الآلاء

وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما
من ماء غير آسن والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما
عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان أي صنفان معروف وغريب أو رطب
ويابس صفة أخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع أو نصب على المدح
على فرش بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك
بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان أي ما يجتنى من أشجارهما من
الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله عنهما تدنو الشجرة
حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فبأي
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن أي في الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما
عرفت أنها لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في
قوله تعالى متكئين وقيل فيهما من الأماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين
والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن
لا ينظرن إلى غيرهم لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان أي لم يمس الإنسيات أحد من الإنس والجنيات
أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله متكئين وفيه
دليل على أن الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن
إضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالإضافة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
كأنهن الياقوت والمرجان إما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتي قبلها أو مستأنفة أي مشبهات
بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فإن صغار الدر
أنصع بياضا من كباره قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى
الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله أي ما جزاء الإحسان في
العمل إلا الإحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان
مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان
لمن دونهم من أصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان
صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة
حقيق بالإنكار والتوبيخ أي خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار
بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين
الأشجار والفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان
بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة
ونخل ورمان عطف الأخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما
فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى

وقيل ظهائرها من بهاء

من حلف لايا كل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن
خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة
من خيرات لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع جمعه وقد قرئ على الاصل حسان اى حسان الخلق والخلق
فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات فى الخيام قصرن فى
خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل
ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كالذى مر نظيره فى جميع الوجوه فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين
نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو
ما تدلى من الاسرة من اعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل
النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف
السحاب هيدبه وعبقرى حسان العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون
اليه كل شئ عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على احد الوجهين
وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد فباى آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى
السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به
السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التى
من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال الاسم بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس
الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال
والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن والتقرير
النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه

سورة الواقعة بسم الله الرحمن الرحيم ست وتسعون آية مكية

اذا وقعت الواقعة اى اذا قامت القيمة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة
للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى
حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول و
الفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة من الاهوال ما لا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من
قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب
فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على
الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اى ليس لاجل و
قعتها وفى حقها كذب اصلا بل كل ما ورد فى شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله
تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف اى هى خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير
لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء
الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر
الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد

للتشديد فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت
الارض رجا اى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة
رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض او عند ذلك ان ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق
اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت
وبست اى رجت وذهبت فكانت اى فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم
اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اى اصنافا
ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود او فى الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع للازواج
الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما
اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما هم
اى اى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب
بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل
فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من
ما اصحاب الميمنة ح
شان الفريقين فى الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال واصحاب
المشأمة فى نهاية سوء الحال واختلفوا فى الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية
من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى
بطاعتهم ح
النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم والاشقياء مشائيم
عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة
ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن
احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع
الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا ح
الوجوه وتخلفوا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين
صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون
الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون الى الخيرات واياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون
هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابى النجم وشعرى شعرى وفيه من تفخيم
شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى
رحمته السابقون الى الطاعة عند الله تعالى والسابقون الى الجنة السابقون الى الخير وقوله تعالى اولئك
اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى
الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون ن
اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم
الزكية هذا اظهر ما ذكر فى اعراب هذه الجمل واشهره والذى يقتضيه جزالة التنزيل ان
قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر لمبتدأ محذوف وكذا قوله واصحاب المشأمة وقوله والسابقون

فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها وانفراد فاحدها اصحاب الميمنة والاخرى
اصحاب المشامة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما
بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي احوالها في الخير والشر ابناء اجماليا مشعرا بان لاحوال
كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما استفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيبويه
في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع
كما يفيده كونها مبتدأ وكذلك الحال في ما اصحاب المشامة واما القسم الاخير فحيث قرن
بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبره او للثاني
والجملة خبر الاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربين او بمضمر هو حال من ضمير
اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيما بعد الاخبار
بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر
مبتدأ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام
وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام
ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية
تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة
من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في نفسها لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسياتي ان
الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدمو اهل هذه
الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى
من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب
مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من
الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم
من قفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال
اخرى او استئناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان
وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن
لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي وعن الحسن رضي الله عنهما
وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق
اي آنية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس
لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر
صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون
اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه
وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه وياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون
وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او لهم

كون ما خبر الاتيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده ح

وقرئ لا يصدعون

حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة
حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب
اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول
له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا
اي باطلا ولا تاثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تاثيم ولا سماع كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا
سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون
السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا
وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند
التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ما اصحاب اليمين
جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع
على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول
خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله تعالى ما اصحاب
اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد
شوكه اي قطع وقيل مخضود مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب
وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز وام غيلان
وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من
العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شان الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد
فقيل ونحولها فقال لا اي القرآن لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وظل
ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب
يسكب لهم اينما شاؤوا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود
كانه مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور
لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا
مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا
يحظر عليها كما على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى
وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة
وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى
هم وازواجهم على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى
التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدانا
خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء واعادة وفي الحديث هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد ذلك الكبر اترابا على ميلاد واحد
في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا
وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء

فع

يحظر

اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب
اليمين متعلقة بانشانا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اى مساو له في السن وقيل
بمحذوف هو صفة لابكارا اى كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف اى هن لاصحاب اليمين
وقيل لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف
ختمت به قصة اصحاب اليمين اى هم امة من الاولين وامة من الاخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابى
العالية ومجاهد وعطا والضحاك ثلة من الاولين اى من سابقى هذه الامة وثلة من الاخرين
من هذه الامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتى واصحاب الشمال شروع
في تفصيل احوالهم التى اشير اليها عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين
والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا قوله تعالى في سموم
وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من دخان
اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفا
البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم اى لا هو
بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب
اى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن
الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على
الحنث العظيم اى الذنب العظيم هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة
بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان
بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد
وانقلابه من الاجزاء البادية واذ متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا
لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن
على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد
النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر اللفظ فان تقديم
الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راى الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية
بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار
البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه
وتكرير الهمزة في قوله تعالى اوآباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على المستكن
في لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ
او اباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والاخرين من الامم الذين من جملتهم
انتم واباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث ابائهم اشد من انكارهم
لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم
اى الى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف

خبر حـ

من هذه الامة في اخر الزمان وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما حـ

بالرفع حـ

الذي حـ

بل حـ

واللام

عطف على الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون بالبعث والخطاب
لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى
لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من
الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اى كائن من زقوم فمالئون منها البطون اى بطونكم من شدة
الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اى الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا
وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه للزقوم وقيل للاكل وقوله
تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اى لا يكون
شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها
فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى
لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط
عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا
منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم
الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب
هذا الذى ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو
ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعدما استقر لهم القرار واطمانت بهم الدار في النار
وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق
الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم
فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب
التحضيض على ما قبلها اى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن
خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه
قدر على الاعادة حتما والاول هو الاوجه كما ستحيط به خبرا افرايتم ما تمنون اى تقذفون
في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه اى تقدرونه
وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها
جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن
بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه عليكم ووقتنا
موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا
وما نحن بمسبوقين اى انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم
ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها
قال الحسن اى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا
فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته
وعلى ان نبدل اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض
ولقد علمتم النشاة الاولى هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة
آدم عم من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى

اى

ن حـ

ب وقرئ شرب الهيم حـ

حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرة وهو يرى
النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور أفرأيتم ما تحرثون
اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف أم نحن
الزارعون اي المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا
متفتتا بعد ما انبتناه بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون
من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم وانفقتم
عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد
استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون
اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا
على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحال من فاعل تفكهون
اي قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون
حظنا ولا بخت لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا
الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به أأنتم انزلتموه من المزن
اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب أم نحن المنزلون بقدرتنا
لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها في
الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة
الفقد والشرطيتان مستانفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء محل بالتمتع بهما
نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون
تحضيض على شكر الكل أفرأيتم النار التي تورون اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أأنتم
انشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار أم نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن
خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة المفارقة
بينها وبين سائر الشجر التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان
التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها
تذكرة استيناف مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش
لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن النبي
ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث
فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشيء الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون
القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين والنازلين بقرب منهم
ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم
او مزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم وليسد خللهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ
وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح
باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة

عليه السلام

لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته
مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهورها
او شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم
للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في
قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ
فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من
ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شان المقسم به بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها
وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان
ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها
ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان
وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
اعتراض في اعتراض فصل به للمبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله
تعالى وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم اي كثير النفع لاشتماله
على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى و
بقوله لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف
ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين
من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب
فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد
بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من
الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه
او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار او غيره تنزيل من رب
العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا أفبهذا
الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم انتم مدهنون
اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون
شكركم انكم تكذبون اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى
وتجعلون شكركم لما رزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى
الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم
الخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى ههنا من القوارع
الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب
معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية فلولا اذا بلغت النفس اي
الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها

بالادغام والمطهرون ع

تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من
حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا
على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن
لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير
مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا
تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى
مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتاكيد وهي مع ما في حيزها
دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا
ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم
تصديقهم بخالقيته تعالى عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى
فاما ان كان من المقربين الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند
الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل
اوصافهم فروح اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحيوة
المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من
اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن
شانهم سواه كما ذكر للفريقين الاخرين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار
من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لانشاء سلام بعضهم على
بعض والاقبال عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين
الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى
ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل
اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد ما اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال
في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار
ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين
وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب
التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيته مما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب
تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب باياته
الناطقة بالحق ه ه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم
تصبه فاقة سورة الحديد مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق
بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء
ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية
الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من

لبيان المقال كتسبيح الملائكة والمومنين من الثقلين و

افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال
المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما
في قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما في نصحت له وشكرت له وللتعليل اي فعل
التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا
للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من من شانه التسبيح الاختياري
ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما
تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم
وكذا قوله له ملك السموات والارض اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات
من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي و
يميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل
شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول
السابق على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة
او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها
فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول
والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو
متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب
عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في سورة سبا وهو معكم اينما كنتم
تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله
بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتاخيره عن الخلق لما ان المراد ما يدور عليه الجزاء
من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض
٧ تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع
رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل تفسيره مر مرارا وقوله تعالى
وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه
تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله
ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه
حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق
فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف
هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم
حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما

امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في ما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم وقيل اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين حيث ما يدعوكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الايات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالاخرة لله تعالى من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد

في الجملة ح

ما يوجب ح

الموجب لا موجب وراه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات واضحات ليخرجكم ... من المصالح ... اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم ح

مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله الخ والله بما تعملون خبير بظواهره وبوا فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه اول من امن واول من انفق في سبيل الله تعالى وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدأ اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع وبالنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن عن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى قال الحسن رضي الله عنه ليستضيئوا به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقوله هو حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نستضئ منه واصل اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا بتحصيل

طنه

بيم

فقات

النور

مادية من الايمان والاعمال الصالحة اوارجعوا خائبين خاسرين فالتمسوا نورا وقد علموا ان لا
نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب
بينهم بين الفريقين بسور اى حائط والباء زائدة له باب باطنه اى باطن السور او الباب
وهو الجانب الذى يلى الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذى يلى النار من قبله من
جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استيناف مبنى على السؤال كانه قيل
فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن فى الدنيا معكم
يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم
انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم فى امر الدين
وغرتكم الامانى الفارغة التى من جملتها الطمع انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اى
الموت وغركم بالله الكريم الغرور اى غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ
الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا
اى ظاهرا وباطنا مأويكم النار لا تبرحونها ابدا هى مولاكم اولى بكم وحقيقته مكانكم الذى
يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم ومكانكم عن قريب
من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم
كما توليتم موجباتها وبئس المصير اى النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
استيناف ناع عليهم تثاقلهم فى امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه
بالترغيب والترهيب وروى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه
الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم
على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن اى الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به
ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا
جاء اناه اى وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ الما يأن وفيه دلالة على ان المنفى
متوقع وما نزل من الحق اى القرآن وهو عطف على ذكر الله تعالى فان كان هو المراد به ايضا
فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له
الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق
من الانفاق فى سبيل الله تعالى وقرئ نزّل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل
هو نهى عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول
بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم
الامد اى الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة
التى كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهى كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اى
خارجون عن حدود دينهم رافضين لما فى كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل

تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع و
التحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التى من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كى تعقلوا ما
فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اى المتصدقين و
المتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اى الذين صدقوا الله ورسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين
اصدقوا وصدقوا على القراءتين وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبى وهو المصدقات
واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى
من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه
قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما
العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة
الاجر كما قيل فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن
على التصدق لما روى انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فانى اريتكن اكثر اهل النار وقيل
هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة
عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول
مسند الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف اى ثواب
التصدق وقرئ على البناء للفاعل اى يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها
ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان
بهم فى خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره
الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول او ضمير الفصل وما بعده
خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اى اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين
بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى وهم المبالغون
فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية
ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت
الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به
على الفاعلية والضمير الاول على الوجه للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اى لهم مثل اجرهم
ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذفت اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة
وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق
الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف
واما على الوجه الثانى فرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعود ان لهم هذا هو الذى يقتضيه
جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الخ والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها
ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد

ن

بق

والاوصاف وبين ما للاخرين
من الاصل بدون ؟

بعد ما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني وأشير
الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمينان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال
وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به
ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما
لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون
حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف
وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين
حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم ما
فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر
العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة
الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان
الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة
سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى
موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان
عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية
على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان
وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا
واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء
مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع والثمار
ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من
قبل ان نبرأها اي نخلق الانفس والمصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير
لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا
ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته
ويأتي بما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم
من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعيم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها
وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن
التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا
يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها
لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او
مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن
يعرض عن الانفاق فان الله تعالى غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض

عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ
فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء والانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات
اي بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب ليتناول الكل والميزان ليقوم الناس بالقسط
اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك
يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدو وانزلنا الحديد قيل نزل
آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والمطرقة والابرة وروي
ومعه المر والمسحاة عن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك
ان اوامره وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان الآلات
الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة
حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه
ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والسلاح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف
مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم
الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا عنهم او غائبين
عنه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان
تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو
لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل
ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا
الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من
الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال
وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي
ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن مريم والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من
عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة
على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
رحماء بينهم ورهبانية ابتدعوها منصوبة اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما
بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة
من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة
والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث

والميقعة

وهو ان يكون انتصاب رهبانية بمضمر يفسره الظاهر ح

مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال
فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستانفة وقيل صفة اخرى
لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم
بقوله فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لاسيما اذا قصد
به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل
ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله تعالى ويستحقوا
بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم
فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
رعاية رهبانيتهم لا لمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر
اجرهم اي ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين
على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده
المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من
رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل
على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ
في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة
لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا
من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون
في الياء وان في قوله تعالى الا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها
الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا
مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو
الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه
من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب
فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب
من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمان
لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون
اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون
الياء وفتح اللام كاسم المراة بكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا وقيل لا غير مزيدة وضمير
لا يقدرون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي

معنى ح

ما وعد ح

قد ح

صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما او نوع من سعادة الدارين
على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وان الفضل
بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين
آمنوا بالله ورسله

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي
تراجعك الكلام في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسائلك
وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعلها اي تجادلك وهي
متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس
ابن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا حرمت علي فشق عليها ذلك
فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال
حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي
ووحدتي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت
وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان
ان ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها
ما عندي في امرك شيء وانها كانت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على
لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابته دعاءها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى
والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب
استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف
جار مجرى التعليل لما قبله فان الحاحها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الى الله ومدافعته عليه السلام اياها
بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد
وقوله تعالى ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات
والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع راسها
الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف
الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم
شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار
ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق
به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان
اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويتظهرون
وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت
وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه
بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن
بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا

بها

من القول على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل
والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اى محرفا عن الحق وان الله
لعفو غفور اى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى
الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا
منكرا بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اى والذين يقولون ذلك القول المنكر
ثم يعودون لما قالوا اى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى ان
تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما فى قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فا
هدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحى الى نوح فتحرير رقبة
اى فتداركه اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وعند الشافعى رحمه الله يشترط الايمان
والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة
عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تعالى ونرثه
ما يقول اى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون للعود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان
يتماسا اى من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة
وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة
ثم مس عليه ان يستأنف عند ابى حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره
توعظون به اى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات و
المراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو
علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون
من الاعمال التى من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اى عالم بظواهرها وبواطنها
ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشئ منها فمن لم يجد اى الرقبة فصيام
شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا ونهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع
اى الصيام لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره
ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان
والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على
الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اى ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا
بشرايعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة
وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التى لا يجوز تعديها وللكافرين اى الذين
لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى
عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اى يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين
كما هو فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير ان
لورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله دون المعادات والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية
وراءه كبتوا اى اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو
ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى أتى امر الله وقيل اصل

الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد
انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا او كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات
فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول
وصحة ما جاء به وللكافرين اى بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك
الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق
به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اى كلهم بحيث
لا يبقى احد غير مبعوث او مجتمعين فى حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدوره
عنهم او بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد وتخجيلا
لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا
عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهى
اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله باضبا رقدا وبدونه على الخلاف المشهور وقيل
لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما
حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شئ شهيد لا
يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلى مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان
الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى الم تر
الى الذى حاج ابرهيم فى ربه وفى قوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون اى الم تعلم علما يقينا
متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية
منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى
ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان
غير حقيقى اى ما يقع تناجى ثلاثة نفر اى من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها
موصوفة بها اما بتقدير مضاف اى من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى فى انفسهم مبالغة الا هو
رابعهم اى جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء مفرغ من اعم
الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة
فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم
الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اى مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة
وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى
او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفى الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه
تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ
ينبيهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شئ عليم
لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين
فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه السلام والهمزة
للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة

عطف على الضمير فى قوله تعالى ونسوه حال من مفعول احصاه

بينة

اى الله عز وجل

وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو
اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين
المخاطبين المؤمنين البعثة لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم
والعدوان بكسر العين ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون
السلام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم
فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم
عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم
وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ
فلا تنجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين
والاتقاء عن معصية الرسول عليه السلام واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره
استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي
بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن
الذين آمنوا خبر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم
اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى
الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضرره يا ايها الذين آمنوا
اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا يقال افسح عني اي
تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به جنس
وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه وحرصا
على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال
قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق
بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون
الفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على
المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتباطؤا ولا
تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف
الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من ازيق العلم
والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل
العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدي بالعالم في افعاله ولا يقتدي بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون
خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم
الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب
الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أاشفقتم وهو وان كان متصلا

متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه
لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق
خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان
الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لانه رخص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان
تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما
يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فان لم تفعلوا ما امرتم به وشق
عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب
تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى
اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فاذا
فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطيعوا
الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير
بما تعملون ظاهرا وباطنا ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء
ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب
الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم
لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على
الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع
للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال
من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح
وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه عليه السلام
كان في حجرة من حجراته فقال يدخل الآن عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني
انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما
سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا
يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا
ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام
جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه
بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت
الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة
المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا
كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من
لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف
آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم

من الله اى من عذابه شيئا من الاغناء روى ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا
اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اى ملازموها ومقارنوها هم فيها
خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى عذاب مهين
فيحلفون له اى لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم فى الدنيا ويحسبون فى الاخرة
انهم بتلك الايمان الفاجرة على شئ من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث
كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون
فى الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا ان
ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اى
استولى عليهم من حاذ الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب
واستنوق اى ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون
بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اى جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون اى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم واخذوا
بدله العذاب الاليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا فى موقع
الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون
الله ورسوله استيناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه
بما فى حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما
فعلوا من التولى والموادة فى الاذلين اى فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى من الاولين والاخرين
لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت
ذلة من يحاده كذلك كتب الله استيناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين اى قضى واثبت فى
اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلى بالحجة
والسيف وما يجرى مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلى بفتح الياء ان الله قوى
على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون
من حاد الله ورسوله مفعوله الثانى او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة
وقيل صفة اخرى له اى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الاخر وبين موادة اعداء الله
تعالى ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لا ينبغى ان يتحقق ذلك وحقه ان
يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل احد ولو كانوا اى من حاد الله ورسوله والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها اباءهم اباء الموادين او ابناءهم او
اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لو قد مر على
التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما
وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدا خبره كتب فى قلوبهم الايمان
اى اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا

قطعا ولا شئ من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اى قواهم بروح منه اى من عند الله تعالى وهو
نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحيوة القلب به فمن تجريدية وقوله
تعالى ويدخلهم الخ بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اى ويدخلهم فى
الاخرة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا الابدين وقوله تعالى رضى الله عنهم
استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من اثار رحمته العاجلة والاجلة وقوله تعالى
ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف
لهم ببيان اختصاصهم به تعالى وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم
بالفوز بسعادة النشاتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر فى مثلها عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام فى صدر
سورة الحديد وقد كرر الموصول هاهنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين
بالتسبيح روى انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون
عم نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم وعاهدهم
ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التورية
لا ترد له راية فلما كان احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا
الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى
فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه
عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابى المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن
فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم
النبى صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين
طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا
الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم ال ابى الحقيق وال حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر
ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات الى قوله والله على كل شئ قدير وقوله
تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض اثار عزته تعالى
واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه
تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله
مستعارا لاسم الاشارة كما فى قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم
من اله غير الله ياتيكم به اى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كانه فى الجلد توليع البهق كما هو
المشهور كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى اخرج الخ ففيه اشعار بان فى الاخراج
حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اى فى اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء
قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه

اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون أن
يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله اى ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة
لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع فى معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم
مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اى امر الله تعالى وقدره المقدر لهم من حيث لم يحتسبوا ولم
يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم
الامن والطمانينة وقيل الضمير فى اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اى فاتاهم الله
العذاب او النصر وقذف فى قلوبهم الرعب اى اثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملؤها يخربون
بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم
مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدى المؤمنين حيث كانوا
يخربونها ازالة لتحصنهم وتمكنا منهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب
فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد
للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولى
الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدى اليه الافكار
واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصى وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا
تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل
فى موضعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اى الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع
لعذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الاخرة عذاب النار استيناف
غير متعلق بجواب لو لا جئ به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من
عذاب الاخرة ذلك اى ما حاق بهم وما سيحيق بانهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا
ما فعلوا مما حكى عنهم من القبايح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما فى الانفال والاقتصار
على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب
له او تعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة
لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كانه قيل ذلك الذى حاق بهم من
العقاب العاجل والاجل بسبب مشاقتهم لله ورسوله وكل من يشاق الله كاينا من كان فله بسبب
ذلك عقاب شديد فاذا لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اى اى شئ قطعتم من نخلة
وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من
اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما
فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير
ان تتعرضوا لها بشئ ما وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن
وقرئ قايما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فبذلك اى قطعها وتركها بامر الله وليخزى
الفاسقين اى وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون فى اموالهم

نصر الله تعالى وقرئ فاتاهم

وهو ان انفس الجراد محذوف
منه العائد الى من عند من
يلزمه اى شديد العقاب [illegible]

اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة
واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زرعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة
بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام
ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله شروع فى بيان حال ما اخذ من اموالهم
بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والاجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب
والقطع اى ما اعاده اليهم من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا ان يكون له عليه السلام وانما
وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى ليتوسلوا به الى عبادته فهو جدير بان يكون
للمطيعين منهم اى من بنى النضير فما اوجفتم عليه اى فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو
سرعة السير من خيل ولا ركاب وهو ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير
واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحد منها راحلة والمعنى
ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى صلى الله عليه وسلم فافتتحها
صلحا من غير ان يجرى بينهم مسابقة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين
وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اى سنته جارية على ان يسلطهم على من يشاء
من اعدايهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى صلى الله عليه وسلم على هؤلاء تسليطا غير معتاد
من غير ان تقتحموا مضائق الخطوب وتقاسوا شدايد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم والله على
كل شئ قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعتادة واخرى على غيرها وقوله تعالى ما
افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفئ بعد بيان افاءته عليه من غير ان يكون للمقاتلة
فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار
بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف فى قسمة الفئ فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وساير المساجد
وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول
والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة
فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على
الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفئ الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم
الدال وقرئ بفتحها وهى ما يتداول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة
بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة اى
كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء
منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة
اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفئ شيئا يتداوله الاغنياء ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء
والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا
بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اى كيلا يقع دولة على
ما فصل من المعانى وما آتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفئ او من الامر فخذوه فانه

خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم
وتنعمهم

حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في
مخالفته عليه السلام ان الله شديد العقاب لمن يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل
من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنيا ذوي القربى
خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فاخرجوهم
منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة
وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما
يوجب تفخيم شانهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي
ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين
الى المدينة نصرة واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون
فانهم الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوءوا الدار والايمان
كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص
الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة
وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوءوا
الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام وقيل سمى المدينة
بالايمان لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول وقيل من قبل
تبوء المهاجرين على الاخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني
الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب
في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا
واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي
يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة
اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة
والحسد والغيظ مما اوتوا اي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على
انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امراتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها
واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة
في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير
على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة وسماك بن خرشة وسهل
بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار
بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله
تعالى والذين تبوءوا الخ مستانف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على
اولئك فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى

تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوءوا ومن يوق شح نفسه
الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على
المنع الذي هو البخل ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال
وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا
هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار
والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي
الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان
الاية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدا خبره يقولون الخ والجملة مسوقة
لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما
ان ما عطف عليه من الجملتين السابقتين لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا
اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك
اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهو الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا
انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرافة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين
نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها
بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة
المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوانهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم
واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم
جواب للقسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع
فيكم اي في شانكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم
احدا لانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير
ليس بمجرد عدم طاعتهم الى قتالهم بل بنصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم
اي لنعاوننكم على عدوكم على ان وعدهم على خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم
واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله عند ذلك قتالهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج
معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية
لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة
وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل
بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه
ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم
على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم
الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد

رهبة اى اشد مرهوبية على انها مصدر من المبنى للمفعول في صدورهم من الله اى رهبتهم منكم في
السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله تعالى فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى
ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله تعالى بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون
اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا
يقدرون على قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ
جدر بالتخفيف وقرئ جدار وجدر بفتح الجيم وسكون الدال وهما الجدار بأسهم بينهم شديد
استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم
شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا
مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من تشتت قلوبهم
بسبب انهم قوم لا يعقلون اى لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد
كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم
وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب يوهن قواهم ويعجزهم
من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين
من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بنى قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير
قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اى
سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال
هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم
اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر
ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين
اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل النظم الكريم حيث اسند كلا من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير
الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله
كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم
على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اغراه على الكفر اغراء الآمر
المأمور على المأمور به فلما كفر قال انى برئ منك وقرئ انا برئ منك ان اريد بالانسان
الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله انى اخاف الله رب العالمين
وان اريد به ابو جهل فقوله اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى
جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله الآية فكان
عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها
وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اى الخلود في النار
جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى في كل ما تأتون
وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه
بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف

يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل
كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات كما
يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله
خبير بما تعملون اى من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه ف
حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم
اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الاهوال
ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق لا يستوى اصحاب النار
الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا
الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ
عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص قص
وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع
واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته
ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على ان المسلم لا
يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية ويز
كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة
هم الفائزون فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب ب
الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع على جبل
من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية
الله اى متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تأثير ما
فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به
توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذى لا اله الا
هو وحده عالم الغيب والشهادة اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر
من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم
والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء
بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهى لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح
بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته
هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر احوالهم اى اصلحها المتكبر الذى
تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه
له تعالى عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى
في شئ منها شئ ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئة
من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها

لما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعانى الحسنة يسبح له ما فى السموات والارض ينطق بتنزهه
عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها
راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وذلك
انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضى الله عنهم وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك
ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ليس فيهم من يحمى اهلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان
كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم
بالمودة اى توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
او تلقون اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التى بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل
لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير فى الصفة الجارية على غير من هى له انما يشترط فى الاسم دون الفعل
او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ
لما جاءكم اى كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم
اى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات
من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا
فى سبيلى وابتغاء مرضاتى متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى تسرون اليهم
بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اى تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة
وانا اعلم اى والحال انى اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولى على ما تسرون فاى طائل
لكم فى الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان
قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اى الاتخاذ فقد ضل
سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء
اى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
بما يسوؤكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان
بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون
المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استئنافا
لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم

منكم من الاخر كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون
حق الله لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول او يفصل ويفصل مبنيا
للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت
لكم اسوة حسنة اى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى فى ابرهيم
والذين معه اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن
فى حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا
برآء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة
ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد
بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اى هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى
تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة ح ولاية والبغضاء محبة
الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عم لابيه الكافر
وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى
ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله
من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب
استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا
دلالة للاستثناء عليه قطعا واما تعليل عدم كون استغفاره لابيه الكافر مما لا ينبغى ان يؤتسى به
بانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهى
لاستغفاره وانبنائه عن كونه مؤتسى به لولا نهيه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد
النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل
ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز ان يكون استغفاره
له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء
الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى الآية لانها كانت هى الحاملة له
عليه السلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله سأستغفر
لك ربى لورودها على طريق التوكيد القسمى واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب النهى على
تبين الامر فقد مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شئ من تمام
القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى
الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه
اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
الخ من تمام ما نقل عن ابرهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر
التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل
فى جميع امورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط من الذنوب ربنا
انك انت العزيز الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذى لا

بفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في النزع والجواب هذا واما جعل الايتين تلقينا للمؤمنين
من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما
فرط منهم تكميلا لما اوصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم
لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الايتسا به
ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بترك الاقتدا بهم
وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبي عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي
من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله بذلك لما راى منهم من التصلب
في الدين والتشدد في معاداة ابائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا
لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب
والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال
وتسهيل المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط
منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن البر هؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم
بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تقضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين
اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما
بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى
على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال
من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية
في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من
تظاهر بالايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم
بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات
علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد التثبت والتحري من الاستدلال بالعلايم والدلايل
والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى
العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان
الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد واتوهم ما انفقوا اي
واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا

منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد
شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنهما ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في
نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة
وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية
قال ابن عباس رضي الله عنه من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف
الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم
بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف
احدى التائين من تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا
ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم الله يحكم بينكم كلام مستانف او
حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم
يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات
الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين
فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد
من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور
ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي
الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف
وفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم
بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت
ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي
التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة
نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا
اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به واد
البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت
المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها
لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما تامر
هن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عم لا يامر به للتنبيه على
انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة

وقوعها فيما بينهن مع اختصاصها ببعضهن بقوله تعالى فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور
اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما
ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله
زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور
المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين
بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته صلى الله عليه وسلم لهن يومئذ فروي انه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط
عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا
بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وروي انه صلى الله عليه وسلم بايعهن وبين يديه وبينهن ثوب
قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امره الله
وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن
كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقوله عز وجل يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد
بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل
اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها وعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية
المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم
وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد
وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء
والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر
في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال
الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله
تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول الله
لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الآيات الكريمة ليس على
ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا كان
الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان الرجل قد آذى المسلمين يوم
بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذلك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد

حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل
ما لا تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها
الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الموعود فقط بل الوعد به
ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو
ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه و
فرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص
بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز
دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم
وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده
تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال
لا عما تقوله المتمدح او المنتحل او ادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم
كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه
على الحالية من فاعل يقاتلون صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص
حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه
الى بعض ورص حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف
مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال
الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا
خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن
ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة
والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار
الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون
علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم
وانجاؤكم منه اني رسول الله اليكم لارشادكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك
ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به
موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب
لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة
ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها
فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق
وتعليل عدم الهداية او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا واياما كان فوصفهم
بالفسق ناظر الى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم

الفاسقين هنا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد
بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود
آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي
هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم اما معطوف
على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك
استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
فان تصديقه اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي
من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة
والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن
معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا
برسول يأتي من بعدي اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب
الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة
من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد
ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على
الله تعالى بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم
يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر تحقيقه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل
لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه
يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله كأنهم
بطفيهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه
الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم
والجملة في حيز الحال من فاعل يريدون هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزات ودين
الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله وعده حيث
جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك
وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ
تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل او ما ذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو
خبر في موقع الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة
من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم
اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا خير لكم
على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد
بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم

الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول
عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون
ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات
الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى اي ولكم الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة تحبونها وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل
وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون ومبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او
بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه
المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على البدل من اخرى على تقدير نصبها
اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا
وبشر او على تؤمنون فانه في معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها
الرسول بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله
لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى قال الحواريون
نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون
انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى
واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم
اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه السلام مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا
وهو يوم القيامة رفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤون وقيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم
اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم
ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو عليهم اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث
العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مرتبة في الوجود على التلاوة
وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون
الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة

رمز الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة في تضاعيف الاحاديث النبوية
من الاحكام والشرايع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان
لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى ان يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي
المخففة واللام هي الفارقة وآخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم
ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة
ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذي
امتاز به من بين ساير الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو
الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الاخرة مثل الذين حملوا التورية اي علموها
وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بها في تضاعيفها من الايات التي من جملتها الايات
الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها
ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم
النكرة كما في قول من قال • ولقد امر على اللئيم يسبني • بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة
للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول
بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم
محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين التكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها
للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس
كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة ويقولون
لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان
زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان
كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق
فتمنوا الموت فان من ايقن انه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار
ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما دل
عليه النفي اي يابون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد
من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم
بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما ياتون
وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه
اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم
من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله قل ان
الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام
لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان

تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه
والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي
بان يجازيكم يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم
الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض
اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن
لوي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه
لكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي فقالوا
يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة
فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول
جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا
على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج
يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب
وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع
واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل
وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي
اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق
بعد الحظر وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنايز و
زيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا
ذكرا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة
بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا
اليه فما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا ثمانية وقيل احدى عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال
صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله تعالى عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير
استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة
او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض
الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا
اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله
من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم
والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يات بها في امصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى عشر آية

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان

واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم و وفور رغبتهم ونشاطهم
وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد
كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد
انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موضع
الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة
اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة والتبعة وعن ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم
وتهيئتهم لها وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان
ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن
سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول
في الاسلام بانه ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان
هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة
عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على
ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق
والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول
الناعي عليهم انهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان
الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته
في الشر بانهم بسبب انهم آمنوا نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي
ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر
عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل و
قرئ وطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم لضخامتها وروق منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة
السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر
من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون
الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله
كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم
في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم
اشباحا خالية من العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء
وهي الخشبة التي نخر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة
ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا
على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون
في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه
الداء الدوي والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا

اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله
دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله
تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا
قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي عطفوها
استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك
سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف
الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا
ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم
ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في
الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم
والاظهار في موضع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى
ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله
تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى
انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من
يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون
من مقالات الكفر ما يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان
جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه
يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا
فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم
به فرد عليهم بذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة
ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم
فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله
ابن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما راى الجد
قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن
رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا
يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من
الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة
كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك
هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما
رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من

قبل ان يأتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على
الفاعل للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب
لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ
فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن
وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان
الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر
فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه وتعالى جميع ما فيهما من المخلوقات تنزيها
لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم
والمهيمن وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد
بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء
هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر
اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار
للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين
لنعمة الخالق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم
وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم
كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا
يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة
واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة
للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث زينكم في احسن تقويم واودع فيكم
من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات
مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة
واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك
القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال
الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور
والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد وتشديد لهما
وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم
وعلنهم وهو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه
ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم
تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان

الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفرة نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح
ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل
والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل و
جناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي
ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت أبشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في
حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدوننا
كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام
واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان ب
بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا
غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد
يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان
لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزه والمراد
بالموصول كفار مكة اي زعموا ان الشأن لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم
باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله تعالى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن
وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد لتحقيق البعث بوجهين
وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء
في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القرآن
فانه باعجازه بين في نفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز
كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم
عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد ن
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن
وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول
لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليجمع فيه الاولون والآخرون اي لاجل ما فيه من
الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل
الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة
لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي
يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل
وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيامة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين ين
فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين

كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اى النار كان هاتين
الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا
باذن الله اى بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن
يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه
لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد
الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه
وقرئ يهدأ قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه بالهمزة اى يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي
من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا
الرسول كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي
في قوله تعالى فان توليتم اى عن طاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين
تعليل للجواب المحذوف اى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما
لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام
والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي
عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا
مثل في الوجود او يصح او يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اى عليه تعالى خاصة دون
غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار
بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه
بالمرة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى
ويخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو
قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل
وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم
على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور
الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها
فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا
الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما
هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين فلما ارادوا ان يعاقبوا
ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم
واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم
الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة
يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على
محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا في تقواه
جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقناكم في الوجوه التي امركم
بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها

خيرا لها وانفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز
ان يكون صفة لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى
المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة
الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله
شكور يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب
والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة التغابن رفع الله عنه موت الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا
ب لتشريفه صلى الله عليه وسلم واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب
بطريق استتباعه اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية
لكان الخطاب هو اللائق بشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما
في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فطلقوهن لعدتهن اى مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت
من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها
والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق
وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في
تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب
الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها
اليهن وهي لازواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن
منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا
على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا
فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل اخراجهن ويؤيده قراءة الا
ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك
للايذان اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لعلو
ق درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اى حدوده المذكورة
بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله
تعالى فقد ظلم نفسه اى اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى لا تدري لعل
الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون للعقاب يأباه قوله تعالى الشرطية
وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون
الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل
للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى
وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي

للنبي صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري
عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي
خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة واستئناف
فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق
او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا
ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا
اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رضي الله عنه انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله
ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على
جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره
وقوله تعالى ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله
تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة
ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شأن
الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا
يحتسب اي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد
عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي
وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها
ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال له صلى الله عليه وسلم اتق الله واكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره
وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ
برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على انه فاعله اي
نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا
وتوقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من
الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم
وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك
فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن
سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن

مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح
ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شأن احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من
امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان
الخطاب للجمع كما في قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر
والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى يوعظ به من كان يؤمن بالله
من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن
السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن
المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم
اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن
في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة
لها فان ارضعن لكم بعد ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف اي
تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا
من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى
وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه
الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده
وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية
اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها
حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا
اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على
تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا
هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل
اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا ويجوز ان يكون عتت وما
عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى الذين آمنوا منصوب باضمار اعني
بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم
ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله
تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السماوات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند

عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر عبر عنه
بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن وتبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح
او لانه سبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب
بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى
يتلوا عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال
كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى
قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلق بيتلو
او بانزل او فاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة
عن المومنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله تعالى ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح
او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله
والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن
الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر
وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله تعالى المومنين من الثواب الله الذي خلق
سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع
على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين
طبقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال
الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح
لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا
حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات
السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح
وما ذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم
قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل
الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم
الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها
والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره
وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من
امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على
ذلك قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة

المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي
اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب
المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم وهي اثنتا عشرة آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في
يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك
ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين
٤م وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل
فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه صلى الله عليه وسلم شرب
عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين
او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه
اليه موذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم
رحمك ولم يواخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي
شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد
هنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في
افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
هي حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة
عائشة بالحديث وافشته لها وقرئ انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
على افشاء حفصة عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعضه بعض الحديث الذي افشته قيل
هو حديث الامامة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك
بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض عن تعريف
بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نباها به اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه
من الحديث قالت من انباك هذا اي افشاها للحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه
خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت
قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما
يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد
الظاء وتظهرا اي تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله مولاه وجبريل وصالح
المومنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح
من المومنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق

بتوسط بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين المظهر المعنوي والمظهر الصوري كيف لا وان
جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة
وتمشية احكامها الظاهرة ولانه بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تاثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا
لامرهما فكان حقيقا بان يقدم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع
تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله تعالى وناموسه
الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر
امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما بني عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم
من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته
هذا ما قالوه ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيانا
بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذلك
مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له صلى الله عليه وسلم ابلغ انا بعلو رتبة مظاهرتهم
وبعد منزلتها وجبر لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي
يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه
لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما
يقع لا يجب وقوعه وقرئ يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات
مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات
او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار
بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا
قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقرئ
واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم
انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء
هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة اي تلي امرها
وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق اقوياء على
الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به
على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون اي ويؤدون ما
يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول
قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به
انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي بعدما نهيتم عنهما اشد النهي وامرتم بالايمان
والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح
وصف التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا
بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها
عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف
اصلا عن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض

وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب
نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق
بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل
خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى
مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا
وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي نصوح او تنصح
او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجري على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل
والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف
العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض
بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل
هو مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط وهو على الاول استئناف
او حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول اي يقولون اذا طفئ نور
المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل تقربا الى الله تعالى
تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة
يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل
الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم سيرون فيها عذابا
غليظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع
عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال
هؤلاء الكفرة حالا ودالا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأت
نوح وامرأت لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما الى الحرق
الصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما
وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة
النبي اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم
يغنيا الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اي فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من
عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع
الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرأت فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث
كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير
اليه اي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك
او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها

الجزء التاسع والعشرون

ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين
له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل وضرب مثلا للذين امنوا
حالهما وما اوتيتا من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومهما كفارا
التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا واسطة
اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وبجميع كتبه المنزلة
وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين
اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات
الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم
ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم اتاه الله تعالى توبة نصوحا

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه
ايضا ونسبتها الى الله تعالى على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته
وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ
كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته
من فنون الخيرات والصيغة يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وانا فانا
بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها على نهاية التعظيم
لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها
الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء
الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضته التصرف الكلي في
كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه
في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة شروع في تفصيل بعض احكام
الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول
بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية
مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء
ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء الا حيي
فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه تقديره او ازالة
الحيوة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما
لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا
ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان

احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف
اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات
علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان
الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة
على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظري التفكر في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته
المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله
تعالى الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل
الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد
بر م المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره
ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط
للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق
اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل
من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر
عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم
ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من
اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل
والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا
كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه
سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة
لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر مؤكد
لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة
دلم اخرى لسبع سموات وضع فيها الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم بانه تعالى خلقها
بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه
او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم
تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما
نه واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب حيث اخبر اولا بانه
لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة
ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين
اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة

وان كررت ينقلب اليك البصر خاسئا اى بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد
عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة
القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها كلها
مركوزة فيها مع ان بعضها فى سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط
رائق يحار فى فهمه الافكار وطراز فائق يهيم فى دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين
وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه
جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم
جمع رجم بالفتح وهو ما رجم به واعتدنا لهم فى الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب
وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب
السعير وبئس المصير اى جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا
من قوله تعالى شهيقا اى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق فى الصدر
والزفير فى الحلق وهى تفور اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها ممن
ومن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اى تتميز
وتتفرق من الغيظ اى من شدة الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا اى
هو من تغيظهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر
آخر وقوله تعالى كلما القى فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل
حال من ضميرها اى كلما القى فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا
عذابا وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلوا عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع
فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير
جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجئ النذير وتحسرا على ما فاتهم
من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اى قال
كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى
حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما انزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير فى
كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير ما نزل
الله على احد من شئ من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اى ما انتم فى ادعاء انه
تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا فى ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير
الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل
كما ينبئ عنه تعميم المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب
الكل فامر تحقيقى يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه
تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام
باختلاف العصور هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل

مع ترك ذكر المنزل ح

والاعوام وان لم يذكر ذلك وقد
حال الحريض دون الغريض ح

جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اى اهل نذير او
منعوت به منفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير
الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز
ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه
فى الدنيا او هلاكهم وعقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد
حكوه للخزنة فقالوا وكنا على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل
لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا فى اصحاب السعير اى فى عدادهم ومن اتباعهم
وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف
التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا
بذنبهم اى بكفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد
اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما فى قوله انبته الله اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من
رحمته سحقا اى اسحاقا او لفعل مرتب على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا
اى بعدا كما فى قول من قال ° وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ° من المال الا مسحتا او مجلف
اى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام
فى قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون
فى عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخافون عذابه غائبا عنهم او
غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفى منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر
كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه
تعالى كما فى قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت
فى المشركين كانوا ينالون من النبى صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه عم فقال بعضهم لبعض
اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر
على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول
علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى
الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل
شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به
الا وهو او مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير
له وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة
ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة
فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان
يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى
عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر
والمظهر اى الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها وهو قوله تعالى

وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اى لا يعلم ذلك والحال انه المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خالق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه
والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى و
يمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال ح عن الافادة
لان نظم الكلام ح لا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة
يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما تقدم
والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون
المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء فى
قوله تعالى فامشوا فى مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اى فاسلكوا فى جوانبها او جبالها
وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا
جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شىء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا
من نعم الله تعالى واليه النشور اى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا فى شكر نعمه والائه أأمنتم
من فى السماء اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من فى السماء امره
وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى أأمنتم من تزعمون انه فى السماء
وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون ن
من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من
من وقيل هو على حذف الجار اى من ان يخسف فاذا هى تمور اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف
ما كانت عليه من الذل والاطمئنان أم أمنتم من فى السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى
التهديد بوجه آخر اى بل أأمنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم
لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب
فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا
ينفعكم العلم ح وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار
الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان
نكير اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد
القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد
لقومه ما لا يخفى أولم يروا اى اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد
تارة على قابضات ما يمسكهن فى الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن
الواسع رحمته كل شىء بان براهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء والجملة مستأنفة او حال
من الضمير فى يقبضن انه بكل شىء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى
امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفى ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى
كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن وناصر من عذابه

عذابه كما هو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا وفى
المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم
باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل
فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله تعالى الى التبكيت بما ذكر والالتفات ن
للتشديد فى ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهام وهى مبتدأ
وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وايثار هذا لتحقير
المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من
فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى من ينصرنى من الله
فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا
كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله تعالى وتوهم ان ام معادلة لقوله
تعالى أولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون ن
الا فى غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اى ما هم فى زعمهم
انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا
الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شىء يعتد به فى الجملة
والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار
فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى أمن هذا الذى
يرزقكم ان امسك رزقه اى الله بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيلا خلا ان قوله تعالى
بل لجوا فى عتو ونفور مبنى على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا وا
بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا اى تمادوا فى عتو اى عناد واستكبار وطغيان ونفور اى
شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشركين والمو حدين
توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم
فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عتو العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسالك المحاجة
الى جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة
واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى
مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكبه فخر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل
فى الكب كأقشع الغمام اى صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه
فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذى يؤمه أمن يمشى سويا اى
قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل
خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على
الاولى عطف المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير
وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى
الجنة قل هو الذى انشأكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها
من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة

يستنون الله تعالى والافئدة لتتفكروا وتعتبروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية
في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اى باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة
وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل
القلة عبارة عن العدم قل هو الذى ذرأكم فى الارض اى خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون
للجزاء لا الى غيره اشتراكا واستقلالا فابنوا امركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم
متى هذا الوعد اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين
يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام فى الوعد
وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة
والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اى العلم بوقته عند الله تعالى لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل
انما علمها عند ربى وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه
فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب
الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الخ كما مر تحقيقه فى قوله تعالى
فلما رآه مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل
منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه اما بتقدير
المضاف اى ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزدلفا او على انه مصدر زلفت
مبالغة او ظرف اى رأوه فى مكان ذى زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة
ورهقها القتر ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم
وتشديدا لعذابهم هذا الذى كنتم به تدعون اى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء
على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اى تدعون انه لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا
وقد روى عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل أرأيتم اخبرونى ان اهلكنى
الله اى اماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه عم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن
معى من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به قل هو الرحمن اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها آمنا به
وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بان
ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو فى ضلال مبين
منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل أرأيتم اى اخبرونى ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا
فى الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين
جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف
القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق
فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف

للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى باحد الطريقين المذكورين فى موقعه واسما للسورة منصوبا
على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو فى قوله تعالى والقلم للقسم وان
جعل مقسما به فهى للعطف واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام م
بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاق ما فى ايدى الناس لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية
سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون
فى الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به
اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية
وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد
بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب
القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرها والعامل فيها معنى النفى كانه قيل انت برئ
من الجنون ملتبسا بنعمة الله تعالى التى هى النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه والايذان بانه
تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عم عما كانوا ينسبونه
اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام فى غاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأى وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد
من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه
كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط
وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد
يحتمله البشر وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عم فقالت كان خلقه القرآن الست
تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون
قال ابن عباس رضى الله عنه فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر
ربك ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك
مهيبا معظما فى قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر
بايكم المفتون اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر
كالمعقول والمجلود او باى الفريقين او فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابى جهل
بن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا
يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اى اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى الى سعادة
الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون
الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين
الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين
حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى فلا
تطع المكذبين لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على ما

ينبئ عنه جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اى دم على ما
انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك او نهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره
عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن
فانه تعليل للنهى او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر والتنفير اى احبوا لو تلاينهم و
تسامحهم فى بعض الامور فيدهنون اى فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك
وقيل هو عطف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه
ما سيأتى من بنائهم الادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسبه ادخاله تحت التمنى واياما كان
فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما فى جانبه عليه السلام
فالمعتبر الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس فى حيز الاعتبار بل هم فى غاية
الكراهة وانما اعتباره بالنسبة اليه عم وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى المفهوم من
ودوا وان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة
فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن
فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اى ودوا ادهانك لو تدهن
فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على
سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر مهين حقير الراى والتدبير هماز عياب
طعان مشاء بنميم مضراب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم
فان النميم والنميمة السعاية مناع للخير اى بخيل ومناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة
والانفاق معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعز
تقطع فتخلى متدلية فى حلقها وفى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه
وافحش قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد
ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا
مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استيناف جار مجرى التعليل للنهى و
قيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على
ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ أان كان على
معنى الان كان ذا مال كذب بها انطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى
لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة
سنسمه على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة
يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا
بلوناهم اى اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم
قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق

بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى اسفل الاكداس
وما اخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم
شئ كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك
قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون اى لا
يقولون ان شاء الله تعالى وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لا
اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله
ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من
ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان
الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت
وقيل كالنهار اى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال
فتنادوا مصبحين اى نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين فى الصباح ان اغدوا على انها
مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى
الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتسارون
فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش
ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها
على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا
اريتك وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر
وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم
قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان
المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم
قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين
على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم
على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا فى بديهة رؤيتهم انا لضالون اى طريق جنتنا
وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم
الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى
رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم
وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة
من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى
قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم او لانه
تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم
بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ

بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيراً منها انا الى ربنا راغبون
راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها
وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله وتضرعوا
اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان
يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان القوم
لما اخلصوا وعلم الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا
وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل
قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن
قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين
اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كذلك
العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل
مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا
عما يؤديهم اليه ان للمتقين اي من الكفر والمعاصي عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس
جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال
كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات
النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون
ان صح انا نبعث كما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في
الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد
الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل
ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه
واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو
في قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ خيره
ام لكم ايمان علينا اي عهود موكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب على
الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيامة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم
وتنتهي اليه وافرة لم يبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان
ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة
الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه
ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الآية الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا
به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في
الآخرة يوم يكشف عن ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك

ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان
اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل
او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او للحال وقرئ نكشف
بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر يوم الخ او موخر
اي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون
الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون
لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود
تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان
ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم
وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار
لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم
سالمون متمكنون منه اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكر ذلك ثقة بظهوره
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله الي فاني اكفيكه اي حسبك في الايقاع
به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له
والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني
ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم استئناف مسوق
لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما
ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون
انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون
ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك كيدا
لكونه في صورة الكيد ام تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك
من مغرم اي غرامة مالية مثقلون يكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب
اي اللوح او المغيبات فهم يكتبون يكلفون حملا ثقيلا منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك
فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عم
اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور
النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف
اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما يوجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة
وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه
على حكاية الحال الماضية بمعنى لو كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية من

الاستخبار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد
جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء في الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد
لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على
مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل
استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح
بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدعوا على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعوا على ثقيف وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان
المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون
يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله
او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم
ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر
والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا
هذه الاية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القران على ان لما ظرفية منصوب بيزلقونك
وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره صلى الله عليه وسلم
ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول
المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما
سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر
للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من
جراتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان
لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا
ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله
اخلاقهم

سورة الحاقة وهي اثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي يحق فيها الامور
الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي يحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه
يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم
وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى
الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره
والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب
بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه

هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما
بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان
امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اي واي شيء اعلمك
ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم
شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها
فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ
ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض
لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة
خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحاقة التي
تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك و
النسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا
لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه
بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ماهيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسؤل
عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف
شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة
وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها
ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة والرجفة
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية
شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها
وقوله تعالى سخرها عليهم الخ استيناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم
بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد
من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم
ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر بفعله المقدر حالا اي تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبح الاربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما
سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي
ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر
وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها في مهابها او في تلك الليالي والايام
صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من
باقية اي بقية او نفس باقية او ابقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله
اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات
اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او الافعال ذات الخطا التي من جملتها
تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطون

من القبايح فاخذهم اى الله عز وجل أخذة رابية اى زايدة فى الشدة كما زادت قبايحهم فى القبح من
ربا الشى اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى
تكذيبه عليه السلام فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيمة حملناكم اى فى اصلاب
ابائكم فى الجارية فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام
الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة
بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بامرنا
وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى لنجعلها
اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المومنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال
قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها تحفظها والوعى ان تحفظ الشى فى نفسك
والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف أذن
واعية اى اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك
العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة
نسلهم وقرئ أذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية
وقوعها اثر بيان عظيم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى
عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية
او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضا
ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة
دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اى قامت القيامة وانشقت السماء لنزول
الملئكة فهى اى السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اى الخلق المعروف
بالملك على ارجائها اى جوانبها جمع رجا بالقصر اى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجاون الى اكنافها
وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ
ثمانية من الملئكة عن النبى صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله
تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية ملائكة ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم
مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور
وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة
سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك
بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم
اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون
الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم
خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشونه سبحانه
اجل من كل ما يحيط به فلك العبادة والاشارة يومئذ تعرضون اى تسألون وتحاسبون عبر عنه

وردي ثمانية ا

وبحمدك م

عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان فى يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فياخذ الفائز كتابه
بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع
يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح
جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر
من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل او غير خاف يومئذ
على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه بيمينه
تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه اسم لخذ وفيه ثلاث لغات
اجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن
يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم
لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت
تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه
اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات
التى لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة كلابن
وتامر او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب
دائمة مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او فى الدرجات او الابنية والاشجار
قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا
واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم
بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام
وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طال ما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتى كتابه
بشماله ورأى ما فيه من قبايح الاعمال فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية اى القاطعة لامرى ولم
ابعث بعدها ولم القى ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اى يا ليت هذه
الحالة كانت الموتة التى قضت على لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان
يكون للحيوة الدنيا يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من
المال والاتباع وعلى ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اى اى شئ اغنى
عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج
بها فى الدنيا او تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات خذوه حكاية
لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه
الا الجحيم وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة
ذرعها اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها
مرهق لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر

الوان ما يعذب به يوم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة
انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي ووصفه تعالى بالعظيم للايذان
بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين
ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان
تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في
حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون
منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون
اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن
عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين
يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله تعالى فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة
للتاكيد او محمولة على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة
وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم
للكل انه اي القرآن لقول رسول كريم يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه
على الله تعالى وهو النبي صلى الله عليه وسلم او جبريل عليه السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون
تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى
قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا
تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر بعد نفي الكاهنية لما ان عدم
مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر
احوال الرسول عم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا
مما يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عم
ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل
تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه
وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة فان قايلهم
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل
والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون
به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب
المؤمنين وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم
تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه شكرا على ما اوحي اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

وما لا تبصرون

سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا
واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل
ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما
بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء
فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع في دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول
استعجل بعذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في
الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الاخرة فهو
عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال
او بمعناه للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال
منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استئناف
من الله متعلق بواقع اي ليس له دافع من جهته تعالى ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها
الملائكة بالاوامر والنواهي وهي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة
والروح اي جبريل عم افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما
ان الملائكة حفظة اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل
ابراهيم عم اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما
يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى
انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني
الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع
وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة
او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر
واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها
في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب
بالوحي وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل
فان معناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة
على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه على طريق الاحالة فلذلك يسالون به ونراه قريبا
هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة
تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك
اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى
سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسئلونك عن الساعة وقوله ويقولون متى

صالله عليه وسلم

مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر

هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعى به النضر او ابو جهل والفهرى
فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا وفي قوله تعالى ليس له دافع الخ
استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه
وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون
الخ متعلق بليس له دافع او بما دل هو عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على
مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا
لان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اى لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل
منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اى لا يطلب من حميم حميمه او لا يسأل منه
حاله يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال انفسهم
وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع
الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اى يتمنى الكافر وقيل
كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدى من عذاب يومئذ اى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمنى وقيل هى بمنزلة ان الناصبة فلا يكون
لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ
والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى باقرب
الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة
الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته
اى عشيرته التى فصل عنهم التى تؤويه اى تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا
من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء
وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك
وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء او ضمير انها اما للنار
المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذى هو قوله تعالى لظى وهى علم
للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة
والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو
الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعوا اى تجذب وتحضر
وقيل تدعوا وتقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان
فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعوا تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اى عن الحق
وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اى جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته
وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا
الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى
اذا مسه الشر اى الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اى مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه
الخير اى السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة

مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها اذ الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا
الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح المذكورة
لاباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف
من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من
الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل
والذين في اموالهم حق معلوم اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا
على الناس من الزكوة المفروضة والصدقة الموظفة للسائل الذى يسأله والمحروم الذى لا يسأل فيظن انه
غنى فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية
والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما
لجنابه تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب
ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن بانه لا ينبغى لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف
تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اى طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات
فاولئك المبتغون هم العادون المعتدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون اى لا يخلون بشئ من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اى مقيمون لها بالعدل احياء
لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم
وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلاتهم يحافظون اى يراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة
على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف
الذوات كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ايذانا بان
كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة
حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل
وهو مبتدأ خبره في جنات اى مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى
مكرمون خبر آخر او هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من
الضمير في الخبر اى مكرمون في جنات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك
مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين اى فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون
حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا وفرقا يستهزؤن بكلامه صلى الله عليه وسلم ويقولون
ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما
يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى

أزمعت من آل ليلى ابتكارا ۞ وشطت على ذي هوى أن تزارا
وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ مبوأ الكاملين
فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا
خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة
قبلهم أنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل بالإيمان والطاعة ولم
تتخلق بالأخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف
قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم
قوما آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على
ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب والمعنى إذا
كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون
على أن نبدل خيرا منهم أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا
على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة
اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية
لا يوم النفخة الأولى كما توهم فإن قوله تعالى يوم يخرجون من الأجداث بدل من يومهم
وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الإخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون أي مسرعين كأنهم
إلى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون
الصاد أيضا يوفضون يسرعون خاشعة أبصارهم وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف
الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع
فيه من الأحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سأل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والحمد لله رب العالمين

سورة نوح عليه السلام وهي سبع وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها
الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها أمرا كما في قوله تعالى
وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية
والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف
بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر
والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى
الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلنا
بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة لما في الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب
وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذ

الله بغير أن على إرادة القول من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر
ما أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله بالوجه المذكور كأنه قيل فماذا فعل
عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم إني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى أن اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض
ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجبه ويؤخركم إلى أجل مسمى هو الأمد الأقصى
الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر
والعصيان فإن وصف الأجل بالأجل وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلا
آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى إن أجل الله أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم
على الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه
وا حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا
إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب
أليم فإنه أجل موقت له حتما وحمله على الأجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل
للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء
الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى لو كنتم تعلمون

اي لو كنتم تعلمون لـ

شيئا لسارعتم إلى ما أمرتكم به قال أي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحال ما
جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية
المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب إني دعوت
قومي إلى الإيمان والطاعة ليلا ونهارا أي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي إلا
فرارا مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم إيمانا
وإني كلما دعوتهم أي إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم أي سدوا
مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم
ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم وأصروا أي أكبوا على
الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا من
اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم
وت إسرارا أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت
الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد لتراخي بعضها عن بعض وجهارا
منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر
أي دعوتهم دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرا فقلت استغفروا
ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي إنه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا إن كنا على الحق
فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما
سلف منهم من المعاصي ويجلب لهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع في قلوبهم وأحب إليهم من الفوائد
العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم
أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أن آمنوا أن يرزقهم الله الخصب ويرفع عنهم ما كانوا

فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم بأموال
بأموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها أنهارا جارية ما لكم لا ترجون لله
وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد
ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على ان الانكار متوجه
الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد الذى
فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له اى اى سبب حصل لكم حال
كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا
اى والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات
عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم
خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم
بها لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تأملون له تعالى
توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم
فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى يستدعيه جزالة
التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقارا لله تعالى وعظمة مع
مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله تعالى اياهم
فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع ان فى جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف
فى قوله تعالى ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه
بيانا للموقر يقتضى ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه
صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة وقدرة على
اخذكم بالعقوبة اى اى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ما
لكم لا تخشون لله تعالى عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة
قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم ارج اى لم ابال وقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اى منورا لوجه الارض فى
ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل
او لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان
يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها
وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره
وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشأكم منها
فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم
بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز
ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية
الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الاخرى كما مر فى قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا

فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا
لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط
لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه التأخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم
والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخر ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه
من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا
واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه
من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفتها قال
نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اى قال مناجيا له تعالى رب انهم
عصونى اى تموا على عصيانى فيما امرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم
اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا اسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم
بذلك اشعار بانهم اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من
شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد
ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار لفظها
مكرا كبارا اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك
احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن
آلهتكم اى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما
سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب
فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى اسماء رجال صالحين
كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم
صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم
فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع
صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اى الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب
انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى
على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد
الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء
عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما فى
قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليهم مما خطيئاتهم
من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يزدها جعلها نكرة
وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئتهم اى بسبب خطيئاتهم
المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد اما

عذاب الغرق فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون
من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير
النار للتعظيم او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم
من دون الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم الهة من دون
الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه للايذان عليه السلام
من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح
وانه لاستحقاقهم الاهلاك لاجلها لانها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما
جرى بينه وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة
في النفي العام يقال ما بالدار ديار ودوري وكتيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من
الدار اصله ديوار فقد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر
ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال
ان يكون من اخلافهم من يؤمن منهم وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرى
احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين
وقيل هما آدم وحوا وقرى ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي
وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم بخروجه الا بعد ما
قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات يعمهم بالدعاء
اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم
صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم
الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر
شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى
ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين
غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة
نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرى احي اصله وحي وقد قرى كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة
همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع
اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين
الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع
من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام
لم يبصرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
فاخبر الله تعالى به ذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم

رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى
وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن
ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح هو وما
بعده من الجمل المصدرة بان في اثني عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه
قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم
تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرى بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على
المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراجها كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان ن
والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرى جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ق
ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد
والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد لد
فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا
اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو
نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه
فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان
يقول سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان
لن يكذب على الله احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او
وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرى لن تقول بحذف احدى التائين ين
فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا
الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن
وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن الجن ٧
العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه
كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ
فتكون هاتان الآيتان وما قبلهما من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا
على انه استمع اذ لا معنى لاندراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا
لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بان بان ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الموحى
عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ
السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كالخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم
الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل

هذا منها من السما مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق
بنقعد اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن فى مقعد من
المقاعد يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب
راصدين له على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم
والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكن كثرة الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن
ومنع الاستراق اصلا فقالوا اما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قوله وانا لا ندرى
اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السما ام اراد بهم ربهم رشدا اى خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى
دون الشر من الاداب الشريفة القرانية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره وانا
منا الصالحون اى الموصوفون بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى
الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة
ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على
الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القران كما يعرب
عنه قوله تعالى كنا طرايق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى
الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا ذوى طرايق اى مذاهب او مثل طرايق فى اختلاف
الاحوال او كانت طرايقنا طرايق قددا اى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع
وانا ظننا اى علمنا الآن ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله تعالى كائنين فى الارض اينما كنا
من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السما او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه
هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القران الذى هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم
وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اى نقصا ولا رهقا اى ولا رهقا
ولا رهقا ولا ان رهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد
فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف
والاول ادل على تحقق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم
والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو
استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى
ان الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة التى هى ملة الاسلام لاسقيناهم ماء
غدقا اى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة
ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان
على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لادم عليه السلام ولم يكفر
وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل
معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق
استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته تحقيق ا

عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه
على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اى واوحى الى
ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى لا تعبدوا فيها مع الله
احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة لانه قبلة منضح
المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على
ان المراد هى السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر
الميمى وانه من جملة الموحى اى واوحى الى ان الشان لما قام عبد الله اى النبى صلى الله عليه وسلم
وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه
عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلوة الفجر بنخلة كما مر تفصيله
فى الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا
من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله
وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد
المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد
وقرئ لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود
كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره
على من ناواه قل انما ادعوا اى اعبد ربى ولا اشرك به فى العبادة احدا فليس ذلك
ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام
للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا
كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الاخر قل انى
ع م لن يجيرنى من الله احد ان ارادنى بسوء ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجا ومعدلا وهذا بيان لعجزه
عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله
لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى لن
اجد من دونه ملجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية
غا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا
ومن الله صفته لا صلته اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه ورسالاته التى ارسلنى بها ومن يعص
و الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على معنى فجزاؤه
ان له نار جهنم خالدين فيها فى النار او فى جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره
واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون
العذاب فى الاخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون على ما راوه
يوم بدر ياباه قوله تعالى قل ان ادرى اى ما ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى
امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء
به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون عالم الغيب بالرفع وقيل هو

بدل من ربي او بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى **فلا يظهر على غيبه احدا** اذ يكون النظم ح ام يجعل
له عالم الغيب فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اي هو
عالم الغيب والجملة استيناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده
تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا
تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه **الا من ارتضى من رسول** اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره
على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا اما لكونه من مبادي
رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي
امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من احوال
الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة
واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا
ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على
نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل
لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد من الاولياء ما في رتبة (للاحد)
الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى **فانه يسلك من بين
يديه ومن خلفه رصدا** تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه
تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض
الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى **ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم** متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق
بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها
ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير
ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات
ربهم سالما عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في
قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز
اعتنائه بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط
فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها
فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد
ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى **واحاط بما لديهم** اي بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام
حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء به لتحقيق استغنائه تعالى في
العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم من بين يديه ومن خلفه ليترتب
عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا **واحصى كل شيء**
مما كان وما سيكون **عددا** اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا
الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى
احصاء واياما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه

(الاجمالية)
وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب
اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد
فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر
يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به
عتق رقبة

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقرئ على الاصل
وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه
امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام
على خديجة رضي الله عنها وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال
زملوني فحسب انه عرض فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص
وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتانيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب
فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه
غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله
اي احتمله فالتعرض للوصف ح للاشعار بعليته للقيام او للامر بدوام تحمله عليه السلام لاعباء النبوة
بما يوجب الاجتهاد في العبادة **قم الليل** اي قم الى الصلوة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل
القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحها **الا قليلا** استثناء من الليل وقوله
تعالى **نصفه** بدل من الليل الباقي بعد الاستثناء بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج
بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة
القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر
او انقص منه اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى **قليلا** اي نقصا قليلا
او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف **او زد عليه** اي زد القيام على النصف المقارن
له فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله نصفه بدل من
قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء
الباقي بعد الاستثناء المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته
انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار
نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع
كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من
النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل
على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران

للاول من النصف كأنه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او زد منه قليلا وقيل والاول
يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من
القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها ثم رتل ورتل من قولهم م
اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اى سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا
وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه السلام
فانه مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عم من القيام
وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد
تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي
اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي
في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اى ان النفس التي
تنشأ من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة
مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي تنشأ بالليل اى تحدث او ان ساعات الليل فانها
تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطأ اى هي خاصة اشد
ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اى اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها
ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او
اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب و
هدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اى تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك
فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل
بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو
نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح
وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اى وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق
العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن مراقبة
الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق
والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك
وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر
وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله
تعالى وذرني والمكذبين اى دعني واياهم وكل امرهم الي فاني اكفيكهم اولي النعمة ارباب
التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا لاجمع نكل وهو القيد الثقيل
والجملة تعليل للامر اى لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق
ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره
ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اى تضطرب
وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا

واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه
كأنه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واهيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة
رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون
رسولا هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول
الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا
فعصيتموه كما يعرب عنه قوله شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق
باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اى وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا
الضخمة فكيف تتقون اى كيف تقون انفسكم ان كفرتم ان بقيتم على الكفر يوما اى عذاب يوم
يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة
او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد
جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر به اى منشق وقرئ متفطر
اى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اى شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت
حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف
وقيل هو من باب النسب اى ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم
كان وعده مفعولا الضمير لله تعالى والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله
ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اى اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا
دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئتا بالجر عطفا
على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اى ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر
الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر
عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى علم ان الشأن لن
تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في
ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم
من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير
المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها
قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل
خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف
وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقيل
عم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر
وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة
اى المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكاة

المفروضة جعل آخر السورة مدنيا **واقرضوا الله قرضا حسنا** اريد به الانفاقات في سبل الخيرات
او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء **وما تقدموا لانفسكم من خير** اي خير كان مما
ذكر وما لم يذكر **تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا** من الذي يؤخرونه الى الوصية عند
الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في
حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتدا والخبر **واستغفروا الله** في
كافة احوالكم فان الانسان قل ما يخلو من تفريط **ان الله غفور رحيم** عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي خمسون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي
اول سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على
جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا
به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت
دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى
قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل ع
وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة رضي الله عنها وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها
المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم
وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية
وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به ونحوه
المدثر يا ايها المتدثر على الاصل **قم** اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم **فانذر** اي افعل
الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس على ما
ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **وربك فكبر** واختص ربك بالتكبير
وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء
لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول
من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه
عما لا يليق بجنابه **وثيابك فطهر** مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة واولى واجب في غيرها وذلك
بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر
الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به صلى الله عليه وسلم من رفض العادات المذمومة
وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان
اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق **والرجز فاهجر** اي واهجر العذاب بالثبات على
هجر ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر **ولا تمنن تستكثر** ولا تعط
مستكثرا اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو
يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته

هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله اختار له اشرف الاخلاق
واحسن الآداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه
قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي
يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى وقد قرئ بان ثابتا ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا
بالرفع **ولربك** اي لوجهه تعالى ولامره **فاصبر** فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل
على اداء الفرائض **فاذا نقر في الناقور** اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم
هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله
تعالى **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين** فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول
والفظاعة ومحله الرفع على الابتدا ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر
يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة
بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى **غير يسير** تاكيد لعسره
عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية
اذ هي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار
ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ
من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى **ذرني ومن خلقت**
وحيدا حال اما من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا
ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه او صرف
له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه
لانه كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة **وجعلت له مالا ممدودا** مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء
من مد النهر ومده نهر آخر وقيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة
والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال
ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان
الثوري اربعة آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة
يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا
في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال
الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام
وعمارة **ومهدت له تمهيدا** وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش **ثم يطمع ان ازيد**
على ما اوتيته وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة
او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا

فاخلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه
كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها
وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول
هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة
او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت
فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى
فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه او بيان لعناده لآياته تعالى اي فكر
ما ذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته
فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما ذكروه
من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما
اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو
عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما
هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش فقال ابن اخيه ابو جهل (كلهم صح)
انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل
رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا
قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا فقالوا فما هو
ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله
الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر (معجبين)
تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم
نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول او نظر
في وجوه الناس ثم قطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة
لما خطرت بباله نطق بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر تأكيد لما قبله
ولذلك اخلي عن العاطف سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادراك ما سقر اي
شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد
من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هو في وصفها لما مر مرارا من ان ما قد يطلب بها
الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها
وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك
اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه
من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها وقيل تلفح
الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى لترونها عين اليقين

وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او نقيبا
من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ تسعة عشر بسكون العين حذرا من توالي الحركات
فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار
اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا
يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله تعالى وبالغضب له تعالى واشدهم باسا
عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي
بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد سيد بني كلدة الجمحي وكان شديد البطش
انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة
عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد
المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن انهم كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق
افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم
به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا
المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي
عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك
الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة
لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون
خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب
يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا
اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين
آمنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية
بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم
ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على
تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه من اهل الكتاب
مقارن لما فيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم
باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان
بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما
سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك
يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل

النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى
جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره
عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ابتدائيين منه تعالى وما يعلم جنود ربك
اي جموع خلقه التي من جملتها الملئكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف
على حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة
وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر اي تذكرة لهم
كلا ردع لمن انكرها وانكار ونفي لان يكون لهم تذكرة والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر
كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح
اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض
للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في
جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا
الكبرى والدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى
الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد
خبر لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم
ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى ولم يشا ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر
مبتدا فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة
مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل
رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا
من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملئكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت
لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون
كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل
حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف ليتساءلون وليس المراد
بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل احد منهم سائلا ومسئولا بل صدور السؤال عنهم مجردا
عن وقوعه عليهم معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم
اي راى كل واحد فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن
المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم
في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسالونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها وتامل ودع
عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات
الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر امثاله
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع
في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه
من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية

بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم
حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو تشفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم
عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين
ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال
المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال وتا خذ
الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق
التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر و
الغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه
من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم
ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه
المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس
تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا
بكتاب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن من
لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن
تلك الجراة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا
ردع لهم عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة واي تذكرهم ؟
الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره
اذ لا تاثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من
اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله
او حال ان يشاء الله تعالى ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله تعالى وقرئ تذكرون
على الخطاب التفاتا وقرئ يذكرون مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به
ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب
به والله اعلم

سورة القيمة وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شايع وفائدتها توكيد القسم
قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام
بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي
به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح
الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود
قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا

والمعنى ان البعث حق وايا ما كان نفي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة لتعالي الامر يد
عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف **ولا أقسم بالنفس اللوامة** اي بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى فيتدرج من البراعة التي في القسم لسابقه او بالنفس
التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل
بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان
عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان
هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة
فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها
الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى **أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه**
وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي أيحسب الانسان انه لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا
نجمعها بعد تفتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في
اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام **بلى** نجمعها حال كوننا **قادرين على**
أن نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام
او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون
بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ به الى
التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه
من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه **يسأل أيان يوم القيمة** اي متى يكون استبعادا
واستهزاء **فاذا برق البصر** اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح
الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج **وخسف القمر** اي
ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول **وجمع الشمس والقمر** بان يطلعهما الله من المغرب وقيل جمعا
في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل
لتقدمه وتغليب المعطوف **يقول الانسان يومئذ** اي يوم اذ يقع هذه الامور **اين المفر** اي الفرار
يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد يجوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع **كلا** ردع
من طلب المفر وتمنيه **لا وزر** لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به
فهو وزرك **الى ربك يومئذ المستقر** اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امورهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار **ينبؤ الانسان يومئذ** اي يخبر
كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال **بما قدم** اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب
بالاول ويعاقب بالثاني **وأخر** اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما
قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في

حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره **بل الانسان على نفسه بصيرة**
اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي
من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم
بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى **ولو ألقى معاذيره**
اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع
ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او
ينبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار
وهو الستر ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام
القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا ان يتفلت منه فامر صلى الله عليه وسلم
بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ
فيه فقيل **لا تحرك به** اي بالقرآن **لسانك** عند القاء الوحي **لتعجل به** اي لتاخذه على عجلة مخافة
ان يتفلت منك **ان علينا جمعه** في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه **وقرآنه** اي اثبات
قراءته في لسانك **فاذا قرأناه** اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى
نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني **فاتبع قرآنه** ولا تكن مقفيا له ولا تراسله **ثم ان علينا بيانه** اي
بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه **كلا** ردع له عليه السلام عن عادة العجلة وترغيب له
في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى **بل تحبون العاجلة** على تعميم الخطاب اي بل انتم يا بني آدم
لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة **وتذرون الآخرة** وقيل
كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار الجنس ويؤيده قراءة
الفعلين على صيغة الغيبة **وجوه يومئذ ناضرة** اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يومئذ
تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة في قوله تعالى **الى ربها ناظرة** خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلقة
بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة
كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث
لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى
مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا
في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى
الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى **ووجوه يومئذ باسرة**
شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة **تظن** تتوقع اربابها **ان يفعل بها فاقرة** داهية عظيمة تقصم
فقار الظهر **كلا** ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم
من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة **اذا بلغت التراقي** اي بلغت النفس
اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال **وقيل من راق** اي قال من حضر
صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايهم يرقى بروحه

ملئكة الرحمة او ملئكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق واتقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الاخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اي الى الله تعالى والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عم والقران الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدله وكمل نشأته فجعل منه من الانسان الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الدهر وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين بحذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او ادم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمإ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه السلام وهذا بيان لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة

والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المراة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المراة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سياتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه وقيل من السبيل شاكرا وكفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان الذي هديناه قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تاخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد قيل هو من بر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من كاس وهي الزجاجة اذا كان فيها خمر ويطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما يمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين من محل من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ

عند اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بالواجب
على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم **ويخافون يوما كان شره** عذابه **مستطيرا** فاشيا منتشرا
في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر **ويطعمون**
الطعام على حبه اى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى
او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب بما سياتي من قوله تعالى لوجه الله **مسكينا ويتيما**
واسيرا اى اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول
احسن اليه او اسيرا مومنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك **انما نطعمكم لوجه الله** بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم — على ارادة القول
المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث
بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله تعالى **لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** اى شكرا **انا نخاف من ربنا يوما عبوسا**
وهو في الشدة والضراوة **قمطريرا** شديد العبوس فلذلك نفعل بكم رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره
وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اى انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما **فوقاهم الله**
شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه **ولقاهم نضرة وسرورا** اى اعطاهم بدل عبوس
الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب **وجزاهم بما صبروا** بصبرهم على مشاق الطاعات
ومهاجرة النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال **جنة** بستانا ياكلون منه ما شاؤوا **وحريرا**
يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مرضا
فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولديك فنذر
علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا لله تعالى ايام فشفيا وما — ثلاثة صـ
معهما فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها — شيء صـ
صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل
فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد
الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء فاصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم
وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد
الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة
في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال
خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة **متكئين فيها على الارائك** حال من هم
في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله
تعالى **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** اما حال ثانية من الضمير او المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم
هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى شمس ولا قمر **ودانية عليهم ظلالها** على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن

خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا
يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية فقالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة
من الابرار مظللة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها مظللة
عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر **وذللت قطوفها تذليلا** اى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل
اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم
قطوفها او معطوفة على دانية اى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع
دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب**
الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة **كانت قواريرا قواريرا من فضة** اى تكونت
جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ قوا — ربر
ريرا الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرأ الثاني بالرفع على هي قوارير **قدروها تقديرا** صفة
لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة
موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها وقدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير
للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قدروها على البناء للمفعول اى جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت
الشيء **ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا** اى ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب
الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذ به **عينا** بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم
بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا ح بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا
كاس عين او نصب على الاختصاص **فيها تسمى سلسبيلا** لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها
يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل و
ليس فيها لذعة بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة **ويطوف عليهم ولدان مخلدون** اى دائمون على
ما هم عليه من الطراوة والبهاء **اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم
وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض **واذا رايت ثم** ليس له مفعول ملفوظ — ط
ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة **رايت نعيما وملكا كبيرا** اى واسعا
وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال
له وقيل تسلم عليه الملائكة ويستاذنون **عاليهم ثياب سندس خضر** قيل عاليهم ظرف على انه
خبر مقدم وثياب مبتدأ موخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب
الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الى اخره
وحسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الى اخره وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب
اى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما
وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب **وحلوا**
اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم

حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان
يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** هو نوع آخر يفوق النوعين
السالفين كما يدل عليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن
دنس الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا
ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الابرار **ان هذا**
على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات **كان لكم جزاء** بمقابلة اعمالكم
الحسنة **وكان سعيكم مشكورا** مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب **انا نحن نزلنا عليك القرآن**
تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان **فاصبر**
لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة **ولا تطع منهم آثما او كفورا** اي كل واحد
من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان
في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين
مشعر بانه لهما فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل
الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في
الكفر شديد الشكيمة في العتو **واذكر اسم ربك بكرة واصيلا** وداوم على ذكره في جميع الاوقات
او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما **ومن الليل فاسجد له** وبعض الليل فصل
له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص **وسبحه**
ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا **ان هؤلاء** الكفرة **يحبون العاجلة** وينهمكون
في لذاتها الفانية **ويذرون وراءهم** امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم **يوما**
ثقيلا لا يعبأون به وصفه بالثقل لتشبه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق
الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه **نحن خلقناهم** لا غيرنا **وشددنا اسرهم** اي
احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب **واذا شئنا بدلنا امثالهم** بعد اهلاكهم **تبديلا** بديعا لا ريب
فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم
واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية **ان هذه تذكرة** اشارة الى السورة او الآيات
القريبة **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله
الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى **وما تشاؤون الا ان يشاء**
الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي
وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى مشيئته
على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم
الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى **ان الله كان عليما حكيما** بيان لكون
مشيئته تعالى **يدخل من يشاء في رحمته** بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل
في رحمته من يشاء ان يدخله وهذا الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي
الى دخول الجنة من الايمان والطاعة **والظالمين** وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر **اعد**
لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب

اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا للمضمر وقرئ بالرفع على الابتداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا والله اعلم

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح
مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن
الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين
ذكرا الى الانبياء **عذرا** للمحقين **او نذرا** للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق
على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها وللاشعار بان كلا من الاوصاف
المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام
بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما
ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن
بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف
بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما
عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمة الله تعالى في الغيث
ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا
في حصوله اذا تفكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق و
الباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة
اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين
او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا
الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل
انما توعدون لواقع جواب للقسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة **فاذا**
النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب بنورها **واذا السماء فرجت** صدعت وفتحت فكانت ابوابا
واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت
من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة **واذا الرسل**
اقتت اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحصوله
او لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف
فيهما **لاي يوم اجلت** مقدر بقوله هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال
من مرفوع اقتت او حال يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك
اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى **ليوم الفصل** بيان ليوم التاجيل وهذا اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق **وما ادراك ما يوم الفصل** مبتدا وادراك خبره اي شيء جعلك

دارياً ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر يوم الفصل مبتدأ
لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره
ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبره لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه
ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد
مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرف او
صفة الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى
اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب
وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم نتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفاً على نهلك فيكون المراد بالآخرين
المتاخرين هلاكاً من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل
الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين
بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا
الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو
الرحم الى قدر معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا
اي فقدرناه وقد قرئ مشدداً اي فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور
بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة
الم نجعل الارض كفاتاً الكفات اسم ما تكفت اي تضم وتجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتاً تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتاً غير محصورة في
بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري
على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتاً لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات
وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتاً تكفتكم احياء وامواتاً وجعلنا فيها رواسي
جبالاً ثوابت شامخات طوالاً شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجن
ود واجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء
فراتاً بان خلقنا فيها انهاراً ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا
اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا
خصوصاً الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي
اخباراً بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعاً او كرهاً ذي ثلاث شعب يتشعب
لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط
بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون
في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم
او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية
السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل يقف شعبة
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ
الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن عنهم من حر اللهب شيئاً انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة

منزل كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ
كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور
كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالات صفر قيل هو جمع جمالة جمع لتانيث الجمع تقول
جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر لان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود
لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط ط
والحركة وقرئ جمالات جمع جمال وجمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقرئ بها وهي الحبل العظيم
من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لان السؤال
والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون
في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ
بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على
يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسبباً عن
الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل
جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان
كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم
على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة
لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما
يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون مقدر
بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولاً لهم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملونه في الدنيا من
الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقايدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه
ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل
كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولاً لهم
ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم
الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به
المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة دة
التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا بقبول وحيه و
اتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون
على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفاً بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال
صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى
السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بالفروع في حق المواخذة فبأي حديث بعده اي بعد القران الناطق باحاديث الدارين
واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم

يومنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات
كتب انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها
وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود
الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما
بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه
الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها
كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم
او طبيب وقيل كانوا يتساءلون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم
اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن
المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك عاملا ومعمولا معا لكنه يرفع بالاسناد الكل
البعض صريحا لجانب فاعليته ويحال مفعوليته على دلالة الفعل كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد
منهم الآخر وقد يجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن
اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك
تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسال هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وربما يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه
مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبإ العظيم بيان
لشان المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين
فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره
خارج عن دائرة علوم الخلق حقيق بان يعتنى بمعرفته ويسال عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون
هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبإ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور وحقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان
ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم
متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل
عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبإ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمر كانه
قيل عم يتساءلون أعن النبإ العظيم والنبأ الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى
الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تاكيدا لخطره واثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه
وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة
على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني
فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة

المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات هنا على تعميم التساؤل لان فيهم المسلمين والكافرين
على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله
در تعالى كلا سيعلمون الخ فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليهم يدور
الردع والوعيد لا على اختلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون
بهم مع عموم الضمير السابق للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل
النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل
فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل
الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان
الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا
حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن
التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل
للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه
ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى
قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك صريح في الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه
من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف
ل والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال
وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد
وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة وقيل البعث
والثاني في القيمة وقيل للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب
الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال
بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ
استئناف مسوق لتحقيق النبإ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها
بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي محمد
م صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام
والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه
تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم
د عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الى آخره او على ما يقتضيه الانكار
التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى
الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد
التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس
والحركة لازاحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا

الليل الذى يقع النوم فيه غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستره
عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى تحقيق المقصد ادخل وهو جعل الليل
محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة فى قوله تعالى وجعلنا
النهار معاشا اى وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذى هو اخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى
جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن
العيون او بيانا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب فى تحصيل
المعايش والحوايج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البنا لا يؤثر فيها
مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبنا مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم
الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل
بمعنى الانشا والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا
عام له كما فى الاية الكريمة كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا واياما كان فضابطه عن ملابسة مفعوله بشئ اخر بان يكون فيه او له او منه
او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون
عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى
وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا
اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون
اصابعهم فى اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما
سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالى من وهجت النار اذا
اضاءت او البالغ فى الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق
السموات بالبنا وانزلنا من المعصرات هى السحايب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر
كما فى احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التى
حان لها ان تعصر السحايب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد
بها السحايب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات
الاعاصير ووجهه ان الرياح هى التى تنشئ السحايب وتدر اخلافها فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال
ماء ثجاجا اى منصبا بكثرة يقال ثج الماء اذا سال بكثرة وثجه اذا اساله ومنه قوله صلى الله عليه
افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا
مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف
كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه
غذاء الانسان وجنات الجنة فى الاصل هى المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر
المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابى سلمى كان عينى فى غربى مقتلة من النواضح
تسقى جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاو

والاول هو المراد وقوله تعالى ألفافا اى ملتفة تداخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له
كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع
لف لفا كخضر وخضر وقيل جمع ملتفة بحذف الزوايد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل
على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء
هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثانى
باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رايع مستتبع لغايات جليلة ومنافع
جميلة عايدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار
نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج
الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الافاقية
والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه
انكارا وتسالون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع فى بيان
سر تاخيره بينا لون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع
تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عنده من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا
اى ان يوم فصل الله عز وعلا بين الخلايق كان فى علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين
والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا
توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه ولا ريب فى انهما بمعزل من التقريب
الذى اشير اليه على ان الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور اى
نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى
تاخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدايه النفخة وفى بقيته الفصل ومباديه وآثاره
والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه
على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها
فى الحيوة غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن
فى الارض الا من شاء الله تعالى ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام
وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء فى قوله تعالى فتاتون
فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما
فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب
ذلك من غير لبث اصلا افواجا اى امما كل امة مع امامها كما فى قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس
بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها
عن معاذ رحمه الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عم يا معاذ سالت عن امر
عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسون ارجلهم فوق ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم
يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم

فقطعت أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات
من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربوا
وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون
ألسنتهم فالعلماء الذين خالف أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون
جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا
من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون
الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت السماء** عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
وقرئ وفتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى **فكانت أبوابا** أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول
الملائكة ولا غرو معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا
كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر
في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الأبواب الطرق
والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء **وسيرت الجبال** أي في الجو على هيئاتها
بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي
تراها رأي العين ساكنة في أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك أن
الأجرام العظام إذا تحركت نحوا من الأنحاء لا تكاد تتبين حركتها وإن كانت في غاية السرعة لاسيما
من بعيد وعليه قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج
وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به
قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك
الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله
تعالى **فكانت سرابا** أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
أي غبارا منتشرا وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما
يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي هو إسرافيل
وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية **إن جهنم كانت مرصادا** شروع في
تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف إليه اليوم إثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار
غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه
الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي إنها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد
فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها **للطاغين** متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصادا أي كائنا للطاغين
وقوله تعالى **مآبا** بدل منه أي مرجعا يرجعون إليه لا محالة وإما حال من مآبا قدمت عليه لكونه
نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآبا على أنها مرصاد للفريقين مآب
للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فإن المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل

قيل إنها مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي
مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا
يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين **لابثين فيها**
حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى **أحقابا** ظرف للبثهم أي
دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا
حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب
ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما**
وغساقا جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر
النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ
غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم **جزاء** أي جوزوا بذلك **وفاقا** أي ذا وفاق لأعما لهم
أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا أي لاقه
إنهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا
بأعمالهم **وكذبوا بآياتنا** الناطقة بذلك **كذابا** أي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على
الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر
كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه إما بفعله المدلول عليه بكذبوا أي
وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فإن كل من يكذب بالحق
فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد
يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيبا
كذابا مفرطا كذبه **وكل شيء** من الأشياء التي من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره **أحصيناه** أي حفظناه ٥
وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء **كتابا** مصدر مؤكد لأحصيناه فإن الإحصاء والكتبة من
واد واحد ولفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله
تعالى **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا** مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات
المنبئ عن التشديد في التهديد وإيراد لن المفيد لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت
الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه
الآية أشد ما في القرآن على أهل النار **إن للمتقين مفازا** شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين
إثر بيان سوء أحوال الكفرة أي إن للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمبتغاهم
أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى **حدائق وأعنابا** أي بساتين
فيها أنواع الأشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا **وكواعب** أي نساء فلكت ثديهن وهي النواهد
أترابا أي لدات **وكأسا دهاقا** أي مترعة يقال أدهق الحوض أي ملأه **لا يسمعون فيها** أي في الجنة
وقيل في الكأس **لغوا ولا كذابا** أي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف
أي لا يكذبه أو لا يكاذبه **جزاء من ربك** مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازا فإنه في قوة
أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى
الكمال شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام **عطاء** أي تفضلا

واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء **حسابا** صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه
مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم
وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك **رب السموات والارض وما
بينهما** بدل من ربك وقوله تعالى **الرحمن** صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته
تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى **لا يملكون منه خطابا** استئناف
مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير
ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للاول
وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر اخر وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون
حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل
الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به ولا وجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون
الثاني نعتا للاول ولا يكون استئنافا على حاله فقد فيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء
كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا
كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع
الثاني على الابتداء او بجر ما بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال ومعنى
لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم
على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل
ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف
الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** قيل الروح خلق اعظم
من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا
اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا
وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس
وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الاية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا
ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة
على الملائكة وقيل جبريل عم وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صفا واحدا ومنهم
والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا
واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى **لا يتكلمون** وقوله تعالى **الا من اذن له الرحمن وقال صوابا** بدل
من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم
اصطفافا لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار
الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون
الخ مؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس
الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك الماذون له قولا صوابا اي صفا فكيف
يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح
والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم منه تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من

الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع
تجويزه ان يكون يوم ظرفا ليتكلمون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن
الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك
الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن
هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه **ذلك** اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة
ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة
مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال **اليوم الحق** اي الثابت المتحقق
لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى **فمن شاء اتخذ الى
ربه مآبا** فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم
عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كذلك كما ذكر من تحقق اليوم المذكور
لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة
وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله تعالى
من استطاع اليه سبيلا **انا انذرناكم** اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما
بعده من الدواهي وبسائر القوارع الواردة في القرآن **عذابا قريبا** هو عذاب الآخرة
وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا ويرونه قريبا لقوله تعالى
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين
وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** فانه اما بدل
من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر
على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية
منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر واما في قوله تعالى **ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا** ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق
ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من
القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى الشيء
الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة والله اعلم

ان يكون

سورة النازعات مكية وآيها اربعون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

**والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا** اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما
قاله ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد
بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها والسابحون

وينشطونها

في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح
المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام
واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم • للاشعار بان كل واحد من الاوصاف
المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال
والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتيبهما
بغير مهلة كما في قوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • وغرقا مصدر مؤكد
بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث ينزعها من اقاصي الاجساد وقال ابن مسعود رضي الله عنه
تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها
في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر
نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا
فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من
الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية
والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة
عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم
عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم
التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان يقطع الفلك حتى يحط في اقصى الغرب وتنشط
من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها
بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث
كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن
الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون
في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق
فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى
الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه وهذا والذي يليق بشان التنزيل
هو الاول وقوله تعالى **يوم ترجف الراجفة** منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة
التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال
وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله
تعالى **تتبعها الرادفة** اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة
لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك
فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان
البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا
يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام وجه اضافته الى
الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما
دل عليه قوله تعالى **قلوب يومئذ واجفة** اي يوم يجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ
متعلق بواجفة وهي صفة القلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى **ابصارها** اي ابصار اصحابها
خاشعة جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا للقلوب وفيه ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان
جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما
بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد
من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا
فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في
موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختصص سواء حمل على التنويع
كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان
التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة
اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنه خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن
اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى **يقولون ائنا لمردودون في**
الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه
بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار
اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة
اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها
اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر
والرضا وكقولهم نهاره صائم على تسمية القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله
تعالى **ائذا كنا عظاما نخرة** تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في
اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من
الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر او اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو
البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير **قالوا** حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق
ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار
مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع
اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع
تلك اذا كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي اذا صحت فنحن اذن خاسرون
لتكذيبنا بها وقوله تعالى **فانما هي زجرة واحدة** تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام
النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مدار ما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها
فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال
اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة وقوله تعالى **فاذا هم بالساهرة** حينئذ بيان

لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول
بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك
لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء في ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام
خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه
ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل
يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين
تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس
وقيل الساهرة بمعنى الصراط على متن جهنم وقوله تعالى **هل أتاك حديث موسى** كلام مستأنف
وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان
اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه
ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر
اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص فالمعنى قد اتاك حديثه وقوله تعالى
اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما **طوى** بضم الطاء
غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة
وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اذ ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى **اذهب الى
فرعون** على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل
عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب الامتثال
فقل بعدما اتيته **هل لك** رغبة وتوجه **الى ان تزكى** بحذف احدى التاءين من تتزكى اي
تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد **واهديك الى ربك** وارشدك الى معرفته
عز وجل فتعرفه **فتخشى** اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله
من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير
ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه
العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله
تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى **فاراه الآية الكبرى** فصيحة
تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السورة الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها
عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما
من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان جئت باية
فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها وعرفها
وادعى سحريتها انما كان اراءته منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما
ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالكبرى
قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع
لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل
اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم

وقيل هي ارض الشام

لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الايتين
من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة
كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد **فكذب** بموسى
او سمى معجزته سحرا **وعصى** الله تعالى بالتمرد وبعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان
واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته
عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل
من الاسر والقسر فقط **ثم ادبر** اي تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس **يسعى** اي يجتهد في
معارضة الاية او اريد ثم اقبل اي انشأ يسعى وضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال
وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشقر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر
فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من
قومه وقيل انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعاد عصا
ويأباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه
قوله تعالى **فحشر** اي فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى
فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع الناس **فنادى**
في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي **فقال انا ربكم الاعلى** قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة
فاخذه الله نكال الآخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي
ينكل من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله
وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق في الآخرة والاغراق
في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال الخ وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكالها وقيل
نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس
الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا
فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة
والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة
فالاضافة اضافة المسبب الى السبب **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به
لعبرة عظيمة **لمن يخشى** اي لمن من شانه ان يخشى وهو من شانه المعرفة وقوله تعالى **أأنتم اشد
خلقا** خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين
كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى انما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد
اي اشق واصعب في تقديركم **ام السماء** اي ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي
تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله
تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى **بناها** الى اخره
بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف

عليه من الافعال من التنبيه على نعمه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى **رفع سمكها**
بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام
فسواها فعدلها مستوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها ما تتم به من الكواكب
والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه **واغطش ليلها**
اي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله
تعالى واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم **واخرج ضحاها** اي ابرز
نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في
تاخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في
الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان
يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام
سلطانها وكمال اشراقها **والارض بعد ذلك دحاها** اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم
في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها **اخرج منها ماءها** بان فجر منها عيونا واجرى
انهارا **ومرعاها** اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد
الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط
والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد
عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم **والجبال**
منصوب بمضمر يفسره **ارساها** اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان
الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو
بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال
بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة
تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء
والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على ان تاخر الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى
عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد
الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا
رتقا ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف
عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فاذن وما في سورة البقرة من قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض
وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات
والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي
على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع
وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما
فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في

في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تاويل هذه الاية بان يحمل ذلك
اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل بعدية الدحو
عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود ولما عرفت من ان
انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية
في الوجود وفائدة تاخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة
بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر
وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في
تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو
التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر من آيات سورة السجدة من الخلق وما
عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على
تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها
وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى
متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط
والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان
وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول الماكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر
مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها
ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى **فاذا جاءت الطامة الكبرى** اي الداهية العظمى التي تطم
على سائر الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها
الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهذا شروع في بيان احوال
معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع **يوم يتذكر الانسان ما سعى** قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه
منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب
ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على راي الكوفيين اي يتذكر فيه
كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول
الامد كقوله احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية **وبرزت الجحيم** عطف على جاءت اي اظهرت
اظهارا بينا لا يخفى على احد **لمن يرى** اي كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل
ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم
من مكان بعيد او انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى
فاما من طغى الى آخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى الاية وقيل
هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فاما من الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل
ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله
تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان **وآثر الحيوة**
الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الاخروية الابدية

بالايمان والطاعة **فان الجحيم** التي ذكرناها **هي المأوى** اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم
بأن صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف
لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدأ وقيل نزلت الآية في النضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو
في الكفر والطغيان **واما من خاف مقام ربه** اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى
يوم يتذكر الانسان ما سعى **ونهى النفس عن الهوى** عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها **فان الجنة هي المأوى**
له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم
احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل
عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى على طريقة
قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت
الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وحال من الانسان باضمار قد او بدونه لاختلاف
الزمانين ولمن يرى يعمى عن المعاينة وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيل لحال الانسان الذي يتذكر
ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين **يسألونك عن الساعة ايان مرساها** متى ارساها
اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة
حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى **فيم انت من ذكراها** انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي
في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي
عنها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك به وانى ذلك وهو مما
استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن
الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا
السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة
من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى
الى ربك منتهاها اي على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت
وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك
فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه انه تعالى انتهى علمها ليس لاحد منه
شيء ما كائنا ما كان فلأي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى **انما انت منذر من يخشاها** على الوجه الاول
تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام
في ذلك الشأن فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره انه ليس له عليه السلام ان
يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا
يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها
وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط بجزالة تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما
ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله
وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت
لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد

الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى
كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة
مجيء المنذر به لاسيما على الوجه الثاني اي كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية
يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم
كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية
او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار
كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من
الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما في قوله تعالى كأن لم يلبثوا الا
ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة
خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل
ينذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى
الثاني مستأنف لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات
كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله اعلم

سورة عبس مكية وآيها اربعون وآيتان

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي
ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة
يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله
تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا
رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى
والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان
باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في
قوله تعالى **وما يدريك** كذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك
داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى **لعله يزكى** استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع
اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تعالى
يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي
واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض
عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على
ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى

أو يذكر عطف على تزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل
وقرئ بالرفع عطفا على تزكى أي أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير
في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن
الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم
والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فأنت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام
بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من
شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك
الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك ألا يزكى وليس عليك بأس في ان لا
يتزكى بالاسلام حتى يهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية
للانكار اي اي شيء في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا وأما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا
لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك
وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فأنت
عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى اي يلهيك شأن الصناديد
وفي تقديم ضميره على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته اي مثلك خصوصا
لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام
بمضمونهما روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا
ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما
من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بامره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده
وقوله تعالى انها تذكرة اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان
علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة
بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن
رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث
خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ
وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست
مما ألقي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط
لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا
تقتضي منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة
لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من
اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار
والذكر مطهرة منزهة عن مساس أيدي الشياطين بأيدي سفرة اي كتبة من الملائكة عليهم السلام
ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل من الملائكة
يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام
بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام

والاحكام لا لمجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار وعلى اصحابه صلى الله عليه وسلم
وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة
والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة
من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة
كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل
مطيعين لله عز وجل من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه قتل
الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما أكفره تعجب من افراطه في الكفران و
بيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته
الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده
لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم وذم بالغ
ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من أي شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما
افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة
مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه تحقير له اي من اي شيء
حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي
ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينعكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من
السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم أماته فأقبره اي جعله
ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان
يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة
الى الحياة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء أنشره اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة
في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع
لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما أمره بيان لسبب الردع
اي لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى باسره
اذ لا يخلو احد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات
الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر
ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من التقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم
النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني وهو الجنس لكن لا على الاطلاق بل
على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان
لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد
منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى
لا يقضي جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء
الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل

ما امر به وقوله تعالى **فلينظر الانسان الى طعامه** شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل
النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الى طعامه الذى يدور عليه امر معاشه كيف دبرناه وقوله تع
انا صببنا الماء اى الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه
وقرى انا على الاستيناف وقرى انى بالامالة اى كيف صببنا الخ **صبا** اى صببناه صبا عجيبا **ثم شققنا**
الارض اى بالنبات **شقا** بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيأة وحمل شقها
على ما الكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى
قوله **فانبتنا فيها حبا** فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين
انبات الحب بلا مهلة وانما الترتيب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخى المعهود وهى الشق
المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد
الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم
لبيان النعم الفائضة من جانبه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ تاكيد الفعل
بالمصدر فتوسيط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى **وعنبا** عطف
على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه والاخير فى خلق
نبات العنب عن شق الارض **وقضبا** اى رطبة سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كانها لتكرر
قطعها وتكثره نفس القطع **وزيتونا ونخلا** الكلام فيهما وفى امثالهما كما فى العنب **وحدائق غلبا**
اى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف
الرقاب **وفاكهة وابا** اى مرعى من أبه اذا امه اى قصده لانه منتهى للرعى او فاكهة يابسة تؤب
للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا
قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه انه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا
فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى
ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول
له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات
لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اى متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب
عليه اى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اى تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال
الثلاثة فى معنى التمتيع **فاذا جاءت الصاخة** شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم
ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع
بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق اى يصيخون
لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة
التى تصخ الاذان اى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر اى صكه وقوله تعالى **يوم يفر المرء**
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعنى تفسيرا للصاخة او بدل منها مبنى على الفتح
بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين وقيل هما بدل من اذا جاءت كما مر فى قوله تعالى يوم يتذكر
اى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل
ذلك تعليله بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى **لكل**

يوم ويفتح او مرزاب لكذا
اذا اتى له كأنه

امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اى لكل واحد من المذكورين
شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى
عن ابن عباس رضى الله عنه يفر هابيل من اخيه قابيل ويفر النبى صلى الله عليه وسلم من امه ويفر
ابرهيم عم من ابيه ونوح عم من ابنه ولوط عم من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى
ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة
والعين المهملة اى يهمه من عناه الامر اذا اهمه اى اوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما
لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى **وجوه يومئذ مسفرة** بيان لمآل امر المذكورين
وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة
لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق بها اى مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن
ابن عباس رضى الله عنه ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله **ضاحكة مستبشرة** بما
يشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة **ووجوه يومئذ عليها غبرة** اى غبار وكدورة **ترهقها** اى
تعلوها وتغشاها **قترة** اى سواد وظلمة **اولئك** اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته **هم الكفرة الفجرة**
الجامعين بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية واياتها عشرون وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها
من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء واما
لف ضوئها المنبسط فى الافاق المنتشر فى الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم
استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه
فكوره اذا القاه على الارض وعن ابى صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنه تكويرها ادخالها
فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره
المذكور وعند البعض على الابتداء **واذا النجوم انكدرت** اى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت
روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الارض وعنه رضى الله عنه
ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدى ملائكة من نور فاذا مات
من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى
ان الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم **واذا الجبال سيرت** اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية
واذا العشار جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة
وهو انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل
العشار السحاب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم
امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** اى جمعت من كل جانب وقيل بعثت

للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها ردت ترابا فلا يبقى منها
الا ما فيه سرور لبني آدم او اعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ اي احميت او مليت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب
ليحميه وقيل مليت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة
وقرئ سجرت بالتخفيف وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها
او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ اي
المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان
الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحرا
وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحوامل اذا قربت حفرت حفرة
فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ
توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب
والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سالت اي
خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت
به حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية وَإِذَا الصُّحُفُ
نُشِرَتْ اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما
شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن
مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده
في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير الاعمال
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به
وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ
اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف وَإِذَا
الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ اي قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا
عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار
سجرت على ان المراد يحشر الوحوش جميعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الاخرة اي بعد
النفخة الثانية وقوله تعالى عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد
ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين
الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية
تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه
نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتعظيما للحال والمراد بما احضرت اعمالها
من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا
من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة

مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك
وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله تعالى في حق من يشرب من آنية
الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال
على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان
فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا الاية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ
انها تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها
على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها من نوع مشقة وان
كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة
لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته
لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه
كل احد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه والرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها
وتكثر اعدادها مما لا يستقل لدى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدايع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه
واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله
تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله ومقول
من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في
تكثير فرسانه ولاظهار برائه من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يزيد فمن لوائح النظر
الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول
كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما ترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل
للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في
التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به
القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من
المبالغة لما ذكرناه فتامل ويجوز ان يكون للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما
احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هي التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه
على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد
بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا
يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ
اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل
وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الْجَوَارِ الْكُنَّسِ لانها تجري مع الشمس والقمر
وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي
اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب

عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه
او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول
العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا والصبح اذا تنفس لانه اول النهار
وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك
نفسا له مجازا وقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول
رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد
القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان
التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل عندية اكرام وتشريف لا
عندية مكان مطاع فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ثم امين
على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر
الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما بهته الكفرة والتعرض لعنوان
الصاحبية للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية
وقد استدل به على فضل جبريل عم للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول
الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة
بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى
وما هو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب
بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي لا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة
وما هو بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين
تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه
وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما يقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب
ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين
باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول لمن شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة
الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكر وما تشاؤن اي الاستقامة مشيئة مستتبعة
لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله تعالى اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة
للاقامة فان مشيئتكم لا يستتبعها بدون مشيئة الله تعالى رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس
واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب
بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد
امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضي الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا

فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور
نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر
لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله علمت نفس ما قدمت واخرت
جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد به زمان واحد
مبداه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما
كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر في نظيره ومعنى ما قدمت
واخرت ما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود
وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموال لنفسه
وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بها علمها بها
التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك
على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواقب الطامة وما سيكون حينئذ
من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون
مدارا للاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في
الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال
على الايمان في الطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف
بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة
ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية
جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت
او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من
غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما
مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة
لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك
كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة
وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع
بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون
بالجزاء والبعث راسا او بدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا يصدقون هؤلاء ولا جوابا ولا
ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون
وقال القفال ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتثبتون بهذا البيان بل تكذبون
بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل يكذبون مفيدة لبطلان
تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به من الجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا
كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا
بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور
حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق

بعد الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله
تعالى يصلونها اما صفة للجحيم او استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلهما كأنه قيل ما حالهم فقيل
يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة فان
المراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها
استمرار النفى لا نفى الاستمرار باعتبار ما يفيده من الدوام والثبات بعد النفى لا قبله وقيل معناه وما
كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى صلى الله عليه و[سلم]
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادريك ما يوم الدين ثم ما
ادريك ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل امره بعد تهويل ببيان ان
شأنه خارج عن دائرة دراية الخلق على اى صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اعظم من
ذلك واعظم اى واى شىء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس
كما هو رأى سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب فى ان مناط افادة الهول و
الفخامة هنا هو ما يوم الدين اى اى شىء عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما
قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فى
الجواب كاتب او طبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان
خروجه عن علم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن
عباس رضى الله عنه كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما ادريك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما
يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن
كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب
باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا
تملك نفس الخ فانه يدريك ما هى وقيل باضمار يدانون وليس كذلك فانه عار عن افادة ما لم
يفده ما قيل كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى
سورة المطففين مكية له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وآيها ثلاثون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه
الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وايا ما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء
والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شىء طفيف حقير روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل
يعرف بابى جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون
وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم
قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر
وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا

الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ
صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل اى اذا
اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين
الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى ان اكتيالهم مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط
الذى تتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء
ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما ارادوا باى وجه تيسر من
وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه واما ما قيل من ان
ذلك للدلالة على اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان
يكون لهم على الناس شىء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضى ان يكون معنى الاستيفاء
اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق فى معرض الحق فلا يكون
مدارا لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا
يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور
حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا
قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك وقيل
ويجوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اى
يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصد بتقديم الجار والمجرور
انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق
القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى ان الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ
الوافى مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان
الحديث واقع فى الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى واذا كالوهم
او وزنوهم للناس اى اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اى ينقصون يقال خسر الميزان
واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اى جنيت لك وجعل البارز
تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار
على الاكتيال فى صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند
الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم
فى الاخذ والاعطاء لا فى خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة للمطففين
ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الاشارة الى الشىء متعرضة من حيث
اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر
الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد اى الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل
انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة و
الخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مما لا يكاد يتجاسر على امثال

هالك الفجار فكيف بمن يتقيه وقوله تعالى **يوم يقوم الناس لرب العالمين** اى لحكمه وقضائه
منصوب باضمار اعنى وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر المبتدا مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم وبني
على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين ويؤيده الاخرين القراءة بالرفع
وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه كافة لله
تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم
في التطفيف وامثاله مما لا يخفى **كلا** ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب
وقوله تعالى **ان كتاب الفجار لفي سجين** الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق
وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين
منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم
او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى
ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب
المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى **وما ادريك ما سجين** تهويل لامره اى هو بحيث
لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى **كتاب مرقوم** اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه
انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى **ويل
يومئذ للمكذبين** متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله
تعالى **الذين يكذبون بيوم الدين** اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع
او منصوب على الذم **وما يكذب به الا كل معتد** اى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار
غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء **اثيم** اى
منهمك في الشهوات المخرجة الفانية بحيث شغلته عما وراها من اللذات التامة الباقية وحملته
على الانكار لها **اذا تتلى عليه آياتنا** الناطقة بذلك **قال** من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي
لا محيد عنه **اساطير الاولين** اى هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو
الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا
تتلى على الاستفهام الانكاري **كلا** ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له
فيه وقوله تعالى **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك
العظيمة اى ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شانها مثل هذه المقالة الباطلة بل ركب قلوبهم
وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدا في المرآة فحال ذلك بينهم وبين
معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى
يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدا يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا
ويقال ران فيه النوم اى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء **كلا** ردع وزجر عن الكسب الرائن
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة
من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون
عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم** اى داخلوها ومقاسو حر النار فان
صلى الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة **ثم يقال** لهم تقريعا وتوبيخا من جهة

الزبانية **هذا الذي كنتم به تكذبون** فذوقوا عذابه **كلا** ردع لما كانوا عليه بعد ردع
وزجر اثر زجر وقوله تعالى **ان كتاب الابرار لفي عليين** استئناف مسوق لبيان محل كتاب
الابرار بعد بيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم
وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على
فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعلى الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في
السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى **وما ادراك
ما عليون كتاب مرقوم** كما مر في نظيره وقوله تعالى **يشهده المقربون** صفة اخرى لكتاب اى
يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة **ان الابرار لفي نعيم** شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار **على الارائك** اى على الاسرة في
الحجال ولا تكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة **ينظرون** اى الى ما شاءوا
مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى عدوهم
يعذبون في النار وما يحجب الحجاب ابصارهم عن الادراك **تعرف في وجوههم نضرة النعيم**
اى بهجة التنعم وماهوره ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من
آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء **يسقون من رحيق** شراب خالص
لا غش فيه **مختوم ختامه مسك** اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال
نفاسته وقيل ختامه مسك اى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اى ما يختم به
ويقطع **وفي ذلك** اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى
البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اى في ذلك خاصة دون غيره **فليتنافس
المتنافسون** اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى
لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله
من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين
يريد ان لا يستأثره وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل
احد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن به **ومزاجه من تسنيم** عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق
مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او
تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة
واما لانها تاتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتصب في اوانيهم **عينا** نصب على الاختصاص
وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى **يشرب بها المقربون** فانهم
يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة والباء زائدة او بمعنى من وقوله تعالى **ان الذين اجرموا**
الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة **كانوا في الدنيا
من الذين آمنوا يضحكون** اى يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء
المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اى كانوا من الذين آمنوا
يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل
واذا مروا اى فقراء المؤمنين **بهم** بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا

الفجار متعلقا ببيان سوء حال ج

يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فاكهين
متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون
حينئذ بالتغامز وقرئ فكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل
ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اي ينسبون المسلمين
ممن رأوهم ومن غيرهم بطريق التأكيد الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال
من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهته تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم
احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما
اجترءوا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة
قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن
الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة
كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي من
المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين
قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه
وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم
كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون
منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا
اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله
تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم لضحكهم
منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام
اللام في الثاء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من
الرحيق المختوم

سورة الانشقاق مكية وآيها عشرون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت
ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين
في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة
كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك
بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك
لكن لا على ان المراد خصوصيتها ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية
التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور وحق الجملة ان يكون اعتراضا مقررا لما قبلها
معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث
صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وزيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اي

زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو
حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت
اي وهي حقيقة بذلك اي شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد
الافعال المنسوبة الى السماء والارض ونوعا في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره
فيما مر يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده
من الاحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث
يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف
يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
الخ قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى
قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل
هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى
فملاقيه وما بينهما اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة
فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله تعالى عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب
الى اهله مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرءوا كتابيه
وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتاه
بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل
تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعو يا ثبوراه
تعال فانه اوانك وانى له ذلك ويصلى سعيرا اي يدخلها وقرئ يصلى لقوله تعالى وتصلية
جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين اهله وعشيرته
في الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كدأب الفجار الذين لا يهمهم امر ولا يخطر ببالهم امور
الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وماله كسنة الصلحاء والمتقين
والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا
اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها مسد
مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان
به بصيرا تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة
للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى عليه منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت
الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في
افق المغرب بعد الغروب والبياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة
القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة
عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربعة
عشر لتركبن طبقا عن طبق اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة
والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى

والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها

لتركبن احوال الابعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبق اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى **فما لهم لا يؤمنون** لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى **واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون** جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القران وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال ما سجدت الا بعد ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس رضي الله تعالى عنه صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن رح هي غير واجبة **بل الذين كفروا يكذبون** بالقران الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته **والله اعلم بما يوعون** بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا **فبشرهم بعذاب اليم** لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من امن منهم بعد ذلك وقوله تعالى **لهم اجر غير ممنون** اي منقطع او ممنون به عليهم تبيين لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها عشرون واثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت ومنازل القمر وعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور **واليوم الموعود** اي يوم القيمة **وشاهد ومشهود** اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عم وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الى اخره وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو ادم وعن الحسين ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو ادم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام **قتل اصحاب الاخدود** قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالي وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما روي ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وتصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه وراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار واتى الغلام فذهب به الى قرقور

[Margin: الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به]

فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسطهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا **النار** بدل اشتمال من الاخدود **ذات الوقود** وصفها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجد من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى **اذ هم عليها قعود** ظرف لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود** اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة

لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها
سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق
وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ عن
بيانهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن
ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى
الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء
شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال
الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم
في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمؤمنين المطروحون في الاخدود
واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا
اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر
قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر هو وعذاب مرتفع به على الفاعلية
وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا تغير في معنى بان وان خالف فيه الاخفش والمعنى لهم في
الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم المؤمنين
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان
والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها
ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة
لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير
لتأويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض
لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصاف المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات
من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات
من حيازتهم فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم قطعا واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور
العظيم الشأن الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها
والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى
الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه
بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير
دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده
في الاخرة وهو الغفور لمن تاب وامن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش
الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد العظيم في ذاته

وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة ربك او للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال
غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه
تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم
بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون
هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب
والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى
وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب
عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم
اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستغرقون في تكذيب شديد للقرآن
الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في
تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به
قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط
تمثيل لعدم نجاتهم من عذاب الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد
رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة
فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في
لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ
في لوح وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيها اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب
غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية
البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج • سدكا بارحلنا ولم يتعرج • والمراد ههنا الكوكب
البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله
تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره
بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فالاولى مبتدأ وادراك خبره والثانية
خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب
خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم
المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل
كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود وقيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي
وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط

مهما ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين نزل وحين يصعد وفي ايراده
عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه
امره وان ذلك مما لا يبلغه انكار الخلايق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا
يخفى وقوله تعالى **ان كل نفس لما عليها حافظ** جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما
ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا
اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله
على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى
وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي
هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ
والفاء في قوله تعالى **فلينظر الانسان مم خلق** للتنبيه على انه ما بين من ان كل نفس عليها
حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدا
فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر
على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا
يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى **خلق من ماء دافق** استيناف وقع جوابا عن استفهام
مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد
به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى **يخرج من بين الصلب والترائب** اي صلب
الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل
عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض
عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويورث الافراط في
الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب
الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة
هي صالب **انه** الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه
ابتداء مما ذكر **على رجعه** اي اعادته بعد موته **لقادر** لبين القدرة **يوم تبلى السرائر** اي تتعرف
وتتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها
وما خبث وهو ظرف لرجعه **فما له** اي للانسان **من قوة** في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ينصره
والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار
الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا به التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى
يرجعه حينا فحينا **والارض ذات الصدع** هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او الصدع من
المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما
على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو
السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر
في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون **انه** اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة

الناطقة بمبدا حال الانسان ومعاده **لقول فصل** اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه
نفس الفصل **وما هو بالهزل** ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه
ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة **انهم** اي اهل مكة **يكيدون** في ابطال امره
واطفاء نوره **كيدا** حسبما تفي به قدرتهم **واكيد كيدا** اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث
استدرجهم من حيث لا يعلمون **فمهل الكافرين** اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم
بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتولي كيدهم بالذات
مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى **امهلهم** بدل من مهل وقوله تعالى
رويدا اما مصدر موكد بمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي
قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنه او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل
تصغير رود بالضم وانشد كانها ثمل يمشي على رود اي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود
بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم
رويدا اي متمهلين وفي ايراد الاول بصيغة التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين
المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلام
من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات والله اعلم

سورة الاعلى جل وعلا مكية واياتها تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه
على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى صفة
للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم
وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** صفة اخرى
للرب على الوجه الاول منصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة
غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى **والذي قدر**
اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال فيما بعده اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها **فهدى** اي فوجه كل واحد منها
الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل
وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى
ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينيها بورق الرازيانج الغض
يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة
فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة
باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فيه حيث
يقيض الله له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فياكل ما فيه وقد
خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما قوله

هدايته بانه سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الانسانية
مما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه
الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريا اسود وقيل احوى حال من
المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والذي جعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا
تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته
وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام
لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما سيوحى
اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي
اليك الان وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا
من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى
لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار
بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله فاضلونا السبيلا وقوله
تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما
شاء الله ان ينساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران
المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة
والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله
فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ
النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما
قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقي
محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على نقرئك
كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به
عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان
بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام
جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى
في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طرق تلقي الوحي و
الاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه صلى الله عليه وسلم
وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما
يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما
استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما
كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما
كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في
الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا
يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف

وعيد وقوله تعالى واعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم
واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين
ان يسمعوا منك الى نحو ما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اي سيتذكر
بتذكيرك من شأنه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد
ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما
في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما اي تذكر ما
نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف فالتقدير ان نفعت
الذكرى وان لم تنفع كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي
ويتجنبها اي الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي الطبقة السفلى
من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه
جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه وثم
للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من الصلي قد افلح اي نجا
من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى
او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكاة
وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار
بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس
كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة
الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا
اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك
بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار
الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى
ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية واما للكل فالمراد بايثارها
ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي
والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق
المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والاخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون
مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان
نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم
التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية الظهور ان هذا
اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف
الاولى ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها
بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله تعالى من
كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى

ادریس ثلاثین صحیفة وعلی ابرهیم عشر صحایف علیهم السلام والتوریة والانجیل والزبور والفرقان عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرا سورة الاعلی اعطاه الله عشر حسنات بعدد کل حرف انزله الله تعالی

سورة الغاشیة مکیة وآیها عشرون وست آیات

بسم الله الرحمن الرحیم

هل اتاك حدیث الغاشیة قیل هل بمعنی قد کما فی قوله تعالی هل اتی علی الانسان الآیة قال قطرب قد جاءك یا محمد حدیث الغاشیة ولیس بذاك بل هو استفهام ارید به التعجیب مما فی حیزه والتشویق الی استماعه والاشعار بانه من الاحادیث البدیعة التی حقها ان تتناقلها الرواة ویتنافس فی تلقیها الرعاة من کل حاضر وباد والغاشیة الداهیة الشدیدة التی تغشی الناس بشدایدها وتکتنفهم باهوالها وهی القیمة من قوله تعالی یوم یغشاهم العذاب الخ وقیل هی النار من قوله تعالی وتغشی وجوههم النار وقوله تعالی ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سیروی من حدیثها لیس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ایضا وقوله تعالی **وجوه یومئذ خاشعة** الی قوله مبثوثة استیناف وقع جوابا عن سوال نشأ من الاستفهام التشویقی کانه قیل من جهته علیه السلام ما اتانی حدیثها ما هو فقیل وجوه یومئذ ای یوم اذ غشیت ذلیلة قال ابن عباس رضی الله عنهما لم یکن اتاه صلی الله علیه وسلم حدیثها فاخبره عنها فقال وجوه یومئذ الخ فوجوه مبتدا ولا باس بتنکیرها لانها فی موقع التنویع وخاشعة خبره وقوله تعالی **عاملة ناصبة** خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها ای تعمل اعمالا شاقة تتعب فیها جر السلاسل والاغلال والخوض فی النار خوض الابل فی الوحل والصعود والهبوط فی تلال النار ووهادها وقیل عملت فی الدنیا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهی یومئذ فی نصب منها وقیل عملت ونصبت فی اعمال لا تجدی علیها فی الآخرة وقوله تعالی **تصلی** ای تدخل **نارا حامیة** ای متناهیة فی الحر خبر آخر لوجوه وقیل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غیر مرة ان الصفة حقها ان تکون معلومة الانتساب الی الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة ولا ریب فی ان صلی النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور منتظرة وبه فی الانتساب الی الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع فیه مفروغا عنه عن مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحکم بحت ویجوز ان یکون هذا وما بعده من الجملتین استینافا فیما بینا التفاصیل احوالها **تسقی من عین آنیة** ای متناهیة فی الحر کما فی قوله تعالی وبین حمیم آن **لیس لهم طعام الا من ضریع** بیان لطعامهم اثر بیان شرابهم والضریع یبیس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا یبس تحامته وهو سم قاتل وقیل هی شجرة ناریة تشبه الضریع وقال ابن کیسان هو طعام یضرعون عنده ویذلون ویتضرعون الی الله تعالی طلبا للخلاص منه فسمی بذلك وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلین لآخرین **لا یسمن ولا یغنی من جوع** ای لیس من شانه الاسمان والاشباع کما هو شان طعام الدنیا وانما هو شیء یضطرون الی اکله من غیر ان یکون له دفع لضرورتهم لکن لا علی ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا یفیدهم شیئا منهما بل علی انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقیق ذلك ان جوعهم وعطشهم لیسا من قبیل ما هو المعهود بیننا وفی هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبیعة لبدل ما یتحلل من البدن مشوقة له الی المطعوم والمشروب بحیث یلتذ بهما عند الاکل والشرب ویستغنی بهما عن غیرهما عند استقرارهما فی المعدة ویستفید منهما

منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فی احشائهم الی ادخال شیء کثیف یملاؤها ویخرج ما فیها من اللهب واما ان یکون لهم شوق الی مطعوم ما او التذاذ به عند الاکل واستغناء به عن الغیر او استفادة قوة فهیهات وکذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اکل الضریع والتهابه فی بطونهم الی شیء مایع بارد یطفئه من غیر ان یکون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به فی الجملة وهو المعنی بما روی انه تعالی یسلط علیهم الجوع بحیث یضطرهم الی اکل الضریع واذا اکلوه یسلط علیهم العطش فیضطرهم الی شرب الحمیم فیشوی وجوههم ویقطع امعاءهم وتنکیر الجوع للتحقیر ای لا یغنی من جوع ما وتاخیر نفی الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوصل به الی التصریح بنفی کلا الامرین اذ لو قدم لما احتیج الی ذکر نفی الاسمان ضرورة استلزام نفی الاغناء عن الجوع ایاه بخلاف العطش وکذلك کررت لتاکید النفی وقوله تعالی **وجوه یومئذ ناعمة** شروع فی روایة حدیث اهل الجنة وتقدیم حکایة اهل النار لانه ادخل فی تهویل الغاشیة وتفخیم حدیثها ولان حکایة حسن حال اهل الجنة بعد حکایة سوء حال اهل النار مما یزید المحکی حسنا وبهجة والکلام فی اعراب الجملة کالذی مر فی نظیرها وانما لم تعطف علیها ایذانا بکمال تباین مضمونیهما ومعنی ناعمة ذات بهجة وحسن کقوله تعالی تعرف فی وجوههم نضرة النعیم او متنعمة **لسعیها راضیة** ای لعملها الذی عملته فی الدنیا حیث شاهدت ثمرته **فی جنة عالیة** مرتفعة المحل او علیة المقدار **لا تسمع** ای انت او الوجوه **فیها لاغیة** لغوا او کلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان کلام اهل الجنة کله اذکار وحکم وقری لا یسمع علی بناء المفعول بالیاء والتاء ورفع لاغیة **فیها عین جاریة** ای عیون کثیرة تجری میاهها کقوله تعالی علمت نفس **فیها سرر مرفوعة** رفیعة السمك او المقدار **واکواب** جمع کوب وهو اناء لا عروة له **موضوعة** ای بین ایدیهم **ونمارق** وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم **مصفوفة** بعضها الی بعض **وزرابی** ای بسط فاخرة جمع زربیة **مبثوثة** ای مبسوطة **افلا ینظرون الی الابل کیف خلقت** استیناف مسوق لتقریر ما فصل من حدیث الغاشیة وما هو مبنی علیه من البعث الذی هم فیه مختلفون بالاستشهاد علیه بما لا یستطیعون انکاره والتوبیخ والفاء للعطف علی مقدر یقتضیه المقام وکلمة کیف منصوبة بما بعدها کما فی قوله تعالی کیف تکفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فی حیز الجر علی انها بدل اشتمال من الابل ای اینکرون ما ذکر من البعث واحکامه ویستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ینظرون الی الابل التی هی نصب اعینهم یستعملونها کل حین الی انها کیف خلقت خلقا بدیعا معدولا به عن سنن خلقة سایر انواع الحیوانات فی عظم جثتها وشدة قوتها وعجیب هیآتها اللایقة بتاتی ما یصدر عنها من الافاعیل الشاقة کالنوء بالاوقار الثقیلة وجر الاثقال الفادحة الی الاقطار النازحة وفی صبرها علی الجوع والعطش حتی ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واکتفائها بالیسیر ورعیها لکل ما تیسر من شوك وشجر وغیر ذلك مما لا یکاد یرعاه سایر البهایم وفی انقیادها مع ذلك للانسان فی الحرکة والسکون والبروك والنهوض حیث یستعملها فی ذلك کیف ما یشاء ویقتادها بقطارها کل صغیر وکبیر **والی السماء** التی یشاهدونها کل لحظة باللیل والنهار **کیف رفعت** رفعا سحیق المدی بلا عماد ولا امساك بحیث لا یناله الفهم والادراك **والی الجبال** التی ینزلون فی اقطارها وینتفعون بمیاهها واشجارها **کیف نصبت** نصبا رصینا فهی راسخة لا تمیل ولا تمید **والی الارض**

التي يرتعون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحاً بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه
صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشدداً وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم
وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات
الشاهدة بحقيقة البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا
للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار
السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون
وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق
لمعنى الانذار اي لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين
على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء وقيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد وعند غيرهم
يسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية
والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله فذكر
اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد
الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب
الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير
فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال
مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كقيام من قوم قيل ايواب كديوان في دوان ثم
قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم
للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه
تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تقديم الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف
الثانية على الاولى بكلمة ثم المنبئة عن بعد منزلتها في الشدة من الاياب عن غاية السخط الموجب
لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله
سورة والفجر مكية حساباً يسيراً والله اعلم **وآيها ثلاثون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه وتعالى بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا اسفر وقيل المراد صلوته
وليال عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها
للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها
ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر
ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان
كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل
اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة
على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء للاكتفاء
بالكسرة وقرئ باثباتها على الاصل وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر
والوتر وهو التنوين الذي يبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك قسم الخ تحقيق وتقرير لفخامة

لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول
وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به حقيق بان تؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه
او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به
اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للحق وايذانا
بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل
مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي
عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه
لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه
قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه بما يدل عليه من تعذيب
عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم
تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه
من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم
هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى
ولاواخرهم عاد الاخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في
سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف
اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة
بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما
قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين
اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد
باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم
وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية
اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات
شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى
ارم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها
باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله
بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمه وبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في
زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الي

ابن قلابة فقال هذا والله ذات الرجل **التي لم يخلق مثلها في البلاد** صفة اخرى لارم اى لم يخلق
مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة
فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده
الى الله تعالى **وثمود** عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما
ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز و
تبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد **الذين جابوا الصخر بالواد** اى قطعوا صخر الجبال
فاتخذوا فيها بيوتا ينحتونها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا وقيل هم اول من نحت
الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **وفرعون ذي الاوتاد** وصف
بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد **الذين طغوا في
البلاد** اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اى طغا كل طائفة منهم
في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى **فاكثروا فيها الفساد** اى بالكفر وسائر المعاصي **فصب
عليهم** اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان
والفساد **ربك سوط عذاب** اى عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم
من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة
الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره
وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة
وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع
المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ما خلط
لهم من انواع العذاب وقد فسر بالصب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة
حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرير تعلقه بالعذاب كما في المعنى الاول فان كل واحد
من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى **ان ربك لبالمرصاد** تعليل لما قبله
وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما
ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة لضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما
بينهما اعتراض والمرصاد المكان يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا
تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى **فاما الانسان** الخ متصل بما قبله
كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا
يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها **اذا ما ابتلاه ربه** اى عامله
معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى **فاكرمه ونعمه** تفسيرية فان الاكرام
والتنعيم عين الابتلاء **فيقول ربي اكرمن** اى فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه
ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه اشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء
لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي
اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق
الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي **واما اذا ما ابتلاه** اى واما هو اذا ما ابتلاه ربه **فقدر عليه**

رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة **فيقول ربي اهانن** فلا يخطر بباله ان ذلك
ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شئ بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة
قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن
بسكون النون في الوقف **كلا** ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا
الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لاهانته
علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير بعيد وقوله تعالى
بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب
للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع
والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اى بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم
على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا
يكرمون **ولا تحاضون** بحذف احدى التائين من تتحاضون اى لا يحض بعضكم بعضا **على طعام
المسكين** اى على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء **وتأكلون
التراث** اى الميراث واصله وراث **اكلا لما** اى ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك **وتحبون
المال حبا جما** كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء **كلا** ردع لهم عن ذلك وقوله
تعالى **اذا دكت الارض دكا دكا** استئناف جئ به بطريق الوعيد تعليلا للردع اى اذا
دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين
زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية
بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض
لها عند النفخة الثانية **وجاء ربك** اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر
عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف
المضاف للتهويل **والملك صفا صفا** اى مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس **وجئ يومئذ
بجهنم** كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل
زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه
مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا **يومئذ** بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى
يتذكر الانسان اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على
ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة
او يتعظ وقوله تعالى **وانى له الذكرى** اعتراض جئ به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن
الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن
اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اى وانى له منفعة الذكرى
والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس
من التوبة في شئ فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى **يقول يا ليتني**

قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عنده بقدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجوب قد يتمنى ان كان متمكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه مجوز من الطرف الاخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية يحصل وعلى هذا يدور رحى التكليف والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والفساد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها ترقت في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عم او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى ادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنه والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة الشدايد ومعانات المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله صلى الله عليه وسلم به مناطا لاعظامه بالاقسام به واما للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوا في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن اخطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابرهيم عم وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم التعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية والمولودية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبت بمعنى اهلكه وهو تسلية

تم ربع

لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي يظن هذا القوي المارد المستضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حيث كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر والثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد بالاقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما ومسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر

على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة الرحمة على عباده وبموجبات رحمته تعالى من الخيرات
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار
اليه للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة
اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة
او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال او الشؤم عليهم نار موصدة مطبقة من اصدت
الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدت عن النبي صلى الله عليه وسلم

سورة الشمس مكية من قرأ سورة لا اقسم اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة وآيها خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحى بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا
طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها
تنجلي عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان
لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت
الواوات العاطفة نوائب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا
في قولك اقسم بالله حقق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا
والسماء وما بناها اي ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم
الشان الذي بناها وجعلها مصدرية يخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما
طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها
والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها
وتقواها اي افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار
ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا
من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد
في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به
ايضا اصالة اي خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو
كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا
على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة
لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول
استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء
للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اي
كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم
الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام
اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل
اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر

العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم رسول الله اي صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان
الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة
الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها
عنها في نوبتها فكذبوه اي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم وقد جوز
ان يكون ضميرهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها فعقروها اي الاشقى والجمع على تقدير وحدة
لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم
وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم
العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح
بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسواها اي الدمدمة
بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف
عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك
انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف
والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ لم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة والشمس وضحاها فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر والله اعلم

سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه
بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هو آدم
وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اي فاما
من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان
او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة
فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر
الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى اي زهد
فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب
بالحسنى اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول
النار ومقدماته لاختيارها لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما
في استتباع التيسير لليسرى والتعسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما
من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما امر به
مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي ولا يغني عنه او اي شيء يغني عنه
ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر

وردى فى قعر جهنم ان علينا للهدى استيناف مقرر اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم
البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يودى اليه من طريق الضلال
وما يودى اليه وقد فعلنا ذلك بما لامزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا
وترهيبا ومن هاهنا تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها
قطعا وان لنا للاخرة والاولى اى التصرف الكلى فيهما كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال
التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى الدنيا والاخرة فلا
يضرنا تركهم الاهتداء بهدينا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اى تتلهب
وقرى على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصليها الا
صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذى كذب وتولى اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها اى سيبعد عنها الاتقى المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا من دخولها
او صليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التبعيد و
ذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق الذى يؤتى ماله يعطيه ويصرفه
فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل لها او فى حيز
النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة
وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى
اى ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافى فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استيناف منقطع من نعمة وقرى بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه
الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا
ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة والايات نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى
بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد
روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد
فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال احد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله عنه
ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن
خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت
له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم
بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرى يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له
اليسرى

سورة الضحى مكية وايها احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم فيها
موسى عم والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما فى قوله تعالى
ان يأتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اى جنس الليل اذا سجى اى سكن اهله او ركد ظلامه
من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو
الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك
جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع وقرى بالتخفيف اى ما تركك وما قلى اى وما ابغضك وحذف
المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان
فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء
كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم
وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية
والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفى التوديع والقلى
انه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشره عم بان ما سيؤتيه فى الاخرة اجل واعظم
من ذلك فقيل وللاخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه
فانية مشوبة بالمضار وما اوتى عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه
فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له
عليه السلام فى الاخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب
العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك
من الكرامات السنية التى لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالاولى
عاقبة امره عليه السلام اى لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتضاعف رفعة وقوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس و
علوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه السلام وفى
ايام الخلفاء الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها
ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس عن شمة منها حيث قال له
عليه السلام فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون
الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا
مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى
للقسم وقاعدة التلازم بينهما وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل
بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الاية وكقوله والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول
الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى
قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نونى التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام
فى قوله تعالى وللاخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام
من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود
فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفى وتقرير المنفى على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك
الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى
ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمانى سنين فكفله
عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرى فاوى وهو
من اواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار

السابق كما اشير اليه اوالى المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى
ووجدك ضالا غافلا عن الشرايع التي لا يهتدى اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة
اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا
ينادي من السما يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند
شجرة السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قايم تحت شجرة يلعب
بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على
عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب روي ان ابليس اخذ بزمام ناقته
في ليلة مظلمة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند
ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف ما اوحى اليك من
الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عايلا
اي فقيرا وذى عيال وقرى عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة
او بما افاء عليك من الغنايم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقرى فعيلك فاغنى
فلك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرى فلا تكهر اي
فلا تعبس في وجهه واما السايل فلا تنهر فلا تزجر فلا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا
قال ابرهيم ابن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السايل
بريد الآخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم بشي وقيل المراد بالسايل ههنا الذي
يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها
اريد بها ما افاض الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم
الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعايلا فآواك الله تعالى وهداك
واغناك فمهما يكن من شي فلا تنس حقوق نعم الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله
تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السايل وتفقده
بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان نعمة النبوة فقد اندرجت
تحت الامر هدايته عليه السلام للضال وتعليمه للشرايع والاحكام حسبما هداه عز وجل وعلمه
من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى
فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها له بعدد كل سايل ويتيم

سورة الم نشرح مكية وآيها ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لاسرارها من العلوم والادراكات
والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دايرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية
وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي
الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية
وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل

جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا
وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او نموذج جسماني مما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن
ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفايه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد
على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسطه بين الفعل ومفعوله للايذان
من اول الامر بان الشرح من منافعه عم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام
وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا
عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك و
وضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر انفا
من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما كان في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور
عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبئك الثقيل الذي انقض ظهرك
اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعي الى الانتقاض
من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم
احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه
عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرى وحططنا وحللنا مكان وضعنا
وقرى وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن
اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى
عليه هو وملايكته وامر المومنين بالصلاة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف
وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير
كل عسير له عليه السلام وللمومنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلايل النعم فكن على ثقة
بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجي اليسر
كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر
كثواب الآخرة كقولك ان للصايم فرحتان اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه
وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرفة اذا اعيدت معرفة يكون الثاني
عين الاول سوا كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول
فاذا فرغت فانصب اي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا
لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الانفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد
في الدعا وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك والى ربك وحده فارغب بالسوال ولا
تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرى فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح لك فكانما جاني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وآيها ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

فنام

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله تعالى سبحانه من بين الثمار به
بما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم

ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع الادهنية لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون المسجد وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي **وطور سينين** هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليها وسينون كبيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية **وهذا البلد الامين** اي الامن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح **لقد خلقنا الانسان** اي جنس الانسان **في احسن تقويم** اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من الصفات السبحانية واثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية مبتدئا في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القار وحاليا وهو يلطف بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك تحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عند ذلك بهذه الطريقة ان عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه

منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة العالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى **ثم رددناه اسفل سافلين** اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين وصفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى **فلهم اجر غير ممنون** غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المومنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى **فما يكذبك بعد بالدين** للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لشدة التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان **اليس الله باحكم الحاكمين** اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وايها تسع عشر ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى **باسم ربك** متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرا ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله **الذي خلق** لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر

على تعليم القراءة للنبي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى **خلق الانسان** على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتقدير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير رَوماً لتفخيم فطرته وقوله تعالى **من علق** اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعل هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله **اقرأ** اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **وربك الاكرم** الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم **الذي علم بالقلم** اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها وقوله تعالى **علم الانسان ما لم يعلم** بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى **كلا** ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه **ان الانسان ليطغى** اي يجاوز الحد ويستكبر عن ربه بيان للمردوع والمردوع عنه وقيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى **ان رآه استغنى** مفعول له اي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وقد جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى **ان الى ربك الرجعى** تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله

عن م

وقوله تعالى **ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى** تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى **ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى** وما في قوله تعالى **ارأيت ان كذب وتولى** فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة ومن حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارأيت لا يكون الا جملة استفهامية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او كذب بالحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن **الم يعلم بان الله يرى** اي يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمها في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فمستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارأيت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هدايته وضلالته ويجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى أتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا** ردع للناهي بعد ردع وتخويف واللام في قوله تعالى **لئن لم ينته** موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر **لنسفعا بالناصية** لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور **ناصية كاذبة**

خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهی نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هی ناصية
وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازی وهما لصاحبها
وفيه من الجزالة ما ليس فی قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه ای اهل ناديه ليعينوه
وهو المجلس الذی ينتدی فيه القوم ای يجتمعون روی ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلی فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددنی وانا اكثر
اهل الوادی ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية
كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنی وكانه نسبة الى الزبن ثم غير كامسی واصلها زبانی فقيل
زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبی صلى الله عليه وسلم لو دعا
ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع لا تطعه ای دم على ما انت عليه
من معاصاته واسجد وواظب على صلاتك وسجودك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك
الى ربك وفی الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة القدر مكية

من قرا سورة العلق اعطی من الاجر كانما قرا المفصل كله وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه فی ليلة القدر تنويه بشان القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية
نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر فی جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة
المنبئ عن كمال العناية به وبتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما
فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها الا علام الغيوب كما
يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالی لشانها اثر تشويقه عم
الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادراكها وقد مر بيان الجملتين وفی اظهار ليلة القدر
فی الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روی
انه انزل جملة واحدة فی ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة
ثم كان ينزله على النبی صلى الله عليه وسلم نجوما فی ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله
فيها كما نقل عن الشعبی وقيل المعنى انزلناه فی شان ليلة القدر وفضلها كما فی قول عمر رضی الله عنه
خشيت ان ينزل فی القرآن وقول عائشة رضی الله عنها لانا احقر فی نفسی من ان ينزل فی قرآن
فالانسب ان يحمل الضمير حينئذ للسورة التی جملتها جزء من القرآن لا للكل واختلفوا فی وقتها فاكثرهم
على انها فی شهر رمضان فی العشر الاواخر فی اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر
فی اخفائها تحريض من يريدها للثواب باحياء الليالی الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما
لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالی
وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روی انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنی اسرائيل
لبس السلاح فی سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هی خير
من مدة ذلك الغازی وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر
فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل رای النبی
صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم

عزهم فی طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل لما كان
ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذی القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فی هذه الليلة
لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملئكة والروح فيها استيناف مبين
لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق فی سورة النبا ما قيل فی شان الروح على
التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة ای تنزل الملائكة والروح
فی تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف
هو حال من فاعله ای ملتبسين باذن ربهم ای بامره من كل امر ای من اجل كل امر قضاه الله عز وجل
لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ ای من اجل كل
انسان وقيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هی ای ما هی الا سلامة ای لا
يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما فی غيرها فيقضی سلامة وبلاء او ما هی الا سلام
لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر ای وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر
كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزيل
ای لمكثهم فی محل تنزلهم او بنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل
متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله مغتفر فی الجار عن النبی صلى الله
من قرا سورة القدر اعطی من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر والله اعلم

سورة البينة مدنية وآيها ثمانی آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب من اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان
للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له فی كتابهم وايراد
الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين ای عبدة الاصنام وقرئ والمشركون
عطفا على الموصول منفكين ای عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث
فی آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم
كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبی المبعوث فی آخر الزمان ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان يخرج نبی مصدق لما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
واما من المشركين فلعله قد وقع من متاخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته
بما شاهدوا من تظاهرهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسالونهم عن رسول الله صلى الله عليه
هل هو المذكور فی كتابهم وكانوا يغرون بتقمصهم بتعسر نوبهم عم والانفكاك الشیء عن الشیء ان يزايله
بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم ای لم يكونوا مفارقين
للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التی كانوا
قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك
والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكی لا باعتبار
حال الحكاية كما فی قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين ای تلت وقوله تعالى رسول
بدل من البينة عبر عنه عم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود فی

الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي رسول وأي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة أخرى له
أو حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة أي منزهة عن الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه ومن أن يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها إليه عليه السلام من حيث إن تلاوة ما فيها بمنزلة
تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا أو حال من ضميرها في مطهرة ويجوز أن يكون الصفة
والحال هو الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب
وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ
جناياتهم ببيان أن ما نسب إليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الأمر بل كان بعد وضوح الحق
وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بإيتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من
مطالعته والإحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام والأخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء المشركون باعتبار اتفاقهم
على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الإخبار بوقوعه
بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي أهل الكتاب وإيذانا
بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم
وقوله تعالى إلا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في وقت
من الأوقات إلا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب
إلا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة
لغاية قبح ما فعلوا أي والحال أنهم ما أمروا في كتابهم إلا لأجل أن يعبدوا الله مخلصين له
الدين أي جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين
حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
إن أريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكاة فالأمر ظاهر وإن أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم
بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التي هما من جملتها وذلك إشارة
إلى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالإخلاص وإقامة الصلوة وإيتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد
للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة أي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة
على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا إلى قوله تعالى كتب قيمة
حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم إلى مبعثه ويعدون
أن ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ بيان
لإخلافهم الوعد وتعكيسهم الأمر بجعل ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا
لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك مما أنا فيه
حتى استغني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا من الفسق حتى توسر وما عكفت
على الفسق إلا بعد اليسار وأنت خبير بأن هذا إنما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير أن يراد بالتفرق
تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على

دينهم إلا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فمنهم من آمن ومنهم من
أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فتأمل إن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشر
كين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب
بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيمة وإيراد الجملة الاسمية للإيذان بتحقق
مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن إما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها وإما
على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار إلا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية
وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما في قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة
بالكافرين وفي سورة الأعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في
دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات
وعذابها ألوان أولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه
من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشر أي أولئك البعداء المذكورون هم شر
البرية أي شر الخليقة أعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم
في النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الأصل إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة جريا على
السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب أولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من
الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير كجيد
وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من
تحتها الأنهار إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجريان الأنهار
من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأيا ما كان فالمراد
جريانها بغير أخدود خالدين فيها أبدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي
تقديم مدحهم بخير البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه
من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة
إلى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالإضافة وبما يزيد نعيمها وتأكيد الخلود بالأبود من
الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل عليهم
زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من
المآرب ناصيتها وأتيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك أي ما
ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فإن الخشية التي هي من خصائص العلماء عن شؤون
الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض
لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للإشعار بعلية الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن الذين كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثماني آيات

إذا زلزلت الأرض أي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها أي الزلزال المخصوص بها

على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها
العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية
فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس
والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل **واخرجت الارض اثقالها**
اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة
التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها **وقال الانسان**
اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة **ما لها** زلزلت هذه المرة
الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت
الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان
المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب **يومئذ** بدل من اذا وقوله تعالى **تحدث**
اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذا زلزلت الارض تحدث الخلق
اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها
واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انها تشهد على كل انسان بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ من الانباء **بان ربك**
اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز
ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل
بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها **يومئذ** اي يوم اذ يقع ما ذكر **يصدر الناس** من قبورهم
الى موقف الحساب **اشتاتا** متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه امنين وسود الوجوه فزعين
كما في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة
وذات الشمال الى النار **ليروا اعمالهم** اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله
تعالى **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** تفصيل ليروا وقرئ
يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء واياما كان فمعنى رؤية
ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف
لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر مغفورة وما قيل من ان حسنة
الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة
بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته
بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا
الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته
ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ
القرآن كله

سورة والعاديات مكية وآيها احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى **ضبحا** مصدر منصوب

منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات
فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات
فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي تورى النار
من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة **فالمغيرات** اسناد الاغارة التي
هي مباغتة العدو للنهب او للقتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم
صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون
عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى **فاثرن به** عطف على الفعل
الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن
بذلك الوقت **نقعا** اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل
وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل
النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه
معنى الاظهار **فوسطن به** اي توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع **جمعا** من جموع
الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منهما على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة
للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة
على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى **ان الانسان لربه لكنود** اي لكفور من كند
النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ
عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم
بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي
تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت
كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران **وانه**
على ذلك اي وان الانسان على كنوده **لشهيد** يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه
وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا **لشديد** اي قوي مطيق مجد في طلبه
وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل
الشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا
الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق
حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله
تعالى **افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور** الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح افلا يعلم بالاحاطة فلا يعلم
حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ
بحثر وبحث على بنائهما للفاعل **وحصل** اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل
مبنيا للفاعل وحصل مخففا **ما في الصدور** من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه
المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية **ان ربهم** اي المبعوثين كني عنهم بعد

الإحياء الثاني بصير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تغابيهم في الحالين كما فعل نظيره بعد
الإحياء الأول حيث التفت إلى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله
تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه إيذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما
أشير إليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم إذ يكون ما ذكر
من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا
للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فمطلق علمه تعالى محيط بما كان وما سيكون وقوله
تعالى بهم يومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ أبو
السمال أن ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي
مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لأنها
تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال
إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والأرض والجبال بالدك
والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس
لما مر غير مرة أن محط الإفادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة التهويل والفخامة هاهنا
هو كلمة ما لا القارعة أي هي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير
تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما أدراك ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها
عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد
حتى يدرك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس هنا وما القارعة
جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله
تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني
والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الأول أي وأي شيء أعلمك ما شأن
القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث على أن يوم مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل
وإن كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب
بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه السلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ
فإنه يدريك ما هي هذا وقد قيل إن الظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الخ
وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش أي كالصوف
الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة
الثانية عند حشر الخلق بتبديل الله عز وجل الأرض غير الأرض وتغييرها هيئاتها وتسيير الجبال عن
مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة
الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد
البعث قطعا وقد تم الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فأما من ثقلت موازينه الخ بيان
إجمالي لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال
الشاملة للكل والموازين إما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله
الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله عنه إنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال
قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل
الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره
كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف
به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور
عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على
صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فمن رجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية أي ذات
رضى أو مرضية وأما من خفت موازينه بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو رجحت سيئاته
على حسناته فأمه أي فمأواه هاوية هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها
روي أن أهل النار تهوي فيها سبعين خريفا وقيل إنها اسم للباب الأسفل وعبر عن المأوى بالأم
لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم
رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا والأول هو الموافق لقوله تعالى وما أدراك
ما هيه نار حامية فإنه تقرير لها بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم
والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا
يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها موازينه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وآيها ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر أي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي أن بني عبد مناف وبني
سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام فقال كل من الفريقين نحن
أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم

إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادوا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم

بالأحياء حتى زرتم المقابر أي حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات
تعبيرا عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر
فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم

وقرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة
عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون
معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا
عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او
الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو
تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه
فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به
التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم
من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة
عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب
مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته
باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على
طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي
من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي
من الاجر كانما قرأ الف آية والله اعلم

سورة والعصر مكية وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما
اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور
القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم
والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور
حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات
الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم انفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الى آخره
بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في
الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل
وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي
يشق عليها اداؤها او على ما يبتلي الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه
تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى
الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس
النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن النبي
من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتدأ خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او شدة
الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء
فعلة يدل على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل
همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت
في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في
الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص
السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب مثل ذنوبهم
الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد وتنكير مالا للتفخيم
والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدّده وقيل معنى عدّده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ
وعدده اي الذين يعدونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار
والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن
ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طوّل المال امله ومنّاه
الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا
يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحياة
الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة آلاف
دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان
الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اي والله
ليطرحن بسبب تعاطيه الافعال المذكورة في الحطمة اي النار التي شأنها ان تحطم وتكسر
كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة
تأكيد لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى نار
الله خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز
سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على
الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في
الجسد واشده تألما بادنى اذى يمسه او لان محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ
الاعمال السيئة انها عليهم مؤصدة اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته
في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة موثقين فيها
مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدأ مضمر اي هم في عمد او صفة لمؤصدة قاله
ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا
في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عُمُد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل مكية وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة
لتقرير رؤيته عليه السلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية

علمنا اى لم تعلم علما رصينا لمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيأة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى فلما عبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فلما رآه ابرهة عظم في عينيه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى **ألم يجعل كيدهم في تضليل** الخ بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير **وأرسل عليهم طيرا أبابيل** اي فرق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عبادين وشماطيط لا واحد لها **ترميهم بحجارة** صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع باعتبار المعنى **من سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي يكتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب

الفيل

العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال **فجعلهم كعصف مأكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير باول حالة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ والله اعلم

سورة قريش مكية وآيها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط او المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء رحلة الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين مختطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى **إيلافهم رحلة الشتاء والصيف** بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه لايلاف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم** بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا بهما بواسطة كونهم من جيرانه **من جوع** شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام **وآمنهم من خوف** عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية وآيها سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى **فذلك الذي يدع اليتيم** جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار

بعلان الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان
وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل
هو رجل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض
اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر
فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى فويل الخ اما للربط
ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من
دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون
الماعون اي الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما
ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع
الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم
بالويل على ما ذكر من قبايحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم
قبايح اخر غير ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان

سورة الكوثر مكية للزكوة مؤديا والله اعلم وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخير
الدارين والرياسة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه
ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج
والين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ
من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا
يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم
على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير
فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده
واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك
وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطايه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام ما ذكر
من العطية التي لم يعطها احدا من العالمين مستوجبة للمأمور به اي استيجاب اي اقدم على
الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه
خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر
وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم
ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل
هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو رفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي

المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو
قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي
لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار
فضلك الى يوم القيمة وكذلك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص
بن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد

سورة الكافرون في يوم النحر والله اعلم مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا
روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع
دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض
الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم
فقرأ عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على
مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم
فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام
ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته ق
قيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت
لتوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلاة والسلام
لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف
كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل انما مصدرية
اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان
وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله
تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم
دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما
ان قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله عز وجل ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم
الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه
فلا تعلقوا به اما نيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور
على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم
او استلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة
ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم
المسند قصر افراد حتما وقيل المعنى اني مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا

بي ولن تتبعوني فتدعوني كما فالا ولا تدعوني الى الشرك فتامل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى
من الفزع الاكبر والله اعلم

سورة النصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اى فتح مكة وقيل
جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام
القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجي سائر الفتوح وعلق به امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح
والحمد والتعبير عن حصول النصر في الفتح بالمجي للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه السلام
وانما على جناح الوصول اليه صلى الله عليه وسلم عن قريب روى انها نزلت قبل الفتح وعليه
الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذ حينئذ باعتبار ان بعض ما في
جزئها اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان
سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب
واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا
ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورايت الناس
اى ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اى ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى
غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله تعالى افواجا
حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن
وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى
انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل
الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل عن كل من ارادهم
فكانوا يدخلون في دين الله افواجا من غير قتال وقرى بفتح الله والنصر وقرى يدخلون
على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اى فتعجب لتيسير الله تعالى
ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على
الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام بان يداوم على ذلك
استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا
حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على
نعمه روى انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما تقوله الظلمة
حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات
الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا
لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان

يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله
في اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا
وبكى العباس فقال عليه الصلوة والسلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام
انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك
فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وتكامل
امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه
فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه
فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال
يا بنتاه انه نعيت الى نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي الله
ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق
المكلفين اى مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلى الله عليه
من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اى هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك و
اسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به
وتب اى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات
وقد فعل ويؤيده قراءة من قرا وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول
غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل
الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر
اسمه القبيح وقرى ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرى ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه
ماله وما كسب اى لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اى شيء اغنى عنه على
انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب من الارباح والنتائج
والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث
الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب
ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي
فاستخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين
العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش
تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكانت

الامر كما اخبر به القران سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد
الوعيد والتشديد اى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة نارا ذات لهب اى
نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من
تكليفه الايمان بالقران ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين
النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله
النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع
ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان
يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن فى سيصلى لمكان الفصل
بالمفعول وهى ام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان
فتنثرها بالليل فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا
الحرير وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اى
يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على
الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم
كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها
فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدا وقرئ حمالة
الحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير فى جيدها حبل من مسد جملة من خبر
مقدم ومبتدا مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو
حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال
فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل
واوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى
جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض
بعلها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الهمدانى كانت ام جميل تاتى كل يوم بابالة من حسك
فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها
الملك من خلفها بحبلها فاختنقت عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا
يجمع بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وهى اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من
الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه
الذى اصله القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة
الى الرابط لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تقديمه التنبيه من اول الامر
على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من
اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه
فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد بدل من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى

للتحقير ح

لتمتعض من ذلك ح

النفى ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام
ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم فانها اصلية وقال مكى اصل احد واحد فابدل
الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب
ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل
واحد ولذلك اختص به تعالى او هو مما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان
قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدا والله خبره واحد
بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ الله احد
بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدا وخبر والصمد فعل
بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل
ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل
الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم
الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن
العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته
الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها
ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها
وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية
مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق
الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه
شئ ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه ويخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد اى لم
يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين
بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا
فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لم يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون
على لا يستأخرون كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اى لم يكافئه احد ولم يماثله
ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه
للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا ويكون
كفوا حالا من احد وليس بذاك واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه
الجمل غنى عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها
مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية
والرد على من الحد فيها ورد فى الحديث النبوى انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة
فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو
الله احد اى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها

هذه السورة الكريمة وعنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال
وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول
فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل كل ما انفلق من عمود وقيل هو كل ما
يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب
والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن
النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ
منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء
بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم
قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا أثر يترتب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك
حتى يحتاج إلى التنبيه عليها **من شر ما خلق** أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائناً
من كان من ذوات الطبائع والاختيار وهو كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة
ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره مما ليس يصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها
مداراً لإضافة الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم
الخلق والمؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون
والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى **ومن
شر غاسق** تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة
إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة
وأدعى إلى الإعاذة أي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل
الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعاً وقيل هو السيلان وغسق الليل
انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه
وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى **إذا وقب** أي
دخل ظلامه في كل شيء لأن حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل
أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما
روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله تعالى من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب وقيل التعبير
عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر
والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للمرض إلا في ذلك الوقت
قيل هو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لأنها إذا سقطت
كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الإنسان ووقوبه هجومه **ومن شر
النفاثات في العقد** أي ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط

كما قرئ النفثات ٩

م

ومن سحره ٩

خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات بغير
ألف وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه
بالذكر لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها أنه كان غلام من اليهود يخدم
النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فأعطاها
اليهود فسحروه عليه الصلاة والسلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودي وبناته وهن
النافثات في العقد فدفنها في بئر ذروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل
عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره فأرسل صلى الله عليه وسلم علياً
كرم الله وجهه والزبير وعماراً فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة
البئر وهي الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد
عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر فجاءوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم
خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كأنما
أنشط من عقال فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه الصلاة والسلام أما
أنا فقد عافاني الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شراً قالت عائشة رضي الله عنها ما
غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيء لله تعالى فيغضب
لله تعالى وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعاراً من
تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها **ومن شر حاسد إذا حسد** أي إذا أظهر ما في
نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الإضرار بالمحسود قولاً وفعلاً
والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحاسد لا يعدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى

سورة الناس مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام **برب الناس** أي مالك
أمورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى **ملك الناس**
عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما
تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر
وكذا قوله تعالى **إله الناس** فإنه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام
بتدبير أمور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر
الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على
التصرف الكلي فيهم إحياءً وإماتةً وإيجاداً وإعداماً وتخصيص الإضافة بالناس مع انتظام
جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته للإرشاد إلى منهاج الاستعاذة
المرضية عنده تعالى الحقيقة بالإعاذة بأن توسل العائذ بربه وانتسابه إليه تعالى
بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة

والراقد وأمره تعالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعادة لا محالة ولان المستعاذ منه شر
الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى
ودلكونهم من اولياء انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة
من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ
منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير
والتشريف بالاضافة **من شر الوسواس** هو اسم من الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال
بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه
نفس الوسوسة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه **الذي
يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على
الوصف واما الرفع او النصب على الذم **من الجنة والناس** بيان للذي يوسوس على انه
ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي
يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على
انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفس والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس
الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداعي ثم يبين بالجنة والناس
فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوارق عصمته
وتناوله اوسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق
شكره قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي
الغواة الى سنن الرشاد يا باري البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب
انت المغيث لكل ملهوف والمجير من كل هائل مخوف الوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب
المنون والتجئ الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسألك من خزاين برك
المخزون في مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين
واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها
وزهرتها والافتتان بزخارفها فاعذني بحمايتك واغنني بعنايتك وافض علي من
شوارق الانوار الربانية وبوارق الاثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية
ويجردني من العلائق الجسمانية وهذب نفسي الابية من دنس الطبايع والاخلاق ونور
قلبي القاسي ليستعد للعثور على اسرار الانس ويتهيأ للخطور في حظائر القدس وثبتني
على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل عزمي ابتغاء رضائك
وازلف ايامي يوم لقائك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين انعمت
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
كتب المؤلف عفا الله تعالى عنه في آخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد
هاتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة
الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلاث
وسبعين وتسعمائة حامدا لله
رب العالمين

وقد وقع الفراغ من كتابته على يد [illegible] محمد بن [illegible] سنة [illegible] عفا الله عنهم

وصلى الله على سيدنا محمد [illegible] وعلى سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين [illegible]

بلوامع الاشراق

قوبل في ملك امير الامرا
والي ولايات الشام مولانا مراد
ورقه اللهم اعلى الرتب
الفاضل العادل من غير مرا
اتاه ربي ما يشا وما اراد
بالمصطفى وآله والصحب
في عام الف وثلاث بعدها
فالله ارجوا ان يتم سعدها